An analytical and comparative study of Eulogy of Prophet (SAW) by Al-Imam al- Bosiri and al-Imam Ahmad Raza Khan al- Breilwi

A Thesis
Submitted for the Award of Doctor of Philosophy in Arabic

by
Ibrahim

Under the supervision of
Dr. Shams Kamal Anjum
Associate Professor/ Head

School of Islamic Studies and Languages
Department of Arabic
Baba Ghulam Shah Badshah University Rajouri (J&K) India
(2019)



Follow this link
http://www.kanzuliman.org/phds/

قِسمُ اللغـةِ العَربيّـة
DEPARTMENT OF ARABIC
Baba Ghulam Shah Badshah University
Rajouri (J&K)185234
Website: www.bgsbu.ac.in, E- Mail headarabic@bgsbu.ac.in

CERTIFICATE

This is to certify that the Ph.D Thesis entitled, **"An analytical and comparative study of Eulogy of Prophet (SAW) by Al-Imam al- Bosiri and al-Imam Ahmad Raza Khan al-Breilwi**" has been carried out by Mr. Ibrahim S/o Abdul Rehman, under my supervision. The work is suitable for submission and for the award of degree of Doctor of Philosophy in Arabic.

I further certify that:

- The thesis embodies the work of the candidate himself ,
- The candidate worked under me for the period required under U.G.C /University statutes,
- The candidate has put in the required attendance in the department of Arabic, Baba Ghulam Shah Badshah University,Rajouri during that period.

Dr. Shams Kamal Anjum
Supervisor

Dr. Shams Kamal Anjum
Head of the Department

إنه من سليمان وإنه

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى

من جرع الكأس فارغاً ليسقيني قطرة الحب، وكلت أنامله ليقدم لي لحظة سعادة

أبي الكريم

من ركع العطاء أمام قدميها وأعطتنا من دمها وروحها وعمرها حباً وتصميماً

أمي الغالية

من سارت معي نحو الحلم خطوة بخطوة، ووقفت بجواري في أصعب أيام حياتي

زوجتي الحبيبة

من هما عندي كأزهار النرجس التي تفيض حباً وطفولة ونقاءً وعطرا أنس وعصمت

ابني وابنتي

من آنسني في دراستي وشاركني همومي تذكاراً وتقديراً، وسكنت صورهم وأصواتهم أجمل اللحظات والأيام التي عشتها

إخواني أصدقائي وزملائي

أهدي هذا العمل



ضريح الإمام البوصيري

وكـيـف يـدرك في الـدنيا حقيقته

قـوم نـيــام تـسـلّوا مـنـه بالحلم

فـمـبـلـغ الـعـلـم فـيه أنـه بشر

وأنــه خـيـر خـلـــق الله كـلـهم

{البوصيري}



زاوية الإمام أحمد رضا خان

کہہ لے گی سب کچھ ان کے ثناخواں کی خامشی

چپ ہو رہا ہے کہہ کے میں کیا کیا کہوں تجھے

لیکن رضا نے ختم سخن اس پہ کردیا

خالق کا بندہ خلق کا آقا کہوں تجھے

{رضابریلوي}

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، بديع السماوات والأرضين، جامع الأولين والآخرين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد فإن الله عزّ وجلّ أنعم على عباده بأنعمٍ لا تُعد ولا تُحصى، وليس للإنسان أن يحيط علمه بما أنعم الله عليه من نعماء الدنيا، فقال الله تعالى﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾(١)، ولا ريب أن وجود النبي ﷺ في الكون كبرى النعم على العالمين، لا تقاربها أيّة نعمة مهما جلّت وعظمت، كما قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾(٢) فأفضل النعم وأعلاها هي الحقيقة المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام، وهي النعمة التي يجب علينا أن نحدث بها بكرة وأصيلا، كما أمر الله عزّ وجلّ في القرآن الحكيم: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّك فَحَدِّثْ﴾(٣).

وهذا ما أمرنا الله به أن نذكر حبيبه ﷺ، أما مدحه من قبل الله فكما قال:﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾(٤) ولا ريب أنّ القرآن كله في المديح النبوي، كما رُوي عن سَعد بن هشام بن عامر أنه قال: أتيتُ عائشة. فقلت: يا أم المؤمنين أخبريني بخلق

---

(١) إبراهيم : ٣٤

(٢) آل عمران : ١٦٤

(٣) الضحى : ١١

(٤) الشرح : ٤

رسـول اللّه ﷺ ، قالـت كـان خلقـه القـرآن، أمـا تقـرأ القـرآن قـول الله عـز وجـل : ﴿وَإِنَّـكَ لَعَلَـى خُلُـقٍ عَظِـيمٍ﴾[١]. قلت: فـإني أريـد أن أتبتـل. قالـتَ: لا تفعـل أمـا تقـرأ: ﴿ لَقَـدْ كَـانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[٢] فقد تزوّج رسول اللّه ﷺ وقد وُلِدَ له.[٣]

وبالتـالي كفـى بـالله تعـالى واصـفاً لنبيـه وإنـه قـد وصـفه فـي كتابـه الكـريم فأحسـن وأجـاد وأتـمّ وأكمـل، فلـيس بمقـدور الأقـلام أن تصـفه ولا يمكـن للسـان أن يحـوي فضـائله وخصائصه كما هو حقه. يقول عمر ابن الفارض:

أرى كل مدح في النبي مقصرا وإن بـالغ المثني عليه وأكثرا

إذ الله أثنـى بـالـذي هـو أهله عليه فما مقدار ما تمدح الورى[٤]

فنظـراً إلـى امتثـال أوامـره سـبحانه وتعـالى وتحقيـق مـا تكفـل بـه سـبحانه وتعـالى مـن رفـع ذكـر حبيبـه ورسـوله ﷺ لـم يـزل يمدحـه الأولـون والآخـرون فـي منثورهم ومنظومهم على كرّ الأيام ومرّ العصور.

فبعـد أن بعـث الله سـبحانه وتعـالى نبيـه ﷺ فـي هـذا العـالم أخـذ أصـحابه يتسـابقون فـي مدحـه ووصـفه وجعلـوا مدحـه حـديث القلـب ولـذة الـروح ومتعـة الإيمـان، وتفـرد فـي هـذا المجـال ثلاثـة مـن شـعرائه ﷺ، وهـم: كعـب بـن مالـك وعبـد الله بـن رواحـة وحسـان بـن ثابـت رضـي الله عـنهم. وأنهـم لـم يزالـوا يمدحونـه صـلى الله عليـه وسـلم ويثنـون علـه ويصـفونه فـي قصـائدهم وأشـعارهم ويـذبّون عنـه

---

(١) القلم : ٤

(٢) الأحزاب : ٢١

(٣) المسند للإمام أحمد بن حنبل ٦/ ٩١، ورقم الحديث ١٧١٥٧.

(٤) ديوان ابن الفارض ص

ويـدافعون عـن دينـه، ويهجـون الكفـار والمشـركين، ويعـد هـؤلاء الثلاثـة فـي طليعـة الشعراء المادحين للنبي ﷺ.

وكـان لحسـان بـن ثابـت مكانـة ممتـازة بـين هـؤلاء الشـعراء ، فقـد لقـب بشـاعر الرسـول ﷺ ودعـى لـه الرسـول الله ﷺ قـائلاً : «اللّهـم أيّـده بـروح القـدس» فـروي أن جبريـل عليـه السـلام أيّـده بسـبعين بيتـاً، وكـذلك ينصـب لـه منبـر فـي مسـجده صـلى الله عليـه وسـلم فكـان يقـوم عليـه وينشـده قصـائده. فعـن كعـب بـن مالـك قـال: قـال لنـا رســول الله ﷺ : «اهجـوا المشــركين بالشــعر»[1]. وعـن عـروة لمـا نزلـت ﴿ وَالشُّـعَرَاءُ يَتَّـبِعُهُمُ الْغَـاوُونَ﴾[2] قـال عبـد الله بـن رواحـة : قـد علـم الله أنـي مـنهم فـأنزل الله ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾[3].

وكـان كثيـر مـن أصـحابه ﷺ يقرضـون الشـعر فـي فضـائله ومحامـده وينشـدونه فـي أنـديتهم ومجالسـهم، كمـا ذكـره أصـحاب السـير والتـاريخ ورجـال الشـعر والأدب في كتبهم.

وبعـد الصـحابة مـا زال الشـعراء المسـلمون المتقـدمون مـنهم والمتـأخرون يقرضـون القصـائد فـي مـدح النبـي صـلى الله عليـه وسـلم، حتـى عُـرف هـذا المـدح كفـن أدبـي مسـتقل، والمـادحون قـد ابتكـروا معـاني جديـدة وأخيلـة دقيقـة، وجـاؤوا بتعبيـرات جميلـة لـم يسـبق إليهـا، واتسـع هـذا الفـن إلـى اللغـة الفارسـية ثـم إلـى الأرديـة، فامتـازت هـذه اللغـة بهـذه الناحيـة التـي هـي أجـدى وأنفـع مـن جميـع أنـواع الأدب الجميـل نثـراً كـان أو نظمـاً.

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، للإمام ابن حجر عسقلاني ٣/٢٣٣

(٢) الشعراء : ٢٢٤

(٣) الشعراء : ٢٢٧

فالشعر الذي يُمدح به النبي صلى الله عليه وسلم يُسمى في اللغة العربية "بالمديح"، وشعراء الفارسية والأردية يسمونه "بالنعت".

ولو استعرضنا تاريخ المديح النبوي في العربية والأردية لوجدنا شعراء كبار في هذا المجال كحسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وجمال الدين الصرصري وابن جابر الأندلسي وأحمد شوقي وغلام علي آزاد البلكرامي والدكتور محمد إقبال ومحسن كاكوروي وغيرهم من الشعراء الكبار في هذا المجال وكان من بين هؤلاء الشعراء المغمورين شخصيتان كبيرتان بارزتان في هذا المجال، أحدهما من بلاد مصر وهو الإمام البوصيري الذي أنشد قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وكان مفلوجاً فأكرمه النبي صلى الله عليه وسلم ببردته كجائزة وتقدير لشعره واشتهرت قصيدته بعنوان "قصيدة البردة" واعتبرها العلماء من أهم القصائد بين المدائح النبوية ولُقّب الإمام البوصيري بـ "رائد المدائح النبوية". وثانيهما من بلاد العجم وهو الإمام أحمد رضا خان البريلوي الذي اهتم بالمدائح النبوية وقرض القصائد في المديح النبوي وقد كان شاعراً أردياً عظيماً ونموذجا مستنيرا في المديح النبوي حيث يقول: "لقد تعلمت المديح النبوي من القرآن الكريم"، فيقال عن شعره "كلام الإمام إمام الكلام".

ويلاحظ أن الإمام البوصيري شاعر عربي والإمام أحمد رضا خان البريلوي شاعر اردي ، أولهما عاش في البلاد العربية وثانيهما عاش في بلاد الهند، أولهما قرض القصائد في العربية وثانيهما قرضها في الأردية مع شيئ منها في العربية وبينهما بون شاسع في البيئة والبلاد والزمان لكنهما يتفقان في الأغراض والأفكار ويشتركان في المعنى ويتشابهان في الأسلوب والمنهج وهذا مما يستغرب وجدير بالدراسة والتحليل.

فهذا البحث المتواضع الذي انا بصدده دراسة تحليلية لشعرهما في المديح النبوي فقمت من خلال هذا البحث بدراسة تاريخية مقارنة للمديح النبوي في العربية والأردية بعنوان "المدائح النبوية بين الإمام البوصيري والإمام أحمد رضا خان البريلوي، دراسة تحليلية مقارنة".

وأرجو أن هذا البحث سيفيد الدارسين والباحثين في الأدب المقارن، كما أنه يبرز تلك الجوانب الخفية من شعر هذين الإمامين البارزين التي لم يتطرق إليها باحث من قبلي وبالأخص أسلوب المديح النبوي عند كلا الشاعرين، وإبراز ما يتفقان فيه من الموضوعات.

أهمية الموضوع:

أولاً: إن فضل أي علم يتعلق بموضوعه، ونحن بفضل الله ومنته بصدد الموضوع الذي هو سنة الله تعالى، لأنه تعالى مدح رسوله في القرآن الكريم وأثنى عليه ثناء كثيراً، فوصف قلبه فقال : ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾[1]، ومدح لسانه فقال : ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[2]، وذكر نور بصره فقال: ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾[3]، وقال عن وجهه: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾[4]، وعن ظهره وصدره : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ . وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ . الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾[5].

---

(١) النجم : ١١

(٢) النجم : ٣-٤

(٣) النجم : ١٧

(٤) البقرة : ١٤٤

(٥) الشرح : ١-٢-٣

ثانيـاً: قد مرّ بوضوح من الآية الكريمة أنّ وجود النبي الكريم ﷺ نعمة كبرى للإنسانية جمعاء، بل للعالمين كلهم، وأمرنا الله تعالى أن نحدّث نِعَمَه حسب ما استطعنا، حيث قال: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّك فَحَدِّثْ﴾، فمدح النبي ﷺ ليس إلا تحديث هذه النعمة العظيمة نظماً كان أو نثراً.

ثالثـاً: المديح النبوي هو فن من الفنون اللطيفة العظيمة، فكما أنه لا تنقضي فضائله هكذا لا يُنسى من أظهر حبَّه للنبي ﷺ منظومةً ومنثورةً، وما زال العلماء والباحثون عبر الأزمنة المتلاحقة يكتشفون أعماقه ويستخرجون درره، ونحن بعون الله من خلال بحثنا هذا نقوم بذكر شخصيتين فذتين من مادحي النبي ﷺ ودراسة قصائدهما في المديح النبوي، للتبرك والتيمن بتلك القصائد.

رابعـاً: وبالإضافة إلى هذه الأسباب أنّ الموضوع مهم جدا، لأنه مدح الرسول صلى الله عليه وسلم في جانب والأدب المقارن في آخر، وهناك كثير من الأبحاث العلمية والرسائل التي تتحدث عن شخصية الإمام أحمد رضا خان البريلوي وأعماله العلمية والأدبية، وكذلك توجد ترجمة الإمام البوصيري في مقدمات الشروح لقصائده الشهيرة، ولكن الذي في حدود علمي ومعرفتي لم يتطرق إلى الدراسة المقارنة بين شعرهما في المديح النبوي أحد من المتقدمين أو المتأخرين، فهو موضوعٌ جديدٌ بِكرٌ.

سبب اختيار الموضوع

إلى جانب ما لهذا الموضوع من أهمية كبيرة سبقت الإشارة إليها هناك سببٌ كبيرٌ في اختياري هذا الموضوع، وهو أنني كنت طالباً في صف الفضيلة بالجامعة الأشرفية بمباركفور في عقد العشرة الأولى من القرن الراهن، وكان المنهج الدراسي في مادة النظم العربي بالجامعة يشتمل على قصائد مهمة أدبية منها القصيدة البردة للبوصيري، فعثرت خلال دراسة القصائد في مديح النبوي على كتاب "المنظومة

السلامية في مدح خير البرية" للأستاذ حازم محمد أحمد محفوظ المصري، وهو في الحقيقة ترجمة منظومة للقصيدة السلامية الشهيرة ، للإمام أحمد رضا خان البريلوي والتي أولها:

مصطفى جانِ رحمت پہ لاکھوں سلام

(مئات آلاف التسليمات على روح الرحمة المصطفى ﷺ)

أضاف المترجم إلى الكتاب مقدمةً علميةً قام أثنائها بدراسة مقارنة بين هذه السلامية وبين بردة الإمام البوصيري، وبيّن ما هو التشابه الكبير في الموضوع والأسلوب، فأعجبني ذلك المبحث إعجاباً حتى وسعت دراستي إلى قصائدهما الأخرى فوجدت بينها أيضا تشابها وتماثلاً فاشتقتُ إلى أن أقوم بدراسة مقارنة بين قصائدهما، وقد ذكرت اشتياقي هذا مرارا بين الرفقاء الذين لهم ذوق سليم أدبي، وهم لا يزالون يشجّعونني ويستنهضون هممي بمناسبة مثل هذا العمل العظيم، ولكن لم أُوفق لذلك، لأنّ العمل كان مهماً جدا ووعلمي عنه قاصراً.

ولما حصلتُ على شهاد الماجستير في الفلسفة من قسم اللغة العربية بجامعة بابا غلام شاه بادشاه راجوري، وحان موعدُ اختيار الموضوع للدكتوراه أمرني الأستاذ الدكتور شمس كمال أنجم ــ وهو المشرف على هذه الرسالة المتواضعة ــ أن أختار موضوعاً حسب رغبتي وشوقي وميلي الشخصي إليه، ــ وهذا من دقة نظره ووسعة فكره ــ فقدمت إلى جنابه خمس موضوعاتٍ فيها هذا الموضوع، فتفكر وتدبر فيها ولاحظها ملاحظة باحثٍ مفكرٍ.

وبما أن له ولوعاً ورغبة بالشعر وقلبه جُبل على الشغف به، حيث يقرض الأشعار بنفسه وينشد في الأندية الأدبية والمجالس العلمية وينال قبولا حسنا من قبل الشعراء والأدباء وهو يُعد من كبار شعراء الأردية المعاصرين، وقد قرض القصائد في

جميع الموضوعات التي يُعرف بين الشعراء المعاصرين ولكن معظم قصائده والذي وُفقت بقراءته وتأثرت به هو شعره في المديح النبوي، وقد طُبعت هذه القصائد بعنوان "بلغ العلى بكماله" ونالت هذه المجموعة قبولا واحتراما من طبقة العلماء والأدباء والعشاق، فشرّفني بقبول هذا الموضوع من بين قائمة العناوين أولاً، و وأفادني بمشاوره العلمية وتوجيهاته النافعة ثانياً، فأدعوا الله أن يجزيه عني أحسن الجزاء.

منهج البحث

قد راعيت النكات التالية في ترتيب هذه المقالة:

الف: جعلت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية مأخذاً مبدئياً واستشهدت من الآيات القرآنية والبراهين في الأمكنة المختلفة لهذا البحث، كما أنني استشهدت بالأحاديث النبوية ووثقت بالصحاح الستة في هذا الخصوص.

ب: قد بيّنت العناوين القارنة مفصلةً في ضوء الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم قبل صقلها بين أبيات البوصيري والبريلوي، ليتضح على القارئين بيان هذه المواقف و الحقائق في الآيات القرآنية والتفاسير إيضاحاً كاملاً، كما أنني تعرضت لأبيات الشعراء المتقدمين خلال البحث عن استخدام الشاعرين الفنون البلاغية.

جـ : قد استفدت من القصائد الشهيرة التي نظمها الإمام البوصيري في المديح النبوي وهي: "القصيدة البردة" و"الهمزية النبوية في مدح خير البرية" و "القصيدة المضرية في الصلوة على خير البرية" و"الصبح بدا من طلعته".

وهذه القصائد هي التي تعد من قصائد المديح النبوي للإمام البوصيري، وقد درستها دراسة تحليلية، كما أنني أخذت الأبيات الأخرى من ديوان البوصيري حسب ما يحتاج إليه البحث.

د: أما كلام الإمام أحمد رضا خان البريلوي فجُلّه، بل كُلّه في المديح النبوي فاخترت منه للدراسة والتحليل القصائد التي لها شهرة وقبول في حلقات العلم والأدب وفي عامة الناس على السواء ومن أشهر تلك القصائد وأطولها هي "المنظومة السلامية" وقد اعتنى بها الأدباء والباحثون بالتضمين والتخميس والترجمة والتشريح في اللغات الأخرى، وقد قام الدكتور حازم محمد أحمد محفوظ مصري بالترجمة المنظومة لها في اللغة العربية، وقد اكتفيت بهذه الترجمة بعد ما أوردت نص القصيدة بكاملها خلال دراستها، أما القصائد الأخرى فقد حاولت أن أترجمها بنفسي، وقد استفدت من الأبيات الأخرى له للاستشهاد في كثير من المواضع.

وقد التزمت في بحثي هذا بقواعد البحث العلمي كالتالي:

- بالنسبة للآيات كتبت بين قوسين هكذا: ﴿........﴾، مع ذكر اسم السورة ورقم الآية في الهامش.
- بالنسبة للأحاديث النبوية الشريفة كتبت بين مزدوجين هكذا: «........» ، مع تخريج الحديث في الهامش ، حيث يُذكر المصدر مع الكتاب والباب ورقم الحديث أو الجزء والصفحة.
- بالنسبة للأقوال تكتب بين واوين هكذا: "........" ، وإذا كان متصرف فيها أو مختصرة يكتب في الهامش قبل عنوان الكتاب: انظر.
- بالنسبة للمصادر والمراجع: الرقم المفرد الوارد مع ص في الهامش مع عنوان الكتاب يدل على الصفحة، والرقم المزدوج يدل على المجلد والصفحة، وإذا كرر نفس الكتاب في نفس الهامش للمرة الثانية أو الثالثة أقول: "المصدر نفسه" وإن اختلف رقم الصفحة أو المجلد صرّحته.

خطة البحث

أمـا الخطـة التـي سـرت عليهـا خـلال هـذا البحـث فجـاءت عبـر أربعـة أبـواب يسبقها مقدمة، ويتلوها خاتمة، وذلك على النحو التالي:

المقدمة

أمـا المقدمـة فهـي تحتـوي علـى بيـان موضـوع البحـث وأهميتـه والأمـور التـي تتعلـق بالعوامـل والبواعـث التـي دفعتنـي إلـى اختيـار هـذا الموضـوع الهـام للبحـث والدراسـة فـي درجة الدكتوراه، وخطة البحث ومنهجي فيه والشكر والتقدير.

الباب الأول: المدائح النبوية في الأدب العربي، دراسة تاريخية

يشتمل هذا لباب على فصلين

أمـا الفصـل الأول فقد تعرضـت فيـه لبيـان مفهـوم المـدائح النبويـة لغـةً واصـطلاحاً ثـم تحـدثت عـن نشـأة المـدائح النبويـة وتطورهـا عبـر العصـور، وذلـك مـن خـلال المباحـث التالية:

المبُحث الأول: المديح النبوي لغةً واصطلاحاً

تحـدثت فـي هـذا المبحـث عـن معنـى المـديح ومفهومـه لغـةً وذلـك معتمـدًا علـى كتـب المعـاجم الشـهيرة كالصـحاح للجـوهري وأسـاس البلاغـة للزمخشـري المعجـم الوسـيط للفيروزآبـادي ولسـان العـرب لابـن منظـور الإفريقـي وغيرهـا مـن المعـاجم المعروفـة، ومـن خـلال هـذه المعـاني اللغويـة حاولـت اسـتخراج التعريـف الاصـطلاحي للمـدائح النبويـة وفق ما كتبه الأدباء والباحثون في هذا الصدد .

المبحث الثاني: نشأة المديح النبوي وتطوره في الأدب العربي

هـذا المبحـث عبـارة عـن دراسـة تاريخيـة للمـدائح النبويـة عبـر العصـور أي مـن بدايتها إلى يومنا هذا وهو مقسم أيضا إلى المطالب التالية:

المطلب الأول: المديح النبوي قبل الإسلام

ذكرت فيه ما قيل في مدح النبي صلى الله عليه وسلم من الأبيات والقصائد قبل بعثته صلى الله عليه وسلم، وهي القصائد التي تشتمل على بشارة بعثة النبي صلى الله عليه وسلم التي إليها ترجع بداية المدائح النبوية، فأضفت إليها تلك القصائد التي تعبر عما وقع في صباه وفي شبابه من الخوارق، فذكرت في هذا الخصوص قصيدة جد النبي صلى الله عليه وسلم عبد المطلب وعمه أبي طالب وأبيات لأمه وما إلى ذلك ودرستها بشيئ من الإيجاز.

المطلب الثاني: تطور المديح النبوي في العصر الإسلامي

قمت في هذا المطلب بإلقاء الضوء على القصائد التي قالها الصحابة رضي الله عنهم أجمعين في المديح النبوي، فتحدثت عن قصائد الشعراء الذين يلقبون بشعراء الرسول كحسان بن ثابت الأنصاري وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وكعب بن زهير رضي الله عنهم درستها بإيجاز.

المطلب الثالث: تطور المديح النبوي في العصر الأموي

يتحدث هذا المبحث عن القصائد التي قُرضت وأنشدت في مدح النبي صلى الله عليه وسلم في العصر الأموي. فبينت هنا أن المديح النبوي قد خفّ في العصر الأموي عن العصر السابق ،حيث لم يرد مدح النبي صلى الله عليه وسلم إلّا في معرض المساجلة والمفاخرة بالانتساب إليه، فكان الشعراء في عهد بني أمية يتفاخرون بانتسابهم إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وقد أتيت في هذا الخصوص بالأمثلة من قصائد شعراء ذلك العصر كعثمان بن عتبة، و عثمان بن واقد، و سراقة بن مرداس وغيرهم من الشعراء المعروفين في هذا الخصوص.

المطلب الرابع: تطور المديح النبوي في العصر العباسي

درست هنا القصائد التي قيل في المديح النبوي في العصر العباسي، فذكرت فيه أن هذا العصر وإن تطورت فيه العلوم العربية والفنون الإسلامية لكن المديح النبوي قد بقي على ما كان عليه في العصر الأموي، وإن كان لم يقصد لذاته خاصة في العصر العباسي الأول وإنما كان المديح النبوي- في الغالب- مديحا غير مباشر، يأتي من خلال قصائد تشترك فيها موضوعات مختلفة، وقد ذكرت هنا كنموذج بعض القصائد المتعلقة مثل قصائد أبي العتاهية وحسن نيسابوري وأبي العلاء المعري، أما العصر العباسي الثاني فقد بدأ فيه المديح النبوي يستقل شيئاً فشيئاً حتى ظهرت قصائد عدة في مدح النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وبدأها الشعراء بمعارضة قصائد قيلت في مدحه في حياته، وخاصة قصيدة كعب بن زهير المعروفة بـ"البردة" ، فذكرت هنا الشعراء الذين عارضوا هذه القصيدة في هذا العصر كالأبيوردي والزمخشري و البلوي الأندلسي.

المطلب الخامس: تطور المديح النبوي في العصر العثماني و المملوكي

ناقشت في هذا المطلب قصائد المديح النبوي في العصر المملوكي وذكرت فيه القصائد والأبيات التي تُعد من أشهر المدائح النبوية في ذلك العصر كقصائد جمال الدين الصرصري، وعبد الله بن الفارض والإمام البوصيري فتحدثت أن جمال الدين الصرصري وعبد الله بن الفارض والإمام البوصيري يُعدون من كبار الشعراء في المديح النبوي وهم الذين قد حاولوا أن كشفوا عن الرغبة الدفينة لدى الشعراء والتي غلب عليها الفساد الذي تفشى بين الطبقات الحاكمة، فاستعادوا بقصائدهم سيرة النبي صلى الله عليه وسلم بكل ما تمثله من عدل ونقاء ابتداء من مولده إلى وفاته، فاحتذى حذوهم كثير من الشعراء في العصر الحديث مستمدين من قصائدهم الرائعة

فأصبحت كانت تلك القصائد نموذجا تاما لما كانت عليه العصور السابقة، وهكذا حذا المادحون حذوهم في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم.

المطلب السادس: تطور المديح النبوي في العصر الحديث

تحدثت في هذا المبحث عن قصائد المدائح النبوية التي قيلت في العصر الحديث، فتطرقت في هذا المبحث إلى الخصائص الفنية للقصائد التي عُرفت في هذا العصر كالمدائح النبوية وشرحت ما اهتم به الشعراء من الموضوعات الجديدة في هذا المجال.

أما الفصل الثاني فهي عبارة عن ترجمةٍ لشعراء العرب الذين عُرفوا كشعراء المديح النبوي في الأدب العربي وقد قسمته إلى ثمانية مباحث وفي كل مبحث منها تحدثت عن أحدٍ من هؤلاء الشعرا وقمت بإلقاء الضوء على حياته وقصائده في المديح النبوي، فالشعراء الذين اخترتهم لهذه المباحث هم حسان بن ثابت الأنصاري وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وكعب بن زهير وكميت بن زيد الأسدي وابن جابر الأندلسي وعبد الغني النابلسي ويوسف بن إسماعيل النبهاني.

الباب الثاني :المدائح النبوية في شبه القارة الهندية ، دراسة تاريخية

تناولت في هذا الباب نشأة المدائح النبوية وتطورها في شبه القارة الهندية خاصة في الأدب الأردي، وهذا الباب أيضاً يشتمل على فصلين:

الفصل الأول: نشأة المديح النبوي في اللغة الأردية

يشتمل هذا الفصل على مبحثين

المبحث الأول: بواعث المديح النبوي في اللغة الأردية

هذا المبحث يتعلق بالبواعث والأسباب التي دفعت الشعراء الهنود لقرض القصائد في المديح النبوي، فناقشت فيه الأسباب التي دفعتهم إلى قرض القصائد في

المديح النبوي فذكرت أن من أهم هذه الدواعي والأسباب هي حبهم للنبي ﷺ وكذلك بُعدهم عن مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وتأثرهم من الشعراء العربية والفارسية في هذا المجال.

المبحث الثاني: المديح النبوي وتطوره في اللغة الأردية دراسة تحليلية

هذا المبحث عبارة عن تطور المديح النبوي في اللغة الأردية عبر العصور، فقسمته إلى ثلاثة مطالب حسب ما قسمه الأدباء والمؤرخون تاريخ تطور الأدب الأردي إلى ثلاثة أعصر. فتعرضت خلال هذه الدراسة لنماذج عديدة من أبيات الشعراء الهنود في المديح النبوي. وناقشتها مناقشة تحليلية فنية.

الفصل الثاني: أشهر شعراء المديح النبوي في الأدب الأردي

يحتوي هذا الفصل على ستة مباحث درست خلالها حياة أشهر الشعراء الهنود في المديح النبوي وهم أمير خسرو والسلطان قلي قطب الشاه و غلام علي آزاد البلغرامي ومولانا الطاف حسين حالي والدكتور محمد إقبال محسن كاكوروي فخصصت لكل واحد منهم مبحثاً ملقيا الضوء على حياته وقصائده في مدح النبي ﷺ ودرستها بإيجاز دراسة تحليلية.

الباب الثالث: حياة الإمام شرف الدين البوصيري والإمام أحمد رضا خان البريلوي وآثارهما

لقد قمت في هذا الباب بإلقاء الضوء على جوانب مهمة لحياة الإمام شرف الدين البوصيري والإمام أحمد رضا خان البريلوي، وقسمته إلى فصلين:

الفصل الأول: حياة الإمام البوصيري وأعماله

يحتوي هذا الفصل على مبحثين:

المبحث الأول: حياة الإمام البوصيري

لقد درست هنا حياة الإمام البوصيري بشيئ من التفصيل مقسما إياه إلى سبعة مطالب، فتحدثت فيها عن اسمه ونسبه وكنيته وولادته ونشأته وثقافته وأساتذته وتلامذته وثناء العلماء عليه ووفاته.

المبحث الثاني: آثار الإمام البوصيري

هذا المبحث خاص بأعمال الإمام البوصيري الأدبية فدرست فيه أهم قصائده التي نالت القبول والاحترام من بين الأدباء والباحثين كقصيدة "البردة" المعروفة و القصيدة "الهمزية النبوية وغيرها من القصائد. وبينت في هذا المبحث أن الإمام البوصيري له كتاب قد عثرت على اسمه فقط ولم أعثر على التفاصيل المتعلقة بالكتاب أو مادة من مواده.

الفصل الثاني: حياة الإمام أحمد رضا خان البريلوي

يشتمل هذا الفصل على دراسة حياة الإمام أحمد رضا خان البريلوي وأعماله العلمية والأدبية. وهو مقسم إلى مبحثين:

المبحث الأول: حياة الإمام أحمد رضا خان البريلوي

تحدثت في هذا الفصل عن جوانب مهمة من حياته وسيرته وهو أيضا مقسم إلى ستة مطالب تحدثت فيها عن اسمه ونسبه وكنيته وولادته ونشأته وثقافته وأساتذته وتلامذته وثناء العلماء عليه ووفاته.

المبحث الثاني: أعمال الإمام أحمد رضا خان العلمية والأدبية

تحدثت فيه عن أعماله العلمية والأدبية المهمة، وحاولت أن أقوم بدراسة لأهم مؤلفاته التي تُعد تراثاً كبيراً في مجال العلم والأدب كـ"كنز الإيمان في ترجمة القرآن والعطايا النبوية في الفتاوى الرضوية وكفل الفقيه الفاهم بأحكام قرطاس الدراهم

وجد الممتار على رد المحتار وغيرها من الكتب القيمة وألقيت الضوء على موضوع الكتاب وأهميته في الأوساط العلمية والأدبية.

الباب الرابع: شعر المدائح النبوية بين الإمام البوصيري والإمام أحمد رضا خان البريلوي دراسة تحليلية مقارنة

درست في هذا الباب قصائد كل من الإمام البوصيري والإمام أحمد رضا خان البريلوي، وتحدثت عن الموضوعات التي تناولها كل منهما في قصائدهما حول المديح النبوي، ويحتوي الباب على فصلين:

الفصل الأول: قصائد المدائح النبوية للبوصيري والبريلوي دراسة تحليلية

هذا الفصل ينقسم إلى مبحثين

المبحث الأول: المدائح النبوية للإمام البوصيري دراسة تحليلية

تناولت فيه قصائد الإمام البوصيري واخترت فيه الأشهر من بين قصائده كقصيدة "البردة" وقصيدة " الهمزية النبوية" وقصيدة "المضرية" وغيرها، ودرستها دراسة تحليلية شاملة، حيث قمت بتعريف القصائد وإلقاء الضوء على عناصرها وموضوعاتها وسبب قرضها أيضاً إن وُجِدَ.

المبحث الثاني: المدائح النبوية للإمام أحمد رضا خان البريلوي دراسة تحليلية

يختص هذا المبحث بدراسة تحليلية لقصائد الإمام أحمد رضا خان البريلوي، وهنا قمت بإلقاء الضوء على قصائده الشهيرة كقصيدة "السلامية" وقصيدة "المرصعة" وغيرهما من القصائد، وناقشت النواحي العلمية والأدبية المختلفة لهذه القصائد وأهميتها لدى الأدباء والشعراء وما إلى ذلك من الخصائص التي تحتمل هذه القصائد، وقد اهتممت بترجمتها إلى اللغة العربية أيضاً قدر استطاعتي.

الفصل الثاني: قصائد المدائح النبوية للبوصيري والبريلوي دراسة فنية مقارنة

هذا الفصل عبارة عن دراسة مقارنة بين شعر الإمامين في المديح النبوي، فقسمت هذا الفصل إلى مبحثين :

المبحث الأول: المصطلحات اللغوية والبلاغية في شعرهما

هذا المبحث خاص بدراسة فنية لشعر الإمامين الجليلين والشاعرين الكبيرين فقد ذكرت فيه ما وجدته من اهتمام لديهما في قصائدهما كالاقتباس لآي من القرآن الكريم وقبسات من الحديث النبوي الشريف وأقوال الأئمة، كما تحدثت فيه عن الخصائص الفنية لهذه القصائد وما تحمله من المواصفات البلاغية والبديعية كالتشبيه والاستعارة والكناية والتضمين والطباق والجناس وما إلى ذلك من المحسنات اللفظية والمعنوية.

المبحث الثاني: الموضوعات التي تناولها الإمام البوصيري والإمام أحمد رضا خان البريلوي في قصائدهما دراسة مقارنة

تحدثت هنا عن الموضوعات التي تناولها كل من الشاعرين من فضائل النبي ﷺ وشمائله وخصائله والصلوة عليه ومعجزاته وأخلاقه وشمائله ومكانته بين الأنبياء والرسل وجمال وجهه وشفاعته والحنين إلى مدينته وغيرها من الموضوعات من ضمن الموضوعات والأفكار، فبينت هذه الموضوعات وشرحتها مؤيدا بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال السلف الصالح.

وفي نهاية المطاف ذكرت خاتمة البحث فبينت فيها النتائج والاقتراحات المهمة التي توصلت إليها من خلال هذا البحث ثم ذكرت الفهارس المتعددة كفهرس الآيات القرآنية وفهرس الأحاديث النبوية وفهرس الأعلام وفهرس الأماكن والبلدان وفهرس المصادر والمراجع وفهرس المحتويات، ولم أذكر في الخصوص فهرس الأبيات؛ لأن موضوع مقالتي عن الشعر وعدد الشعر فيها كثير.

الشكر والتقدير

وفـي الأخيـر لا يسـعني إلا أن أقـدّم شـكري وتقـديري إلـى كـل مـن سـاعدني فـي إتمـام هـذا البحـث المتواضـع، وقـدّم لـي المسـاعدات والتسـهيلات والأفكـار والمعلومـات فـي هـذا الصـدد متمـثلا بقولـه تعـالى : ﴿وَإِذْ تَـأَذَّنَ رَبُّكُـمْ لَـئِنْ شَـكَرْتُمْ لَأَزِيـدَنَّكُمْ وَلَـئِنْ كَفَـرْتُمْ إِنَّ عَـذَابِي لَشَـدِيدٌ﴾[1] وقـول النبـي ﷺ « مـن لـم يشـكر النـاس لا يشـكر الله »[2]، فأتقـدم بالشـكر والامتنـان إلـى الأسـتاذ الـدكتور شـمس كمـال أنجـم الـذي تفضّـل بالإشـراف علـى هـذا البحـث وبـذل مـن أجـل وصـوله إلـى هـذه المكانـة توجيهاتـه العلميـة ومشـاوره القيمـة التـي لهـا أثـر واضـح فـي إعـداد هـذا البحـث، فأنـا فـي غايـة الامتنـان لـه علـى ذلـك، كمـا أننـي لا أنسـى بهـذه المناسـبة أن أشـكر أبـي الكـريم وأمـي العطوفـة الـذين قـد ربيـاني فـي الصـغر تربيـة دينيـة وأغنيـاني فـي الكبـر عـن الشـؤن الأهليـة حتـى تفرغـت للعلـم والـدرس واستطعت أن أقوم مثل هذا العمل الهام.

ثـم أخـص بالشـكر والامتنـان جميـع أسـاتذة قسـم اللغـة العربيـة الـذين الـدكتور محمد عفـان والـدكتور محمد أعظـم والـدكتور منظـر عـالم والـدكتورة عقيلـة ومعروفـة والأخ سـجاد أحمـد وكـان لهـم الفضـل فـي إثـراء هـذه الرسـالة بتوجيهـاتهم وانتقـاداتهم البنـاءة، فأسـأل الله تعـالى أن يجـازيهم عنـي خيـر الجـزاء، وأن يمـدّهم لعونـه وتوفيقـه خدمـة للعـم وأهلـه، كمـا أتقـدم بالشـكر والـدعاء لكـل مـن وقـف معـي بجهـده وعلمـه ونصـحه صـاحباً كـان أو أسـتاذاً أو قريبـاً، أتمثـل فـيهم حـديث الرسـول ﷺ الـذي أخرجـه الإمـام الترمـذي عـن أسـامة بـن زيـد حيـث قـال: « مـن صُـنع إليـه معـروف فقـال لفاعلـه: جـزاك الله خيـراً فقـد أبلـغ فـي

(١) إبراهيم : ٢٧

(٢) أخرجه الإمام الترمذي برقم ١٩٥٤، والإمام أبو داود في كتاب الأدب برقم ٤٨ ١١.

الثنــاء»[1]، فأســأل الله ســبحانه وتعــالى أن يجــزيهم جميعــاً عنــي خيــر الجــزاء، وأن يضاعف لهم الأجر، وأن يحسن لي ولهم العاقبة في الدنيا والآخرة.

ولا أنسى أن أذكر أنني قد حاولت في إنجاز هذا البحث المتواضع قدر ما استطعت أن أودي حق البحث، فإن كان فيه من صواب فذلك من فضل الله تعالى ومنته، وإن كان غير ذلك فمني ومن الشيطان، فالله هو الهادي إلى الصالحات وله الحمد والمنة.

وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وآله وصحبه أجمعين.

الطالب إبراهيم
الباحث بدرجة الدكتوراه
بقسم اللغة العربية بجامعة بابا غلام شاه بادشاه راجوري
٢٢ من شهر صفر ١٤٤٠هـ
٠١ من شهر نوفمبر٢٠١٨م

(١) المصدر نفسه رقم الحديث ٢٠٣٥

البـاب الأول

المدائح النبوية في الأدب العربي دراسة تاريخية تحليلية

يحتوي هذا الباب على فصلين

الفصل الأول : نشأة المدائح النبوية وتطورها

الفصل الثاني:أشهر شعراء المديح النبوي في الأدب العربي

الفصل الأول
نشأة المدائح النبوية وتطورها

يحتوي هذا الفصل على مبحثين

المبحث الأول : المديح النبوي لغةً واصطلاحاً

يحتوي هذا المبحث على مطلبين

المطلب الأول: المديح معناه ومفهومه في اللغة

المطلب الثاني : المديح النبوي في الاصطلاح

المبحث الثاني:نشأة المديح النبوي وتطوره في الأدب العربي

المطلب الأول: المديح النبوي قبل الإسلام

المطلب الثاني:تطور المديح النبوي في العصر الإسلامي

المطلب الثالث:تطور المديح النبوي في العصر الأموي

المطلب الرابع:تطور المديح النبوي في العصر العباسي

المطلب الخامس:تطور المديح النبوي في العصر المملوكي

المطلب السادس:تطور المديح النبوي في العصر الحديث

المطلب الأول
المديح معناه ومفهومه في اللغة

المـدح والمـديح مصـدران للفعـل الثلاثـي "مـدح" بفـتح العـين ويـدلان علـى معنـى واحد وهو "حسن الثناء".

قـال الجـوهري[1]: " المـدح : الثنـاء الحسـن ، وقـد مدحـه وامتدحـه بمعنـى واحـد و كـذلك المدحـة والمـديح والأمدوحـة .... وتمـدح الرجـل": تكلـف أن يمـدح وركـل ممـدوح، أي ممـدوح جـدا ، وامـدحّ بطنـه : لغـة فـي انـدحّ ، إذا اتسـع ، وتمـدحت خـواطر الماشـية، أي اتسعت شبعا." [٢]

قــال الزمخشــري[3]: "مــدح: مدحــه وامتدحــه وفــلان ممــدوح وممتــدح وممــدح : يمدح بكل لسان ...... وعندي مدح حسن ومديح ومدائح"[٤]

قـال أحمـد الفيـومي[1] : "مدحتـه مـدحا، كنفـع: أثنيـت عليـه بمـا فيـه مـن الصـفات الجميلة خلقية كانت أو اختيارية، ولهذا كان المدح أعم من الحمد." [٢]

---

(١) هو أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري من أئمة اللغة، وهو أول من حاول الطيران ومات في سبيله. أصله من "فاراب" دخل العراق صغيرا وسافر إلى الحجاز فطاف البادية وعاد إلى خراسان ثم أقام في نيسافور وصنع جناحين من خشب وربكهما بحبل وصعد سطح داره ونادى في الناس إني صنعت ما لم أسبق إليه وسأطير الساعة فازدحم أهل نيسابور ينظرون إليه فتأبط الجناحين ونهض بهما، فخانه اختراعه فسقط إلى الأرض قتيلا .الأعلام ٣١٣/١. وانظر ترجمته في:معجم الأدباء ٢٦٩/٢ ويتيمة الدهر ٢٨٩/٤و النجوم الزاهرة ٢٠٧/٤ .

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ٤٠٣/١

(٣) هو أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الخوارزمي الزمخشري من أئمة العلم بالدين والتفسير و اللغة والآداب. ولد بزمخشر(من قرى خوارزم) وسافر إلى مكة فجاور بها زمنا فلقب بجارالله ،وتنقل في البلدان ثم عاد إلى الجرجانية (من قرى خوارزم) وتوفي فيها سنة٥٣٨هـ. الأعلام ١٧٨/٧.

(٤) أساس البلاغة ١٩٩/١

قال أحمد بن فارس الرازي[٣] : "جذر الفعل (م، د، ح) يدل على محاسن بكلام جميل ومدحه يمدحه مدحا : أحسن عليه الثناء" [٤]

قال الفيروز آبادي[٥]: "(مدحه) ، كمنعه يمدحه مدحا ومدحة ، بالكسر، هاذا قول بعضهم، والصحيح أن المدح المصدر، والمدحة الاسم، والجمع مدح : أحسن الثناء عليه) ، ونقيضه الهجاء." [٦]

قال ابن منظور[١]:" المدح : نقيض الهجاء وهو حسن الثناء ، يقال : مدحته مدحة واحدة ومدحه يمدحه مدحا ومدحة......... والمدائح : جمع المديح من الشعر الذي مدح به كالمدحة والأمدوحة"[٢]

---

(١) هوأبو العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي، لغوي اشتهر بكتابه " المصباح المنير"، ولد ونشأ بالفيوم بمصر، ورحل إلى حماة بسورية فقطنها، فلما بنى الملك المؤيد إسماعيل جامع الدهشة قرره في خطابته، وتوفي سنة ٧٧٠هـ.انظر ترجمته في :الأعلام ٢٢٤/١، وبغية الوعاة ١٧٠/١

(٢) المصباح المنيرص ٢٦٦

(٣) هوأحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب أبو الحسين الرازي، كان من أعيان أهل العلم وأفراد الدهر، وهو بالجبل كابن لنكك بالعراق، يجمع إتقان العلماء وظرف الكتاب والشعراء ، وله كتب بديعة ورسائل مفيدة وأشعار جيدة، وتلامذة كثيرة منهم بديع الزمان الهمذاني،كان مقيما بهمذان فحمل منها إلى الري ليقرأ عليه أبو طالب بن فخر الدولة فسكنها إلى أن توفي بها سنة ٣٩٥هـ.انظرفي: بغية الوعاة ٣٥٢/١وانباه الرواة على أنباء النحاة ١٢٨/١ومعجم الأدباء ٨٠/٤

(٤) معجم مقاييس اللغة ٣٠٨/٥

(٥) هو الإمام الشهير أبو طاهر محمد بن يعقوب بن محمد بن يعقوب بن إبراهيم بن عمر أبوطاهر مجد الدّين الشّيرازي الفيروزابادي من أئمة اللغة والأدب، ولد بكارزين من أعمال شيراز سنة ٧٢٩ ونشأ بها، و انتقل إلى العراق وجال في مصر والشام ودخل بلاد الهند والروم ، ورحل إلى زبيد سنة ٧٩٦هـ فأكرمه ملكها وقرأ عليه، فسكنها وولي قضائها وانتشر اسمه في الآفاق حتى كان مرجع عصره في اللغة والحديث والتفسير، وتوفي في زبيد سنة ٨١٧هـ.ومن أشهر كتبه "القاموس المحيط" و" المغانم المطابة في معالم طابة" انظر ترجمته في الأعلام ١٤٦/٧و معجم الأدباء٢٤٤/٩.

(٦) تاج العروس ١١١/٧

المطلب الثاني

المديح النبوي ومفهومه في الاصطلاح

لقد تقاربت أقوال أهل العلم في تحديد المفهوم الاصطلاحي للمديح، فقال السيد الشريف الجرجاني(٣): "هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري قصدا"(٤)

إلا أن بعضهم وسّعوا نطاق هذا التعريف ليشمل الجميل الاختياري وغير الاختياري كليهما يقول الإمام الكفوي(٥) :هو الثناء باللسان على الجميل مطلقا سواء كان من الفواضل أم من الفضائل، وسواء كان اختياريا أم غير اختياري ولا يكون إلا من قبل النعمة، ولهذا لا يقال مدحت الله، إذ لا يتصور تقدم وصف الإنسان على نعمة الله بوجه من الوجوه؛ لأن نفس الوجود نعمة من نعم الله تعالى." (٦)

---

(١) هو جمال الدين محمد بن المكرم عالم نبيل ولغوي شهير ، ولد بالقاهرة سنة ٦٣٠هـ. درس على شيوخ عصره حتى نال من العلوم والآداب قسطا موفورا جعله أهلا للعمل في ديوان الإنشاء، ثم ولّي قضاء طرابلس الغرب حينا من الدهر، ولايفتر عن الدرس والتاليف أثناء ذلك حتى انتقل إلى جوار ربه وله خمسمائة مجلد من تأليفه. توفي سنة ٧١٤ هـ. انظرفوات الوفيات ٢/٢٦٥، وبغية الوعاة ٢/ ١٠٦

(٢) لسان العرب ٢/٥٨٩

(٣) هو علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني المعروف بالشريف الجرجاني، ولد سنة ٧٤٠هـ كان فيلسوفا من كبار العلماء بالعربية، تنقل بين بلاد العرب والعجم ، ودرس في شيراز، ولما دخلها تيمور سنة ٧٨٩هـ ذهب إلى سمرقند، وثم عاد إلى شيراز بعد موت تيمور ، فأقام إلى أن توفي سنة ٨١٦هـ.انظر البدر الطالع ١/٤٨٨ و الأعلام ٦/١٥٧

(٤) التعريفات ص: ٢٠٣

(٥) هو أيوب بن موسى الحسيني الكوفي الحنفي، ولد في " كفا " بالقرم، من قضاة الأحناف ، عاش وولي القضاء في (كفه) بتركيا، وبالقدس، وببغداد، وعاد إلى إستانبول فتوفي بها سنة ١٠٩٤هـ ،ودفن في تربة خالد. ومن آثاره الشهيرة "الكليات" وله كتب أخرى بالتركية. انظر الأعلام ٢/٣٨ و معجم المؤلفين ٣/٣١.

(٦) انظر الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ص ٨٥٧

يلاحظ أن المديح قد غلب استعماله على الثناء على الرسول ﷺ كجزء من المدح خاص به، فعندما ينطق بلفظ "المديح" ينصرف الذهن إلى " المديح النبوي" بصفة عامة وذلك يوافق للقاعدة المطردة عند أهل اللغة "إن العرب إذا زادت حرفا زادت معه معنى".

وبهذا نستطيع أن نقول : إن المديح النبوي هو ذلك الشعر الذي يحتوي على مدح الرسول ﷺ بتعداد صفاته الخلقية والخلقية ويظهر فيه الشاعر المادح الشوق لرؤيته وزيارة قبره والأماكن المقدسة التي ترتبط بحياة النبي ﷺ، ويذكر معجزاته المادية والمعنوية وينظم سيرته شعرا ويصلي عليه تقديرا وتعظيما، يقول الدكتور ذكي مبارك في هذا الخصوص:

"هو فن من فنون الشعر التي أذاعها التصوف، فهي لون من التعبير عن العواطف الدينية، وباب من الأدب الرفيع؛ لأنها لا تصدر إلا عن قلوب مفعمة بالصدق والإخلاص"[(١)]

ويقول الحسين النور: "هو الشعر الذي يتناول الإشادة بمقام الرسول ﷺ وفضله ويعدد صفاته الخُلقية والخَلقية ويبين معجزاته وينوه بغزواته ويفصح عن حبه والشوق إليه"[(٢)]

و يجدر بنا أن نشير إلى أنّ مصطلح المدائح النبوية مركب من كلمتين وهما: كلمتا "المدائح" و"النبوية" وهو– في بحثنا هذا – عبارة عن قصائد مدحية منظومة حول مدح النبي ﷺ بصفاته الجليلة وشمائله الرفيعة خُلقية وخَلقية حبا له وإظهارا للشوق إلى لقائه ورؤيته.

****

(١) المدائح النبوية في الأدب العربي ص ١٧

(٢) من شعر المديح النبوي ص١٢

المبحث الثاني

نشأة المديح النبوي وتطوره في الأدب العربي

تمهيد:

إن المديح فن من فنون الشعر العربي ، غرض من أغراض الشعر وقد استحدث هذا الفن مع ظهور الشعر في العصر الجاهلي وكان الشعراء يمدحون من كان يتصف بالفضل والشرافة ، يقول السيد أحمد الهاشمي:

"وقد غبر الناس دهرا طويلا لا يقولون الشعر إلا في الأغراض الشريفة لا يمدحون عظيما طمعا في نواله، ولا يهجون شريفا تشفيّا منه وانتقاما منه حتى نشأت فيهم فئة امتهنت الشر وتكسبت به ومدحت الملوك والأمراء كالنابغة الذبياني وحسان مع النعمان بن منذر وملوك غسانة، وزهير بن أبي سلمى مع هرم بن سنان وأمية بن أبي الصلت مع عبد الله بن جدعان أحد أجواد قريش ، والأعشى مع الملوك والسّوقة، حتى قصد به الأعاجم، وجعله متجرا يتّجر به فتحامى الشعر الأشراف وآثروا عليه الخطابة" (١)

وبما أن النبي ﷺ أحدث التطور بمكارم أخلاقه في حياة المسلمين فقد ركّز الشعراء المادحون قصائدهم تجاه الرسول الكريم ﷺ، لذلك نجد بأن المديح لازمه منذ ولادته حتى ارتحاله من الدنيا ، بل ظلّ مستمرا إلى يومنا هذا ، وشعر المديح النبوي احتوى على مزايا وخصائص تختلف عن الشعر الذي قيل في غيره من حيث الفنية والموضوعية. ولقد برز شعراء كثيرون مدحوا الرسول ﷺ بقصائدهم عبر العصور المتتالية ، فمنهم من قال قصيدة أو أبياتا في مدح الرسول ولم يعرف كمادح الرسول

---

(١) جواهر الأدب ص ٢٥٥

ومنهم من نظم قصائد كثيرة فيه أو لم يقل شيئا من الشعر في غير هذا حتى عرف كشاعر الرسول أو شاعر المديح النبوي ، ففي المطالب التالية سوف أتحدث بشيئ من التفصيل عن نشأة هذا النوع من الشعر وتطوره عبر العصور.

****

المطلب الأول

المديح النبوي قبل الإسلام

اختلف الكتاب والباحثون في بداية المديح النبوي في الشعر العربي، وإذا أمعنا النظر في الموضوع وصلنا إلى نتيجة أن بدايته يرجع إلى البشائر التي بشر بها علماء أهل الكتاب قبل مولد النبي ﷺ من أنه سيأتي نبي وصفه كذا وكذا وفق ما وجدوا في الكتب والصحف المنزلة عليهم، وهذه البشائر التي تتضمن ذكر بعثة النبي ﷺ وأخلاقه وأوصافه هي :

الف: تبع[١]

(١) هو تبان بن أسعد الملقب بتبع كان ملكا شهيرا يقول عنه العلامة ابن كثير: " كان تبع وقومه أصحاب أوثان يعبدونها، فتوجه إلى مكة، وهي طريقه إلى اليمن، حتى إذا كان بين عسفان وامج، أتاه نفر من هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن بزار بن معد بن عدنان. فقالوا له: أيها الملك ألا ندلك على بيت مال داثرا غفلته الملوك قبلك، فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة، قال: بلى. قالوا: بيت بمكة يعبده أهله، ويصلون عنده. وإنما أراد الهذليون هلاكه بذلك لما عرفوا من هلاك من أراده من الملوك، وبغى عنده. فلما أجمع لما قالوا، أرسل إلى الحبرين فسألهما عن ذلك. فقالا له: ما أراد القوم إلا هلاكك، وهلاك جندك، ما نعلم بيتا لله عز وجل، اتخذه في الأرض لنفسه غيره، ولئن فعلت ما دعوك إليه، لتهلكن وليهلكن من معك جميعا. قال: فماذا تأمرانني أن أصنع إذا أنا قدمت عليه؟ قالا: تصنع عنده ما يصنع أهله، تطوف به، وتعظمه وتكرمه، وتحلق رأسك عنده، وتذلل له، حتى تخرج من عنده. قال: فما يمنعكما أنتما من ذلك؟ قالا: أما والله إنه لبيت أبينا إبراهيم عليه السلام، وإنه لكما أخبرناك، ولكن أهله حالوا بيننا وبينه بالأوثان التي نصبوها حوله، وبالدماء التي يهريقون عنده، وهم نجس أهل شرك – أو كما قالا له – فعرف نصحهما وصدق حديثهما، وقرب النفر من هذيل، فقطع أيديهم وأرجلهم. ثم مضى حتى قدم مكة، فطاف بالبيت، ونحر عنده، وحلق رأسه، وأقام بمكة ستة أيام – فيما يذكرون – ينحر بها للناس، ويطعم أهلها، ويسقيهم العسل. وأُري في المنام أن يكسوا البيت، فكساء الخصف، ثم أُري في المنام أن يكسوه أحسن من ذلك، فكساء المعافر، ثم أُري أن يكسوه أحسن من ذلك، فكساء الملاء

يقول العلامة السمهودي[1]:

"إن تبان أسعد أبا كرب كان معه أربع مائة عالم، فتعاهدوا على أن لا يخرجوا منها(من المدينة) ، فسألهم تبع عن سر ذلك، فقالوا: إنا نجد في كتبنا أن نبياً اسمه محمد هذه دار مهاجره، فنحن نقيم لعل أن نلقاه ، فأراد تبع الإقامة معهم ثم بنى لكل واحد من أولئك دارا واشترى له جارية وزوجها منه وأعطاه مالا جزيلا وكتب كتابا فيه إسلامه، ومنه :

شهدت على أحمد أنه رسول الله باري النسم
فلو مد عمري إلى عمره لكنت وزيراً له وابن عم
وجاهدت بالسيف أعداءه وفرجت عن صدره كل غم

وختمه بالذهب ، ودفعه إلى كبيرهم وساله أن يدفعه إلى النبي ﷺ إن أدركه وإلا فمن أدركه من ولده أو ولد ولده، ولم يزل هذا الشعر تتوارثه الأنصار، ويحفظونه بينهم، وكان عند أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه وأرضاه." [2]

ب : ورقة بن نوفل[3]

والوصائل. وكان تبع فيما يزعمون أول من كسا البيت، وأوصى به ولاته من جرهم، وأمرهم بتطهيره، وأن لا يقربوه دما، ولا ميتة، ولا مئلاتا وهي المحايض، وجعل له بابا ومفتاحا" البداية والنهاية ٢/٣٢٤.

(١) هو الشريف الامام نور الدين أبو الحسن علي بن عبد الله بن أحمد بن علي الحسني السمهودي ، من أشهر المؤلفين الذين كتبوا عن المدينة المنورة وتاريخها ، حيث اهتم في كتابه "وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى" اهتماماً كبيراً بوصف معالم المدينة، سواء المعالم الموجودة في زمانه أو المعالم إلي ذكرها من سبقوه ، فكتب عنها كتابة شاهد عيان ووصفها بدقة كما كتب عن المعالم التي زالت، فحاول أن يتتبع آثارها ونقل عمن كتب عنها.

(٢) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ١/١٨٩

(٣) هو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ،من قريش ، حكيم جاهلي، اعتزل الأوثان قبل الإسلام، وقد تتبع الكتب وعلم من علم الناس. انظر الروض الأنف ١/١٢٤-١٢٧ ، الأعلام ٨/١١٥. وفي حديث

لما ذكرت له خديجة من أمر رسول الله عليه وسلم قال الأبيات التالية:

إن يك حقا لا يا خديجة فاعلمي حــديثك إيــانا فأحمــد مــرسـل
وجــبريل يـأتي ومـيكال مـعـهـمـا من الله وحي يشرح الصدر منزل
يفــوز به مــن فـازفـيها بتـوبـة ويشقى به الغـالي الغوي المضلل
فريقان منهم فــرقـة في جـنانـه وأخـرى بأحـوار الجـحيـم تغــلل
إذا ما دعـوا بالويل فيها تتابعت مقامــع في هــاماتهم ثم من عل[١]

وبعـد ولادتـه قـال فـي مدحـه أفـراد أسـرته عنـد مـا رأى حسـن وجهـه ﷺ وبركتـه ومـا شاهد من الخوارق التي ظهرت إبان مولده وفي صباه.

جـ: عبد المطلب جد النبي ﷺ .

لمــا ولــد النبــي ﷺ أخــذه جــده عبــد المطلــب ودخــل بــه الكعبــة فقــام يــدعو الله ويشكر له ما أعطاه وكان يبتهج ويقول:

الحمــد لله الـــذي أعــطــاني هــذا الـغـلام الطيب الأردان
قد ساد في المهد على الـغـلـمان أعـــيـــذه بـــالله ذي الأركـان

ابتداءالوحي بغار حراء: أن النبي ﷺ رجع إلى خديجة وفؤاده يرتجف فأخبرها، فانطلقت به خديجة حتى أتت به رقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيرا قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعا، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: أو مخرجي هم ، قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا. ثم لم ينشب ورقة أن توفي. وفي حديث عن اسماء بنت أبي بكر: أن النبي ﷺ سئل عن ورقة ، فقال « يبعث يوم القيامة أمة واحدة ». انظر صحيح البخاري ١/ ٤،

(١) السيرة النبوية لابن إسحاق ١٧٠/١.

حتـــى يكـــون بلغـــة الفتـيان   حـــتى أراه بـــالـــغ البنـــيـان
أعيـــذه مـــن كل ذي شنـــآن   من حـاسد مضطرب العنان
ذي همـــة لـــيس لـــه عينـــان   حـــتى أراه رافـــع اللـــســـان
أحمـــد مكـــتوبا على اللسان[1]

وأخرج أبو نعيم عن داود بن أبي هند قال:"لما ولدته آمنة ذهب عبد المطلب يطلب ظئراً، فوافق امرأة من سعد يقال لها حليمة ، فجاء بها فدفعه إليها وشيّعها عبد المطلب وهو يقول:

يا ربّ هذا الـمســـــافـــر   محمد فاقلب بخير طائر
وازجره عـن طريقه الفواجر   واخل عنه كلّ خلق فاجر
أخنس لـيس قلبـــه بطاهـر   وجِنـــة تـصـيد بـــالهواجر
إني أره مُكرمـي ونـاصري" [2]

د. آمنة بنت وهب أم النبي ﷺ:

عندما جاء أجلها في الأبواء[3] وكان النبي ﷺ معها وهو ابن ست سنين وهي تقول:

بـارك الله فيـك مـن غـــلام   يا ابن الذي مـن حومة الحمام
نـجـا بعـون المـلك المنعام   فـودي غـــداة الضـرب بالسهام

---

(١) المصدر نفسه ٩٧/١
(٢) دلائل النبوة للبيهقي ١٦٢/٢
(٣) بالفتح ثم السكون وواو وألف ممدودة قرية من أعمال الفرع من المدينة، بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلا. وقيل: الأبواء جبل على يمين آرة، ويمين الطريق للمصعد إلى مكة من المدينة، وهناك بلد ينسب إلى هذا الجبل، وقد جاء ذكره في حديث الصّعب بن جثّامة وغيره.انظر معجم البلدان ٨٩/١.

بـــمـــائـــة مـــن إبـل سـوام   إن صحّ مـا أبصرت في المنام
فأنـت مبـعـــوث إلى الأنام   مــن عند ذي الجــلال والإكرام
تبعث في الحل وفي الحرام   تبـعــث فـي التحـقـيق والإسـلام
ديــن أبــيك الــبر إبـــراهام   فـــالله أنـهـاك عـــن الأصـنام
أن لاتـوالـيها مـع الأقوام(١)

وظهـر ممـا سـبق أن المـدائح النبويـة قـد ظهـرت فيمـا قبـل مولـده، وعنـد ولادتـه أنشـد عبـد المطلـب جـد النبـي ﷺ الشـعر فـي مدحـه(٢)، ثـم نسـجت علـى منوالـه أمـه العطوفـة وكـل مـن مدحـه فـي الشـعر، فلنـدرس أشـهر المـدائح التـي نظمهـا مـن عاصـر النبي ﷺ فيما يأتي من المطلب الثاني.

****

(١) انظر الخصائص الكبرى ص ١٩٦ و المواهب اللدنية ١٦٩/١
(٢) وبذلك يرد رأي زكي مبارك عندما جعل الأعشى أول من نظم الشعر في مدح الرسول(انظر المدائح النبوية ص ١٢)، والذي يذهب إلى أن أبا طالب عم النبي هو أقدم من قال في المديح النبوي.

المطلب الثاني

تطور المديح النبوي في العصر الإسلامي

الف: أبوطالب بن عبد المطلب[1]

قد نظم أبو طالب في مدح النبي ﷺ قصائد، وأشهرها لاميته التي عدت من غرر الشعر العربي وعدها ابن سلام من أجود شعره[2]، وذكر ابن كثير أن أبا طالب

---

(١) هو عبد مناف أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم . وهو عم النبي ﷺ ووالد أمير المؤمنين علي بن أبي أبي طالب. ولد سنة ٥٤٠م أي قبل مولد النبي ﷺ بخمس وثلاثين سنة ، ونشأ في كنف أبيه عبد المطلب حتى صار سيد البطحاء وشيخ قريش ورئيس مكة. كان أبوه عبد المطلب أحد سادة قريش فترك ابنه هذا في المكانة والوجاهة، ولكن ضيق حالته المالية جعله يكل إلى أخيه العباس شأن السقاية وأعباءها نظرًا لما كان له من ثراء واسع. وكان عبد المطلب أول من طيّب غار حراء بذكر الله، فإذا استهل شهر رمضان صعد حراء وأطعم المساكين ورفع من مائدته إلى الطير والوحوش في رؤوس الجبال. ومما يؤثر عن حكمته وحسن تقديره أنه كان أول من سن القسامة في العرب قبل الإسلام وذلك في دم عمرو بن علقمة، ثم جاء الإسلام وأقرها.لما مات عبد المطلب أوصاه بمحمد ﷺ فقام أبو طالب بتنفيذ الوصية فكفله وأحسن تربيته وحمله معه في تجارة إلى الشام. كان أبو طالب فقيرا ، لكنه لم يقصر في حق ابن أخيه ، وكان يحبه حبا شديدا ، لم يحبه ولده وكان لا ينام إلا إلى جنبه وإذا خرج أخرجه معه.

توفي أبو طالب نتيجة المرض والمعاناة في شعب أبو طالب مدافعا ومحاميا عن رسول الله ﷺ وكان ذلك في النصف من شهر شوال في السنة العاشرة من النبوة، قبل الهجرة بثلاث سنوات، فحزن الرسول لفقده حزنا شديدا حيث فقد بفقده المحامي المخلص والعم الناصح فجعل عام وفاته عام حداد وحزن فسمي عام وفاته "عام الحزن" وأمر ابنه علي بن أبي طالب بتجهيزه ودفن بالحجون بمكة المكرمة. ينظر السيرة لابن هشام ٢/ ٣٢٢، والسيرة لابن إسحاق ١/١١١، ونور اليقين في سيرة سيد المرسلين ص ٤٨، المقتفى من سيرة المصطفى ص ١٣٤.

(٢) انظر طبقات فحول الشعراء ص ٢٠٤.

قد مدح الرسول ﷺ وأفرادا من قريش كانوا يتعبدون ويتجاورون في حراء للعبادة، لهذا قال أبو طالب يذكرهم في قصيدته المشهورة أي لاميته. [١]

وقد ذكر ابن هشام لمناسبة هذه القصيدة فقال:

"لما خشي أبوطالب دهماء العرب أن يركبوه مع قومه قال قصيدته التي تعوّذ فيها بحرم مكة وبمكانه منها وتودد فيها أشراف قومه وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم في ذلك من شعره أنه غير مسلم رسول الله ﷺ ولا تاركه لشيئ أبدا حتى يهلك دونه"[٢].

وينشد أبو طالب قصيدته حائلا بينهم وبين ابن أخيه ويقول:

خليليّ ما أذني لأول عاذل ... بصغواء في حقّ ولا عند باطل
خليليّ إن الرأي ليس بشركة ... ولا نهبة عند الأمور التلاتل
ولما رأيت القوم لا ود فيهم ... وقد قطعوا كل العرا والوسائل
وقد حالفوا قوما علينا أظنة ... عضون غيضا خلفنا بالأنامل
صبرت لهم نفسي بصفراء سمحة ... وأبيض ماض من تراث المقاول[٣]

أخرج ابن عساكر عن جلهمة بن عرفطة قال: قدمت مكة وهم في قحط، فقالت قريش: يا أبا طالب أقحط الوادي وأجدب العيال، فهلم فاستسق. فخرج أبو طالب ومعه غلام كأنه شمس تجلت عنها سحابة، وحوله أغيلمة، فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بالكعبة ولاذ الغلام بإصبعه وما في السماء قزعة، فأقبل السحاب من

---

(١) انظر البداية والنهاية ٥٦/٣
(٢) السيرة النبوية لابن هشام ١٦٩/١
(٣) ديوان أبي طالب ٧٠

هاهنا وهاهنا، وأغدق واغدودق وانفجر له الوادي وأخصب النادي والبادي[1] وفي ذلك يقول أبو طالب:

وما ترك قوم لا أبا لك سيّدا   يحوط الذمار بين بكر بن وائل
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه   ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يلوذ به الهلاك من آل هاشم   فهم عند هم في نعمة وفواضل[2]

وهذا أبوطالب عمّ النبي ﷺ كان يحبه حب الأم ولده، ولم يكن ليدع فرصة إلا ويبن فيها حبه لرسول الله ويبين فضائله النفسية والجسمية من أنه من نسل طيب وشرفه الله بأن ختمه بخاتم النبوة فهو فخر لقريش ولعبد مناف ولبني هاشم على وجه الخصوص.

ب : الأعشى[3]

سمع الأعشى بأمر رسول الله ﷺ ، وعزم الرحلة إليه ليسلم ، فأوجس القريش خيفة من إسلامه وقال لهم أبو سفيان: والله لئن أتى محمدا أو أتبعه ليضرمنّ عليكم نيران العرب بشعره ، فأجمعوا له مائة من الإبل، ففعلوا وأخذها الأعشى ورجع رجاء على أن يعود في العام الآتي ، ولكن القدر حال دون عودته فسقت من فوق ناقته ومات بناحية اليمامة.[4]

---

(١) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ١/١٨٥

(٢) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ٢/٥٧٤ – ٥٧٦.

(٣) هو ميمون بن قيس ، صناجة العرب ، ما مدح شخصا إلا رفعه ، وما هجا شخصا إلا وضعه ، يكنى أبا بصير ، هو أحد أعلام الشعر الجاهلي ، أدرك الإسلام في آخر عمره ولكنه لم يسلم ، كان يتكسب بشعره ، وفد على كثير من الملوك ومدحهم ونال عطائهم.انظر نهاية الأرب في فنون الأدب ١١٨\ ٤٦ – ٤٨ و طبقات فحول الشعراء ٤٣.

(٤) انظر السيرة النبوية لابن هشام٢\٢٤–٢٦، والشعر والشعراء ١\٢٥٧.

وقصيدة الأعشى التي لم يتمكن الشاعر أن ينشدها أمام النبي ﷺ حيث صرفه القرشيون هي مكونة من أربعة وعشرين بيتا أولها: (١)

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا   وعادك ما عاد السليم المسهّدا

وما ذاك من عشق النساء وإنما   تناسيت قبل اليوم خلّة مهددا(٢)

وعندما يصل إلى مدح الرسول ﷺ فهو يعد الخصال التي تميّز بها النبي ﷺ من غيره فيقول:

نبي يرى ما لا ترون وذكره   أغار لعمري في البلاد وأنجدا

له صدقات ما تغبّ ونائل   وليس عطاء اليوم مانعه غدا

أجدك لم تسمع وصاة محمد   نبي الإله حين أوصى وأشهدا

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى   ولاقيت بعد الموت من قد تزوّدا

ندمت على أن لا تكون كمثله   وأنك لم ترصد لما كان أرصدا(٣)

ج: عباس بن عبد المطلب(٤):

(١) انظر ديوان الأعشى ١٨٥.

(٢) مهدد: اسم امرأة ن وهو بفتح الميم . انظر القاموس المحيط (مهد)١\ ٤٦٣.

(٣) المصدر نفسه ١٨٥ – ١٨٧

(٤) عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة.عم رسول الله صلى الله عليهِ وسلمَ وصنو أبيه، يكنى أبا الفضل، بابنه. وكان أسن من رسول اللهِ ﷺ بسنتين، وقيل: بثلاث سنين.وكان العباس في الجاهلية رئيسا في قريش، وَإِليه كانت عمارة المسجد الحرام والسقاية في الجاهلية وشهد مع رسول صلى الله عليه وسلمَ بيعة العقبة، لما بايعه الأنصار، ليشدد له العقد، وكان حينئذ مشركًا وكان ممن خرج مع المشركين إِلَى بدر مكرها، وأسر يومئذ فيمن أسر، وأسلم عقيب ذلك وقيل: إنه أسلم قبل الهجرة، وقال له النبِي صلى اللَّه عليه وسلمَ: «أنت آخر المهاجرين كما أنني آخر الأنبياء». وكان رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلمَ يعظمه، ويكرمه بعد إسلامه، وكان وصولًا لأرحام قريش، محسنًا إليهم، ذا رأي

قـال عبـاس بـن عبـد المطلـب يـا رسـول الله ائـذن لـي أمتـدحك ، فقـال رسـول الله ﷺ قل لا يفضض الله فاك فقال:

من قبلها طبت في الظـلال وفي   مستودع حتى يخصف الورق
ثـــم هبـــطت البـــلاد لا بشـــر   أنت و لا مضغة و لا عـلق
بــــل نطفة تركب السفين و قد   ألجم نـسرا و أهلـــه الـغـرق
تـنـقل مـــن صالـــب إلى رحـم   إذا مـــضى عـــالم بـدا طبق
وردت نـــار الخلـــيل مـكتـتما   في صلبه أنت كيف يـحترق
حتى استوى بيتك المهيمن من   خندف عـلياء تحتها النـــطق
و أنـت لمـــا ولـــدت أشرقت الـ   أرض وضـاءت بنورك الأفق
فنحن في ذلك الضياء و في الـ   نور و سبل الـــرشـاد نخترق [١]

د: عبد الله بن رواحة[٢]

ومــن قصـــائد عبــد الله ابــن رواحـــة رضـــي الله عنـــه مـــا أخرجـــه البخـــاري فـــي صحيحه فقال:

" عـن ابـن شـهاب أخبرنـي الهيـثم عـن أبـي سـنان أنـه سـمع أبـاهريرة – وهـو يقـص فـي قصصـه– يـذكر رسـول الله ﷺ: «إن أخـا لكـم لايقـول الرفـث» ، يعنـي بـذلك عبـد الله بن رواحة:

وفينا رسول الله يتلـــوا كتابــه   إذ انشق معروف من الفجر ساطع

سديد وعقل غزير، وقال النبِي صلى الله عليه وسلمَ له: «هذا العباس بْن عبد المطلب أجود قريش كفًا، وأوصلها وقال: هذا بقية آبائي». انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة١/٦٣٣

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد٣\٤٨٢

(٢) سنتحدث عن ترجمته وشعره بشيئ من التفصيل في الفصل الثاني إن شاء الله تعالى.

أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا   بــه موقــنات أنّ مــا قـــال واقــع
يبيت يجـافي جنبه عن فراشه   إذا استثقلت بالمشركين المضاجع[١]

هـ : حســان بــن ثابــث[٢] رضــي الله عنــه هــو الــذي مــدح النبــي ﷺ بكثيـر مـن القصـائد ومنها "الهمزية النبوية" التي قال فيها:

وأحسن منك لم تر قط عيني   وأجمل منك لم تلد النساء
خلقت مبـــرأ مــن كل عيب   كأنك قد خلقت كما تشاء[٣]

و : كعـب بـن زهيـر[٤] الـذي نظـم فـي المـديح النبـوي قصـيدته "البـردة" والتـي اشـتهرت بــ " بانت سعاد" أولها:

بانت ســعــاد فقـلـبي اليــوم متبـول   متيّــم إثــرها لـم يفـد مــكبول
وما ســعاد غــداة الـبين إذ رحـــلوا   إلا أغنّ غضيض الطرف مكحول
تجلوا عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت   كأنـــــه مــنــهل بـالـراح معلول[٥]

وبعــد مــا افتــتح قصــيدته بالتشــبيب والتغــزل ينتقــل الشــاعر إلــى مــدح الرســول ﷺ فيقول:

أنبئت أن رسول الله أوعـــــدني   والعفو عند رسول الله مأمول
مهلا هداك الذي اعطاك نافلة الـ   قـرآن فـيها مواعيظ وتفصيل
لا تأخذنّي بأقوال الوشاة ولـــم   أذنب ولـو كثرت فيّ الأقاويل
لقد أقوم مـقامـا لــو يـقــوم بــه   أرى وأسمع مـا لو يسمع الفيل

---

(١) صحيح البخاري ،كتاب التهجد ٣٧٧/٢
(٢) نتعرض لترجمته وشعره بشيئ من التفصيل في الفصل الثاني إن شاء الله تعالى.
(٣) ديوان حسان بن ثابت ص ٢١
(٤) يأتي ترجمته ودراسة شعره في الفصل الثاني إنشاء الله تعالى
(٥) ديوان كعب بن زهير ٣٧

لظـــلّ يرعـد إلا أن يكـون له مــن الرسول بإذن الله تنويل
إن الـــرسول لنور يستضاء به مهنـد من سيوف الله مسلول[١]

ز : كعب بن مالك الأنصاري[٢]

فقد وقف لسانه وشعره لمدح رسول الله ﷺ، يقول في بدر:

لأنا عبدنا الله لــم نـرج غـيره رجـاء الـجنان إذ أتانا زعيمها
نبي له في قــومـه إرث عـزة وأعـراق صدق هذبتها أرومـها
فساروا وســرنا فالـتقـينا كأننـا أسـود لـقاء لا يرجى كليهما
ضربناهم حتى هوى في مكرنا لمنحر سوء من لؤي عـظيمها
فـولـوا ودسناهم ببيض صوارم سـواء عليناحـلفها وصميمها[٣]

ومن ثنايا القصائد المدحية في عهد الهجرة النبوية قصيدة "طلع البدر" والتي منها:

طلع الـبدر عـلينا مـن ثنيـات الوداع
وجب الشكر علينا مـا دعـا لله داعي
أيها المبعوث فيـنا جئت بالأمر المطاع[٤]

****

---

(١) المصدر نفسه٣٧-٤٠
(٢) سياتي ترجمته في الفصل الثاني إن شاء الله تعالى
(٣) السيرة النبوية لابن هشام ٢٧٧/٢
(٤) الرحيق المحتوم ١٧٢

المطلب الثالث

تطور المديح النبوي في العصر الأموي

لما ارتحل رسول الله ﷺ من الدنيا وقع المسلمون في حيرة حول خلافته، فتباينت آراؤهم فيمن يستحق خلافة رسول الله ﷺ وهو لم يوص لأحد، ولم يترك إشارات قاطعة حول خلافته، وترك الأمر شورى بين المسلمين، ولكن الصحابة سرعان ما حسموا هذه المسألة، وأنهوا هذه المشكلة ، ولكن قد أثيرت مرة ثانية عندما استشهد عثمان بن عفان وعُين علي بن أبي طالب خليفة المسلمين ، حيث انقسم المسلمون في فرق، فكل فرقة من الفرق المتصارعة، حاولت أن تجد لمطالبها السياسية سندا دينيا يؤيد حقها في الخلافة وهكذا ظهر اسم الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وأقواله في أحاديث هذه الأحزاب، وفي شعر شعرائها(١) ، فهم لا يذكرون النبي ﷺ إلا لمطالبها السياسية فلم يتمكن الشعراء من أن يتجددوا في مضمون الشعر وأسلوبه إلى أن عادت دواعي الشعر القديمة. يقول الدكتور محمود سالم محمد:

"وقد منع هذا الصراع المحتدم بين العرب من جهة، وبينهم وبين أعدائهم الخارجين من جهة ثانية الشعراء من أن يطيلوا التفكير في فنهم، ويلتقطوا أنفاسهم للنظر في هذا الفن، وتجديد مضمونه وأسلوبه، لكن دواعي الشعر القديمة عادت إلى الظهور بعد أن توارت في حياة الرسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم وفي معظم مدة الخلافة الراشدية، فعاد الشعر قريبا مما كان عليه أيام الجاهلية.لكن هذا الأمر لم يمنع أن يسجل بعض الشعراء عواطفهم الدينية، ومحبتهم الخالصة لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم وصاحب الفضل في تكوين هذه الأمة المنقسمة حول خلافته، فهؤلاء

---

(١) انظر البداية والنهاية ٢٨٩/٨

الشعراء لم ينحازوا إلى فئة معينة، لذلك لم يكن مديحهم لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم منطلقا من وجهة نظر حزب معين، ولا انتصارا لمذهب سياسي." [١]

ويعد النابغة الجعدي[٢] من الشعراء الخلص الذين لم يتأثر شعرهم من الأحوال السياسية والظروف الطارئة فقد وفد الجعدي على النبي الكريم ﷺ مادحا إياه:

حتى أتى أحمد الفرقان يقرؤه فينا وكنّا بغيب الأمر جهّالا

فالحمد لله إذ لم يأتني أجلي حتّى لبست من الإسلام سربالا

يا ابن الحيا إنّني لولا الإله وما قال الرّسول لقد أنسيتك الخالا[٣]

وخلال دراستنا لتاريخ المديح النبوي نجد أنّه قد خفّ في العصر الأموي عن العصر السابق ،حيث لم يرد مدح النبي ﷺ إلّا في معرض المساجلة والمفاخرة بالانتساب إليه، فكان الشعراء في عهد بني أمية يتفاخرون بانتسابهم إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، مثلما فعل عثمان بن عتبة بن أبي سفيان، أمه بنت الزبير بن العوّام، في قوله:

أبونا أبو سفيان أكرم به أبا وجدّي الزّبير ما أعفّ وأكرما

حواري رسول الله يضرب دونه رؤوس الأعادي حاسرا وملأمّا[٤]

---

(١) المدائح النبوية حتى نهاية العصر الملوكي ص ٤٥

(٢) هوقيس بن عبد الله بن عدس الجعدي ، شاعر مخضرم له صحبة ، ووفادة ، ورواية . وهو من بني عامر بن صعصعة ، وكان يتنقل في البلاد ، ويمتدح الأمراء . وامتد عمره ، قيل : عاش إلى حدود سنة سبعين. قيل: عاش مائة وثمانين سنة . وقيل أكثر من ذلك. شهد صفين مع علي، توفي نحو ٥٠ هـ . انظر طبقات فحول الشعراء ١/ ١٢٣، و سير أعلام النبلاء١٣/٢٣٣

(٣) شعر النابغة الجعدي ص ١٠١

(٤) معجم الشعراء ص ٩٠

وكذلك فعل عثمان بن واقد الذي ينتسب إلى الخليفة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه– عند ما قال مفتخرا:

جدّي وصاحبه فازا بفضلهما | على البريّة لا جارا ولا ظلما
هما ضجيعا رسول الله نافلة | دون البريّة مجد عانق الكرما[(١)]

فقد قدم على عمر بن عبد العزيز رجل من أولاد قتادة[(٢)] بن النعمان، وعند ما سأله الخليفة، ممن الرجل؟ قال:

أنا ابن الذي سالت على الخدّ عينه | فردّت بكفّ المصطفى أحسن الرّدّ
فعادت كما كانت لأوّل أمرها | فيا حسن ما عين ويا حسن ما خدّ[(٣)]

ومثل هذا ما روي عن الصحابي معاوية بن ثور البكائي[(٤)] ، الذي قدم إلى النبيّ الكريم ﷺ ومعه ابن له يقال له بشرا، فقال: يا رسول الله، امسح وجه ابني هذا ففعل، وقد فخر ابن بشر محمد بذلك فيما بعد، فقال:

وأبي الذي مسح النّبيّ برأسه | ودعا له بالخير والبركات
أعطاه أحمد إذ أتاه أعنزا | عفرا ثواجل لسن باللّجبات
بوركن من منح وبورك مانح | وعليه منّي ما بقيت صلاتي[(١)]

---

(١) المصدر نفسه ص ٩٣

(٢) هو قتادة بن النعمان بن زيد الأنصاري: صحابي شجاع من الرماة المشهورين، شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو الذي أصيب في عينه في إحدى الغزوات، وخرجت عينه من محجرها، فأعادها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وردّها، فكانت أحسن عينيه، وهذه إحدى معجزات الرسول العظيمة التي ردّدها شعراء المديح النبوي فيما بعد ، توفي سنة ٢٣هـ. شذرات الذهب ٣٤/١

(٣) شرح الزرقاني ٢٣/٢

(٤) معاوية بن ثور بن عبادة البكائي: كتب له النبي كتابا ووهب له من صدقة عامة معونة، أعطى ماله لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ليضعه حيث يشاء. انظر الإصابة في معرفة الصحابة ٦/ ١١٠.

وقد نال علي بن أبي طالب- كرم الله وجهه- وأبناؤه، نصيباً وافراً من حب الناس، وتشيعوا لهم ولحقهم في الخلافة، فأشادوا بفضائلهم، وفي مقدمتها قرابتهم من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ومن ذلك قول كثيّر عزّة[٢] في محمد[٣] بن علي بن أبي طالب،:

ومن ير هذا الشّيخ بالخيف من منى   من النّاس يعلم أنّه غير ظالم
سميّ النّبيّ المصطفى وابن عمّه   وفكّاك أغلال ونفّاع غارم[٤]

وهذه المفاخرة لم تقتصر على الانتساب إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم فحسب، بل كثيرا ما قارن الشعراء بين عمل يقوم به أحد الأمراء أو القادة، وعمل قام به رسول الله عليه وسلم، يطلبون من وراء هذه المقارنة تعظيم العمل والقائم به، وإضفاء الشرعية عليه، مثلما فعل سراقة بن مرداس[٥] في وصف انتصار المختار الثقفي على الأمويين في قوله:

---

(١) المصدر نفسه ٣/٤٣٠.

(٢) هو أبو صخر كثيّر بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعي شاعر من أهل المدينة ،أكثر إقامته بمصر، وفد على عبد الملك بن مروان، فازدرى منزله ، فلما عرف أدبه رفع مجلسه ، فاختص به وببني مروان به وببني مروان يعظمونه ويكرمونه، توفي بالمدينة سنة ١٠٥هـ ، وله ديوان شعر .انظر الوفيات١/ ٤٣٣، وشّرات الذهب ٣/ ١٣١، وسير أعلام النبلاء ٤/٨٧،و الأعلام ٥/٢١٩.

(٣) ابن الحنفية محمد بن علي بن أبي طالب، أحد الأبطال الأشداء في صدر الإسلام كان واسع العلم ورعا، دعا المختار الثقفي إلى إمامته، توفي سنة ٨١ من الهجرة. انظر شذرات الذهب ١/٨٨.

(٤) الأغاني ٩/١٥

(٥) سراقة بن مرداس بن أسماء البارقي، شاعر عراقي ممن قاتلوا المختار في الكوفة، وله شعر في هجائه وهجاء الحجاج، وفرّ إلى الشام، كان ظريفا يقرّ به الأمراء وكان بينه وبين جرير مهاجاة، توفي نحو ٧٩ هـ . تهذيب تاريخ دمشق ٩/٢١٣

نصرت على عدوّك كلّ يوم   بكلّ كتيبة تنعي حسينا
كنصر محمّد في يوم، بدر   ويوم الشّعب إذ لاقى حنينا[١]

وربما أراد الشاعر من المقارنة مهاجمة فئة معينة، مثل قول الكميت:

وعطّلت الأحكام حتّى كأنّنا   على ملّة غير التي نتنحّل
كلام النّبيّين الهداة كلامنا   وأفعال أهل الجاهليّة نفعل[٢]

وبما أن العرب قد انساحت في الأقطار المفتوحة البعيدة عن الحجاز في هذا العصر وطال بهم الأمد اشتد بهم الشوق إلى مرابع الصبا في الجزيرة العربية، فأخذ الشعراء يعبرون في شعرهم عما اختلج في قلوبهم من الحنين إلى الحجاز ، وقد ذكر بعضهم في شعر الحنين هذا، مدينة الرسول وقبره الشريف، ومن ذلك قول أبي قطيفة[٣] بن أبي معيط يتشوق إلى المدينة المنورة:

ألا ليت شعري هل تغيّر بعدنا   قباء وهل زال العقيق وحاجره
وهل برحت بطحاء قبر محمّد   أراهط غرّ من قريش تباكره
لهم منتهى حبّي وصفو مودّتي   ومحض الهوى منّي وللنّاس سائرة[٤]

وبعد ذلك أصبح ذكر الأماكن المقدسة والتشوق إليها فناً شعرياً خاصاً، وصار من مستلزمات قصيدة المديح النبوي.

وأهم ما نجد في المديح النبوي في أثناء العصر الأموي، هو هاشميات الكميت ابن زيد الأسدي[١] التي انتصر فيها لحقّ الهاشميين في الخلافة، ومدحهم

---

(١) تاريخ الطبري ٥٤/٦
(٢) القصائد الهاشميات ص ٦١
(٣) هو أبو قطيفة عمرو بن عقبة بن أبي معيط الأموي، شاعر رقيق نفاه عبد الله بن الزبير إلى الشام فأقام زمنا يحن إلى المدينة. توفي٧٠ هـ . انظر الأغاني ١٢/١
(٤) الأغاني ٢٨/١.

فيهـا، فهـو يمـدح الهاشـميين حتـى إذا وصـل إلـى ذكـر قـرابتهم مـن الرسـول الكـريم صـلّى الله عليه وسلّم أخذ يمدحه،ويقول:

بك اجتمعت أنسابنا بعد فرقة　　فنحن بنو الإسـلام نـدعى وننسب

حياتك كانت مجدنا وسناءنا　　ومـوتـــك جـذع للـعـرانين مـوعـب

فبوركت مولودا وبوركت ناشئا　　وبوركت عند الشّيب إذ أنت أشيب

ولقـد أعطـى الكميـت مـديح النبـي الأمـين الكثيـر مـن حقـه فـي بائيتـه هـذه، فأشـاد بنسـبه الطـاهر منـذ آدم، وأدرج صـفاته وأسـمائه صـلّى الله عليـه وسـلّم. وكـذلك قـام بإعـداد كثيـر مـن المعـاني التقليديـة والدينيـة التـي أصـبحت مـن لـوازم المـديح النبـوي ومفرداتهـا عنـد جميـع شـعراء المـديح النبـوي فـي العصـور اللاحقـة. كمـا سـنبين فـي الفصـل الثـاني إن شاء الله تعالى.

علـى كـل حـال لـم نجـد فـي هـذا العصـر قصـائد مسـتقلة فـي المـديح النبـوي، ولـم يكـن المـديح النبـوي إلا فـي بعـض القصـائد فـي بيـت أو بيتـين مـن الشـعر، ويقـول الدكتور محمد سالم محمد في "المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي":

"ولـولا وجـود الكميـت، لمـا بقـي مـن ذكـر رسـول الله صـلّى الله عليـه وسـلّم فـي شـعر العصـر إلا ظـلال قليلـة، تكـاد تكـون انقطاعـا لمـا كـان عليـه المـديح النبـوي فـي عصر البعثة النبوية." [٢]

****

(١) سنذكر ترجمته في الفصل الثاني إن شاء الله تعالى.

(٢) المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي ص ١٣٢.

المطلب الرابع

تطور المديح النبوي في العصر العباسي

لا يخفى على من له أدنى معرفة بالتاريخ الإسلامي أنّ العصر العباسي يعدّ عصرا ذهبيا للإسلام وتعاليمه، وقد تطورت فيه العلوم العربية والفنون الإسلامية، وكذلك برز شعراء مناصرون ومؤيدون، آخرون على النقيض، ولكن على صعيد المديح النبوي بقي الحال على ما كان عليه في العصر الأموي، فلم يقصد لذاته على الأقل في العصر العباسي الأول، وإنما كان المديح النبوي- في الغالب- مديحا غير مباشر، يأتي في أثناء قصائد تشترك فيها موضوعات مختلفة، ثم بدأ المديح النبوي يستقل شيئاً فشيئاً حتى ظهرت قصائد عديدة كان الغرض منها المديح النبوي لذاته فقط. والشعراء العباسيون الذين يُوجد لديهم المديح النبوي في بعض الأبيات هم كما يلي :

الف: أبو العتاهية(١)

كان شعره- غالبا- في الزهد، ولذا لقب بـ" شاعر الزهد" وقد أجاد وبرع فيه، وتدفق التقوى والزهد على لسانه . وقد أورد الموصلي قطعا لأبي العتاهية يمدح فيها النبي ﷺ ويدعو الشعراء إلى توجيه مدحهم على رسول الله ﷺ بدلا من مدح غيره من الملوك والأمراء، يقول:

بني آدم صونوا دينكم   ينبغي للدين ألا يطرح

(١)هو إسماعيل بن قاسم ، من أعلام الشعر في العصر العباسي الأول، اتصل بالهادي والرشيد ، نظم كثيرا من الأشعار في التصوف وأبدع فيه ، كان احد الشعراء المطبوعين ، وهو ممن يكاد أن يكون كلامه كله شعرا، توفي سنة ٢١٣هـ. انظر الشعر والشعراء ٢/ ٧٩١-٧٩٥، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٢/ ٣٣٤-٣٦.

واحمدوا الله الذي أكرمكم ببنيّ قام فيكم فنصح
بنبيّ فتح الله به كلّ خير نلتموه وشرح
مرسل لو يوزن الناس به في التقي والبرّ شالوا ورجح
فرسول الله أولى بالعلا ورسول الله أولى بالمدح(١)

ب: الحسن النيسا بوري(٢)

يعدّ الحسن النيسابوري خصائل النبي ﷺ ومعجزاته الباهرة، من أنه خاتم النبيين وأشرقت الأرض بنور بعثته ، يقول:

وخاتم المرسلين سيّدنا أحمد ربّ السماء محمدا سمّاه
أشرقت الأرض بعد بعثته وحصحص الحقّ من محيّاه(٣)

ج: أبو العلاء المعري(٤)

---

(١) أبو العتاهية أشعاره وأخباره ص ١٠٠.

(٢) هو أبو علي الحسن النيسابوري ، أديب شهير ، وشاعر نبيل ، من خوارزم شيخ أبي القاسم الزمخشري ، أديب فقيه فاضل وله نظم ونثر ، توفي سنة ٤٤٢هـ. ينظر معجم الأدباء ٤٠٨/٣ -٤١٢، ووالوافي بالوفيات١٢/ ٢٧١، وبغية الوعاة ١/ ٥٢٦.

(٣) معجم الأدباء ٤٠٩/٣.

(٤) أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن داود التنوخي، المعروف بـ "المعري" والمكنى بـ "أبي العلاء" والملقب برهين المحبسين أديب وكاتب شهير وشاعر له مؤلفات في النثر والنظم ، توفي سنة ٤٣٩هـ.انظر إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لياقوت حموي ١٨١/١ و وفيات الأعيان لابن خلكان ١/ ٣٣ و نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، ١٥٧/١ و لسان الميزان ١/ ٢٠٣ و فهرست ابن خليفة ص ٣٤٣ و الأعلام ١/ ١٥٧ إنباه الرواة على أنباه الرواة ١/ ٤٦ و ابن الوردي ١/ ٣٥٧ وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ١٤٤/١

لقد اتهم المعري بأنه تعرض لرسول الله ﷺ ودعوته ، فهاجمه بعض معاصريه واتهم بالإلحاد والزندقة ، ولكننا نجد بعض شعره في المديح النبوي فيقول مادحا النبي ﷺ:

دعاكم إلى خير الأمور محمّد   وليس العوالي في القنا كالسّوافل

حداكم تعظيم من خلق الضّحى   وشهب الدّجى من طالعات وآفل

وألزمكم ما ليس يعجز حمله   أخا الضّعف من فرض له ونوافل

وحثّ على تطهير جسم وملبس   وعاقب في قذف النّساء الغوافل

وحرّم خمرا خلت ألباب شربها   من الطيش ألباب النّعام الجوافل

فصلّى عليه الله ماذرّ شارق   وما فتّ مسكا ذكره في المحافل(١)

وقد استدل شوقي ضيف من هذه المقطوعة للرد على من اتهم المعري بالإلحاد، فلو كان ملحدا لما مدح الرسول. (٢)

وقد كثر في العصر العباسي التمثل بأحوال النبي صلّى الله عليه وسلّم في الشعر ، فإذا ما أراد الشاعر أن يحتج لرأيه في مسألة من المسائل الاجتماعية لم يكن له حجة أفضل من الإشارة إلى أن النبي الكريم شرفت به آباؤه، ولم يشرف بهم، كما قال ابن الرومي: (٣)

---

(١) اللزوميات ص ١٩٢

(٢) انظر فصول في الشعر ونقده ص ١٣٤-١٣٥.

(٣) هو أبو الحسن علي بن العباس بن جرجيس مولى عبيد الله بن علي رومي الأصل، ولد ببغداد وفيها نشأ وتأدب حتى شعر ونبغ ، ثم قضى حياته كأكثر الشعراء في انتجاع السراة والولاة ، وقدحمل الناس بلسانه على بره وتكرمته, إما رغبة وإما رهبة، تُوفي سنة ٢٨٤هـ. انظر الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ٥٩/١٠، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي ١/ ٢٢٤

فكم أب قد علا بابن ذرا شرف   كما علا برسول الله عدنان(١)

وقال أبو تمام(٢):

وكذلك قد ساد النّبيّ محمّد   كلّ الأنام وكان آخر مرسل(٣)

وقيل: إنّ بعض المنافقين كانوا يظهرون لأبي تمام الحب، ويضمرون الإساءة، ولم يستطع اكتشاف أمرهم، فاحتج على عملهم هذا بما حصل للنبي صلّى الله عليه وسلّم مع المنافقين، فقال:

هذا النّبيّ وكان صفوة ربّه   من بين باد في الأنام وقار

قد خصّ من أهل النّفّاق عصابة   وهم أشدّ أذى من الكفّار

حتّى استضاء بشعلة السّور التي   رفعت له سجفا عن الأسرار (٤)

وحينما فقد أحدهم عزيزا له تمثّل بقول النبي صلّى الله عليه وسلّم "من أصابته مصيبة، فليذكر مصيبته بي"(٥)

فقد استخدم الشعراء هذا المعنى عند التعزية، وعند التفكّر في المصائب، ومن ذلك قول ديك الجن(١) :

---

(١) التمثيل والمحاضرة للثعالبي ص ٢١

(٢) هو حبيب بن أوس الطائي ولد سنة ١٨٨هـ في جاسم من أعمال دمشق ، لم يزل يحفظ الأشعار ويحاكي الشعراء حتى بلغ من الشعر مبلغا لم يزاحمه فيه أحد من أهل عصره. وهو رأس الطبقة الثانية من المؤلدين ، جمع بين معاني المتقدمين والمتأخرين، ومهد لمن خلفه الطريق للحكمة والأمثال ، ولغلبة الحكمة عليه قيل:"أبو تمام والمتنبي حكيمان، والشاعر البحتري، توفي أبو تمام سنة ٢٣١هـ. وله ديوان طبع مرارا. انظر طبقات الشعراء لمحمد بن السلام ص ١٣٣-١٣٤، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء للأنباري ص٢١٣-٢١٦.

(٣) ديوان أبي تمام ص ١٥٢.

(٤) انظر محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني ٢/ ٢٣٠.

(٥) انظر سلوة الكئيب، لابن ناصر الدين الدمشقي ص٥٢.

تأمّل إذا الأحزان فيك تكاثفت أعاش رسول الله أم ضمّه قبّر [2]

ولما دخل العصر العباسي في دوره الثاني ظهرت قصائد عدة في مدح النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، بدأها الشعراء بمعارضة قصائد قيلت في مدحه أثناء حياته، وخاصة قصيدة كعب بن زهير "البردة" ، ومن الذين عارضوا هذه القصيدة في هذا الدور، الشاعر العربي الأبيوردي[3] في قصيدة مطلعها:

خاض الدّجى ورواق اللّيل مسدول برق كما اهتزّ ماضي الحد مصقول[4]

تابع الأبيوردي كعباّ، فبدأ قصيدته بوصف الرحلة على طريقة كعب، لكنه لم يتابعه بيتا بيتا، ولم يتسع اتساعه في وصف الرحلة والغزل، فأتى بوصف رحلته والغزل في بضعة أبيات، ثم انتقل بعدها إلى مدح الرسول ﷺ فيجمع بين القيم التقليدية التي أخذها الشعراء في المدح، ويتخذ من كعب بن زهير قدوةً له في هذا الخصوص، وبين المفاهيم الدينية التي يتميّز بها رسول الله ﷺ عن جميع الناس، ثم أكّد أنه سيظل على سنة النبي الكريم ﷺ، وأنه سينصر دين الله تعالى بكل ما يستطيع من قوة، فقال:

خاتم الرّسل إن لم تخش بادرتي على أعاديك، غالتني إذا غول

والنّصر باليد منّي واللّسان معا ومن لوى عنك جيدا فهو مخذول

---

(١) ديك الجن هو عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام الكلبي، شاعر مجيد فيه مجون، أصله من سلمية قرب حماه، لم يفارق بلاد الشام ولم ينتجع بشعره، له ديوان شعر، مولده ووفاته بحمص سنة ٢٣٥ هـ.انظر وفيات الأعيان لابن خلكان٣/١٨٤

(٢) محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني ٢/٢٣٠

(٣) هو محمد بن أحمد بن محمد القرشي الأموي، شاعر عالي الطبقة، مؤرخ عالم بالأدب، ولد في أبيورد بخراسان وكان يفخر بعروبته ويعتز بها، له كتاب "تاريخ أبيورد" و "المختلف والمؤتلف في الأنساب" مات مسموما سنة ٥٠٧ هـ . انظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي٤/١٨.

(٤) ديوان الأبيوردي ١/ ٩٧.

وساعدي وهو لا يلوي بـه خور   على القنا في اتّباع الحقّ مفتول[1]

وقـد أجـاد الأبيـوردي معارضـة كعـب، فأخـذ روح القصـيدة، ولـم يتبـع جزئياتهـا، فـربط فيهـا بـين حبـه لرسـول الله صـلّى الله عليـه وسـلّم وبـين مـا يستشـعره اتجـاه مـا يجـري فـي عصـره، وكـان فـي مدحـه للنبـي الكـريم ﷺ متحفظـا، فترسـم معـاني كعـب التقليديـة، وذكـر فضـل رسـول الله صـلّى الله عليـه وسـلّم علـى النـاس، وهدايتـه لهـم، بعـد أن كـانوا في غيهم يعمهون.

وعـارض الزمخشـري[2]قصـيدة كعـب أيضـا وابتـدأ مثـل الأربيـوردي بـذكر البـرق والوقـوف عنـد أطـلال المحبوبـة، لكنـه لـم يتسـع فـي وقوفـه وغزلـه، واكتفـى منهمـا بمـا يشـير إلـى مشـاعره الدينيـة التـي يكنّهـا للأمـاكن المقدّسـة، ثـم انتقـل إلـى مـدح النبـي صـلى الله عليــه وسـلم أكّـد أنــه فـوق جميـع البشـر، وأنــه لا يحــاط بـأدنى خصائصــه، و أتــى بشــيء يسـير مـن سـيرته، وكأنــه بـذلك يـردّ علـى مـن نسـب إلـى المعتزلـة أنهـم يشـكّون بنبوة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال:

هـو الذي إن يخالج في نبوّته   ريب فما القول بالتّوحيد مقبول
هـو الذي وعد الرّحمن ناصره   نصرا عزيزا ووعـد الله مفعول
مـلك الأكاسرة الممنوع غادره   والتّاج منعقر والعرش مفلول[3]

ثـم يـذكر بعـد ذلـك الصـحابة رضـوان الله علـيهم، وشـجاعتهم ونصـرتهم لرسـول الله صلّى الله عليه وسلّم، فهو يحبهم جميعا، ويفرح لذكرهم، و يقول:

---

(١) المصدر نفسه

(٢) هو محمود بن عمر بن أحمد الخوارزمي، جار الله، من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والأدب، جاور بمكة وتنقل في البلاد، كان معتزليا، له كتب عدة منها "الكشاف" في تفسير القرآن و"أساس البلاغة" ، توفي سنة ٥٣٨ هـ . انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ١٦٨/٥.

(٣) المجموعة النبهانية ليوسف النبهاني ٣٣/٣

حفّته أشياع صدق كاللّيوث بهم   دم الذين استضاموا الدّين مطلول

إذا جرى ذكرهم رفّ القلوب لـه   كما يرفّ الخزامى وهو مطلول(١)

وفي ختام القصيدة يظهر الزمخشري ما بنفسه، فيستشفع برسول الله صلّى الله عليه وسلّم مؤكدا أنه لم يخرج عن الدين ولم يقرب حراما، وأن قومه المعتزلة ما زالوا على تقواهم واتباع الحق بخلاف الفرق المضلله التي تناوئهم، فقال:

يا خاتم الرّسل إنّ الطّول منك على   راجي الشّفاعة يوم الحشر مأمول

وطّاء أعقاب قوم ما لهم عمل   في نصرة الدّين والإسلام مجهول

لهم ضمائر للتّفكير قارعة   وألسن كلّها بالذّكر مشغول

موحّدون إلها أنت صفوته   مصدّقوك فلا غالتهم غول

إن زال عن رمي أغراض الهدى فرق   تلهو مضلّلة قالت لهم زولوا

فقوس قومي بالتّقوى موتّرة   وسهمهم باتّباع الحقّ منصول(٢)

وخلال دراستنا للمديح النبوي في هذا العصر نشاهد قصيدةً نبويةً للشاعر الأندلسي "البلوي"(٣) مؤلف كتاب "ألف با" فقد نظم قصيدة قد باشر فيها المديح النبوي، و أوضح في تقديمها أن المديح النبوي قد ازداد على عهده، وأن ذلك حرّك في نفسه دواعي مجاراة مدّاح النبي ﷺ، فنظم قصيدته هذه، وصرّح في بداية القصيدة أنه أنشدها طلبا للأجر والثواب، فهي خالصة للمديح النبوي والتشفع برسول اللهصلى الله عليه وسلم، لا يخالطها شيء آخر، بدأها قائلا:

(١) المصدر نفسه

(٢) المصدر نفسه ص ٣٥.

(٣) هو يوسف بن محمد الأندلسي، عالم باللغة والأدب، تولى الخطابة بمالقة وزار مصر، كان أحد الزهاد المشهورين، بنى مسجدا بيده، ولم تفته غزوة في البر ولا في البحر، له كتاب "ألف با" .انظر التاج المكلل للقنوشي ١/ ٤١ ، وكتابه ألف با ١/ ١٨.

قد قلت قولا أبتغي أجره	من ملك رحمته تطلب
في القرشيّ الهاشميّ الذي	يقصّر في مدحه المطنب
محمّد المنتخب المصطفى	من مثله أو منه من يقرب
أرسله الله لنا رحمة	والكفر في ظلمته يحطب
فجمع الله به شملنا	بعد شتات أمره معطب
وأصبح النّاس به إخوة	أبوهم الإسلام نعم الأب
ذاك أبو القاسم ماذا عسى	يحصي لساني أو يدي تكتب
والبحر لو كان مدادا وما	في الأرض أقلام بها يكتب
لم نبلغ العشر ولا عشره	من وصفه هيهات لا تعجبوا[١]

ثم انتقل إلى وصف اليوم الآخر، ومكانة النبي الكريم ﷺ فيه، وشفاعته لأمته، تلميحاً إلى الروايات والأحاديث ، حيث قال:

فهو حبيب الله وهو الذي	في جاهه تطمع يا مذنب
وصاحب الحوض الرّواء الذي	أمّته منه غدا تشرب
كلّ رسول منهم قائل	نفسي نفسي عنقها يطلب
وهو ينادي أمّتي أمّتي	ربّي مالي غيرهم مطلب
هذا إلى أشياء لم أحصها	يعجز عنها اللّقن المسهب
فمن يقل ما شاء فيه يقل	حقّا وما أحسبه يكذب[٢]

وقد اختتم قصيدته بالدعاء و الصلوة على رسول الله ،فقال:

---

(١) كتاب ألف با ٤٥٧/١

(٢) المصدر نفسه

كلّ لساني وانتهت طاقتي ولم أصل بعض الذي أرغب
فملت عن مدحته للدّعا عسى دعائي عنه لا يحجب
فليس مثلي مادحا مثله لا لا ولا العير الذي يركب
صلّى عليه الله من سيّد ما تطلع الشّمس وما تغرب(١)

وعلى كل يلاحظ أن المديح النبوي في العصر العباسي، بدأ في ضمن القصائد التي نُظمت في مضامين مختلفة، ومع تقدم الزمن ظهرت مقطوعات خاصة خالصة لمدح الرسول ﷺ ، إلى جانب ما تمثّل به الشعراء من أحواله عليه السلام. ثم وجدنا قصائد كاملة، نظمت في مدح رسول الله ﷺ، وإن كانت في البداية معارضة لقصائد قيلت في المديح النبوي في عهده، لكن المادحين سرعان ما نظموا مدائح نبوية خالصة كما درسنا فيما سبق آنفاً.

****

(١) المصدر نفسه ص ٤٥٩.

المطلب الخامس

تطور المديح النبوي في العصر المملوكي

إنا نجد المديح النبوي في هذا العصر أنه تحول إلى مصطلح أدبي ، حيث لجأ الشعراء إلى استرجاع السيرة النبوية والتغني بالشمائل التي تميز بها رسول الله ﷺ . ومن أهم الأسباب السياسية والاجتماعية لظهورها في هذا العصر أنه شهد اضطرابا كبيرا، إذ اجتاح التتار الشرق الإسلامي ، فدمروا البلاد وأهلكوا أهلها وقضوا على الخلافة العباسية في بغداد سنة ٦٥٦هـ(١).

ولما تفشى الفساد بين الطبقات الحاكمة و عافى الناس كثر الضرائب ، فانتشر الفقر ،وعمّ الخوف والمجاعة ويزداد بلاء الملمين والتمس الناس كل وسيلة للحصول على رزقهم ، ففي هذه الظروف القاسية والجوّ المشبع بالآلام ازدهرت المدائح النبوية التي كشفت عن رغبة دفينة لدى الشعراء بالعودة إلى المنبع الصافي للعقيدة الإسلامية حينما كان العدل يظلل جميع المسلمين، فاستعادوا بقصائدهم سيرة النبي ﷺ بكل ما تمثله من عدل ونقاء من مولده إلى وفاته. (٢)

وبما أنّ التصوف قد نشأ وتطور في هذا العصر نجد شعر المديح النبوي قد غلب عليه لون التصوف، وأغلب الشعراء فيه كانوا من المتصوفين كما يقول زكي مبارك: "شعر المديح النبوي فن ابتدعه الصوفية"(٣)

فالمتصوفة مزجوا ذكرهم لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعقائدهم، وبرموزهم التي تستغلق على المطلع، والتي لا يعرف مدلولاتها إلا من تشبع بمبادي٣هم ورياضاتهم الروحية، فيقول ابن العربي(١):

---

(١) انظر تاريخ الأدب العربي ص ٢٩٥.

(٢) انظر تاريخ الأدب العربي ، لشوقي ضيف ٨٩/٣

(٣) المدائح النبوية ، ص ٤٥

يا أهل يثرب لا مقام لعارف ورث النّبيّ الهاشميّ محمّدا

عمّ المقامات الجسام عروجه وبذاك أضحى في القيامة سيّدا

صلّى عليه الله من رحموته ومن أجله الرّوح المطهّر أسجدا

لأبيه آدم و الحقائق نوّم عن قولنا وعن انشقاق قد هدى

فجوامع الكلم التي أسماؤهما في آدم هي للمقرّب أحمدا[٢]

ويعد الإمام البوصيري أستاذ هذا الفن ورائده بلامنازع[٣]، لا في عصره فحسب ، بل في العصور اللاحقة أيضا، إذ احتذاه كثير من الشعراء في العصر الحديث مستمدين من رائعته "البردة" وكانت البردة نموذجا تماما لما كانت عليه العصور السابقة ، وهكذا حذا المادحون حذوه في مدح الرسول ﷺ . وسأتحدث عن شعر البوصيري في الباب الرابع بالبسط والتفصيل إنشاء الله تعالى والآن نلتفت إلى أشهر ما قيل في مدح الرسول في هذا العصر :

ألف :يقول الشيخ جمال الدين الصرصري[٤]

---

(١) هو محي الدين محمد بن علي بن محمد بن عربي الحاتمي الطائي الأندلسي ، أحد أشهر المتصوفين لقبه أتباعه وغيرهم من الصوفيين "بالشيخ الأكبر" ولذا تُنسب إليه الطريقة الأكبرية الصوفية. ولد في مرسية في الأندلس في شهر رمضان عام ٥٥٨ هـ الموافق ١١٦٤م قبل عامين من وفاة الشيخ عبد القادر الجيلاني. وتوفي في دمشق عام ٦٣٨هـ الموافق ١٢٤٠م. ودفن في سفح جبل قاسيون. انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٣/ ٤٨،٤٩).البداية والنهاية ١٣/ ١٥٦، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب٣/١٩٠، والعبر في خبر من غبر ٥/ ١٥٨، والنجوم الزاهرة ٦ / ٣٣٩

(٢) الديوان الأكبر لابن العربي ص ٧٩

(٣) انظر الأعلام للزركلي ٤٦٦/٢، والزبدة الرائقة ص ٢٤، ومعجم أعلام الشعراء المديح النبوي ص ٣٥٥.

(٤) هو يحيى بن يوسف بن يحيى الأنصاري ، أبوذكريا ، جمال الدين الصرصري شاعر من أهل صرصر على مقربة من بغداد سكن بغداد ، وكان ضريرا . له " ديوان شعر" صغير ، ومنظومات في الفقه وغيره منها: "الدرة اليتيمة" و"المحجة النستقيمة" و" قصيدة دالية في الفقه الحبلي" و" المنتقى من مدائح

ما لنا مرتجىً سوى وعدِ مولى ماجدٍ لا يخيب فيه الرجاء
من إذا قال أو تكفل فالصد ق قرين لوعده والوفاء
مصطفى الله ذي الجلال من الخلـ ـق نبي له علينا ولاء
شهدت بالرسالة الصحف الأو لى له والنعوت والأسماء
خاتم الأنبياء فاتح باب الـ ـرشد الناس ضلل سفهاء
فأتاهم من ربه بكتاب هو للناس رحمة وشفاء(١)

ب: يقول عمر بن الفارض(٢):

أرى كل مدح في النبي مقصرا وإن بالغ المثني عليه وأكثرا
إذ الله أثنى بالذي هو أهله عليه فما مقدار ما تمدح الورى(٣)

ج : يقول أبو زيد الفازازي(٤) الأندلسي في مخمسته النونية:

الرسول" وقصيدة في كل بيت منها حروف الهجاء كلها، أولها: "أبت غير ثج الدمع مقلة ذي حزن". قتله التار يوم دخلوا بغدادوحمل إلى صرصر فدفن فيها. انظر الأعلام ١٧٧/٨

(١) المجموعة النبهانية ١١٥/١

(٢) هو عمر بن علي بن مرشد بن علي الحموي الأصل، المصري المولد والدار والوفاة، أبو حفص وأبو القاسم، شرف الدين بن الفارض أشعر المتصوفين ، يلقب بسلطان العاشقين. في شعره فلسفة تتصل بما يسمى "وحدة الوجود" كان أبوه يثبت الفروض للنساء على الرجال بين يدي الحكام ، ثم ولي نيابة الحكم فغلب عليه التلقيب بالفارض . وولد له "عمر" فنشأ بمصر وورع. ولما شبّ اشتغل بفقه الشافعية ، ثم حبب إليه سلوك طريق الصوفية ، فتزهد وتجرد، حتى أن الملك الكامل كان ينزل لزيارته ، وقال الذهبي: كان سيد شعراء عصره . له "ديوان شعر"وشرحه كثيرون. انظر البداية والنهاية ١٤٣/١٣ و ميزان الاعتدال ٢٦٦/٢وشذرات الذهب ١٤٩/٥ والأعلام ٥٥/٥-٥٦

(٣) ديوان ابن الفارض ص ١٥٦

(٤) هو أبو زيد عبد الرحمن بن أبي سعيد بن يخلفتن، ولد بقرطبة، و بها منشؤه، و بمجرد أن حفظ القرآن الكريم أكبّ على حلقات الشيوخ يتزود من الحديث النبوي و روايته و الفقه و أصوله و علم الكلام و اللغة و النحو و الأدب و الشعر، و تفتحت موهبته الأدبية مبكرة، و سال ينبوع الشعر متدفقا على لسانه، وعمل في الدواوين الحكومية، و حظى بمكانة رفيعة عند أبي إسحق والى إشبيلية لأخيه الناصر الخليفة بمراكش (٥٩٢-٦٠٩ ﻫ) و لابن أخيه المستنصر (٦٠٩-٦٢٠ ﻫ) و عمل بدواوين عمه أبي العلاء

بدا قمرا مسراه شرق ومغرب وخصت بمثواه المدينة يثرب
له في سدة النور مضرب نجى لرب العالمين مقرب
حبيب فيدنو كلّ حين ويستدني
من العالم الأعلى و ما هو منهم شبيه بهم في الوصف زاك لديهم
رحيم بكلّ الخلق دان إليهم نصيح لأهل الأرض حان عليهم
أضاء لهم صبحا و صاب لهم مزنا[١]

د : يقول ابن جابر الأنلسي[٢] في مدح النبي ﷺ:

أما معاني المعاني فهي قد جمعت في ذاته فبدت نارا على علم
كالبدر في شيم والبحر في ديم والزهر في نعم والدهر في نقم[٣]

****

إدريس في ولايته على إشبيلية و قرطبة، و تطورت الظروف و نودي بأبي العلاء -و هو في الأندلس- خليفة للموحدين بمراكش. و جاز الزقاق إلى عاصمته سنة ٦٢٦ و استقدم أبا زيد للعمل في دواوين مراكش و لباه راضيا، و لم تكد تمضى بضعة أشهر حتى لبى نداء ربه سنة ٦٢٧ و يقول لسان الدين بن الخطيب في ترجمته إنه كان فاضلا سنّيا شديد الإنكار و الانحاء على أهل البدع، و كان متلبسا بالكتابة عن الولاة و الأمراء ملتزما بذلك مع كره له و حرصه على الانقطاع عنه.

وله مجموعة في المدائح النبوية تدعى بـ "الوسائل المتقبلة" انظر الأعلام للزكلي ١٣٣/٣

(١) هو محمد بن أحمد بن علي بن جابر الأندلسي الهوّاري المالكي، يكنى بأبي عبد الله شمس الين شاعر عالم بالعربية ، أعمى من أهل المرية ، توفي في "البيرة". ومن مؤلفاته : "شرح شالفية ابن مالك" و"شرح ألفية ابن معطي"و "العين في مدح سيد المرسلين" و"نظم فصيح ثعلب" و" الحلة السيرا في مدح خير الورى"و "المنحة في اختصار الملحة" و"قصيدة ميمية"وغيرها. انظر شذرات الذهب٢/٢٣٤ و الأعلام ٣٢٨/٥.

(٢) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ٣٠٤/١

(٣) ديوان ابن جابر ص ١٢٣

المطلب السادس
تطور المديح النبوي في العصر الحديث

لم يخل عصر من العصور ولا زمن من الأزمنة، ولا أمة من أمم الإسلام ولا شعب من شعوب المسلمين من شعراء نظموا قصائد في مدح النبي ﷺ. قال الشيخ يوسف النبهاني(١): "اعلم أن مداح النبي ﷺ في كل عصر ومصر كثيرون لا يحصيهم عد، ولا يحيط بهم مد، ولو جمعت مدائح أهل عصر واحد منهم لبلغت عدة مجلدات".(٢)

لقد حقق شعر المديح النبوي تطورا وازدهارا ملحوظا في العصر الحديث إلى أن أصبح فنا قائما بذاته، له خصائص وطرق وهو أحد أهم الفنون في المجتمعات الإسلامية الحديثة ومن يتأمل دواوين شعراء الإحياء أو شعراء التيار يجد مجموعة من القصائد في مدح النبي ﷺ تستند تارة إلى المعارضة وتارة أخرى إلى الإبداع والتجديد. يقول أحمد قبش في "تاريخ الشعر العربي الحديث" عن تطور المدائح النبوية في العصر الحديث وما يختلف هذا العصر عن الأعصر الماضية:

"وفي العصر الحديث كثر الشعراء المادحون للنبي ووجدوا من الشعر تشجيعا ونحن نرى بقاياهم إلى يومنا هذا في المولد وفي المواسم الدينية وفي الأذكار يقرعون الدفوف وينشدون المدائح..........هؤلاء لم يكونوا كالبوصيري صاحب البردة المشهورة، وإنما كانوا متهالكين ، ضعاف الخيال ضعاف الصنعة وبعض صنيعهم لا نزال نسمعه بمناسبات كثيرة في الإذاعة العربية فقد أصبح عنصرا لا بد منه في تراثنا الشعبي وتوارث الشعراء في أول هذه الفترة مدح النبي ﷺ عن أسلافهم، فأصبح

---

(١) سيأتي ترجمته في مبحث مستقل في الفصل التالي إن شاء الله تعالى.

(٢) المجموعة النبهانية ١/١٦

الشاعر لا يعد شاعرا بحق إلا إذا مدح النبي بمناسبة وبغير مناسبة للتبرك، وصار هذا تقليدا بقي مستمرا حتى العقد الخامس من هذا القرن ، حيث بدأ يتوارى قليلا قليلا ويغيب عن شعر كثير من الشعراء الذين ما زالوا يمثلون المدرسة التقليدية رغم وجودهم وسط ممدارس موغلة في التجديد........... ولكن سمة هذه المدائح تختلف في هذا العصر عنه في العصور القديمة فقد كان محمد ﷺ في أيام الفاطميين وما قبلها حلما ومهدئا يمسك على الناس حياتهم فيلتفون حوله في استكانة وطمانينة . أما في هذا العصر فقد أصبح النبي ﷺ بطلا مجيدا كما هو نبي فريد. محمد في هذا العصر يكافح ويرسم الخطط ويحدد المثال وباسم الإسلام يقود الناس إلى السلام، والإسلام من ثم يقودهم إلى الوحدة بإشارات قوية." [١]

ومن أشهر شعراء العصر الحديث الذين يوجد في شعرهم المديح النبوي هم كما يأتي:

ألف: محمود سامي البارودي[٢] رائد الشعراء المحافظة، يقول في قصيدته "كشف الغمة" يمدح النبي ﷺ:

---

(١) تاريخ الشعر العربي الحديث ص ١٢٤

(٢) محمود سامي بن حسن حسين بن عبد الله البارودي المصري، هو شاعر مصري ولد عام ١٨٣٨م من أسرة مؤسرة لها صلة بأمور الحكم و نشأ طموحا يتبوأ مناصب مهمة بعد أن التحق بالسلك العسكري، و قد ثقف نفسه بالاطلاع على التراث العربي و لا سيما الأدبي فقرأ دواوين الشعراء و حفظ شعرهم و هو في مقتبل عمرهُ، و قد أُعجب بالشعراء المُجدين مثل ابي تمام و البحتري و الشريف الرضي و المتنبي و غيرهم، و هو رائد مدرسة البعث والإحياء في الشعر العربي الحديث، وهو أحد زعماء الثورة العرابية وتولى وزارة الحربية ثم رئاسة الوزراء باختيار الثوار له، لقب برب السيف والقلم. ومن آثاره "ديوان شعر في جزئين" و "مجموعات شعرية سُميّت مختارات البارودي"، جمع فيها مقتطفات لثلاثين شاعرا من الشعر العبّاسي، و"مختارات من النثر تُسمّى قيد الأوابد"، و"نظم البارودي مطولة في مدح الرسول عليه

لا شَـيءَ يَسبِقُـها إلاّ إذا اِعـتَقَلَت بَنانَتي في مَديحِ المُصطَفى قَلَمِي

مُحَمَّدٌ خاتَمُ الرُسلِ الَّذي خَضَعَت لَـهُ البَرِيَّةُ مِـن عُـربٍ وَمِن عَجَم

سَميرُ وَحيٍ وَمَجنى حِكمَةٍ وَنَدى سَمـاحَـةٍ وَقِرى عـافٍ وَرِيُّ ظَمِ

قَد أَبلَـغَ الـوَحيُ عَنـهُ قَبلَ بِعثَتِهِ مَسـامِـعَ الـرُسلِ قَولاً غَيرَ مُنكَتِمِ

فَذاكَ دَعـوَةُ إِبـراهيـمَ خـالِقَـهُ وَسِـرُّ مـا قـالَهُ عِيسى مِنَ القِدَمِ[(١)]

ب: أحمـد شـوقي[(٢)] وقـد عـارض طائفـة مـن فحـول شـعراء العـرب ومـنهم البوصـيري فـي قصـيدته المشـهورة "البـردة النبويـة" فقـد عارضــه شـوقي بقصـيدته "نهـج البـردة" ، وقـد جـاراه شـوقي مسـتلهما نفـس العناصـر الفكريـة التـي صـورها مـن حيـث الغـزل الصـوفي وبيـان حبـه للرسـول صـلّى الله عليـه وسـلّم ثـم تحـذيره الـنفس مـن غـرور الـدنيا يقـول فـي نفـس القصيدة معبرا عما وقع وقت نزول الوحي على النبي ﷺ في أول وهلة:

ونـودي "اقـرأ" تـعـالى الله قائلها لـم تتصل قبل من قيلت له بفم

هنـاك إذن لـلـرحمـان فـامتلأت أسمـاع مكة من قدسية النغم

الصلاة والسلام"، تقع في أربعمائة وسبعة وأربعين بيتا، وقد جارى فيها قصيدة البوصيري البردة، قافية ووزنا وسماها، "كشف الغمّة في مدح سيّد الأمة"، مطلعها :

يا رائد البرق يمّم دارة العلم واحْد الغَمام إلى حي بذي سلم

توفي البارودي سنة ١٣٢٢ هـ / ١٢ ديسمبر ١٩٠٤. انظر "محمود سامي البارودي شاعر النهضة" لعلي الحديدي و"البارودي رائد الشعر الحديث" لشوقي ضيف.

(١) كشف الغمة في مدح سيد الأمة ص ١١

(٢) أحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي اشهر شعاء العصر الأخير ، يلقب بأمير الشعراء ، مولده ووفاته بالقاهرة ، عالج أكثر فنون الشعر مديحا وغزلا ورثاء ووصفا، ثم ارتفع محلقا فتناول الأحداث السياسية والاجتماهية في مصر والشرق والعالم الإسلامي ، وهو أول من جوّد القصص الشعري التمثيلي بالعربية. من آثاره"الشوقيات" أربعة أدزاء وهو ديوان شعره و"دول العرب" نظم، و"مصرع كليوبترا" قصة شعرية، و"مجنون ليلى" و"قنبيز" و"علي بك" و"علي بك الكبير" و"عذراء الهند" وقصص أخرى. انظر: أعلام الشرق والغرب ص ٩٥-١٠٧،ومناهل الأدب العربي ٣٧\١٦،و الأعلام للزركلي ١٣٨/١

فلا تسل عن قريش كيف حيرتها   وكيف نفرتها في السهل والعلم
تساءلوا عن عظيم قد ألم بهم   مى المشايخ والولدان باللمم
يا جاهلين على الهادي ودعوته   هل تجهلون مكان الصادق العلم؟
لقبتموه أمين القوم في صغر   وما الأمين على قول بمتهم
سرت بتائر بالهادي ومولده في   الشرق والغرب مسرى النور في الظلم
تخطفت مهج الطاغين من عرب   وطيرت أنفس الباعثين من عجم
أتيت والناس صرعى لا تمر بهم   إلا على صنم قد هام في صنم
والأرض مملوءة جورا مسخرة   لكل طاغبة في الخلق محتكم
والخلق بفتك أقواهم بأضعفهم   كالليث بالبهم أو كالحوت بالبلم(١)

وكذلك نظم قصيدة أخرى في مدح الرسول ﷺ تسمى بـ"الهمزية النبوية" وعارض بها همزية حسان بن ثابت رضي الله عنه أولها:

ولد الهدى فالكائنات ضياء   و فم الزمان تبسم و ثناء

ويذكر بعض فضائل النبي ﷺ وخصائله فيقول:

نظمت أسامي الرسل فهي   صحيفة في اللوح و اسم محمد طغراء
اسم الجلالة في بديع حروفه   ألف هنالك و اسم (طه) الباء
يا خير من جاء الوجود تحيه   من مرسلين إلى الهدى بك جاءوا
فإذا سخوت بلغت بالجود   المدى و فعلت ما لا تفعل الأنواء
و إذا عفوت فقادروا   قدرا لا يستهن بعفوك الجهلاء
و إذا غضبت فإنما هي غضبة   في الحق بل ضغن و لا بغضاء

---

(١) الشوقيات ٧٦/٢

و إذا رضيت فذاك في مرضاته و رضى الكثير تحلم و رياء

و إذا خطبت فللمنابر هزة تعروا الندي و للقلوب بكاء

و إذا قضيت فلا ارتياب كأنما جاء الخصوم من السماء قضاء

و إذا مشيت إلى العدا فغضنفر و إذا جريت فإنك النكباء(١)

جـ : أحمد محرم(٢) هو الذي انفرد من بين شعراء العربية بتصوير البطولة الإسلامية من خلال سيرة النبي ﷺ، فنظم ملحمته النبوية "مجد الإسلام" في ثلاثة آلاف بيت، صور فيها سيرة وحياة النبي محمد ﷺ بواقعية التسلسل الزمني، ونظمها على وزن واحد متضمنة الوقائع الثابتة والمعارك والغزوات، فصورها مجردة من الخيال الوهم والأحداث المفتعلة، ونشر منها أجزاء بجريدة البلاغ، وجريدة الفتح، ومجلة الأزهر. وكان قد بدأها بقوله:

املأ الأرض يا محمد نورا واغمر الناس حكمة والدهورا

---

(١) المصدر نفسه ٤٤/١

(٢) شاعر مصري من أصول شركسية اسمه الكامل أحمد محرّم ابن حسن عبد الله الشركسي، من شعراء القومية والإسلام وكانت محور شعره كله، ولا سيما وأنه كان من دعاة الجامعة الإسلامية وعودة الخلافة العثمانية التي دعا إليها محمد عبده وجمال الدين الأفغاني في عصره. ولد في قرية إبيا الحمراء التابعة لمحافظة البحيرة بمصر عام ١٨٧٧ م. قرأ السيرة النبوية والتاريخ، وحفظ الحديث الشريف والشعر، وطالع النصوص الأدبية السائدة. وكان لتلك النشأة أثرها في حياة أحمد محرم وشعره. عاصر ثورة ١٩١٩ م. كما عاصر دنشواي ومصطفى كامل وسعد زغلول وتأثر بهم في شعره الوطني. وكان يعقد بقهوة المسيري بدمنهور ندوته الشعرية كل ليلة. حيث كان يرتادها مفكرو البحيرة والإسكندرية وشعراءها،لأنه كان شاعرا حرا ملتزما. ويعد أحمد محرم من شعراء مدرسة البعث والإحياء في الشعر العربي والتي كان من دعاتها محمود سامي البارودي وأحمد شوقي وحافظ إبراهيم وأحمد نسيم حيث جددوا الصياغة الشعرية بعد تدهورها في العصر العثماني. انظر مشاهير شعراء العصر ١١٤/١ و الأعلام ٢٠٢/١.

حجـبتك الـغــيـوب سرًّا تـجلَّى　　　يكشـف الحجب كلـها والستورا

أنت معنى الوجود بـل أنت سر　　　جـهـل النـاس قبلـه الإكـسيرا

أنــت أنـشأت للـنفـوس حـياة　　　غـيَّـرت كل كـائـن تـغـييــرا

أنجب الدهر في ظلالك عصرًا　　　نابِهَ الذكر في العصور شهيرا[١]

د: حـافظ إبـراهيم[٢] الملقـب بــ "شـاعر النيـل" يقـول بمناسـبة العـام الهجـري الجديـد عـام ١٣٢٧هـ :

أطلّ على الأكوان والخلق تنظر　　　هـلال رآه الـمسـلـمون فكبّروا

تجلّى لهم في صورة زاد حسنها　　　عـلى الدهر حسنا أنـها تتكـرر

وأذكـرهـم يـومـا أغـرّ محجّلا　　　به تُوّج التاريخ والسعد يسفربرهان

وهاجر فيه خير داع إلى الـهدى　　　يـحـفّ بـه مـن قوة الله عسكر

يُـمـاشيـه جبريل وتسعى وراءه　　　مـلائـكـة تـرعى خطاه وتـخفر

بيسراه بـرهـان من الله سـاطـع　　　هـدى وبيـمـناه الـكتاب المطهر

فـكان عـلى أبـواب مكة ركبـه　　　وفـي يـثـرب أنـواره تـتـفــجـر[٣]

****

(١) ديوان أحمد محرم ص ١٨٧

(٢) هو محمد حافظ بن إبراهيم الفهمي المهندس ، الشهير بحافظ إبراهيم شاعر مصر القومي ومدون أحداثها نيفا وربع قرن. ولد في ذهبية بالنيل واشتغل محررا في جريدة "الأهرام" ولقب بشاعر النيل وطار صيته واشتهر شعره ونثره , وإنه كان شاعر الوطنية والاجتماع والمناسبات الخطيرة . في شعره إبداع في الصوغ امتاز به عن أكثر أقرانه ، توفي بالقاهرة . له "ديوان حافظ" مجلدان ، و"كتيب في الاقتصاد" وغيرها من الكتب. انظر الأعلام ٧٦/٦.

(٣) مجلة العالم الإسلامي مكة المكرمة ، شهر رمضان ١٣٩٧هـ ص ٤٠

الفصل الثاني

أشهر شعراء المديح النبوي في الأدب العربي

يحتوي هذا الفصل على ثمانية مباحث

المبحث الأول

حسان بن ثابت ، حياته وشعره في المديح النبوي

المبحث الثانيى

عبد الله بن رواحة، حياته وشعره في المديح النبوي

المبحث الثالث

كعب بن مالك ، حياته وشعره في المديح النبوي

المبحث الرابع

كعب بن زهير، حياته وشعره في المديح النبوي

المبحث الخامس

كميت بن زيد الأسدي ، حياته وشعره في المديح

المبحث السادس

ابن جابر الأندلسي ، حياته وشعره في المديح النبوي

المبحث السابع

عبد الغني النابلسي ، حياته وشعره في المديح النبوي

المبحث الثامن

يوسف بن إسماعيل النبهاني، حياته وشعره في المديح النبوي

تمهيد

يلاحظ أن الشعراء المسلمين لم يزالوا ينظمون القصائد والأبيات في المديح النبوي منذ فجر الإسلام إلى يومنا هذا حتى عرف بعض منهم كشاعر المديح النبوي أو شاعر النبي صلى الله عليه وسلم كما سبق فيما قبل ، فأردنا أن ندرس مَن هم مِن أشهر شعراء المديح النبوي ، فاخترنا من أصحاب النبي ﷺ ثلاثة هم: حسان بن ثابت الأنصاري، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك رضي الله عنهم؛ لأنهم يُعدّون شعراء الرسول لدى الأدباء والنقاد، يقول الدكتور مكي في كتابه "المدائح النبوية" :

"ثلاثة من جلة الأنصار ندبوا أنفسهم للدفاع عن الإسلام ، والمنافحة عن رسول الله وللرد بسلاح الشعر على مشركي قريش أولهم وأشعرهم في نظر القدماء وأكثرهم شعرا هو حسان بن ثابت... وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة"(١).

وعدّ الأدباء من شعراء الرسول ﷺ كعب بن زهير أيضا ، لأنه نظم قصيدة لم يتم ذكر المديح النبوي بغيرها ، وهي قصيدة "البردة" والتي أولها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول

ولما أن هذه القصيدة من أهم المدائح النبوية، فألحقنا صاحبها إلى الشعراء الذين نحن بصددهم في هذا الفصل.

ثم أخذنا من كل عصر علما واحدا له شهرة عظيمة في مجال المديح النبوي وتحدثنا عن حياته وشعره في مبحث مستقل إلا أنا لم نتعرض في هذه المباحث الإمام البوصيري مع أنه رائد المدائح النبوية؛ لأننا خصصنا له فصلا كاملا في الباب الثالث ، فنتحدث عن حياته وشعره هناك إن شاء الله تعالى.

---

(١) المدائح النبوية ص ٢٧

المبحث الأول
حسان بن ثابت، حياته وشعره في المديح النبوي
دراسة تحليلية

ويحتوي هذا المبحث على مطلبين:

المطلب الأول
حياة حسان بن ثابت
المطلب الثاني
شعره في المديح النبوي

المطلب الأول
حياة حسان بن ثابت[١]

الف: اسمه ونسبه وكنيته:

هو أبو الوليد حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمر بن زيد بن عدي بن عمر بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي[٢]، من قبيلة الخزرج، التي هاجرت من اليمن إلى الحجاز، وأقامت في المدينة مع الأوس[٣]. يكنى : أبا الوليد ، وهي الأشهر ، وأبا المضرّب، وأبا الحسام، وأبا عبد الرحمن[٤].قيل: إن أباه ثابت بن المنذر بن حرام الخزرجي كان من سادة قومه وأشرافهم.[٥] وأما أمه فهي الفريعة بنت خالد بن حبيش بن لوزان بن عبدون، وهي أيضا خزرجية مثل أبيه[٦]. وحسان بن ثابت ليس خزرجيا فحسب، بل هو أيضا من بني النجار أخوال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فله به صلة وقرابة[٧].

---

(١) ينظر ترجمته في: أسد الغابة في معرفة الصحابة ١٨٩/١، والاستيعاب في معرفة الأصحاب ٨٧/٢ طبقات فحول الشعراء ص ١٧٩–١٨٣، والأغاني ١١/٣–١٨، والجرح والتعديل٢٢٣/٣، والشعر والشعراءص ١٧٠–١٧٣، والإصابة في تمييز الصحابة ٥٢/٢–٥٦، والأعلام١٨٨/٢، ومعجم المؤلفين١٩١/٣–١٩٢.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ٥٥/٢ والشعر والشعراءص ١٧٠

(٣) الشعر والشعراءص ١٧٠

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة ٥٥/٢

(٥) طبقات فحول الشعراء ص٥٧

(٦) الإصابة في تمييز الصحابة ٥٥/٢

(٧) تهذيب التهذيب ١٢٥/٤

ب : مولده ونشأته:

ولد حسان سنة ٦٠ قبل الهجرة على الأرجح [١]بيثرب[٢]، وذلك قبل مولد رسول الله ﷺ بنحو ثمان سنين[٣]، نشأ وشب في بيت وجاهة وشرف منصرفا إلى اللهو والغزل .ونشأ شاعرا يدافع عن قومه الخزرج، ويفاخر بأمجادهم [٤].

جـ : حياته قبل الإسلام:

كما هو معروف أن في الجاهلية كانت الحرب بين الأوس والخزرج على أشدها، وكانت تقوم بينهم مناوشات وخصومات وحتى أيضاً حروب، وليس تلك الحروب بكاملها بالسيف والرمح، ولكن كان هناك حرب من نوع آخر أيضاً، وهي حرب الكلام والبلاغة، فشعراء كلا القبيلتين يدافعون عن قبيلتهم ويهجون أعدائهم، وقد كان حسان بن ثابت شاعر الخزرج، ولسانهم، أما شاعر الأوس، فهو الشاعر قيس بن الخطيم، ومن هذه الحروب أصبحت شهرة حسان بن ثابت واسعة الانتشار [٥].

وقد اتصل حسان بن ثابت بالغساسنة ، يمدحهم بشعره ، ويتقاسم هو والنابغة الذبياني وعلقمة الفحل أعطيات بني غسان[٦]. وقد طابت له الحياة في ظل تلك النعمة الوارف ظلالها. ثم اتصل ببلاط الحيرة، وعليها النعمان بن المنذر وفي حين

---

(١) نكت الهميان١٣٣/٣

(٢) اسم قديم لمدينة النّبيّ عليه السلام، سمّيت بيثرب ابن قانية من بنى إرم بن سام بن نوح، لأنه أوّل من نزلها. وقال النّبيّ ﷺ: « تسمّونها يثرب، ألا وهى طيبة». كأنه كره أن تسمّى يثرب، لما كان من لفظ التثريب. انظر معجم ما استعجم٣٨٩/٤

(٣) الأغاني ١١/٣

(٤) الاسيعاب في معرفة الأصحاب ٣٤١/١

(٥) انظر تهذيب التهذيب ١٢٥/٤، ونكت الهميان ٣/ ١٣٥

(٦) انظر الشعر والشعراء ص ١٧١

كان هناك خلاف بينه وبين الذبياني، حلّ حسان محلّ النابغة، ونعم بالظل الوارف والنعمة السابغة منه، ولم يلبث أن عاد الذبياني إلى ظل النعمان، فتركه إثر ذلك حسان بن ثابت مكرهاً، وقد أفاد من احتكاكه بالملوك معرفة بالشعر المدحي وأساليبه، ومعرفة بالشعر الهجائي ومذاهبه(١). ولقد كان أداؤه الفني في شعره يتميز بالتضخيم والتعظيم ، واشتمل على ألفاظ جزلة قوية.

د: حياته بعد الإسلام:

لما ظهر الإسلام وهاجر النبي ﷺ إلى المدينة أسلمت الأوس والخزرج، وكان حسان ممن أسلم، كما أن أمه قد أسلمت أيضا. وذلك عند بلوغ حسان بن ثابت الستين من عمره(٢)، وراح من فوره يرد هجمات القرشيين اللسانية، ويدافع عن محمد والإسلام، ويهجو خصومهما. وذلك أن قريشا كانت تحرّض شعراءها على هجاء النبي ﷺ، وقد تكوّن هذا الفريق من عبد الله بن الزبعرى وأبي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وعمرو بن العاص وضرار بن الخطاب. فطلب المسلمون من علي ابن أبي طالب رضي الله عنه أن يهجو مشركي قريش الذين يهجون الرسول ﷺ فقال: إن أذن لي النبي الله عليه وسلم فعلت. فطلبوا من رسول الله ﷺ أن يأذن لعلي رضي الله عنه فقال: إن عليا ليس عنده ما يراد في ذلك منه. ثم قال عليه الصلاة والسلام: «ما يمنع القوم الذين نصروا الله ورسوله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم ؟!» فقال حسان بن ثابت: أنا لها، وقال عليه السلام: « والله ما يسرني به مِقْول بين بصرى وصنعاء !»(٣)

---

(١) انظر طبقات فحول الشعراء ١٨٠

(٢) انظر الأعلام ١٨٨/٢

(٣) الإصابة في تمييز الصابة٣٢٠/١

ويـروى أنّ النبـي ﷺ لمـا أخبـر أن أبـا سـفيان يهجـوه قـال: «اللهـم إنــه هجـاني وإنــي لا أقـول الشـعر فاهجـه عنـي». فقـام إليـه عبـد الله بـن رواحـة فقـال: نعـم. قـال: «وإيـاك فثبـت الله » ثـم قـام إليـه كعـب بـن مالـك فقـال: يـا رسـول الله إئـذن لـي فيـه. فقـال: « أنـت القائـل: هممـت». قـال: نعـم. قـال: «لسـت لـه». ثـم قـام حسـان بـن ثبـات فقـال: يـا رسـول الله ائـذن لـي فيـه. وأخـرج لسـانه فضـرب بـه أرنبـة أنفـه، وقـال: والله يـا رسـول الله إنـه ليخيـل لـي أنـي لـو وضـعته علـى حجـر لفلقـه، علـى شـعر لحلقـه. فقـال: «أنـت لـه». وقـد طلـب منــه النبـي ﷺ أن يـتعلم الأنسـاب مـن أبـي بكـر رضــي الله عنــه حتـى يكـون هجـاؤه لقـريش أوجـع. فقـال: « اذهـب إلــى أبـي بكـر يخبـرك بمثالـب القـوم ثـم اهجهـم وجبريل معك» [1]فقال حسان يرد على أبي سفيان:

ألا أبلـغ أبا سفيان عنّـي مـغلغلة فقد برح الخفاء
بـأنّ سيوفنا تركتك عبدا وعبد الدار سادتها الإماء
هجوت محمدا فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء

فقال النبي ﷺ: « جزاؤك على الله الجنة».

أتـهجـوه ولست لـه بكفـء فشرّكما لـخيركما الـفداء
هـجوت مباركا برّا حنيفا أمين الله شيمته الـوفاء
فمن يهجو رسول الله منكم ويـمدحه ويـنصره سواء
فـإنّ أبي ووالده وعرضـي لـعرض محمد منكم وقاء[2]

وفـي روايـة أن النبـي ﷺ قـال لــه: « كيـف تهجـوهم وأنـا مـنهم ؟ » فقـال : أسـلّك مـنهم كمـا تُسـل الشـعرة مـن العجـين : فقـال لــه: « قـل وروح القـدس معـك؛ والله لشـعرك

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة١/٣٢١

(٢) المصدر نفسه ، وديوان حسان بن ثابت ص ٧

عليهم أشد من وقع الحسام في غبش الظلام». فهجاهم فآلمهم وأبكمهم ووقعت كلماته منهم موقع السهام في غسق الظلام ، فاشتهر بذلك ذكره ، وارتفع قدره ، وعاش ما عاش موفور الكرامة مكفى الحاجة من بيت المال[١].

قال ابن جعدبة في حديثه: وأخرج حسان لسانه حتى ضرب به على صدره وقال: والله يا رسول الله، ما أحب أن لي به مقولا في العرب. فصب على قريش منه شآبيب شر، فقال رسول الله صلى الله عليه: « اهجهم، كأنك تنضحهم بالنبل » [٢].

لقد سجلت كتب الأدب والتاريخ الكثير من الأشعار التي ألقاها في هجاء الكفار ومعارضتهم، وكذلك في مدح المسلمين ورثاء شهدائهم وأمواتهم. وقد أثنى عليه الرسول ﷺ وقرّبه منه، وقسم له من الغنائم والعطايا، ووهبه جارية[٣]، إلا أن حسان بن ثابت لم يكن يهجو قريشا بالكفر وعبادة الأوثان، إنما كان يهجوهم بالأيام التي هزموا فيها ويعيرهم بالمثالب والأنساب. ولو هجاهم بالكفر والشرك ما بلغ منهم مبلغا. كان حسان بن ثابت لا يقوى قلبه على الحرب ، فاكتفى بالشعر ، ولم ينصر محمدا بسيفه ، ولم يشهد معركة مع رسول الله ﷺ ولا غزوة[٤].

مما لا شك فيه أن حسان بن ثابت كان يحظى بمنزلة رفيعة ، يجله الخلفاء الراشدون ويفرضون له في العطاء . في نفس الوقت ، فإننا لا نجد في خلافة أبي بكر رضي الله عنه موقفا خاصا من الشعر ، ويبدو أن انشغاله بالفتوحات وحركة

---

(١) انظر الأعلام للزكلي ١٧٧/٢

(٢) طبقات فحول الشعراء ص٥٧

(٣) وهي أخت مارية القبطية والدة إبراهيم بن الرسول ﷺ، وقد أهداها لهُ المقوقس ملك القبط واسمها سيرين بنت شمعون فتزوجها حسان وأنجبت منهُ ولدهُ عبد الرحمن بن حسان بن ثابت، وحسن إسلامها. الإصابة في تمييز الصحابة ٣٢١/١

(٤) انظر نكت الهميان ص ١٣٦، والأعلام ١٨٨/٢

الردة لم تدع له وقتا يفرغ فيه لتوجيه الشعراء أو الاستماع إليهم . في حين نجد أن عمر رضي الله عنه يحب الشعر ، خاصة ما لم يكن فيه تكرار للفظ والمعنى . وقد روي عن كل من الخليفتين الراشدين عددا من الأبيات لسنا في صدد إيرادها. أصيب بالعمى قبل وفاته، ولم يشهد مع النبي مشهدًا لعلة أصابته، ويعد في طبقة المخضرمين من الشعراء لأنه أدرك الجاهلية والإسلام.

هـ: وفاته:

لقد عاش حسان بن ثابت عمرا ناهز المائة والعشرين عامًا[١] حتى تُوفي في المدينة المنورة قبل الأربعين[٢]، وقيل سنة أربعين[٣]، ورجح بعض المؤرخين أنه تُوفي في زمن خلافة معاوية بن أبي سفيان مابين سنة خمسين، وسنة أربع وخمسين[٤]. وقال ابن سعد عاش في الجاهلية ستين وفي الإسلام ستين ومات وهو ابن عشرين ومائة[٥].

****

(١) انظر طبقات فحول الشعراء ص١٧٩، والأغاني ٣/١٤، والجرح والتعديل٣/٢٢٣، والشعر والشعراء ص ١٧١و الأعلام ٢/١٧٨

(٢) الشعر والشعراء ص ١٧٣، وسمط اللآلي ص ١٧٢

(٣) تهذيب ابن عساكر ٤ /١٤٠

(٤) معجم أعلام شعراء المديح النبوي ص ٧٨

(٥) طبقات ابن سعد

المطلب الثاني

شعر حسان بن ثابت في المديح النبوي

أجمع النقاد على أن المدينة كانت أشعر القرى في الجاهلية وكان هناك كثيرون من الشعراء الكبار وعلى رأسهم حسان بن ثابت الأنصاري وهو كثير الشعر جيده، وقد حمل عليه ما لم يحمل على أحد لما تعاضدت قريش واستتبت، وضعوا عليه أشعارا كثيرة لا تنقى[١].كان حسان بن ثابت شاعر أهل المدن في الجاهلية، شاعر النبي في النبوة وشاعر اليمانين في الإسلام. [٢]

وتجدر الإشارة ههنا إلى أن حسانا كان جبانا ولم يجاهد بسيفه، ولم يشهد غزوة أو يشترك في حرب[٣] ولكنه جاهد بشعره ، حيث دافع عن النبي عليه الصلاة والسلام أولا ثم التفت إلى مدح الرسول ﷺ ، فهو أول من بدأ فن الشعر في المديح النبوي في الأدب العربي[٤].

وله ديوان شعر، طبع في عدة أماكن، منذ أواسط القرن التاسع عشر الميلادي[٥]. وهذا الديوان يشمل معظم الأغراض الشعرية من هجاء ومدح وغزل وفخر ووصف مجالس اللهو والخمر وفي ديوانه قصائد عديدة في مدح الرسول ﷺ وفي رثائه. كما أن شعره كان تسجيلا حيا لحياة النبي ﷺ وغزواته، وكانت أشعاره خير تفسير وتوضيح لما غمض من سيرة النبي ﷺ. وقد مدح حسان الرسول ﷺ

---

(١) انظر طبقات فحول الشعراء ص ٥٨

(٢) المصدر نفسه

(٣) الأعلام ١٨٨/٢

(٤) الأغاني ١٦/٣

(٥) انظر معجم أعلام الشعراء المديح النبوي ص ٧٩

بمعـان كثيـرة منهـا الجـاهلي القـديم، ومنهـا الإسـلامي المسـتحدث. وقـد اتخـذ مدحـه للرسـول عليـه السـلام صـفة الفخـر بالمسـلمين جميعـا وخاصـة الأنصـار، والـرد علـى المشـركين ومهاجـاتهم. وكـان حسـان سـلاحا خطيـرا فـي أيـدي المسـلمين لا يقـل عـن أسـلحتهم الحربيـة الأخـرى، فهـو صـحيفتهم اليوميـة وهـو لسـان دعـايتهم. فعنـدما قـدم علـى النبـي ﷺ وفـد تمـيم يريـدون المفـاخرة، قـام خطيـبهم عطـارد ابـن حاجـب فـتكلم، ثـم قـام خطيـب الرسـول ﷺ ثابـت بـن قـيس فـرد عليـه. ثـم قـام شـاعرهم الزبرقـان بـن بـدر يفـاخر ببنـي قومـه مبينـا شـجاعتهم وإقـدامهم وفروسـيتهم، فـانبرى لـه حسـان وأنشـد قصـيدة نبويـة عينية[١] مطلعها :

إنّ الذوائب من فهر وإخوتهم ... قد بيّنوا سنّة للناس تتّبع
يرضى بها كلّ من كانت سريرته ... تقوى الإله وبالأمر الذي شرعوا[٢]

ومنها:

أعطوا نبيّ الهدى والبرّ طاعتهم ... فما ونى نصرهم عنه وما نزعوا
إن قال سيروا أجدّوا السير جهدهم ... أو قال عوجوا علينا ساعة ربعوا
أكرم بقوم رسول الله قائدهم ... إذا تفرّقت الأهواء والشّيع
فإنّهم أفضل الأحياء كلّهم ... إن جدّ بالناس جدّ القول أو سمعوا[٣]

فى العام السابع من الهجرة عقد صلح الحديبية بين رسول الله ﷺ بين قريش، لى أن يدخل المسلمون مكة للحج بعد عام ولكن قريشا نقضت العهد فجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا قويا لمحاربة المشركين، وفتح مكة. ولما كان الشعر فى العصور القديمة هو وسيلة

(١) السيرة النبوية لابن إسحاق ٤٣٢/١
(٢) ديوان حسان بن ثابت ص ١٥١
(٣) المصدر نفسه

الإعلام العامة، فقد نزل ميدان الحرب، واستخدمته الأطراف المتحاربة وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم به، فقال : «اهجهم يا حسان فإن شعرك أشد عليهم من وقع السيوف»، لذلك أنبرى حسان يهجو قريشا، ويشيد ببطولة المسلمين؛ مهاجرين وأنصار وبشجاعتهم، ويعلن تصميمهم على قتال المشركين وفتح مكة ما لم توافق قريش على دخول مكة، أدائهم العمرة، ويرد على أبى سفيان بن الحارث، الذي هجا النبي ﷺ. وظهرت من حسان قصيدة في هجاء الكفار وفي مدح النبي ﷺ تدعى بـ "الهمزية النبوية" أولها:

عفت ذاتُ الأصابع فالجواء   إلى عذراء منزلها خلاءُ
ديار مِن بني الحَسحاس قفر   تعفيها الروامس والسماءُ[1]

يقول في نفس القصيدة مخاطبا لأبي سفيان:

ألا أبلغ أبا سفيانَ عني   فأنتَ مجوفٌ نخبٌ هواءُ
وأن سيوفنا تركتك عبدا   وعبد الدار سادتها الإماء
كَأن سَبيئةً مِن بَيتِ رَأسٍ   تُعفيّها الرّوَامِسُ والسّمَاءُ
هجوتَ محمداً، فأجبتُ عنهُ   وعندَ اللهِ في ذاكَ الجزاءُ
أتَهجوه، وَلَستَ لَه بكُفءٍ   فَشرَكُما لِخَيرِكُمَا الفِداءُ
هجوتَ مباركاً، براً، حنيفاً   أمينَ اللهِ، شيمتهُ الوفاءُ
فَمن يَهجو رَسولَ اللَّهِ مِنكم   ويمدحهُ، وينصرهُ سواءُ
فَإن أبي ووالِده وعرضي   لعرضِ محمد منكم وقاءُ[2]

(١) المصدر نفسه ص ١٨

(٢) المصدر نفسه ص ٢٠

عنـد الله الجـزاء: أي الحسـاب إن خيـرا وإن شـرا. هجـوت محمداً، قـال اللخمـي: قـال ابـن دريـد: أخبرنـا السكن بـن سـعيد، عـن عبـاد بـن عبـاد، عـن أبيـه، قـال: لمـا انتهـى حسـان إلـى هـذا البيـت قـال لـه النبـي : « جـزاؤك علـى الله الجنـة يـا حسـان». ولمـا انتهـى إلـى قولـه:"أتهجـوه ولسـت لـه بكـفء.قـال مـن حضـر: هـذا أنصـف بيـت قالتـه العـرب. ولمـا انتهى إلى قوله: فإن أبي ووالده وعرضي .قال : « وقاك الله يا حسان حر النار». [1].

ومـن القصـيدة مـا يُعـد أحسـن وأتـم وأبهـى فـي المـديح النبـوي مـن البيتـين الـذين قالهما حسان بن ثابت رضي الله عنه معبرا عن حسن النبي ﷺ وجماله وهما:

وأحسن منك لم تر قط عيني   وأجمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرأ من كل عيب   كأنك قد خلقت كما تشاء[2]

روي أنّ الحبيـب المصـطفى ﷺ دخـل ذات مـرة علـى الصـحابة فـي مجلسـهم معـه ﷺ ، فقـام لـه الصـحابة تعظيمـا وإجـلالاً وهـذا كـان حـالهم معـه ﷺ إلـى أن جلـس صـلى الله عليـه وسـلم ، فـأذن لهـم بـالجلوس فجلسـوا أجمعـين ، إلا سـيدنا حسـان بـن ثابـت مـادح الرسـول ﷺ بقـي واقفـا، فسـأله عليـه الصـلاة والسـلام : « مامنعـك أن تقعـد ياحسـان مـع القاعدين ؟؟ فقال حسان »:

قيامي للعزيز علي فرض   ونقض الفرض ما هو مستقيم
عجبت لمن له عقل وفهم   يرى هذا الجمال فلا يقوم[3]

(١) السيرة النبوية لابن إسحاق ١/ ٤٣١
(٢) ديوان حسان بن ثابت ص ١٢
(٣) المصدر نفسه ص ١٤٥

لقد كان شعر حسان في الرسول ﷺ يمتاز بالصدق والإخلاص؛ فعندما سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن وصف رسول الله ﷺ قالت كان والله كما قال فيه شاعره حسان بن ثابت :

متى يبد في الدّاجي البهيم جبينه   يلح مثل مصباح الدّجى المتوقّد

فمن كان أومن قد يكون كأحمد   نظام لحّق أو نكال لملحد[١]

عن الجنيد بن محمد البغدادي الصوفي المشهور أنه قال: وأصدق بيت قالته العرب قول حسان ابن ثابت حيث يقول[٢] :

وما حملت من ناقة فوق رحلها   أعفّ وأوفى ذمّة من محمد

وبيت آخر لحسان أيضا:

وما فقد الماضون مثل محمد   ولا مثله حتى القيامة يفقد[٣]

وجاء في إحدى مدائحه :

أغرّ عليه للنّبوة خاتم   من الله مشهود يلوح ويشهد

وضمّ الإله اسم النبيّ إلى اسمه   إذا قال في الخمس المؤذن أشهد

نبيّ أتانا بعد يأس وفترة   من الرسل والأوثان في الأرض تعبد

فأمسى سراجا مستنيرا وهاديا   يلوح كما لاح الصّقيل المهنّد

وأنذرنا نارا وبشّر جنّة   وعلّمنا الإسلام فالله نحمد[٤]

---

(١) المصدر نفسه ص ٥٦

(٢) المصدر نفسه

(٣) المصدر نفسه ص ٥٧

(٤) المصدر نفسه ص ٥٦

وبعد وفاة النبي ﷺ رثاه حسان بعدة قصائد تعبر عن صدق مشاعره، وخالص محبته له عليه الصلاة والسلام. ومنها قصيدة تكلم فيها عن المنبر والمصلى والمسجد والوحي، وذكر فيها بكاء الأرض والسماء، وعرض فيها بعض أفعاله ﷺ، وعبّر فيها عن شوقه إلى لقاء الرسول ﷺ في الدار الآخرة، وبيّن ما نعم به المسلمون من هداية ورشاد ... وهي قصيدة طويلة اخترنا منها الأبيات التالية :

بطيبة رسم للرسول ومعهد ... منير وقد تعفو الرسوم وتهمد
ولا تنمحي الآيات من دار حرمة ... بها منبر الهادي الذي كان يصعد
عرفت بها رسم الرسول وعهده ... وقبرا به واراه في التّرب ملحد
ظللت بها أبكي الرسول فأسعدت ... عيون ومثلاها من الجفن تسعد
تذكّر آلاء الرسول- وما أرى ... لها محصيا- نفسي فنفسي تبلّد
مفجّعة قد شفّها فقد أحمد ... فظلّت لآلاء الرسول تعدّد
أطالت وقوفا تذرف العين جهدها ... على طلل القبر الذي فيه أحمد
فبوركت يا قبر الرسول وبوركت ... بلاد ثوى فيها الرشيد المسدّد
وبورك لحد منك ضمّن طيّبا ... عليه بناء من صفيح منضّد
تهيل عليه التّرب أيد وأعين ... عليه وقد غارت بذلك أسعد
لقد غيّبوا حلما وعلما ورحمة ... عشيّة علّوه الثرى لا يوسّد
وراحوا بحزن ليس فيهم نبيّهم ... وقد وهنت منهم ظهور وأعضد
يبكّون من تبكي السماوات يومه ... ومن قد بكته الأرض فالناس أكمد
يدلّ على الرحمن من يقتدي به ... وينقذ من هول الخزايا ويرشد
إمام لهم يهداهم الحقّ جاهدا ... معلّم صدق إن يطيعوه يسعدوا

عفوّ عن الـزّلّات يـقبل عـذرهم   وإن يـحسنـوا فـالله بـالـخـير أجود

عزيز عليه أن يحيدوا عن الهدى   حريص على أن يستقيموا ويـهتدوا

عطوف عليـهم لا يثنّى جناحه   إلى كنـف يـحنـو عـليهم ويمهد

فبينا هـم في ذلك النور إذ غدا   إلى نورهم سهم من الموت مقـصد

فـأصبح مـحمودا إلى الله راجعا   يبـكّيـه جفـن الـمـرسلات ويحـمد

فبـكّي رسـول الله يـا عين عبرة   ولا أعـرفنـك الـدهر دمـعك يـجمد

ومـا لك لا تبكين ذا النعمة التي   عـلـى الـناس مـنها سـابـغ يـتغمّد

ومـا فقد الـماضون مثل محمد   ولا مـثلـه حـتـى الـقـيـامـة يـفقد

أعـفّ وأوفـى ذمّــة بـعد ذمّــة   وأقــرب مـنــه نــائـلا لا يــنـكّـد

وأبــذل منـه لـلـطـريـق وتـالـد   إذا ضـنّ معطـاء بـمـا كان يتلد

وأكـرم حيّا في البيوت إذا انتمى   وأكــرم جــدّا أبــطـحـيــا يـسوّد

ربــاه ولــيـدا فــاستـتمّ تمامـه   عــلــى أكـرم الـخيـرات ربّ ممجّد

أقـول ولا يـلـفـى لـقولي عائب   من الـنـاس إلّا عازب العقل مبعد

وليس هـوائي نـازعـا عن ثنائه   لـعـلّي بــه فــي جـنّة الـخلد أخلد

مع المصطفى أرجو بذاك جواره   وفي نيل ذاك اليوم أسعى وأجهد(١)

وقـارئ شـعر حسـان لا يجـد خيـرا مـن هـذه القصـيدة فـي رثائـه، وفـي تعديـد صـفاته ﷺ، بـل وربمـا نعتبرهـا مـن أحسـن مـا نظـم فـي الإسـلام؛ وذلـك لتغلغـل الـروح الإسلامية فيها، مع احتفاظها بقوة السبك وجزالة التركيب .

---

(١) المصدر نفسه ص ٥٨

ولحسان قصيدة أخرى عبر فيها عما سيحل به بعد فقد الرسول صلى الله عليه وسلم وما سيحل بالأنصار. جاء فيها:

ما بال عينك لا تنام كأنّما كحلت ماقيها بكحل الأرمد
جزعا على المهديّ أصبح ثاويا يا خير من وطيء الحصى لا تبعد
يا ويح أنصار النبيّ ورهطه بعد المغيّب في الضّريح الملحد
جنبي يقيك التّرب لهفي ليتني غيّبت قبلك في بقيع الغرقد
نورا أضاء على البريّة كلّها من يهد للنور المبارك يهتدي
أأقيم بعدك بالمدينة بينهم يا لهف نفسي ليتني لم أولد
بأبي وأمي من شهدت وفاته في يوم الإثنين النبيّ المهتدي
فظللت بعد وفاته متبلّدا يا ليتني صبّحت سمّ الأسود
أو حلّ أمر الله فينا عاجلا في روحة من يومنا أو في غد
فتقوم ساعتنا فنلقى سيدا محضا مضاربه كريم المحتد
يا ربّ فاجمعنا معا ونبيّنا في جنّة تفقا عيون الحسّد
في جنة الفردوس فاكتبها لنا يا ذا الجلال وذا العلا والسّؤدد
والله أسمع ما حييت بهالك إلّا بكيت على النبيّ محمد[١]

****

(١) المصدر نفسه ٦٠

المبحث الثاني

عبد الله بن رواحة، حياته وشعره في المديح النبوي
دراسة تحليلية

ويحتوي هذا المبحث على مطلبين:

المطلب الأول
حياة عبد الله بن رواحة
المطلب الثاني
شعره في المديح النبوي

المطلب الأول
حياة عبد الله بن رواحة (١)

ألف: اسمه ونسبه وكنيته:

هو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس الأكبر بن مالك بن الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج الحارث بن الخزرج الأنصاري الخزرجي(٢). وعبد الله -كما يلاحظ- خزرجي من ناحية الأب ، ولكنه كان أيضا خزرجيا من جهة أمه ، فأمه كبشة بنت واقد بن عمرو بن الإطنابة بن عامر بن زيد مناة بن مالك الأغر(٣). وقد كانت لقبيلته السيادة في المدينة ، وكانت أعظم القبائل وأعزها، حتى لقد كانت العرب كما ذكر ابن هشام "إنما يسمون ذلك الحي من الأنصار بالخزرج: خزرجها وأوسها"(٤) وحتى لقد نزلو في وسط المدينة ، وحلوا في أعلى مكان منها. ويكنى بن رواحة بـ " أبي عمرو "(٥)، وقيل: بأبي محمد(٦). وقيل أبي رواحة(٧).

ب: مولده ونشأته:

(١) ينظر ترجمته في: أسد الغابة في معرفة الصحابة ٦٦٦/١، والاستيعاب في معرفة الأصحاب ٨٧/٤ تهذيب التهذيب ٢١٢/٥ ،و حلية الأولياء ١٨٨/١، طبقات ابن سعد ٨٩/٣، الكامل لابن الأثير٢/ ٨٦، البداية والنهاية ٢٥٧/٤وجمهرة أشعار العرب ص ١٢١، وطبقات فحول الشعراء ص ٥٩ والشعر والشعراءص ٢٠٠-٢٠٢، والإصابة في تمييز الصحابة٧٢/٤، والأعلام١٣٢/٤،.

(٢) طبقات ابن سعد ٥٢٦/٣، و مقدمة ديوان عبد الله بن رواحة ص ٢١

(٣) المصدر نفسه

(٤) السيرة لابن هشام ٨٤/٢

(٥) الأعلام١٣٢/٤، و جمهرة أشعار العرب ص ١٢١

(٦) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٨٧/٤ ، وتهذيب التهذيب ٢١٢/٥

(٧) الأعلام١٣٢/٤

ولد عبد الله بن رواحة في يثرب ولم نجد سنة ولادته وكيفية نشأته كما يقول الدكتور وليد قصاب في مقدمة ديوانه:

"لا يكاد يوجد بين أيدينا من الأخبار عن نشأة عبد الله الأولى وسيرته في الجاهلية إلا أقل القليل، وهي أشياء لا تسعف في رسم صورة واضحة لحياته ونشأته المبكرة . لا نعرف متى ولد؟ وكيف كانت طفولته أو صباه ؟ ما منازع التي كان ينزع إليها، والمشارب والأهواء التي كان يأخذ فيها؟ وعلى الرغم من وفرة الأخبار التي بين أيدينا عن الرجل في فترة إسلامه ، فإن المصادر قد شحت بذكر شيء ذي بال عن جاهليته"(١).

ومما نجد من حياته قبل الإسلام أنه كان شاعرا حجازيا يثربيا من بني الحارث بن الخزرج، وكانت أسرته من ذؤابة القوم وسادتهم وأشرافهم حتى كانت تحكم بين الناس في خصوماتهم وأيامهم، فانحدرت هذه السيادة لابن رواحة فكان رفيع القدر والمنزلة في قومه قال عنه ابن سلام: " وعبد الله بن رواحة عظيم القدر في قومه، سيد في الجاهلية"(٢) وقد ذكره في الطبقات في طبقة شعراء القرى العربية، ثم تحدث عن مكانته ورفعة شأنه، فقال: " ليس في طبقته التي ذكرنا أسود منه"(٣)

ويظهر لنا من أخبار عن حياته المبكرة أنه قد اعتنى بتربيته وتنشئته منذ الصغر، فالرواة يحدثوننا أن عبد الله كان يكتب في الجاهلية، ثم كان يكتب للنبي ﷺ والكتابة يومئذ قليلة في العرب، والناس في ذلك العهد أميّون(٤). ولا شك أن هذه

---

(١) مقدمة ديوان عبد الله بن رواحة ص ٢٠-٢١

(٢) طبقات فحول الشعراء ص ٢٢٣

(٣) المصدر نفسه

(٤) انظر تهذيب ابن عساكر ٧/ ٣٨٧

الدرجة الرفيعة من السيادة والمعرفة هي التي جعلت النبي الكريم ﷺ يختاره فيما بعد نفيا على قومه في بيعة العقبة الثانية كما سنرى فيما يأتي.

وبالإضافة إلى هذه السيادة كان عبد الله بن رواحة صاحب ثروة وجاه، وكان له عدد من الغلمان والعبيد والإماء والجواري(١)، فقد كان زيد بن أرقم يتيما في حجره، يعني به ويشرف على تربيته وكان يخرج معه في بعض أسفاره، ومن إمائه كانت أمة سوداء قد أخطأ في حقها ذات مرة فضربها ثم ندم على ذلك فأتى النبي ﷺ فقص عليه القصة، فقال رسول الله ﷺ معاتبا: « هي مؤمنة ». فعاد ابن رواحة إليها، أعتقها وتزوجها تكفيرا عن ذنبه(٢).

ومما يدل على ثروة عبد الله بن رواحة ما يخاطب به نفسه في يوم موتة وقد تردد بعض التردد، وأخذه شيئ من ورع فأنشأ يقول:

"يا نفس! إلى أي شيئ تتوقين؟ إلى فلانة امرأته؟ فهي طالق. وإلى فلان وفلان؟ غلمان له ، فهم أحرار. وإلى معجف؟ حائط له، فهو لله ورسوله(٣)."

جـ: حياته في الإسلام:

يلاحظ أن النبي ﷺ كان يخرج كل عام ويعرض نفسه على قبائل العرب ووفودهم القادمة في موسم الحج، وكان أمره قد ذاع في يثرب كما ذاع في غيرها، وفي أحد الأعوام التقى بجماعة من الأوس والخزرج الذين كانوا أعرف الناس بأمر رسول

---

(١) الكامل لابن الأثير ٢/ ٨٦

(٢) تهذيب ابن عساكر ٣٧٩/٧

(٣) أسد الغابة ١٥٨/٣

الله ﷺ لكثرة ما حدّثهم عنه اليهود ، فعرض عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن، فأثر كلامه في نفوسهم ، والنصفوا وقد استشعرت قلوبهم الإسلام[١].

وفي السنة الحادية عشر من البعثة لقي الرسول عند العقبة ستة نفر من الخزرج، فصدقوه وآمنوا به وعادوا يذيعون الإسلام في قومهم ، ويفشون أمر النبي ﷺ حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا فيها ذكر رسول الله ﷺ [٢].

وفي السنة الثانية عشرة لقي في العقبة اثني عشر يثربيا، منهم عشرة من الخزرج ، فبايعوه بيعة العقبة الأولى ، وأرسل معهم مصعب بن عمير يقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام ، وبعدها لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال مسلمون ونساء مسلمات[٣].

فلما كانت العقبة الثانية في الموسم القادم سنة ثلاث عشرة من البعثة قدم وفد مكون من ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين، أما المرأتان فخزرجيتان، وأما الرجال فإثنان وستون منهم خزرجيون ، وأحد عشر رجلا من الأوس، فبايعوا الرسول بوجود عمه العباس بن عبد المطلب على السمع والطاعة ، وأن يمنعوه مما يمنعون منه نسائهم وأبنائهم. وكان عبد الله بن رواحة في هذا الوفد ، فأسلم يومذاك[٤].

ثم إن النبي ﷺ أراد أن يختار لهم نقباء يكونون عليهم ، فالتفت إلى الناس قائلا: « أخرجوا إليّ منكم اثني عشر نقيبا، ليكونوا على قومهم بما فيهم ، فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبا ، تسعة من الخزرج، وثلاثة من الاوس » وكان ابن رواحة أحد

---

(١) انظر شرح الزرقاني على المواهب ١/ ٣٠٩

(٢) السيرة لابن هشام ٢/٧٠-٧٢

(٣) المصدر نفسه ص ٨٠ و المواهب اللدنية١/٥٣٧

(٤) شرح الزرقاني على المواهب ١/٣١٧

هـؤلاء النقبـاء الـذين اختـارهم القـوم[1]. وقـد ذكـر السـهيلي أن اختيـار هـؤلاء النقبـاء كـان بـوحي مـن رب العـالمين، وأن النبـي ﷺ قـال لـلأوس والخـزرج حـين قـدم علـيهم النقبـاء: « لا يغضـبن أحـدكم ، فـإني أفعـل مـا أومـر » ، وجبريـل- عليـه السـلام- إلـى جنبـه ، يشـير إلـيهم واحدا بعـد واحـد[2]، وروي فـي المعيطـي عـن مالـك بـن أنـس أنـه روى حـديث النقبـاء عـن شـيخ مـن الأنصـار قـال مالـك: وكنـت أعجـب كيـف جـاء هـذا؟ رجـلان مـن قبيلـة ، ورجـل مـن أخـرى حتـى حـدّثت بهـذا الحـديث ، وأن جبريـل هـو الـذي ولّاهـم، وأشار على النبي ﷺ بهم[3].

هـذه هـي مكانـة رفيعـة ، ومنزلـة سـامية ، خـصّ الله والنـاس بهمـا عبـد الله وصـحبه مـن النقبـاء وكانـت مهمـة النقبـاء كمـا حـددها لهـم رسـول الله ﷺ أن يكونـوا كفـلاء على قومهم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم[4].

وعـاد الوفـد إلـى المدينـة ومعهـم نقبـاؤهم، فكـان قـدومهم فـي ذي الحجـة ، وأقـام الرسـول فـي مكـة بقيـة ذي الحجـة، والمحـرم, وصـفرا، ثـم هـاجر إلـى المددينـة فـي شـهر ربيـع الأول ، فاسـقبله أهلهـا ذلـك الاسـتقبال التـاريخي المعـروف ، كـل قبيلـة تعـرض عليـه أن ينـزل عنـدها، ولكـن النبـي ﷺ أرخـى لناقتـه العنـان وقـال : « خلّـوا سـبيلها ، فإنهـا مـأمورة »، فكانـت كلمـا مـرّت أمـام منـزل دعـوه إلـيهم، حتـى إذا وازنـت دار بنـي الحـارث بـن الخـزرج، اعترضـه سـعد بـن الربيـع ، خارجـة بـن زيـد، وعبد الله بـن رواحـة ، فـي رجـال

---

(١) السيرة لابن هشام ٢/ ٨٦، و البداية والنهاية ٢٥٨/٤
(٢) الروض الأنف ٤/ ٢٨٨
(٣) السيرة لابن هشام ٨٠/٢، وشرح الزرقاني على المواهب ٥٢٠/١
(٤) انظر الروض الأنف ٢٨٨/٤

بني الحارث بن الخزرج فقالوا: يا رسول الله ، هلمّ إلينا، إلى العدد والعدة والمنعة ، فقال: « خلّوا سبيلهافإنها مأمورة »، وسارت الناقة حتى وقفت حيث قدّر الله[1].

ثم آخى النبي ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار، بعد أن آخى بين الأوس والخزرج وسماهم الأنصار، فاختار لابن رواحة المقداد بن الأسود، فصار الرجلان الجليلان أخوين في الله . ومنذ أن دخل عبد الله في الإسلام ، وتعمق الإيمان قلبه، أخذ دوره في الأحداث الإسلامية فارساً مقاتلًا مسلماً، ومجاهداً شجاعاً صابرا، لا يتأخر عن أداء واجبه ولا يتوانى أو يجبن في الخروج[2]. شهد بدرا وأحدا والخندق والحديبية وخيبر وعمرة القضاء والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ [3]إلا الفتح وما بعده ، لأنه كان استشهد في موتة سنة ثمان.

د:استشهاده:

استشهد عبد الله بن رواحة في جمادى الأول من العام الثامن للهجرة في معركة مؤتة عندما كان يقود المسلمين بعد ما قتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب، وذلك كما نقل أصحاب السير والمغازي من أنه: لما قتل جعفر بن أبي طالب أخذ عبدالله بن رواحة الراية ، ثم تقدم بها ، وهو على فرسه ، فجعل يستنزل نفسه ، ويتردد بعض التردد ، ثم قال :

أقسمت يا نفس لتنزلنه   لتنزلن أو لتكرهنه
إن أجلب الناس وشدوا الرنة   ما لي أراك تكرهين الجنة
قد طال ما قد كنت مطمئنة   هل أنت إلا نطفة في شنه

(١) انظر السيرة النبوية لابن إسحاق ٨٧/٢

(٢) انظر الأعلام ١٣٢/٤

(٣) انظر الإصابة ١/ ٣٠١، والسيرة لابن هشام ٢/ ٨٠-٩٠، والروض الأنف ١٠٣/٥، وتهذيب ابن عساكر ٣٨٧/٧، وأمتاع الأسماع١/ ٢١٣، وطبقات ابن سعد ١٣٥/٣

وقال أيضاً :

يا نفس إلا تقتلي تموتي   هذا حمام الموت قد صليت

وما تمنيت فقد أعطيت   إن تفعلي فعلهما هديت

يريد صاحبيه : زيداً وجعفراً ؛ ثم نزل فلما نزل أتاه ابن عم له بعرق من لحم فقال : شد بهذا صلبك ، فإنك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت ، فأخذه من يده ثم انتهس منه نهسة ، ثم سمع الحطمة في ناحية الناس ، فقال : وأنت في الدنيا ! ثم ألقاه من يده ، ثم أخذ سيفه فتقدم ، فقاتل حتى قتل[١].

****

(١) انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة ٦٦٦/١، والاستيعاب في معرفة الأصحاب ٨٧/٤ تهذيب التهذيب ٢١٢/٥ ، و حلية الأولياء ١٨٨/١، البداية والنهاية ٢٥٧/٤ والإصابة في تمييز الصحابة٧٢/٤، والأعلام١٣٢/٤.

المطلب الثاني

شعر عبد الله بن رواحة في المديح النبوي

لمـا هـاجر النبـي ﷺ إلـى المدينـة تغيـرت أوضـاعها الاجتماعيـة والسياسـية والنفسـية، حيـث انتهـت تلـك الحـروب الطاحنـة التـي كانـت بـين القبيلتـين الكبيـرتين: الأوس والخـزرج وخمـدت نيـران الأيـام التـي لـم تكـن تنتهـي، فقـد دخلـت القبيلتـان الآن فـي الإسـلام ، وزالـت مـن النفـوس الحـزازات القديمـة، وآخـى النبـي ﷺ بـين أعـداء الأمـس فصـاروا إخـوة متحـابين هـم الأنصـار لأنهـم نصـروه وآووه، ثـم استحدث رابطـة أخـرى بـين المهاجرين والأنصار حتى استظلت المدينة برأية الإسلام والسلام.

وكـذلك الوضـع الأدبـي فـي المدينـة أيضـا أخـذ فـي التغيـر، فزالـت العوامـل والمسببات التـي كانـت تـدفع الشـعراء دفعـاً إلـى قـول الشـع، فهـم لـم يتوجهـوا إلـى هجـاء أحـد ولا إلـى الافتخـار بنسـبهم، ولكـن إلـى جانـب ذلـك بـدأ االمشـركون ضـد الإسـلام والمسـلمين معركـة أدبيـة اشـترك فيهـا عـدد كبيـر مـن الشـعراء الكـافرون واليهوديـون، فأخـذوا ينشـدون القصـائد فـي هجـاء النبـي ﷺ وأصـحابه، ولـذلك لـم يكـن بـدّ أمـام الرسـول ﷺ مـن أن يحـارب أعـداءه بالسـلاح نفسـه ، وأن يكـون لـه شـعراء يـذودون عـن الـدين الإسـلامي فالتفـت النبـي ﷺ إلـى الأنصـار قـائلا: « مـا يمنـع القـوم الـذين نصـروا الله ورسـوله بسـلاحهم أن ينصـروه بألسـنتهم ؟!» فقـال حسـان بـن ثابـت: أنـا لهـا، وقـال عليـه السـلام: « والله مـا يسـرني بـه مِقْـول بـين بصـرى وصـنعاء! » [1] وكمـا روي أن النبـي ﷺ قـال: « أمـرت عبـد الله بـن رواحـة فقـال وأحسـن، وأمـرت كعـب بـن مالـك فقـال وأحسن، وأمرت حسان بن ثابت فشفى واشتفى ». [2]

---

(١) الإصابة في تمييز الصابة١/٣٢٠

(٢) الأغاني٤/١٤٣

هكذا كان عبد الله بن رواحة ممن أنعم الله عليهم بالجهاد بالسيف واللسان كليهما، فهو الذي جاهد الكفار والمشركين في معارك كثيرة كما سبق آنفا، وكما جاهد بسيفه جاهد بلسانه، فكان شعره سيفًا مصلتًا على رقاب المشركين، ولا يقل الجهاد باللسان أهميةً عن السيف في المعركة. وكان يحمل سيفه وشعره في كل الغزوات، فيقول، وهو يأخذ بخطام ناقة رسول الله ﷺ في عمرة القضاء:

خلُّوا بني الكفار عن سبيله خلوا فكل الخير مع رسوله
نحن ضربناكم على تأويله كما ضربناكم على تنزيله
ضربًا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله

وكان النبي يرتجز بكلمة عبد الله بن رواحة

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الأُلَى قد بغوا علينا وإن أرادوا فتنة أبينا

ويقول في مدح النبي ﷺ:

روحي الفداء لمن أخلاقه شهدت بأنه خير مولود من البشر
عمت فضائله كل العباد كما عم البرية ضوء الشمس والقمر
لو لم تكن فيه آيات مُبيّنة كانت بديهته نبيك بالخبر
إني تفرست فيك الخير أعرفه والله يعلم أن ما خانني البصر
أنت النبي فمن يحرم شفاعته يوم الحساب فقد أزرى به القدر
فثبت الله ما آتاك من حسن تثبيت موسى ونصراكالذي نصروا(١)

(١) ديوان عبد الله بن رواحة ص ٨٤

فلما انتهى إلى قوله:

"فثبت الله"

قال رسول الله ﷺ :

« وأنت فثبتك يا ابن رواحة» [١].

فقال عبد الله بن رواحة:

عصيتم رسول الله أف لدينكم وأمركم السيء الذي كان غاويا

فإني وإن عنفتموني لقائل فدى لرسول الله أهلي وماليا

أطعناه لم نعدله فينا بغيره شهابا لنا في ظلمة الليل هاديا[٢]

****

(١) انظر السيرة لابن هشام ٣٧٤/٢

(٢) االمصدر نفسه

المبحث الثالث

كعب بن مالك، حياته وشعره في المديح النبوي

دراسة تحليلية

يحتوي هذا المبحث على مطلبين:

المطلب الأول

حياة كعب بن مالك

المطلب الثاني

شعره في المديح النبوي

المطلب الأول
حياة كعب بن مالك(١)

ألف: اسمه ونسبه وكنيته:

هو كعب بن مالك بن أبي كعب عمر بن القين بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي[٢]، لُقِّب بالأنصاري نسبة إلى الأنصار ، وهم الذين نصروا رسول الله ﷺ وآووه والمهاجرين [٣]. أما لقبه السلمي، فنسبة إلى بني سلمة من الخزرج وهم بنو سلمة بن سعد ابن علي بن راشد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج[٤].

أما كنيته ، فأغلب المصادر تشير إلى أنه أبو عبد الله[٥]، وقيل: أبو عبد الرحمن[٦]، وانفرد ابن حجر بأنه أبو محمد[٧]، وهم جميعا أولاده ولكنهم ليسوا من زوجة واحدة ، وإنما كل منهم من زوجة ولذلك يجوز أنه كان يكنى بأكبر أولاده من كل زوجة. وقيل: كانت كنيته في الجاهلية أبا بشير،فكناه النبي ﷺ أبا عبدالله[٨]، وهوأكبر أولاده.

---

(١) ينظر ترجمته في: أسد الغابة في معرفة الصحابة ١٤٢/٢، والاستيعاب في معرفة الأصحاب ١٣٢/٣طبقات فحول الشعراء ص ١٧٩-١٨٣، والأغاني ١١/٣-١٨، الجرح والتعديل١٦١/٢، والشعر والشعراءص ١٨٠-١٨٣، والإصابة في تمييز الصحابة ٣٠٩/٥والأعلام١٨٥/٢، وتهذيب التهذيب ٤٤٠/٨.

(٢) انظر أسد الغابة ١٤٢/٢، والاستيعاب ١٣٢/٣

(٣) انظر وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ١٩/١

(٤) انظر نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ص ٢٧٢، و اللباب في تهذيب الأنساب ٥٤/١

(٥) انظر الجرح والتعديل ١٦١/٢، وأنساب الأشراف ٢٤٨/١، والإصابة٣٠٩/٥، والمزهر ٤٢٥/٢

(٦) الروض الأنف ٣٢٣/٢

(٧) تهذيب التهذيب ٤٤٠/٨

(٨) الإصابة ٣٠٩/٥

وأبوه مالك بن أبي كعب شاعر ، وله في حروب الأوس والخزرج التي كانت بينهما قبل الإسلام آثار[١]. أمه ليلى بنت زيد بن ثعلبة من بني سلمة أيضا[٢].

ب: مولده ونشأته:

ولد كعب بن مالك في المدينة عام ٢٥ قبل الهجرة، وبها نشأ وشب في بيت ذي شرف ومال وقد اشتهر بالشعر قبل الإسلام، وبلغت شهرته الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام قبل الهجرة، وإن كان الرواة لم يولوا هذه الأشعار عناية كبيرة، ربما لصغر سنه أو لأسباب أخرى. وقد أسلم كعب مبكرا ، فكان من أوائل الأنصار في المدينة فإنه بايع النبي ﷺ في العقبة، وصلى الجمعة في المدينة قبل هجرة رسول الله ﷺ إليها، قال عبد الرحمن بن كعب : كنت قائد أبي حين ذهب بصره، فكنت إذا خرجت به إلى الجمعة، فسمع الأذان بها صلى على أبي أمامة أسعد بن زرارة ، قال قلت يا أبت مالك إذا سمعت الأذان بالجمعة صليت على أبي أمامة؟ قال : فقال أي بني، كان أول من جمّع بنا بالمدينة في هزم من حرة بني بياضة، يقال له بقيع الخضمات، قلت له : كم كنتم يومئذ؟ قال أربعون رجلا[٣].

ولما كانت العقبة الثانية توجه كعب مع سبعين رجلا وامرأتين ممن كانوا طلائع الإسلام الأولى في المدينة إلى مكة، حيث وافوا رسول الله ﷺ في العقبة، وبايعوه على الإسلام والنصر[٤]، ولذلك قيل عنه عقبي، وأصحاب السير رووا قصة العقبة عن طريقه، فقد فصلها بأسلوب قصصي ممتع[٥].

---

(١) الأغاني ٢٢٦/١٦

(٢) الروض الأنف ٣٢٣/٢

(٣) معجم ما استعجم ٥٧١/٢

(٤) انظر طبقات ابن سعد ٢٠١/٥، والسيرة لابن هشام ٤٣٩/٢، والتاريخ الطبري ٣٦٠/٢

(٥) انظر دلائل النبوة للبيهقي ١٣٤/٢ والسيرة لابن هشام٤٣٩/١

فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بدأ فصل جديد من حياته، إذ إنه وقف بعدها شعره على الدفاع عن الإسلام والمسلمين والإشادة برسول الإسلام.

وعندما آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار كان كعب ممن شملته هذه المؤاخاة، ولكن اختلف الرواة فيمن كان آخاه من المهاجرين قال البعض إنه طلحة(١)، وقال الآخر إنه الزبير بن العوام(٢)، ويرجع سبب هذا الاختلاف إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان آخى بينه وبين طلحة لما آخى بين المهاجرين والأنصار، وكان الزبير أخا طلحة في إخوة المهاجرين فهو أخو أخيه(٣).

جـ: جهاده في سبيل الله:

يلاحظ أن كعب بن مالك رضي الله عنه جاهد بسيفه، وذب عن الإسلام ورسول الله ﷺ حتى شهد له النبي عليه الصلاة والسلام حيث قال له:" أنت تحسن صنعة الحرب."(٤)واشترك كعب مع رسل الله ﷺ في جميع المشاهد، إلا غزوتي بدر وتبوك، وقيل إنه شهد بدرا (٥)، ولكن ينفيه قول كعب نفسه : لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة إلا في غزوة تبوك ، غير أني كنت تخلفت في غزوة بدر(٦). ولكن تخلفه يوم بدر لم يكن عن قصد أو تهاون ، إذ تخلف معه قوم من أصحاب رسول الله ، لم يحسبوا أن المسلمين سيحاربون ، منهم أسيد بن حضير وسعد بن عبادة،

---

(١) السيرة لابن هشام١/٥٠٥، وعيون الأثر ١/٢٠١، وشذرات الذهب ١/٥٦

(٢) سير أعلام النبلاء ٢/٣٧٤، والفائق ١/٤٥٩، ولباب النقول، ص ١١٤

(٣) انظر التفسير الطبري ١٥/٥٥٥

(٤) زهر الآداب ١/٥

(٥) تهذيب التهذيب ٨/٤٤٠، وخزانة الأدب ١/٢٧٦

(٦) الصحيح للبخاري ٢/٢٧٨

ولمـا رجـع النبـي ﷺ إلـى المدينـة ، هنـاه أسـيد بنصـر الله لـه، إظهـاره إيـاه علـى عـدوه ، واعتـذر عـن تخلفـه وقـال: إنمـا ظننـت أنهـا العيـر ولـم أظـن أنـك تحـارب ، فصـدّقه رسـول الله ﷺ(١).

وقـال كعـب : تخلفـت فـي غـزوة بـدر ، ولـم يعاتـب أحـد تخلـف عنهـا، إنمـا خـرج رسول الله ﷺ يريد عير قريش ، حتى جمع الله بينهم وبين عدوّهم على غير ميعاد(٢).

ولقـد أبلـى كعـب وقومـه مـن بنـي سـلمة بـلاء حسـنا يـوم أحـد حتـى جـرح مـنهم أربعون رجلا، وجرح كعب يومئذ بضعة عشر جرحا(٣).

أمـا قصـة تخلفـه عـن تبـوك، وتوبـة الله عليـه وعلـى صـاحبيه(٤) الـذين تخلفـا معـه، فقد اشـتهرت فـي التـاريخ، لمـا نـزل فيهـا مـن قـرآن، وامـتحن فيهـا كعـب وصـاحباه امتحانـا عسيرا خرجوا منه بتوبة الله عليهم وعذرهم(٥).

---

(١) انظر أنساب الأشراف ٢٨٨/١

(٢) الصحيح للبخاري ٢٧٨/٢

(٣) كتاب التاريخ والمغازي ص ٢٦٠

(٤) وهما مرارة ابن الربيع وهلال بن أمية، تخلف مرارة ابن الربيع بسبب بستان له قد أينعت ثماره ، فحدثته نفسه : كيف تترك الشجر والظل والثمر، وتخرج في شدة الحر. وأما هلال بن أمية فقد اجتمع أهله في المدينة، وأحب أن يأنس بقربهم، فتردد في الذهاب إلى أن فاته الغزو.

(٥) والقصة كما رواه الإمام البخاري :

عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب بن مالك وكان قائد كعب من بنيه حين عمي قال سمعت كعب بن مالك يحدث حين تخلف عن قصة تبوك قال كعب لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك غير أني كنت تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب أحدا تخلف عنها إنما خرج رسول الله ﷺ يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام وما أحب أن لي بها مشهد بدر وإن كانت بدر أذكر في الناس منها كان من خبري أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر حين تخلفت عنه في تلك الغزاة والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة

ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا ورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسول الله ﷺ في حر شديد واستقبل سفرا بعيدا ومفازا وعدوا كثيرا فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم فأخبرهم بوجهه الذي يريد والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير ولا يجمعهم كتاب حافظ يريد الديوان قال كعب فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن سيخفى له ما لم ينزل فيه وحي الله وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال وتجهز رسول الله ﷺ والمسلمون معه فطفقت أغدو لكي أتجهز معهم فأرجع ولم أقض شيئا فأقول في نفسي أنا قادر عليه فلم يزل يتمادى بي حتى اشتد بالناس الجد فأصبح رسول الله ﷺ والمسلمون معه ولم أقض من جهازي شيئا فقلت أتجهز بعده بيوم أو يومين ثم ألحقهم فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز فرجعت ولم أقض شيئا ثم غدوت ثم رجعت ولم أقض شيئا فلم يزل بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو وهممت أن أرتحل فأدركهم وليتني فعلت فلم يقدر لي ذلك فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ فطفت فيهم أحزنني أني لا أرى إلا رجلا مغموصا عليه النفاق أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك ما فعل كعب فقال رجل من بني سلمة يا رسول الله حبسه برداه ونظره في عطفه فقال معاذ بن جبل بئس ما قلت والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيرا فسكت رسول الله ﷺ قال كعب بن مالك فلما بلغني أنه توجه قافلا حضرني همي وطفقت أتذكر الكذب وأقول بماذا أخرج من سخطه غدا واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي فلما قيل إن رسول الله ﷺ قد أظل قادما زاح عني الباطل وعرفت أني لن أخرج منه أبدا بشيء فيه كذب فأجمعت صدقه وأصبح رسول الله ﷺ قادما وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فيركع فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلا فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله فجئته فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب ثم قال تعال فجئت أمشي حتى جلست بين يديه فقال لي ما خلفك ألم تكن قد ابتعت ظهرك فقلت بلى إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر ولقد أعطيت جدلا ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك علي ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه إني لأرجو فيه عفو الله لا والله ما كان لي من عذر والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك فقال رسول الله ﷺ أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك فقمت وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي والله ما علمناك كنت أذنبت ذنبا قبل هذا ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه المتخلفون قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك فوالله ما زالوا يؤنبونني حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي ثم قلت لهم هل لقي هذا معي أحد قالوا نعم رجلان قالا مثل ما قلت فقيل لهما مثل ما قيل

لك فقلت من هما قالوا مرارة بن الربيع العمري وهلال بن أمية الواقفي فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرا فيهما أسوة فمضيت حين ذكروهما لي ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت في نفسي الأرض فما هي التي أعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فأقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام علي أم لا ثم أصلي قريبا منه فأسارقه النظر فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إلي وإذا التفت نحوه أعرض عني حتى إذا طال علي ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس إلي فسلمت عليه فوالله ما رد علي السلام فقلت يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلمني أحب الله ورسوله فسكت فعدت له فنشدته فسكت فعدت له فنشدته فقال الله ورسوله أعلم ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار قال فبينا أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطي من أنباط أهل الشأم ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدل على كعب بن مالك فطفق الناس يشيرون له حتى إذا جاءني دفع إلي كتابا من ملك غسان فإذا فيه أما بعد فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك فقلت لما قرأتها وهذا أيضا من البلاء فتيممت بها التنور فسجرته بها حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسول رسول الله ﷺ يأتيني فقال إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك فقلت أطلقها أم ماذا أفعل قال لا بل اعتزلها ولا تقربها وأرسل إلى صاحبي مثل ذلك فقلت لامرأتي الحقي بأهلك فتكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر قال كعب فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره أن أخدمه قال لا ولكن لا يقربك قالت إنه والله ما به حركة إلى شيء والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا فقال لي بعض أهلي لو استأذنت رسول الله ﷺ في امرأتك كما أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه فقلت والله لا أستأذن فيها رسول الله ﷺ وما يدريني ما يقول رسول الله ﷺ إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله ﷺ عن كلامنا فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة وأنا على ظهر بيت من بيوتنا فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الأرض بما رحبت سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سلع بأعلى صوته يا كعب بن مالك أبشر قال فخررت ساجدا وعرفت أن قد جاء فرج وآذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا وذهب قبل صاحبي مبشرون وركض إلي رجل فرسا وسعى ساع من أسلم فأوفى على

د: وفاتــه: اختلـف المؤرخـون فـي سـنة وفاتـه، فقـد روى الواقـدي أنـه مـات سـنة خمسـين[1] وهـو قـول أكثـر المـؤرخين المتقـدمين والمـؤخرين[2]. وعـن الهيـثم بـن عـدي أنـه تـوفي سـنة إحـدى وخمسـين[3]، وقـال بـذلك القاسـم بـن عـدي أيضـا[4]، وانفـرد البغـدادي بأنـه تـوفي

الجبل وكان الصوت أسرع من الفرس فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبي فكسوته إياهما ببشراه والله ما أملك غيرهما يومئذ واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتلقاني الناس فوجا فوجا يهنوني بالتوبة يقولون لتهنك توبة الله عليك قال كعب حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس حوله الناس فقام إلي طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهناني والله ما قام إلي رجل من المهاجرين غيره ولا أنساها لطلحة قال كعب فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه من السرور أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك قال قلت أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله قال لا بل من عند الله وكان رسول الله ﷺ إذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه فلما جلست بين يديه قلت يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسول الله قال رسول الله ﷺ أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك قلت فإني أمسك سهمي الذي بخيبر فقلت يا رسول الله إن الله إنما نجاني بالصدق وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقا ما بقيت فوالله ما أعلم أحدا من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ أحسن مما أبلاني ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كذبا وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت وأنزل الله على رسوله ﷺ لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار إلى قوله وكونوا مع الصادقين فوالله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي لرسول الله ﷺ أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا فإن الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد فقال تبارك وتعالى :"سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إلى قوله فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين" قال كعب وكنا تخلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله فيه فبذلك قال الله: ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾.

(١) سير أعلام النبلاء ٣٧٤/٢، و البداية والنهاية ٤٨/٨

(٢) شذرات الذهب ٥٦/١

(٣) سير أعلام النبلاء ٣٧٤/٢

(٤) البداية والنهاية ٤٨/٨

سنة ثلاث وخمسين[1]. وهناك قول رابع يخالف ما سبق ، وهو ما رواه الكلبي من أنه توفي قبل إحدى وأربعين[2]، ولكن رده ابن كثير بقوله:

"غلط الكلبي في قوله إنه شهد بدرا، وفي قوله إنه توفي قبل إحدى وأربعين، فإن الواقدي– وهو أعلم منه– قال توفي سنة خمسين." [3]

وهكذا اختلفوا في مكان وفاته أيضا، فقيل إنه توفي بالشام[4]، والجمهور على أنه توفي بالمدينة المنورة[5]، لأن ابنه عبد اللهروى أنه كان يقود أباه بعد أن فقد بصره حين كان يخرج لصلاة الجمعة في المدينة[6] . ومعلوم أنه فقد بصره في زمن معاوية ، وأنه كان قد خرج من المدينة زمن علي رضي الله عنه ، فلا بد أن يكون قد رجع إليها ثانية في عهد معاوية وقضى بقية أيامه فيها.

****

(١) خزانة الأدب ٢٧٦/١

(٢) البداية والنهاية ٨/ ٤٨

(٣) المصدر نفسه

(٤) البدر المنير في صحابة البشير والنذير ص١٥٢

(٥) در الصحابة في بيان مواضع وفيات الصحابة ص ١٣٢

(٦) معجم ما استعجم ٥٧١/٢

المطلب الثاني

شعر كعب بن مالك في المديح النبوي

لا شك أن كعب مالك الأنصاري هو أحد الشعراء الثلاثة الذين أجادوا في مناقضة شعراء قريش ، والذود عن حياض الإسلام، وقد وصفه ابن سلام بأنه "شاعر مجيد"(١). و له ديوان شعر فيه العديد من المدائح النبوية. منها قصيدة مطولة يرد فيها على هبيرة بن أبي وهب المخزومي، حيث تتجلى فيها روعة التصوير في طاعة المسلمين لرسول الله ﷺ والتفافهم حوله، والدفاع عنه وهم لا يفعلون ذلك إلا من أجل التقرب وكسب رضا الرب، يقول :

وفينا رسول الله نتبع أمره ... إذا قال فينا القول لا نتطلّع
تدلى عليه الروح من عند ربه ... ينزل من جوّ السماء ويرفع
نشاوره فيما نريد وقصرنا ... إذا ما اشتهى أنّا نطيع ونسمع
وقال رسول الله لمّا بدوا لنا ... ذروا عنكم هول المنيات واطمعوا
وكونوا كمن يشري الحياة تقرّبا ... إلى ملك يُحيا لديه ويُرجع
ولكن خذوا أسيافكم وتوكلوا ... على الله إن الأمر لله أجمع
فسرنا إليهم جهرة في رحالهم ... ضحيّا علينا البيض لا نتخشع(٢)

وقد يصف الشاعر النبيَ ﷺ بأنه مستنير كالكواكب ويخرج منه نور له فضل وشرف على جميع الكواكب، ومن يقبل دعوته إلى الحق يتخلص من الهلاك، وهو جري في الإقدام، نافذ القصد ، قوي الإرادة. يقول:

---

(١) طبقات فحول الشعراء ص ١٨٣

(٢) ديوان كعب بن مالك ص ١٧٤، والسيرة لابن هشام ١٦٢/٢

فينا الـرسول شهاب ثم يتبعه   نور مضيء له فضل على الشهب

الـحق منطـقة والعدل سيرتـه   فـمـن يـجبه إلـيه يـنـج مـن تـبب

نجد المقدم مـاضي الـهم معتزم   حين القلوب على رجف من الرعب

يمضي ويذمرنا عن غير معصية   كأنـه البدر لـم يـطبـع على الكذب

بدا لـنـا فـاتبـعـنـاه نـصـدّقــه   وكـذبـوه فكـنــا أسـعــد الـعـرب(١)

وعبـر كعـب عـن سـعادته الغـامرة بمجيـئ الإسـلام، حيـث يفتخـر بقومـه لأنهـم آمنـوا، ونصـروا الـدين الجديـد، وأعـزّوا رسـول الله ﷺ، وذلـك بأسـلوب جيّـد وبيـان رفيـع يـدلّ على قدرة شاعرية فائقة، يقول في بدر:

لأنـا عـبدنـا الله لـم نـرج غيره   رجاء الجنان إذ أتانا زعيمـها

نبـي لــه فـي قومـه إرث عـزة   وأعراق صدق هذبتها أرومـها

فساروا وسرنا فـالتقينـا كأنـنا   أسود لقاء لا يرجى كليمـها

ضربناهم حتى هوى في مكرنا لمنحر سوء من لؤي عظيمـها

فولـوا ودسنـاهـم ببيض صوارم   سواء علينا حلفها وصميمـها(٢)

وعنـد مـا أتـت موقعـة بـدر، وقـف كعـب متوعـدا أبـا سـفيان بـن حـرب بهزيمـة ستطل عليهم من كداء، عندها سيفر من اللقا، يقول:

فـمـا حـامـت فوارسكم ببدر   ولا صـبـروا بـه عند اللقاء

وردنــاه بـنــور الله يـجـلــو   دجى الظلماء عنا والغطـاء

رسول الله يـقـدمنـا بـأمـر   من أمر الله أحكم بالقضـاء

فما ظفرت فوارسكم ببدر   ومـا رجعـوا إليكـم بالسواء

بنصر الله روح القدس فيها   وميكال فيـا طيـب المـلاء(١)

---

(١) ديوان كعب بن مالك ص ٢٢٤، والسيرة لابن هشام٢/١٣٤

(٢) المصدر نفسه٢/٢٦١

ويتخذ كعب من موقعة الخندق مسلكا للرد على شعراء قريش ويهاجمهم ، فقد تصدى لابن الزبعرى في بائيته قائلا:

أبقى لنا حدث الزمان بقية   من خير نحلة ربنا الوهاب
بيضاء مشرقة الذرا ومعاطنا   حمّ الجذوع غزيرة الأحلاب[٢]

يمدح الشاعر النبي ﷺ ويشدّ بالنعمة الكبرى التي أسبغها عليهم الإسلام بعد ما أتى في موضوعات كثيرة من وصف المدينة المنورة ووصف الخيل وأبطال المسلمين، ثم يختم القصيدة بالبيت الذي أعجب به رسول الله ﷺ أيّما إعجاب، يقول:

ومواعظ من ربنا نهدي بها   بلسان أزهر طيّب الأثواب
عرضت علينا فاشتهينا ذكرها   من بعد ما عرضت على الأحزاب
حكما يراها المجرمون بزعمهم   حرجا ويفهمها ذوو الألباب
جاءت سخينة كي تغالب ربّها   فليعلمنّ مغالب الغلاب[٣]

ولشدة إعجاب النبي ﷺ بالبيت الأخير قال « لقد شكرك الله يا كعب على قولك هذا»[٤]. ويغلب على شعر كعب في مديحه للنبي ﷺ هالات دينية أخاذة تدل على قدر كبير من الالتزام الأخلاقي تجاه النبي ﷺ وحبه المتغلغل في صدر الشاعر ، ونأى كعب بنفسه عن الألفاظ الجافية والمعقّدة ، وقيل: لو أنّ كعبا لم يقل غير البيت الذي أعجب به النبي ﷺ لكفاه[٥].

****

(١) المصدر نفسه
(٢) ديوان كعب بن مالك ص ٢٧
(٣) المصدر نفسه ص ٢٨
(٤) طبقات فحول الشعراء ص ٢٢٢.
(٥) المصدر نفسه

المبحث الرابع

كعب بن زهير، حياته وشعره في المديح النبوي

دراسة تحليلية

يحتوي هذا المبحث على مطلبين

المطلب الأول

حياة كعب بن زهير

المطلب الثاني

شعره في المديح النبوي

المطلب الأول
حياة كعب بن زهير(١)

الف: اسمه ونسبه وكنيته:

هو كعب بن زهيربن أبي سلمى بن ربيعة بن رياح بن العوام بن قُرط بن الحارث بن مازن بن خلاوة بن ثعلبة بن ثور بن هرمة بن لاطم بن عثمان بن مزينة[٢]. أمه امرأة من بني عبد الله بن بن غطفان يقال لها كبشة بنت عمار بن عدي بن سحيم، وهي أم كل ولد زهير[٣]. يكنى بأبي عقبة[٤] وبأبي المضرّب أيضا[٥].

ب. ولادته ونشأته:

لم تصرح الأعلام والمعاجم تاريخ ولادة كعب بن زهير، أما نشأته فنشأ في أحضان والده الشاعر زهير بن أبي سلمى ووسط أسرة تقرض جميعها الشعر، سببا في أن ينظم الشعر وهو صغير، كما أثرت هذه النشأة في أخيه "بجير" الذي أخذ الشعر أيضا عن أبيه.

---

(١) ينظر ترجمته في: السيرة لابن هشام ٣٣٤/٢، والأغاني ١٧/ ٨٢-٩١ الشعر والشعراء ٢٣٤/٢ ومعجم الشعراء ص ٣٤٢-٣٤٣، وجمهرة أشعار العرب ص ٦٥٤، وجمهرة أنساب العرب ص١٩٣، والموشح ٤٦-٨١، وسمط اللآلي ص٤٢١، والإصابة ٥٩٢/٣-٥٩٥، وخزانة الأدب ١١/٤-١٢، ومعجم المؤلفين ١٤٤/٨، ودائرة المعارف الإسلامية٨٣٠/١، وديوان كعب بن زهير ص٤-١٤.

(٢) خزانة الأدب ١١/٤

(٣) جمهرة أشعار العرب ص ٦٥٤

(٤) المصدر نفسه

(٥) مقدمة ديوان كعب بن زهير ص ٤

قال حماد الرواية: "تحرك كعب وهو يتكلم بالشعر فكان زهير ينهاه مخافة أن يكون لم يستحكم شعره، فيروى له ما لا خير فيه، فكان يضربه في ذلك. فكلما ضربه تزيد فيه، فطال عليه ذلك فأخذه فحبسه فقال: والذي أحلف به، لا تتكلم ببيت شعر إلا ضربتك ضربا ينكّلك عن ذلك. فمكث محبوساً عدة أيام. ثم أخبر أنه يتكلم به. فدعاه فضربه ضربا شديداً ثم أطلقه وسرّحه في بهمه وهو غليم صغير. فانطلق فرعى، ثم راح عشية وهو يرتجز:

كأنما أحدو ببهمي عيرا   من القرى موقرة شعيرا

فخرج إليه زهير وهو غضبان. فدعا بناقته فكفلها بكسائه، ثم قعد عليها حتى انتهى إلى ابنه كعب. فأخذ بيده فأردفه خلفه. فقال زهير حين برز إلى الحي:

إني لتعديني على الهمّ جَسرةٌ   تَخُبُّ بوصَّالٍ صرُومٍ وتُعنِقُ

ثم ضرب كعباً وقال له: أجز يا لُكَعُ. فقال كعب:

كبُنيانَةِ القَرِئِيّ موضِعُ رَحلها   وآثارُ نِسعيها من الدَفِّ أبلَقُ

فأخذ زهير بيد ابنه كعب ثم قال له: قد أذنت لك في الشعر يا بني."(١)

جـ : قصة إسلامه:

قال ابن إسحاق(٢):

"ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من منصرفه عن الطائف كتب بجير بن زهير بن أبي سلمى إلى أخيه كعب بن زهير يخبره أن رسول الله صلى الله عليه

---

(١) أشعار العرب ، لحماد الراوية ص ١٨٩

(٢) ينظر قصة إسلام كعب في: الروض الأنف ٧/ ٢٥٥ – ٢٥٨، و البداية والنهاية ٤/ ٣٧٢، و المستدرك ٣/ ٦٧٠، ودلائل النبوة ٥/ ٢٠٧، والمستدرك ٣/ ٦٧٣، ولسان الميزان ٥/ ٢٥٢، والمستدرك ٣/ ٦٧٣، ٦٧٤، وتحفة الأحوذي ٢/ ٢٧٦، ونتائج الأفكار ١/ ٢٢١، والبداية والنهاية ٤/ ٣٧٣، ومعجم الأدباء ٢/ ٣٥٦.

وسلم قتل رجلًا بمكة، ممن كان يهجوه ويؤذيه، وأن من بقي من شعراء قريش، ابن الزبعرى وهبيرة بن أبي وهب قد هربوا من كل وجه، فإن كانت لك في نفسك حاجة فَطِرْ إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فإنه لا يقتل أحدًا جاءه تائبًا، وإن أنت لم تفعل فانج إلى نجاتك من الأرض، وكان كعب بن زهير قد قال:

ألا أبلغا عني بجيرًا رسالة ... فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا؟
فبيّن لنا إن كنت لست بفاعل ... على أي شيء غير ذلك دلكا؟
على خُلق لم تُلفِ أُمًا ولا أبًا ... عليه ولم تدرك عليه أخًا لكا
فأنت أنت لم تفعل فلست بآسف ... ولا قائل إما عثرت: لعًا لكا[1]

قال: وبعث بها إلى بجير فلما أتت بجيرا كره أن يكتمها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنشده إياها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « سقاك المأمون صدق وإنه لكذوب أنا المأمون ». ولما سمع على خلق لم تلف أما ولا أبا عليه فقال: أجل قال: لم يلف عليه أباه ولا أمه ثم قال بجير لكعب:

من مبلغ كعبا فهل لك في التي ... تلوم عليها باطلا وهي أحزم
إلى الله لا العزى ولا اللات وحده ... فتنجوا إذا كان النجاء وتسلم
لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت ... من الناس إلا طاهر القلب مسلم
فدين زهير وهو لا شيء دينه ... ودين أبي سلمى علي محرم[2]

فلما بلغ كعبا الكتاب ضاقت به الأرض وأشفق على نفسه وأرجف به من كان في حاضره من عدوه فقال: هو مقتول فلما لم يجد من شيء بدا قال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر خوفه وإرجاف الوشاة به من عدوه ثم

---

(١) ديوان كعب بن زهير ص ١٢٣

(٢) المصدر نفسه ص ١٢٤

خرج حتى قدم المدينة فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة من جهينة كما ذكر لي فغدا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى الصبح فصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أشار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: هذا رسول الله فقم إليه فاستأمنه فذكر لي أنه قام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جلس إليه فوضع يده في يده وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرفه فقال: يا رسول الله ! إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمنك تائبا مسلما فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نعم»، قال: أنا يا رسول الله كعب بن زهير. قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أنه وثب عليه رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله دعني وعدو الله أضرب عنقه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « دعه عنك فقد جاء تائبا نازعا عما كان عليه ». قال: فغضب كعب على هذا الحي من الأنصار لما صنع به صاحبهم وذلك أنه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين إلا بخير، فقال قصيدته اللامية التي يصف فيها محبوبته وناقته التي أولها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول
وما سعاد غداة البين إذ ظعنوا إلا أغن غضيض الطرف مكحول[1]

د: وفاته

اختلفت أقوال مؤرخي الأدب العربي في تعيين سنة وفاة كعب بن زهير، فذكر بعضهم أنه توفي سنة ٢٤هـ أي سنة ٦٤٤م[2]، وذكر بعضهم الآخر سنة وفاته ٢٦هـ

(١) المصدر نفسه ص ٦١
(٢) تاريخ آداب اللغة العربية، لدرجي زيدان ٨٦/١

أي سـنة ٦٤٥م[١]، وحـدد بعضـهم سـنة ٤٢ هـ أي سـنة ٦٦٢ م[٢] وهـم يسـتندون إلـى حادثـة "البـردة" ورغبـة معاويـة فـي شـرائها حيـث إن خلافتـه امتـدت مـن ٦٦٠-٦٨٠هـ، غيـر أن أكثـر الـذين يـذكرون قصـة البـردة لا يصـرحون بـأن معاويـة كلـب شـرائها مـن كعب نفسه، بل يقولون : إنه اشتراها من ورثته وأولاده[٣].

****

(١) الأعلام للزركلي ٢٢٦/٥

(٢) تاريخ الآداب العربية ص ١١١

(٣) طبقات الشعراء ص٣٤، والعقد الفريد ٩١/٢

المطلب الثاني

شعر كعب بن زهير في المديح النبوي

يلاحظ أن كعب بن زهير هو الصحابي الجليل، وأحد فحول الشعراء المخضرمين المجودين، وأبوه زهير بن أبي سلمى، الشاعر الجاهلي المعروف كما سبق، ويتفق الرواة على أنّ الشعر لم يتصل في ولد أحد من فحول شعراء الجاهلية اتصاله في ولد زهير بن أبي سلمى؛ فكعب وأبوه زهير وجده أبو سلمى، وعمتاه الخنساء وسلمى، وخال أبيه "بشامة بن الغدير"، وابنا عمته "تماضر" الخنساء، وأخوها صخر، وابنا ابنته سلمى العوثبان، وقريض، وأخوه بجير، وولده عقبة المضرب، وحفيده العوام بن عقبة، هؤلاء كلهم شعراء.

تعتبر قصيدة كعب بن زهير في مدح الرسول ﷺ والمشهورة بمطلعها "بانت سعاد" من طلائع الشعر الإسلامي، ومن طلائع ما وعته الذاكرة الأدبية في مدح الرسول ﷺ وقد سبق منا سبب قرض القصيدة في المطلب الأول من نفس المبحث.

وإذا درسنا قصيدة كعب هذه دراسة تحليلية وجدناها منقسمة إلى أجزاء عديدة على النحو التالي:

- مقدمة غزلية.
- في وصف الناقة.
- اعتذار للرسول ﷺ.
- مدح للرسول ﷺ .
- مدح الصحابة رضي الله عنهم.

يبدأ كعب قصيدته بالغزل، كما كان دأب الشعراء في نظم القصائد فيقول:

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي اليَوْمَ مَتْبُولُ   مُتَيَّمٌ إثرَهَا لَم يُفدَ مَكْبُولُ

وَمَـا سُـعَـادُ غَـدَاةَ البَيْنِ إِذْ رَحَلُوا   إِلاَّ أَغَنُّ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ

تَجْلُو عَوَارِضَ ذِي ظَلْمٍ إِذَا ابْتَسَمَتْ   كَأَنَّـهُ منـهَلٌ بِـالـرَّاحِ مَـعلُـولُ

شُجَّتْ بِذِي شَبَمٍ مِنْ مَاءِ مَحْنِيَةٍ   صَافٍ بِأَبْطَحَ أَضْحَى وَهْوَ مَشْمُولُ(١)

وبعـد مـا وصـف سـعاد والمـاء العـذب الـذي وصـلت إليـه محبوبـة الشـاعر ينتقـل من الغزل إلى وصف النَّاقة في بيت يربط بين الغرضين:

أَمْسَـتْ سُعَادُ بِأَرْضٍ لاَ يُبَلِّغُهـَا   إِلاَّ الـعِتَاقُ النَّجِيبَاتُ الْـمَرَاسِيلُ(٢)

ونجـد فـي وصـف الناقـة أبيـات كثيـرة، فينتقـل مـن وصـف الناقـة إلـى الاعتـذار للرسول ﷺ بقوله:

تَسْعَى الوُشَاةُ جَنابَيْـهَا وَقَوْلُـهُمُ   إِنَّكَ يَـا بْنَ أَبِـي سُلْمَى لَمَقْتُولُ(٣)

ثـم يبـدأ مقطـع الاعتـذار للرسـول الكـريم ﷺ وكعـب يقـدم بـين يـدي اعتـذاره للرسـول ﷺ بمعتقـده فـي أن قـدر الله واقـع لا محالـة، وهكـذا يبـرهن فـي مطلـع حديثـه عـن رسول الله ﷺ واعتذاره له عن صحة معتقده، ويقينه بالموت يقول:

وَقَـالَ كُلُّ خَـلِيلٍ كُـنتُ آمُـلُـهُ   لاَ أُلْفِيَنَّكَ إِنِّـي عَنْكَ مَشْغُولُ

فَقُلْتُ خَلُّوا سَبِيلِي لاَ أَبَا لَـكُمُ   فَكُلُّ مَا قَدَّرَ الـرَّحْمنُ مَفْعُولُ

كُلُّ ابْنِ أُنْثَى وَإِنْ طَالَتْ سَلاَمَتُهُ   يَوْمًا عَلَى آلَةٍ حَدْبَاءَ مَحْمُولُ(٤)

ثـم يلـج إلـى موضـوع القصـيدة الـرئيس، الاعتـذار للرسـول الكـريم ﷺ ومدحـه ومـدح صـحابته. ويبـدأ كعـب أبيـات الاعتـذار بـالإقرار برسـالة رسـول الله ﷺ وأملـه فـي العفو عنده، على ما بلغه من أن الرسول ﷺ توعده بالقتل.

---

(١) ديوان كعب بن زهير ص ٦١

(٢) المصدر نفسه

(٣) المصدر نفسه ص ٦٢

(٤) المصدر نفسه

أُنبِئـتُ أنَّ رَسُـولَ اللهِ أَوعَدَنِـي   وَالعَفْوُ عَنْدَ رَسُولِ اللهِ مَأْمُولُ
وَقَدْ أَتَيـتُ رَسُولَ اللهِ مُعتَذِرًا   وَالعُذْرُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ مَقْبُولُ
مَهْلاً هَدَاكَ الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةَ الـ   قُرْآنِ فِيهَا مَوَاعِيظٌ وَتَفْصِيلُ
لاَ تَأخُذَنِّي بِأَقوَالِ الوُشَاةِ وَلَمْ   أُذْنِبْ وَلَوْ كَثُرَتْ فِيَّ الأَقَاوِيلُ[١]

ثم بيّن أنه قد أتاه من وعيد رسول الله ﷺ ما يظلّ يرعد منه، إلاَّ أن يعفو عنه النبي ﷺ بإذن الله عز وجل يقول:

لَذَاكَ أَهْيَبُ عِندِي إذْ أُكَلِّمُهُ   وَقِيلَ إنَّكَ مَسْبُورٌ وَمَسْؤُولُ
لَظَلَّ يُرْعَدُ إلاَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ   مِنَ الرَّسُولِ بِإِذْنِ اللهِ تَنْوِيلُ
حَتَّى وَضَعْتُ يَمِينِي لاَ أُنَازِعُهُ   فِي كَفِّ ذِي نَقِمَاتٍ قِيلُهُ القِيلُ
لَقَدْ أَقُومُ مَقَامًا لَوْ يَقُومُ بِهِ   أَرَى وَأَسْمَعُ مَا لَمْ يَسْمَعِ الفِيلُ[٢]

لقد وضع يده في يد رسول الله ﷺ وضع طاعة، لا منازعة، وغمره من هيبة النبيّ الكريم ما جعله يستدعي وصْفَ الأسد الذي ذكره النابغة في شطْرٍ من بيت؛ ليُفصّله كعبٌ في عدَّة أبيات:

مِنْ خَادِرٍ مِنْ لُيُوثِ الأُسْدِ مَسْكَنُهُ   مِنْ بَطْنِ عَثَّرَ[٣] غِيلٌ دُونَهُ غِيلُ[٤]
يَغْدُو فَيُلْحِمُ ضِرْغَامَيْنِ عَيْشُهُمَا   لَحْمٌ مَنَ القَوْمِ مَعْفُورٌ خَرَادِيلُ
إِذَا يُسَاوِرُ قِرْنًا لاَ يَحِلُّ لَهُ   أَنْ يَتْرُكَ القِرْنَ إلاَّ وَهْوَ مَفْلُولُ
مِنْهُ تَظَلُّ سِبَاعُ الْجَوِّ ضَامِزَةً   وَلاَ تَمَشَّى بِوَادِيهِ الأَرَاجِيلُ[٥]

---

(١) المصدر نفسه
(٢) المصدر نفسه ص ٦٣
(٣) و"عثَّر" وادٍ تسكنه الأسود، مشهورٌ عند العرب.
(٤) ديوان كعب بن زهير ص ٦٣
(٥) المصدر نفسه ص ٦٤

وبعد رسم هذه الصورة الشعرية الجميلة لشجاعة الرسول ﷺ ، وقوته بأنه أقوى وأشجع من "خادر"، وفي رواية أخرى للقصيدة (ضيغم)، وهو الأسد، ويسترسل في وصف الأسد وشدته، وأنه لا يرضى بالهزيمة.

إِذَا يُسَاوِرُ قِرْنًا لاَ يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَتْرُكَ القِرْنَ إِلاَّ وَهْوَ مَفْلُولُ[(١)]

وأنَّه – الأسد – تخافه وتهابه حمر الوحش، ولا تسير بواديه إلا صامتة من هيبته وخشيته، والرجال ممتنعة من المشي بواديه.

بعد كل ذلك يدخل كعب إلى البيت المضيء في القصيدة، في ختام مدحه للرسول ﷺ .

إِنَّ الرَّسُولَ لَنور يُسْتَضَاءُ بِهِ مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ مَسْلُولُ[(٢)]

وهذا البيت هو خير ختام للاعتذار والمديح، ليختم القصيدة كلّها بعد ذلك بكلمات جميلة، يصف بها أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين يقول:

فِي فِتْيَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا: زُولُوا
شُمُّ العَرَانِينِ أَبْطَالٌ لُبُوسُهُمُ مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ فِي الْهَيْجَا سَرَابِيلُ
بِيضٌ سَوَابِغُ قَدْ شُكَّتْ لَهَا حَلَقٌ كَأَنَّهَا حَلَقُ القَفْعَاءِ مَجْدُولُ
يَمْشُونَ مَشْيَ الْجِمَالِ الزُّهْرِ يَعْصِمُهُمْ ضَرْبٌ إِذَا عَرَّدَ السُّودُ التَّنَابِيلُ[(٣)]

ثم يصف إقدامهم وشجاعتهم:

لاَ يَفْرَحُونَ إِذَا نَالَتْ رِمَاحُهُمُ قَوْمًا وَلَيْسُوا مَجَازِيعًا إِذَا نِيلُوا
لاَ يَقَعُ الطَّعْنُ إِلاَّ فِي نُحُورِهِمُ وَمَا لَهُمْ عَنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلُ[(١)]

---

(١) المصدر نفسه

(٢) المصدر نفسه ص ٦٥

(٣) المصدر نفسه

ويقال: إنه عرّض بالأنصار في قوله: "إذا عرَّد السُّود التنابيل"، وذلك أنّ رجلا من الأنصار كان قد طلب من النبيّ ﷺ عندما دخل عليه كعب وعرف أنه هو كعب، أن يأمره بقتله، فقال كعب في بيته ما قال، ثم لما سمعت الأنصار هذه القصيدة شقّ عليهم، حيث لم يذكرهم مع إخوانهم من المهاجرين، وكلّموا النبيّ صلى الله عليه وسلم وقالوا: ألا ذكرتنا مع إخواننا من قريش! فقال كعب يذكر الأنصار في قصيدة تقارب الثلاثين بيتًا، وهي موجودة بكاملها في ديوان كعب الذي شرَحه أبو سعيد السكري.

يقول كعب:

مَنْ سَرَّهُ كَرَمُ الْحَيَاةِ فَلاَ يَزَلْ   فِي مِقْنَبٍ مِنْ صَالِحِي الأَنْصَارِ
تَزِنُ الْجِبَالَ رَزَانَةً أَحْلاَمُهُمْ   وَأَكُفُّهُمْ خَلَفٌ مِنَ الأَمْطَارِ
الْمُكْرِهِينَ السَّمْهَرِيَّ بِأَذْرُعٍ   كَصَوَاقِلِ الْهِنْدِيّ غَيْرِ قِصَارِ
وَالنَّاظِرِينَ بِأَعْيُنٍ مُحْمَرَّةٍ   كَالْجَمْرِ غَيْرِ كَلِيلَةِ الأَبْصَارِ
وَالذَّائِدِينَ النَّاسَ عَنْ أَدْيَانِهِمْ   بِالْمَشْرَفِيّ وَبِالْقَنَا الْخَطَّارِ
وَالبَاذِلِينَ نُفُوسَهُمْ لِنَبِيِّهِمْ   يَوْمَ الْهِيَاجِ وَقُبَّةِ الْجَبَّارِ(٢)

هذا، وقد اشتهرت هذه القصيدة "بانت سعاد" باسم "البردة"؛ لما يُروى أنّ رسول الله ﷺ كسا كعبًا بردته التي ظلّت عند كعب حتّى اشتراها منه أبو سفيان بن حرب بعد ذلك بعشرين ألفًا.

وقد حسن إسلام كعب رضي الله عنه وأخذ يصدر بعد لقائه بالنبيّ صلى الله عليه وسلم عن دينه، ويرسل فيها أطرافًا من المواعظ كما يقول في قصيدة أخرى:

---

(١) المصدر نفسه ص ٦٦

(٢) المصدر نفسه ص ١٢٠

لَوْ كُنْتُ أَعْجَبُ مِنْ شَيءٍ لأَعْجَبَنِي   سَعْيُ الفَتَى وَهْوَ مُخْبُوءٌ لَهُ القَدَرُ
يَسْعَى الفَتَى لِأُمُورٍ لَيْسَ مُدْرِكَهَا   وَالنَّفْسُ وَاحِدَة وَالْهَمُّ مُنْتَشِرُ
وَالْمَرءُ مَا عَاشَ مَمْدُودٌ لَهُ أَمَلٌ   لاَ تَنْتَهِي العَيْنُ حَتَّى يَنْتَهِي الأَثَرُ(١)

وهكذا عد من المواعظ قوله:

أَعْلَمُ أَنِّي مَتَى مَا يَأْتِنِي قَدَرِي   فَلَيْسَ يَحْبِسُهُ شُحٌّ وَلاَ شَفَقُ
بَيْنَا الفَتَى مُعْجَبٌ بِالعَيْشِ مُغْتَبِطٌ   إِذِ الفَتَى لِلمَنَايَا مُسْلَمٌ غَلِقُ
وَالْمَرْءُ وَالْمَالُ يَنْمِي ثُمَّ يُذْهِبُهُ   مَرُّ الدُّهُور وَيُفْنِيهِ فَيَنْسَحِقُ
فَلاَ تَخَافِي عَلَيْنَا الفَقْرَ وَانْتَظِرِي   فَضْلَ الَّذِي بِالغِنَى مِنْ عِنْدِهِ نَثِقُ
إِنْ يَفْنَ مَا عِنْدَنَا فَاللهُ يَرْزُقُنَا   وَمِنْ سِوَانَا وَلَسْنَا نَحْنُ نَرْتَزِقُ(٢)

وكذلك قوله:

فَأَقْسَمتُ بِالرَّحمَنِ لاَ شَيْءَ غَيْرُهُ   يَمِينَ امرِئٍ بَرٍّ وَلاَ أَتَحَلَّلُ
لأَسْتَشْعِرَنْ أَعلَى دَرِيسَيَّ مُسْلِمًا   لِوَجْهِ الَّذِي يُحْيِي الأَنَامَ وَيَقْتُلُ
هُوَ الْحَافِظُ الوَسْنَانَ بِاللَّيْلِ مَيِّتًا   عَلَى أَنَّهُ حَيٌّ مِنَ النَّوْمِ مُثْقَلُ
مِنَ الأَسْوَدِ السَّارِي وَإِنْ كَانَ ثَائِرًا   عَلَى حَدِّ نَابَيْهِ السَّمَامُ المُثَمَّلُ(٣)

وواضح أنَّ هذه الأبيات وغيرها في ديوان كعب تنم عن ولائه لدينه، وأنه أسلم وجهه لربه؛ إذ نراه في شعره الجاهلي مفاخرا متوعّدًا مهددًا، حتى إذا أسلم أخذت نفسه تصفو، وأخذ يستشعر معاني الإسلام الروحية وقيمه المثلى.

****

(١) المصدر نفسه ص ١١٤
(٢) المصدر نفسه ص ١٤٥
(٣) المصدر نفسه ص ١٥٦

المبحث الخامس

كميت بن زيد الأسدي، حياته وشعره في المديح النبوي
دراسة تحليلية

يحتوي هذا المبحث على مطلبين

المطلب الأول

حياة كميت بن زيد

المطلب الثاني

شعره في المديح النبوي

المطلب الأول

حياة كميت بن زيد الأسدي(١)

ألف: اسمه ونسبه وكنيته:

هو الكميت بن زيد بن خنيس بن مجالد بن ذؤيبة بن قيس بن عمرو بن سبيع بن مالك بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان(٢).

كان يكنى الكميت بـ "أبي المستهل" (٣)وهو ابنه الأكبر، كما كانت زوجته حبّى بنت عبد الواحد تدعى هي الأخرى بـ "أمّ المستهل"(٤).

ب: ولادته ونشأته و حياته:

ولد الكميت في أيام مقتل الإمام الحسين رضي الله عنه سنة ٦٠ هـ(٥). أما نشأته وأحوال طفولته فالمصادر لم تذكرها كما يقول المحقق في مقدمة ديوانه:

" ولا نعلم الكثير عن طفولة الكميت فهو كان طفلا عند تولي عبد الملك الخلافة، لكن الظاهر أنه لم يكن من أسرة أسدية عريقة معروفة، ولعل هذا هو السبب في عدم فخره بأسرته، لذلك اعتمدت شخصيته وفخره على نفسه، فقج كان

---

(١) ينظر ترجمته في: الشعر والشعراء ٤٨٥/٢، ومعجم الشعراء ص ٢٤٧–٢٤٨، وجمهرة أشعار العرب ص ٧٨٣، وجمهرة أنساب العرب ص١٩٣، والأغاني ١٧/ ١١، والمؤتلف والمختلف ص ٢٥٧، والكامل في التاريخ٣٢٠/٥، وخزانة الأدب ١٥٣/١، وشرح أبيات المغني ٣٣/١، ديوان الكميت بن زيد الأسدي مقدمة المحقق ص٧–١٢.

(٢) انظر جمهرة أنساب العرب ص١٩٣، وجمهرة أشعار العرب ص ٧٨٣، ومقدمة الديوان ص ٧.

(٣) الأغاني ١١/١٧، ومعجم الشعراء ص ٢٤٧، ومقدمة الديوان ص ٨.

(٤) انظر الشعر والشعراء ٢/ ٤٨٥، والأغاني ٣٦/١٧

(٥) المصدر نفسه

ذكيا ، شديد الاعتزاز بنفسه ، رغم كونه أصم ، إضافة إلى أنه لم يكن حسن الصوت، ولا جيد الإنشاد ، فكان إذا استنشد أمر ابنه المستهل فأنشد ، وكان المستهل فصيحا حسن الإنشاد"[1].

قيل: إنه كان ذكياً حاضر الجواب منذ صغره كاتباً حسن الخط خطيب بني أسد، فقيهاً متضلعاً بالفقه، فارساً، شجاعاً، سخياً، حافظاً للقرآن[2]، وكان يعلم الصبيان في مسجد الكوفة يصفه الأصفهاني في الأغاني بقوله:

"كان الكميت شيعيّا عصبيا عدنانيا من شعراء مضر ، متعصبا لأهل الكوفة ، هذا الشيئ جرّ عليه نقمة الأمويين ، لذلك نراه يقضي شطرا من حياته هاربا متنقلا من مكان لآخر خشية بطش الأمويين، وبقي كذلك حتى توسط له مسلمة بن هشام عند والده الخليفة ، فعفا عنه الخليفة.

وله في خلفاء بني أمية أبياتا في المدح والفخر والرثاءن وغيرهما ، كما يجد له أبياتا في مدح وهجاء عمال بني أمية".[3]

جـ: خصائصه:

قد عدّ النقاد والمؤرخون للكميت عشر خصال لم تكن في شاعر: كان خطيب أسد، وفقيه الشيعة، وحافظ القرآن، وثبت الجنان، كما كان كاتباً حسن الخط، وكان نسابة، وكان جدلاً، وكان أول من ناظر في التشيع، وكان رامياً لم يكن في أسد أرمى منه بنبل، وكان فارساً، وكان شجاعاً، وكان سخياً، ديناً[4].

---

(١) مقدمة ديوان الكميت ص ٨

(٢) انظر المؤتلف والمختلف ص ٢٥٧

(٣) الأغاني ١٨/١٧

(٤) انظر تاريخ مدينة دمشق ٥٠/ ٢٣٢، و خزانة الأدب ١/ ١٥٣ – ١٥٤.

د: مقتله ومدفنه:

مـات الكميـت فـي خلافـة مـروان بـن محمد سـنة ١٢٦هـ.[١] يصـف أبـو الفـرج الأصفهاني خبرمقتله بقوله:

" فلما قدم يوسف بن عمر دخل عليه الكميت ، وقد مدحه بعد قتله زيد بن علي، فأنشده قوله : خرجت لهم تمشي البراح ولم تكن .... قال : والجند قيام على رأس يوسف بن عمر ، وهم يمانية ، فتعصبوا لخالد ، فوضعوا ذباب سيوفهم في بطن الكميت فجؤه بها وقالوا : أتنشد الأمير، ولم تستأمره ! فلم يزل ينزفه الدم حتى مات"[٢].

أما مدفنه فقال الأصفهاني:

"أوصى الكميت لابنه قائلاً: يا بنيّ، إنّه بلغني في الروايات أنه يحفر بظهر الكوفة خندق يخرج فيه الموتى من قبورهم وينبشون منها، فيحوّلون إلى قبور غير قبورهم، فلا تدفنّي في الظهر، ولكن إذا متّ فامض بي إلى موضع يقال له مكران، فادفنّي فيه. فدفن في ذلك الموضع، وكان أول من دفن فيه هي مقبرة بني أسد إلى الساعة[٣]".

****

(١) انظر المؤتلف والمختلف ص ٢٥٧، والكامل في التاريخ٥/٣٢٠.

(٢) الأغاني ١٧ / ٢٠

(٣) المصدر نفسه ص ٣٠

المطلب الثاني

شعر الكميت بن زيد في المديح النبوي

لقد شغل الكميت كغيره من شعراء عصره بالبادية ، وما فيها من حيوان ووحش، فوصف الناقة والفرس والعير والأتان وبقرة الوحش والذئب ، والقدح والسيف والرمح وغير ذلك، كما فخر بقبيلته أسد وما تنحدر إليه مضر وعزّها ومنعتها واتعلائها على القبائل العربية وصنائعها الكريمة.

ولقد تغزل الكميت ، وأكثر من الغزل ، ولا سيما في مطالع هاشمياته على عادة الشعراء البداة في الجاهلية والإسلام ولكنه غزل فني مصنوع لا يصدر عن عاطفة مشبوبة أو هوى جامح، وإنما أغلبه بالعادة والتقاليد الفنية التي كان الشعراء يبتغونها في تقديم الغزل أول القصائد بين أيدي الأغراض الأخرى.

وأما ما نحن بصدده فهو كما أسلفنا أن أهم ما يطالعنا في المديح النبوي في أثناء العصر الأموي، هو هاشميات الكميت ابن زيد الأسدي التي انتصر فيها لحقّ الهاشميين في الخلافة، ومدحهم فيها، فهو يمدحهم وينتسبهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم كما مدحهم في إحدى قصائده، فلما وصل إلى انتسابهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

أسرة الصّادق الحديث أبي القا　　سم فرع القدامس القدّام

خير حيّ وميّت من بني آ　　دم طرّا ماموهم والإمام

أنقذ الله شلونا من شفيّ النّ　　ناربه نعمة من المنعام طيّب

الأصل طيّب العود في الـ　　بنية والفرع يثربيّ تهامي[(١)]

---

(١) قصائد الهاشميات ص ١٨٦

لا شك أن الكميت لم ينظم قصيدته هذه، ولا قصائده الآخرى من أجل مدح النبي ﷺ خاصة، وإنما كان مديحه للرسول الأمين مما استدعاه مدحه لآله، لكنه لا يمدح آل البيت لذواتهم فقط، وإنما يعلّل مدحه لهم بقرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم، لذلك فصّل في هذا المدح كما نرى، فأشاد بذات النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ، وفضّله على جميع البشر، وأشار إلى أثره في أمته، وفضله على الإنسانية، فجمع في مديحه بين المعاني الدينية والمعاني الاجتماعية التقليدية.

ففي قصيدة ثانية جادل في حق الهاشميين في الخلافة وحقهم في إرث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وقال بعد ذلك:

بك اجتمعت أنسابنا بعد فرقة ... فنحن بنو الإسلام ندعى وننسب
حياتك كانت مجدنا وسناءنا ... وموتك جذع للعرانين موعب
فبوركت مؤلودا وبوركت ناشئا ... وبوركت عند الشّيب إذ أنت أشيب(١)

وإذا كان الكميت في قصيدتيه السابقتين قد أفاض في مدح بني هاشم، ومن خلال ذلك، مدح الرسول الكريم ﷺ ، فهناك له قصيدة ثالثة أفاض فيها في مدح النبي ﷺ، وكانت في معظمها مديحا له، فاقتربت بذلك من صورة المدحة النبوية التي تشكلت بعد ذلك عند مداح النبي ﷺ، فقال فيها:

إلى السّراج المنير أحمد لا ... يعدلني رغبة ولا رهب
عنه إلى غيره ولو رفع الن ... ناس إليّ العيون وارتقبوا
إليك يا خير من تضمّنت الـ ... أرض وإن عاب قولي العيب
لجّ بتفضيلك اللّسان ولو ... أكثر فيك الضّجاج واللّجب
أنت المصطفى المهذّب المحض في الن ... نسبة إن نصّت قومك النّسب
والسّابق الصّادق الموفّق وال ... خاتم للأنبياء إذ ذهبوا

---

(١) المصدر نفسه ص ٥٠

والحاشر الآخر المصدّق للـ أوّل فيما تناسخ الكتب
يا صاحب الحوض يوم لا شرب للـ وارد إلّا ما كان يضطرب
نفسي فدت أعظاما تضمّنها قبرك فيه العفاف والحسب(١)

لقد أعطى الكميت مديح النبي الأمين الكثير من حقه في قصيدته هذه، فأشاد بنسبه الطاهر منذ آدم، وحديثه عن هذا النسب أضحى أصلا لحديث شعراء المديح النبوي بعده، وكذلك الأمر في إدراج صفاته وأسمائه صلّى الله عليه وسلّم. ولم يقف في قصيدته هذه عند سرد صفات النبي الفريدة وأخلاقه، بل تطرق إلى شيء من السيرة، وناقش النصارى في نظرتهم إلى نبيهم، وتحدث عن يوم القيامة، وشفاعة رسول الله ﷺ ، وكل هذه المعاني التقليدية والدينية أضحت من لوازم المدحة النبوية ومفرداتها عند جميع شعراء المديح النبوي في العصور اللاحقة يقول مخاطبا لضريح النبي ﷺ :

وبورك قبر أنت فيه وبوركت به وله أهل بذلك، يثرب
لقد غيبّوا برّا وحزما ونائلا عشيّة واراه الصّفيح المنصّب(٢)

وبالتالي لقد أعطى الكميت للمديح النبوي دفعة كبيرة في عصر توقّف أو كاد هذا اللون من الشعر، واستطاع أيضا أن يتسع في معاني المديح النبويي.

يقول الدكتور محمود سالم محمد:

"ففي هذا العصر لم نجد قصائد خاصة في المديح النبوي، وكان المديح النبوي– في الغالب– مديحا غير مباشر، يأتي في أثناء قصائد التشيع، أو قصائد الفخر أو عند المقارنة، ولولا وجود الكميت، لما بقي من ذكر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في شعر العصر إلا ظلال قليلة، تكاد تكون انقطاعا لما كان عليه المديح النبوي في عصر البعثة النبوية."

****

(١) المصدر نفسه ٥١

(٢) المصدر نفسه

المبحث السادس

ابن جابر الأندلسي، حياته وشعره في المديح النبوي

دراسة تحليلية

يحتوي هذا المبحث على مطلبين

المطلب الأول

حياة ابن جابر الأندلسي

المطلب الثاني

شعره في المديح النبوي

المطلب الأول
حياة ابن جابر الأندلسي (١)

ألف: اسمه ومولده:

هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن جابر الأندلسي الهواري المالكي الأعمى[٢].

ب : مولده ونشأته:

ولد ابن جابر في مدينة المرّية، من أعمال الأندلس سنة ٦٩٨ هـ[٣]. ونشأ فيها يطلب العلم ، فتتلمذ على عدد من علماء عصره ووطنه[٤]، حفظ القرآن الكريم وألمّ بعلوم الدين والأدب. وكان ابن جابر كفيف البصر ورأى أن يستتم ثقافته بالرحلة إلى الديار المصرية والشامية، فغادر مدينته في مطلع شبابه إلى مصر[٥] مع رفيق عمره أبي جعفر الغرناطي، وكان ابن جابر ينظم وأبو جعفر يكتب[٦]، وعرفا بالأعمى

---

(١) انظر ترجمته في: نكت الهميان ص ٢٤٤، الإحاطة ٣٣٠/٢، وشذرات الذهب ٢٦٨/٦، والدرر الكامنة ٣٣٩/٣، والنجوم الزاهرة ١٩٢/١١، وبغية الوعاة ٣٤/١، ومفتاح السعادة ١٥٦/١، و كشف الظنون١٥٢/١، وهدية العارفين٢/ ١٧٠، ومعجم المؤلفين ٨/ ٢٩٤، والأعلام ٣٢٨/٥، و تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف ٣٧٦/٨.

(٢) نكت الهميان ص ٢٤٤، وشذرات الذهب ٢٦٨/٦ والإحاطة ٢٣٠/٣، ، والنجوم الزاهرة ١٩٢/١١ والدرر الكامنة ٣٣٩/٣.

(٣) بغية الوعاة ٣٤/١ ونكت الهميان ص٢٤٤، والإحاطة ٣٣٠/٢، وشذرات الذهب ٢٦٨/٦، والدرر الكامنة ٣٣٩/٣، والنجوم الزاهرة١٩٢/١١ والأعلام٣٢٨/٥.

(٤) تاريخ الأدب العربي ٣٧٦/٨

(٥) انظر النجوم الزاهرة ١٩٢/١١ و مقدمة الحلة السيرا في مدح خير الورى ص ١١

(٦) انظر تاريخ الأدب العربي ٨/ ٣٧٦

والبصير[١]. ثم غادراها إلى دمشق عام ٧٤١هـ[٢] وسمعا من شيوخها، ثم توجها إلى حلب سنة ٧٤٣هـ[٣] وأقاما هناك وقرأ عليهما خلق كثير[٤] وحجا منها مرارا، ونسب إليهما مسجد "طغرل" في محلة باب قنسرين الذي بني في زمن ملك حلب الملك العزيز حفيد صلاح الدين وعرف بمسجد النحَّاة [٥]. ويقول الدكتور شوقي ضيف عن رحلته إلى حلب:

"واتجه مع صاحبه إلى حلب سنة ٧٤٣هـ، وتغلغلا شماليها حتى ماردين، إذ يذكر ابن بطوطة في رحلته عن سلطان ماردين "ابن الملك الصالح" أنه كان بحرا فياضا في الكرم، يقصده الشعراء والفقراء من الصوفية فيجزل عطاياهم، ويقول إنه قصده أبو عبد الله محمد بن جابر الأندلسي الهواري الكفيف مادحا، فأعطاه عشرين ألف درهم.[٦]"

ولقد افترقا قبل موتهما ، لأن ابن جابر تزوج بمدينة "إلبيرة" شرق عنتاب، وسكن فيها، وكان له فيها بيت معروف على الفرات[٧] . وبعد ذلك تُوفي أبو جعفر في حلب سنة ٧٧٩هـ[٨] فرثاه صديقه ابن جابر بقصيدة طويلة ، مطلعها:

لقد عز مفقود وجلّ مصاب   فللخدّ من حمر الدموع خضاب[٩]

---

(١) انظرهدية العارفين ١٧٢/٢

(٢) مقدمة الحلة السيرا في مدح خير الورى ص ١١

(٣) المصدر نفسه

(٤) المصدر نفسه

(٥) انظر الأعلام ٣٢٨/٥

(٦) تاريخ الأدب العربي ٣٧٦/٨

(٧) انظرهدية العارفين ١٧٢/٢

(٨) انظر الأعلام ٣٢٨/٥

(٩) مقدمة الحلة السيرا في مدح خير الورى ص ١١

جـ: وفاته:

لقد عاش ابن جابر الأندلسي طويلا إلى أن انتقل إلى دار الخلود في إلبيرة سنة ٧٨٠هـ.[١]

د: أقوال العلماء فيه:

قال ابن الجزري صاحب "غاية النهاية في طبقات القراء":

"كان شاعرا كثير النظم، عالما بالعربية وفنونها، والقرآن، والحديث والفقه، أخذ عنه غير واحد من العلماء، وهو شيخنا"[٢].

قال لسان الدين ابن الخطيب:

"رجل كفيف البصر، مُدلّ على الشعر، عظيم الكفاية والمنة على زمانته"[٣]

قال الشيخ جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى:

"وكان عالما بارعا في فنون كثيرة ، وله نظم ونثر، وله مصنفات كثيرة ، ومن شعره :

وقفت للوداع زينب لما   رحل الركب والمدامع تسكب

فالتقت بالبنان دمعي وحلو   سكب دمعي على أصابع زينب[٤]

---

(١) انظر : نكت الهميان ص ٢٤٤، الإحاطة ٣٣٠/٢، وشذرات الذهب ٢٦٨/٦، والدرر الكامنة ٣٣٩/٣، والنجوم الزاهرة ١٩٢/١١، وبغية الوعاة ٣٤/١، ومفتاح السعادة ١٥٦/١، و كشف الظنون١٥٢/١، وهدية العارفين١٧٠/٢، ومعجم المؤلفين ٢٩٤/٨، والأعلام ٣٢٨/٥، و تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف ٣٧٦/٨.

(٢) غاية النهاية ٦٠/٢

(٣) الإحاطة ٣٣٠/٢

(٤) النجوم الزاهرة ١٩٢/١١

هـ: آثاره:

كان ابن جابر إماما عالما فاضلا بارعا ، له النظم والنثر البديعان ، اخترع أول بديعته في الأدب العربي، سماها "الحلّة السيرا في مدح الخير الورى" والتي عرفت ببديعية العميان، له ديوان كامل سماه "الغين في مدح سيد الكونين". وله كتب كثيرة جليلة في اللغة والنحو والبلاغة والعروض، منها شرح ألفية ابن مالك ، وشؤح ألفية ابن معيط ، ورسالة في السيرة ومولد النبي صلى الله عليه وسلم ، والمنحة في اختصار الملحة . ثم له قصائد وأراجيز عدة في العروض والنحو واللغة وغيرها، منها وسيلة الآبق في أسماء الصحابة والتابعين ، وغاية المرام في تثليث الكلام، وحليةالفصيح في نظم الفصيح، ومنظومة في المقصور والممدود، وأخرى في الظا والضاد.

****

المطلب الثاني

شعر ابن جابر في المديح النبوي

إذا أردنا أن نلاحظ المديح النبوي عند ابن جابر الأندلسي وجدناه عنده كثيرا جداً، وكأنه قد تفرغ له تفرغاً كاملاً، إذ نجد له منه ديواناً كاملاً سماه "الغين في مدح سيد الكونين" كما مر بنا من قبل، وله بديعية اشتهرت بين البديعيات، وهي قصائد في المديح النبوي، عارض بها أصحابها، وأودع كل بيت فيها لونا وأحيانا لونين من ألوان البديع، وشرحها رفيقه في رحلته أبو جعفر الغرناطي، وفي النفح طائفة كبيرة من نبوياته ، منها مقصورة في نحو ثلاثمائة بيت.منها ما يلي:

إن رسول الله مصباح هدى   يُهدى به من في دُجى الليل مشى
إن تحسب الرسل سماء قد بدت   فإنه في أفقها نجم هدى
وإن يكونوا أنجما في فلك   فإنه من بينهم بدر بدا
أحسن أخلاقا من الروض إذا   ما اختال في برد الصبا أو ارتدى
تفديه نفسي من شفيع للورى   وقلّت النفس له منّي فدا[١]

اتسم المديح النبوي عند ابن جابر بالحب العظيم لرسول الله ﷺ ، ولا غرو في ذلك، فلا يؤمن المسلم إيماناً كاملاً حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، كما اتسم هذا الحب أيضاً بالصدق والعاطفة السامية القوية، إذ إن الشاعر لم يكن يبغي من مديحه كسباً دنيوياً مادياً، وإنما يبغي التعبير عن مدى حبه للنبي ﷺ فحسب، لينال رضاه وشفاعته، فلم يجد ابن جابر وسيلة أفضل من ألفاظ الحب والتغزل لتعبر عن ذلك، الأمر الذي أوصلهم إلى التغزل النبوي، فيعبر عن شوقه وحبه واشتياقه

(١) النفح الطيب ١/ ٢١٧، ونظم العقدين ص ٣٩

إلــى الرســول ﷺ ومدينتــه المنــورة، لــذلك قطــع ابــن جــابر كغيــره مــن العشــاق الفيــافيَ والقفــارَ، فيحثــون مطايــاهم ويســتعجلونها كلمــا أتعبهــا الترحــال، ويصــبرون أنفســهم، ويمنونّهـا برؤيـة العقيـق والرنـد والغـوير ونجـد وغيرهـا مـن المواضـع التـي أحبوهـا لحـبهم للنبــي ﷺ ، هــذا الحبيــب الــذي يذكرونــه دائمــاً ويصــبون إليــه، ويــذرفون الــدموع غزيــرة تترى شوقاً وهياماً، قال ابن جابر:

إليك رسولَ الله جبنا الفلا وخدا ولولاك لم نهو العقيق ولا الرندا

ولولا اشتياقي أن أراك بمقلتي لما كنت أشتاق الغوير ولا نجدا

ولولا رجاء القلب من ذلك الحمى لما اخترت عن أهلي وعن وطني بعدا

ومن أجلكم أصبو إذا هبت الصبا تجر صباحاً فوق أرضكم بردا

وما افتر ثغر البرق من أرض بارق لعينيَ إلا فاض دمعي له وجدا

ولا أستلذ العيش في غير أرضكم ولا أشتهي من غير مائكم وردا(١)

كمـا تميـز هـذا التغـزل النبـوي لـدى ابـن جـابر بهـذا العطـاء الروحـي المتـدفق مـن أعمــاق الشــاعر، وبمشــاعر الحــزن النبيــل فــي أثنــاء البعــد، وأحاســيس التلهــف المضــني فــي أثنــاء الطريــق، وبمظــاهر الفــرح العظــيم عنــد اللقــاء، فهــا نحــن نــراه يعطــي مَــن بشَّــره بالوصـول إلـى مدينـة النبـي ﷺ مهجتـه كلهـا، بعـد أن غنّـى أحزانـه وأشـواقه وبكاهـا، وهـام يسـأل النسـائم عـن حبيبـه الـذي رمـز لـه بسـعاد، وظـل كـذلك حتـى وصـل، وكـان عيـده بهذا الوصول، كما تكون الأعياد عند رؤية الهلال، قال:

عرج على بان العُذَيب و نادي وانشدْ فديتك أين حل فؤادي

وإذا مررت على المنازل بالحمى فاشرح هنالك لوعتي وسهادي

إيهٍ فديتكِ يا نسيمة خبِّري كيف الأحبةُ والحمى والوادي

(١) المجموعة النبهانية ٤١١/٢، ونظم العقدين ١٩١

يا سعدُ قد بان العذيب وبانه فانزل فديتك قد بدا إسعادي
خذ في البشارة مهجتي يوماً إذا بان العذيب ونور حسن سعاد
قد صح عيدي يوم أبصر حسنها وكذا الهلال علامة الأعياد[١]

أما معاني المديح النبوي عند ابن جابر فقد شابهت مثيلاتها لدى غيره من أصحاب المدائح النبوية، مثل الهداية وفضله على الرسل، فقال:

هادي البرية من بعد الضلال ومن له على الرسل تخصيص وتفضيلُ[٢]

ومثل الصدق وتبشير الرسل وكتبهم به، يقول:

نبيٌّ صدْقٍ جميعُ الرسل قد شهدت به فمبعثه في الكتب منقول
فاهت بأخباره الأحبار واتّفقت فيه الهواتف جيلا بعده جيل
ولم تزل مُنزَلاتُ الكتب مخبرةً عن صدقه يتبع التوراةَ إنجيل[٣]

وبالإضافة إلى ذلك تحدث ابن جابر عن غزوة بدر الكبرى، ووصفها وصفاً دقيقاً، استمده من القرآن الكريم وكتب السيرة، تكلم فيه عن بطولة النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته، وعن تأييد جبريل والملائكة لهم، وعن رميه ﷺ بالحصى في أوجه المشركين، ثم عن المعركة، وعدّد أسماء كل من الطرفين، وانتصار المسلمين وهزيمة المشركين تاركين قتلاهم الذين رماهم المسلمون في القليب، وتقريع النبي ﷺ لهم، فقال :

بدا يوم بدر وهو كالبدر حولَهُ كواكبُ في أفق المواكب تنجلي
وجبريل في جند الملائك دونه فلم تغن أعداد العدو المخذل

---

(١) نفح الطيب ١٦٤/١٠
(٢) المجموعة النبهانية ٩٤/٣
(٣) نظم العقدين ص ٤٣٣

رمى بالحصى في أوجه القوم رمية　　فشرّدهم مثل النعام المجفل
أغذّوا سراعاً يهربون كأنما　　تحوّل منهم بطشُ أيْدٍ لأرْجُل
وجاد لهم بالمشرفيِّ فسلَّموا　　فجاد له بالنفس كل مُجَّدل
عبيدةَ سلْ عنهمْ وحمزةَ واستمع　　حديثهم في ذلك اليوم من عل
فهم عتبوا بالسيف عُتبة إذ عدا　　فذاق الوليد الموت ليس له ولي
وشيبة لما شاب خوفاً تبادرتْ　　إليه العوالي بالخضاب المعجَّل
وجال أبو جهل فحقّقَ جهله　　غداة تردّى بالردى عن تذلل
فأضحى قليباً في القليب وقومه　　ففتَّح من أسماعهم كل مقفل
وجاء لهم خير الأنام موبخاً　　يؤمونه منها إلى شرٍّ منهل
وأخبر ما أنتمْ بأسمعَ منهمُ　　ولكنهم لا يهتدون لِمقْوَل[(١)]

كما عدد ابن جابر أيضاً معجزات النبي ﷺ الكثيرة، مثل كلام البعير معه، وتسبيح الحصى في يده، وحنين الجذع إليه، وانشقاق البدر، وتظليل الغمام، واخضرار الدوح بعد جفافه، وتكليم الميت وقيامه، وشهادة الضب على نبوته، وطاعة الغزالة له تعداداً جعله يبتعد عن الشعر ليقترب من النظم العلمي، فقال:

ذو المعجزات المعجزات لكل من　　في صدره دغل ثوى وتجلجا
نطق البعير له وسبَّحتِ الحصى　　والجذع حنَّ له بصوت قد شجا
والشمس بعد غروبها رُدت له　　والبدر بين يديه شُقَّ وأفرجا
وإذا مشى كان الغمام يظلّله　　كرماً إذا لهبُ الهجير توهجا
والدوح أورق بعد يُبس عندما　　وافى ومدَّ عليه ظلاً سجسجا
والميت كلَّمه وقام بأمره　　يمشي وفي أكفانه قد أدرجا

(١) المجموعة النبهانية ٣/٣٤٥

والضبُّ قال شهدتُ أنك مرسل   للعالمين فمن أجاب فقد نجا
هذي الغزالة إذ أطاعت أمره   وجدت سبيلاً للنجاة ومخرجا(١)

وتحدث ابن جابر أيضاً عن معجزة النبي ﷺ الخالدة، وهي القرآن الكريم، الذي نرى فيه العظات والتبيين والتفصيل وعلم الأولين والآخرين والحلال والحرام، كل ذلك بأسلوب سام معجز، تحدى الله الإنسان والجن على أن يأتوا بسورة منه فعجزوا، وخذلوا على الرغم من فصاحة العرب وبلاغتهم، وأنه جاء بلغتهم، فقال:

وجاءكم بكتاب فيه موعظة   للسامعين وتبيينٌ وتفصيلُ
وفيه أودِع علمُ الأولّين وعلـ   ـم الآخرين وتحريم وتحليل
علا اتساقاً ونظماً ليس مِن بشرٍ   فللمعارِض تعجيزٌ وتخذيل
والعرْب عن سورة من مثله عجزوا   في وَفْرِهم وهُمُ اللُسْن المقاويل(٢)

وعلى الرغم من احترام المسلمين لجميع الرسل وإيمانهم بهم، فإنهم فضلوا نبيهم محمداً ﷺ ، ولا غرو في ذلك، فالله سبحانه وتعالى قد فضله على خلقه جميعاً، واعترف الرسل عليهم السلام بفضله عليهم، إذ ائتموا به ليلة الإسراء في بيت المقدس وصلى بهم، كما أنهم يُحشرون يوم القيامة تحت لوائه، وقد ذكر ابن جابر ذلك فقال:

إمامُ جميع الرسل ليلة إذ سرى   فصلى بهم في محفل أيِّ محفل
ويأتي غداً والرسل تحت لوائه   وقد خُصَّ فيهم بالمقام المفضَّل(٣)

كما فضل ابن جابر رسول الله ﷺ على غيره من الرسل عليهم السلام بالشفاعة يوم القيامة، إذ يستشفع الناس من هول القيامة بالرسل فلا يستطيعون أن

---

(١) نظم العقدين ص ١٢٢
(٢) المجموعة النبهانية ٣/٩٥
(٣) المصدر نفسه ٣/٣٥٢

يجيبوهم ويشفعوا لهم، ثم يشير عيسى عليه السلام عليهم أن استشفعوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، لأن قوله الحق، فيأتون النبي ﷺ مستشفعين، فيقول لهم أنا كفيل بها، فيدعو ربه ويشفع للمؤمنين، وهنا يصيخ الناس لصوت الحق المهيب قائلاً: لقد أوتيت سؤلك يا محمد، فيتنفسون الصعداء، وقد صور ابن جابر ذلك بصورة قصصية زادها الحوار والحركة جمالاً، فيقول:

لـه الشفاعة حيث الرسل جاثيةٌ وكل شخصٍ لهول الحشر مخبولُ
وجاءت الخلق أفواجاً ليلتمسوا لهم شفيعاً وما في الأمر تمهيل
وحيث جاؤوا رسولاً قال لست لها فليس لي عن مقام الخوف تحويل
حتى إذا ما أتوا عيسى يقول لهم أمرُ الشفاعة للمختار موكول
فقوله الفصل لا ردٌّ ولا فندٌ إذا تُرَدّ على الناس الأقاويل
حتى إذا سألوا المختار قال لهم أنا لذاك ولي بالأمر تكفيل
هناك يُدعى به سلْ تُعط وادعُ تُجب واشفع تُشفَّعْ فوعدُ الله مفعول(١)

وللسبب نفسه وصفه ﷺ ابن جابر بنجم الهدى إذا كانت الرسل سماء، وبالبدر إذا كانوا نجوماً، وبواسطة العقد إذا كانوا جواهر، فقال:

إن تحسب الرسل سماءً قد بدت فإنه في أفقها نجم هدى
وإن يكونوا أنجماً في فلكٍ فإنه من بينهم بدرٌ بدا
واسطة السلك إذا ما نظموا وملجأ القوم إذا الخطب عدا(٢)

لذلك بشر به الأنبياء من قبله، مثل موسى وعيسى عليهما السلام، كما بشر به أيضاً الأحبار والرهبان وسطيح وشقّ وسيف بن ذي يزن وبحيرا وقُسّ وغيرهم،

---

(١) المصدر نفسه ٩٤/٣

(٢) نفح الطيب ١٧٠/١٠

حتى لم يخل جيل من علامة لبعثته، لقد اتفقوا جميعاً على هذا الأمر على الرغم من اختلاف بلادهم ولغاتهم وأجناسهم وأزمنتهم ومشاربهم، قال ابن جابر:

لمبعثه من كل جيل علامة على ما جلته الكتب من أمره الجلي
فجاء به إنجيل عيسى بآخر كما قد مضت توراة موسى بأول
لأحبارهم في حسن أخبارهم نبا نبا عنه حد الحاسد المتأوِّل
علا جدُّ سيفٍ حين بشَّر جدَّه بذلك تنبيهاً على قدره العلي
وإن بحيرا أمَّ مرآةَ علمِهِ فأبصره فيها بعين التخيُّل
وقد قام قسٌّ في عكاظَ يقصُّ من نُبُوَّتِهِ ما قاله كلُّ أفضل
وأرشدت الرهبانُ سلمانَ نحوه وقالوا لذات النخل يثربَ فارحل[(١)]

ولم يكتف ابن جابر بمدح الرسول فحسب، وإنما مدح كل من شرف بالقرب منه، مثل المهاجرين الذين مدح نسبتهم إلى قريش التي نظرت القبائل العربية إليها نظرة خاصة، واحترمتها لانتمائه ﷺ إليها، ومدحهم أيضاً بالبشر والجود والعز بكرامتهم عند الله الذي ينجي من يحبهم، ويدخل النار من يبغضهم، فقال:

همُ قريشٌ وما أدراك من ملأٍ مِنْ نيلهم قد جرى في مصرهِمْ نيل
قومٌ وجوههمُ بشْرٌ وأنملهم بذلٌ وربعمُ بالعز مأهول
ويا مرادك من قوم محبهمُ ناجٍ وشانيهمُ في النار مملول
تضيءُ أحسابهم ليلاً وأوجههم كأنما في الدجى منها قناديل[(٢)]

---

(١) المجموعة النبهانية ٣/٣٥٢
(٢)المصدر نفسه ٣/٩٧

كما مدح أيضاً الأنصار الذين شرفوا بنصرتهم لرسول الله ﷺ ومساعدتهم للمهاجرين في دحر الشرك وإعلاء كلمة الله تعالى، ونعتهم بجمال الوجه وكرم الفعل ورجاحة العقل وحسن الصبر والشجاعة في الحرب، فقال:

وساعدتْهمُ من الأنصار طائفةٌ بها غدا الشرك قِدْماً وهو مخذولُ
زُهرُ الوجوه كرام الفعل عندهمُ لكل صعب من الأشياء تذليل
يمشون مشي الأسود الضاريات إذا ما صاحت الحرب في أبطالها جولوا(١)

ثم إن ابن جابر خص آل البيت والعشرة المبشرين بالجنة من الصحابة رضي الله عنهم بقصيدة طويلة مدحهم بها وعدد مآثرهم واحداً واحداً، كما تفردت المدينة المنورة أيضاً على جميع البلاد بأنها ضمت جثمان النبي ﷺ بين ثناياها، وهذا الأمر هو الذي جعلها أشرف البلاد مثلما قال ابن جابر:

لقد فضلتْ كل البلاد بأسرها كما أن من حازتْه قد فَضَل الخلقا
وما ضمَّ أعضاءَ الرسول فإنه أجلّ مكان لا خلاف هنا يبقى
وليس لهذا من نظير بغيرها وقد حازت التفضيل لا شك والسبقا(٢)

وهنّأ ابن جابر أهل المدينة على مر العصور بسكناهم فيها وجوارهم لرسول الله ﷺ، ونصحهم بالبقاء فيها مهما جار الزمن عليهم، فيكفيهم حسن الجوار، قال:

هناؤكمُ يا أهل طيبة قد حقا فبالقرب من خير الورى حزتمُ السبقا
فلا يتحركْ منكمُ ساكنٌ إلى سواها وإن جار الزمان وإن شقا(٣)

---

(١) المصدر نفسه
(٢) نفح الطيب ٢١٧/١٠
(٣) المجموعة النبهانية ٤٣٦/٢

بل إنه قد هنأ المسلمين على اختلاف أجناسهم وبلادهم لتشرفهم بالانتماء إلى دين محمد ﷺ، ذلك الانتماء الذي أعلاهم على جميع الأمم، فقال:

يا أمة المصطفى المختار يهنئكم هذا الرسول به بين الورى صولوا

فأنتمُ اليوم أعلى أمة ولكم على النبيين هذا العز والطول[١]

كما خاطب ابن جابر رسول الله ﷺ، وكأنه واقف أمامه، يراه ويسمعه، وقد دفعه إلى ذلك ما دفع غيره من الشعراء مما أشرنا إليه من قبل، قال:

إليك رسولَ الله جبنا الفلا وخْدا ولولاك لم نهو العقيق ولا الرندا

ولولا اشتياقي أن أراك بمقلتي لما كنت أشتاق الغُوير ولا نجدا

ومن أجلكم أصبو إذا هبت الصَّبا تجر صباحاً فوق أرضكمُ بُردا[٢]

وكان ابن جابر يبغي من وراء مديحه هذا بالإضافة إلى التعبير عن حبه للنبي ﷺ وتعظيمه وغير ذلك أن ينال شفاعته ﷺ ليمحو بها ذنوبه ويقوي بها ضعفه، قال:

يا سيد الرسل عبدٌ قد أتى وله من سالف الذنب تخويف وتخجيل

يرجو شفاعتك العظمى إذا اشتعلت نار على من عصى منها سرابيل

وقد أتيت بضعفي ما أتاك به كعب على أن باعي ما له طول

فإن قبلتَ ونالتني مراحمُ قد نالته لم يبق لي من بعدها سول[٣]

ولقد أنهى ابن جابر معظم مدائحه النبوية بالصلاة على النبي وعلى آله وصحابته، والتي غدت تقليداً لدى كثير من شعراء المديح النبوي، وتفنن فيها تفنناً

---

(١) المصدر نفسه ٩٤/٣

(٢) المصدر نفسه ٤١/٢

(٣) المصدر نفسه ٩٨/٣

جميلاً، إذ عبر عن ديمومة صلاة الله على النبي بدوام سجع الحمائم على الأغصان، فقال:

صلى عليك إله العرش ما سجعت ... وُرقٌ لهن على الأغصان تهديل

أزكى صلاة تعم الآل واصلةٍ ... صحباً همُ للورى زينٌ وتحجيل(١)

وله قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم مع ترتيب سور القرآن الكريم، وقد كانت من أجمل ما كتب على الإطلاق في مدح رسول الله ﷺ ومنها :

في كل فاتحة للقول معتبرة ... حق الثناء على المبعوث بالبقرة

في آل عمران قدما شاع مبعثه ... رجالهم و النساء استوضحوا خبره

من مد للناس من نعماء مائدة ... عمت فليست على الأنعام مقتصرة

أعرف نعماه ما حل الرجاء بها ... إلا و أنفال ذاك الجود مبتدره

به توسل إذ نادى بتوبته ... في البحر يونس و الظلماء معتكره(٢)

****

(١) المصدر نفسه

(٢) منظومة المقصور والممدود ص ١٢٦

المبحث السابع

عبد الغني النابلسي، حياته وشعره في المديح النبوي
دراسة تحليلية

يحتوي هذا المبحث على مطلبين

المطلب الأول

حياة الشيخ عبد الغني النابلسي

المطلب الثاني

شعره في المديح النبوي

المطلب الأول
حياة الشيخ عبد الغني النابلسي

ألف: اسمه ونسبه:

هو شيخ الإسلام الشيخ عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني بن إسماعيل بن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني المقدسي(١)، وقد عرف بالنابلسي الحنفي الصوفي الدمشقي النقشبندي القادري(٢)، ولقبه المتصوفة بقطب الأقطاب(٣).

ب: ولادته و نشأته:

ولد الشيخ عبد الغني النابلس بمدينة دمشق في الخامس من ذي الحجة سنة ١٠٥٠هـ/١٦٤٠م. اهتم والده بتعليمه وتحفيظه القرآن الكريم ، فشغله بالقرآن وطلب العلم والمعرفة ، وقد كان يحضر دروس أبيه في التفسير حتى يتعلم منه لإلى أن توفي أبوه سنة ١٠٦٢هـ وكان الشيخ آنذك ابن إثنتي عشرة سنة فنشأ يتيما بعد وفاة والده.

جـ : علمه:

أكمل الشيخ النابلسي المسيرة التي بدأها معه أبوه في طلب العلم والمعرفة وحفظ القرآن ، فأخذ يدرس القرآن وعلومه ، فقرأ الفقه وأصوله على الشيخ أحمد

---

(١) مقدمة ديوان الحقائق ومجموع الدقائق، ص ٤

(٢) المصدر نفسه ص ١٢

(٣) انظر مقدمة نفحة القبول في مدح الرسول ص١٥

القلعي الحنفي ، ودرس الحديث ومصطلحاته على يد الشيخ عبد الباقي الحنبلي، وأخذ التفسير والنحو أيضاً عن الشيخ محمد المحاسني.

وأخذ الطريقة القادرية عن الشيخ السيد عبد الرزاق الحموي الكيلاني، والطريقة النقشبندية عن الشيخ سعيد البلخي، ثم صار الشيخ عالما بارعا ومتصوفا كبيراوشاعرا فذا ينظم أجمل الأشعار وألطفها وقد عكف على قراءة كتب العلماء والأدباء فكان له اطلاع واسع على جميع العلوم التي كانت في عصره.

وابتدأ في قراءة الدروس وإلقائها والتصنيف لما بلغ عشرين عاماً، وكان كثير المطالعة وكتب الشيخ محيي الدين بن العربي، وكتب السادة الصوفية حتى تبحر في علوم الصوفية، و عدّ من أشهر الأولياء العارفين، وقد ظهرت له كرامات، ومن أشهرها تبحره في جميع العلوم وقد ترجم له المرادي في "سلك الدرر" فقال عنه :

"أستاذ الأساتذة وجهبذ الجهابذة الولي العارف، ينبوع العوارف والمعارف، الإمام الوحيد الهمام الفريد، العالم العلامة الحجة الفهامة، البحر الكبير، الجد الشهير، شيخ الإسلام صدر الأئمة الأعلام، صاحب المصنفات التي اشتهرن شرقاً وغرباً وتداولها الناس عجماً وعرباً، العارف بربه، والفائز بقربه وحبه، ذو الكرامات الظاهرة، والمكاشفات الباهرة :هيهات لا يأتي الزمان بمثله إن الزمان بمثله لبخيل"[١]

لما بلغ الشيخ عشرين عاما من عمره بدأ إلقاء الدروس في المساجد، فكان يلقي الدروس في الجامع الأموي في وقت الظهر وبعد العصر في الجامع الصغير، وقد كان يقرأ الخط الدقيق ويكتب ويؤلف التصانيف الخاصة به بعد أن جاوز التسعين من عمره.

د: تصوفه :

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ٣/٣٠

وكان الشيخ عبد الغني النابلسي متصوفا أخذ التصوف عن كثير من مشايخ التصوف كما ذكرنا فيما قبل وأكثر من مطالعة كتب المتصوفين خاصة الشيخ محي الدين ابن العربي وكتب السادة الصوفية، وكانت له أحوال صوفية غريبة وأطوار عجيبة واستقام في داره الكائنة بقرب الجامع الأموي في سوق العنبرانيين مدة سبع سنوات لم يخرج منها وأسدل شعره ولم يقلم أظفاره وبقي في حالة عجيبة وصارت تعتريه السودا في أوقاته وصارت الحساد تتكلم فيه بكلام لا يليق به من أنه يترك الصلوات الخمس وإنه يهجو الناس بشعره وهو رحمه الله برئ من ذلك فأظهر الله براءته مما نسب إليه وعلم الناس بعده فضله وكراماته فأخذوا يأتون إليه من جميع البلاد طالبين دعواته لهم.

هـ: رحلاته:

كان الشيخ النابلسي رحالة مكثرا من الرحلات والتجول في مختلف البلاد، يقول الدكتور فردوس نور علي في مقدمة نفحة القبول في مدح الرسول :

"رحل أولا إلى بغداد سنة ١٠٧٥هـ. ثم ذهب إلى زيارة البقاع وجبل لبنان سنة ١١٠٠هـ، وإلى زيارة القدس والخليل سنة ١١٠١هـ ثم في سنة ١١٠٥ هـ سافر إلى مصر ومنها إلى الحجاز، وفي سنة ١١١٢هـ ذهب إلى طرابلس الشام حوالي أربعين يوما وعاد إلى دمشق وأقام بها في الصالحية سنة ١٢١٣هـ، واستقرّ بها وتُوفي فيها"[١].

وقد كان لهذه الرحلات آثار هامة في كتابات الشيخ عبد الغني النابلسي ، حيث ألف في رحلته إلى الشام ومصر والحجاز كتابه " الحقيقة والمجاز في رحلة

(١) نفحة القبول ص ١٦

الشام ومصر والحجاز" وقد وصف رحلته من دمشق إلى القدس وبيّن ما كان فيها من خلال كتابه"الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية".

و: وفاته:

مرض الشيخ عبد الغني النابلسي في السادس عشر من شعبان سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف من الهجرة وتوفي في عصر يوم الأحد الرابع والعشرين من شهر شعبان من السنة نفسها[١]، وقد دفن بالقبة التي أنشأها في أواخر سنة ست وعشرين ومائة وألف.وأغلقت البلد يوم وفاته. وقد بنى له حفيده الشيخ مصطفى النابلسي إلى جانب ضريحه جامعا حسنا[٢]

****

(١) المصدر نفسه، و سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ٣١/٣

(٢) المصدر نفسه

المطلب الثاني

شعر عبد الغني النابلسي في المديح النبوي

لو تأملنا في شعر ابن جابر الأندلسي لألفيناه أغزر مادة في المديح النبوي الشريف، وله في ذلك قصائد جمة ، بل له ديوان شعر يشتمل على قصائد كثيرة في المديح النبوي، ويسمى "نفحة القبول في مدح الرسول".

عند إمعان النظر في توظيف الشيخ عبد الغني النابلسي للمديح النبوي تبين لنا أنه يأتي بجميع الموضوعات التي تتعلق بفضائل النبي ﷺ وشمائله وخصائله . يقول عن معراجه ﷺ :

لقد سرى ليلا من المسجد الحرام   للأقصى الذي يُتعب

على براق كان جبريل من   خدام لما له يركب

ثم إلى ما شاء ربي رقى   من العلا حتى انقضى المآرب

في وصفه المداح قد قصروا   وإن غلوا فيه وإن أطنبوا(١)

وقد برزت عند الصوفية فكرة النور المحمدي والحقيقة المحمدية وأنها أول مخلوقات الله تعالى ، ونه تفرعت الكائنات كلها ، والإنسانية مظهر الحقيقة المحمدية ، فللنبي الكريم صلى الله عليه وسلم جانبان : الجسد، وهذا تأخر ظهوره بعد الأنبياء. والروح: وهذا متقدم على آدم. وفي ذلك يقول الشيخ النابلسي:

نوره في جبين آدم لولا ـ ه   ما كان للسجود ابتزاغ(٢)

ويقول :

---

(١) نفحة القبول ص ٤٦

(٢) المصدر نفسه ص ١٤٣

يا خاتم الرسل الكرام جميعهم والأنبياء الكل وهو السابق(١)

ويقول:

لولاك ما ظهر الوجود ولا بدا والمرسلون جميعهم لم يبعثوا
لولاك ما عرف المهيمن عارف يا سرنا قد طال عنك المبعث(٢)

ويقول:

لولاك لم يخرج من العدم امرؤ لولاك لم تك هذا الأشباح
لولاك لا أرضا أبان ولا سما ربي ولا ليل بدا وصباح
إن الوجود خزانة محفوظة عمن سواك لأنك مفتاح(٣)

ويقول :

يا صاحب الجود ويا نور الوجود وياخلاصة الخلق يا من طاب منشاه
يا من جميع الورى لولاه ما خلقت كلا ولا دارت الأفلاك لولاه(٤)

إن المديح النبوي عند النابلسي يعد من وسائل الشفاء، وهو يخاطب النبي ﷺ بأنه شفيع للمذنبين يوم القيامة ويعد خصائصه ومزاياه من أن الله تعالى خصّ رسوله بخصائص جمة من المعراج والإسراء وأنه فاق جميع النبيين في خَلق وفي خُلُق ، وأنه أقرب والوسائل إلى الله تعالى، ويعد ابن جابر مديحه هذا مصرا في شان النبي ﷺ وهو يرجو أن يُقبل هذه الأبيات في حضرة النبي ﷺ ، يقول:

مدح خير الأنام فيه شفاء بلغت قصدها به البلغاء

---

(١) المصدر نفسه ص ١٦٨
(٢) المصدر نفسه ص ٤٥
(٣) المصدر نفسه ص ٥٥
(٤) المصدر نفسه ص ١٧٧

يا شفيع الأنام في الحشر يا من حـوضـه فيه للـعطاش ارتواء

يـا مـن الله خـصـه بـمـزايـا كان منها المعراج و الإسـراء

يـا رسـولا قـد فـاق كل رسـول ونـبـيا سمـت بـه الأنـبـيـاء

الـغياث الـغياث من فرط بـعد عنـك لي منـه محنة وبـلاء

الـعياذ الـعياذ لا شبـر عـندي المـلاذ الـمـلاذ طـال الـعناء

النـجـاة الـنجاة صخرُ اشتياقي أنـا مـنـه كأنـنـي الـخـنـساء

كلـمـا نـحـثُ جاوبتني الحمام فـنـواح منـي ومنـهـا غنـاء

أدرك الـصـب يـا رسـول البرايا منك بالقرب طال منه الرجاء

يـشـتـكي ذنـبـه فـيبكيه خـوفـا لو تفيد الشكوى ويُجدى البكاء

فـعـسى فـي غـد تـكـون شفيعا لـذنـوبي إن عـزت الـشـفعاء

أنـت مـن أقـرب الـوسائـل لله بـعلـيـاك لا يُـرد الـدعـاء

ورؤوف أيـضـا بـنـا ورحـيـم مـا لـنـا عن ندى يديك غناء

أتـرجّـى مـنـه قـبول مـديحي مـع أنـي مـقـصـر مخطاء

بـالـهـدى جـاءنا من الله حتى نـوره أشـرقـت بـه الظلماء[(١)]

لقد عدّ ابـن جـابر كثيـرا مـن معجـزات الأنبيـاء عـليهم السـلام ثـم ذكـر مـا هـو أتـم وأعظم منها من معجزات نبينا ﷺ يقول:

وتــرى كـل آيـــة لـــرســـول وعــليه لـــمـثـلـهـا إسـبـاغ

أيــن مـعـــراجـه ورفـعـة إدريـ س وهـل تـشبه النسورَ زاغ

ذا لـعـرش رقـى وذا لـسـمـاء دونـه في الـعـلا لـه إبـلاغ

---

(١) المصدر نفسه ص ١٢-١٣

أعـطي الـحسنَ كلـه وبـشـطـرٍ   منـه في الناس يوسف نباغ

ولـداوود حـيـث لان حـديـد   فـغـدا كيفما يـشا ينـصاغ

لـقـد اخضرّ يابس الـعـود لـمـا   مسه المصطفى وعاد الرياغ

وبــه شـــاة أم مـعــبــد درّت   ولـخل في عـامـه الانذلاغ

وسليمـان كلـم الطـير والأحـ   ـجـار قد أنـطقوا لذا ليناغوا

ولـقـد سـبـح الـحـصا في يديه   وبـعـيـر شـكا بـه هـنـباغ

ما له إن مشى على الأرض ظلّ   إذ من النور كلّه منصاغ(١)

****

(١) المصدر نفسه ص ١٤٠-١٤١

المبحث الثامن

يوسف بن إسماعيل النبهـاني، حياته وشعره في المديح النبوي
دراسة تحليلية

يحتوي هذا المبحث على مطلبين

المطلب الأول
حياة يوسف بن إسماعيل النبهاني
المطلب الثاني
شعره في المديح النبوي

المطلب الأول
حياة يوسف بن إسماعيل النبهاني (١)

الف: اسمه وكنيته:

هو يوسف بن إسماعيل بن محمد ناصر الدين[٢] النبهاني[٣]، يكنى بأبي الفتح وأبي المحاسن[٤].

ب : ولادته ونشأته:

ولد الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني سنة ١٢٦٥ هجرية/١٨٥٠ميلادية في قرية "إجزم"،[٥] وبها نشأ وترعرع، حفظ القران على والده، وكان شيخا معمّرا بلغ الثمانين،يقول الشيخ النبهاني نفسه:

"ولدت في قرية أجزم المذكورة آنفاً سنة خمس وستين تقريباً، وقرأت القرآن على سيدي ووالدي الشيخ الصالح الحافظ المتقن لكتاب الله الشيخ إسماعيل النبهاني، وهو الآن في عشر الثمانين كامل الحواس قوي البنية جيد الصحة، مستغرق أكثر

---

(١) انظر ترجمته في: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ص ١٦١٣-١٦١٦، ومقدمة جامع كرامات الأولياء ١/٣-٦، والأعلام ٢١٨/٨، ومعجم المؤلفين ١٤٥/٤، والأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية لزكى محمد مجاهد ص٦٠٠-٦٠٣

(٢) حلية البشر قي تاريخ القرن الثالث عشر ص ١٦١٣

(٣) نسبة لبني نبهان، قوم من عرب البادية توطنوا منذ أزمان قرية "أجزم" بصيغة الأمر الواقعة في الجانب الشمالي من أرض "فلسطين" من البلاد المقدسة، وهي الآن تابعة لقضاء "حيفا" من أعمال "عكا" التابعة لولاية "بيروت". انظر جامع كرامات أولياء، مقدمة المحقق٣/١.

(٤) المصدر نفسه

(٥) الأعلام٢١٨/٨

أوقاته في طاعة الله تعالى، كان ورده في كل يوم وليلة ثلث القرآن، ثم صار يختم في كل أسبوع ثلاث ختمات، والحمد لله على ذلك(١)."

جـ: سفره للعلم :

ولمّا أتمّ حفظ القران الكريم وحفظ بعض المتون أرسله والده إلى مصر – وكان عمره إذ ذاك سبع عشرة سنة– فالتحق بالأزهر الشريف في غرّة محرم الحرام سنة ١٢٨٣ هـ(٢). وجاور في رواق الشوام، ودأب على الدرس والتحصيل، وتلقّى العلم من كبار الأئمة وجهابذة علماء الأمة، وكان موفقا حسن الاختيار والاهتداء إلى الراسخين في العلم المحققين في المعقول والمنقول.

يقول الشيخ النبهاني عن الأزهر الشريف وأساتذته :

"أقمت فيه إلى رجب سنة تسع وثمانين، وفي هذه المدة أخذت ما قدره الله لي من العلوم الشرعية ووسائلها، عن أساتذة الشيوخ المحققين، وجهابذة العلماء الراسخين، من لو انفرد كل واحد منهم في إقليم، لكان قائد أهله إلى جنة النعيم، وكفاهم عن كل ما عداه في جميع العلوم، وما يحتاجون إليه من منطوق ومفهوم، أحدهم، بل أوحدهم، الأستاذ العلامة المحقق، والملاذ الفهامة المدقق، شيخ المشايخ وأستاذ الأساتذة سيدي الشيخ إبراهيم السقا الشافعي المتوفى سنة ألف ومائتين وثمان وتسعين عن نحو التسعين سنة، وقد قضى هذا العمر المبارك الطويل في قراءة الدروس، حتى صار أكثر علماء العصر تلاميذه إما بالذات أو بالواسطة، لازمت

(١) حلية البشر ص١٦١٣

(٢) انظر جامع كرامات أولياء ٤/١

دروســه رحمــه الله تعــالى ثــلاث ســنوات، وقــرأت عليــه شــرحي التحريــر والمــنهج لشــيخ الإسلام زكريا الأنصاري بحاشيتهما للشرقاوي والبجيرمي"[١].

د: في خدمة الدين ونشر العلم:

فلمــا علــى كعبــه ورســخ فــي العلــوم العقليــة والنقليــة كلهــا بــدا لــه أن يســافر مــن مصــر ليســاهم فــي خدمــة الــدين، فرجــع فــي رجــب ســنة ١٢٨٩ هــ ، وأقــام فــي مدينــة "عكــا" ينشــر العلم، فأفاد المسلمين، وأعلى منار الدين[٢].

ثــم رحــل إلــى الشــام فــي ســنة ١٢٩٢ هــ[٣]، واجتمــع علــى جماعــة مــن العلمــاء، مــن أجلهــم الإمــام الفقيــه المحــدث البــارع مفتــي الشــام الســيد محمــود أفنــدي الحمــزاوي[٤]، فأجــازه بإجــازة مطولــة بجميــع مروياتــه بعــد أن قــرأ عليــه فــي منزلــه بحضــور جملــة مــن طلبــة العلــم الشــريف، وجــال فــي بــلاد الشــرق العربــي ثــم دخــل الأســتانة والموصــل وحلــب وديار بكر وشهرزور وبغداد وسامرّا وبيت المقدس والحجاز[٥].

---

(١) حلية البشر ص ١٦١٤

(٢) انظر الأعلام ٢١٨/٨، وحلية البشر ص١٦١٤

(٣) المصدر نفسه

(٤)هو السيد محمود بن المرحوم السيد نسيب أفندي الحمزاوي مفتي دمشق الشام، كان عالما وفقيها تبحر في كثير من العلوم، رفع العلوم أرفع رأية ، وجمع بين الرواية والدراية، ولد في دمشق الشام سنة ١٢٣٤هـ ، ونشأ في كنف أبيه وأحسن القراءة والكتابة وهو ابن إثني عشرثم حد في طلب العلوم على علماء عصره حتى برع وفاق أقرانه وأتقن علم الفقه والتفسير والحديث والكلام والأصول والعربية والمنطق وغيرها . وله مطالعة قوية في كلام السادة الصوفية وعلى شانه في الآداب وطار صيته في الأفاق توفي في شهر المحرم سنة ١٣٥٠هـ. انظر حلية البشر ص ١٤٦٦-١٤٧٧.

(٥) حلية البشر ص١٦١٤، وجامع كرامات الأولياء ٤/١

وتقلد القضاء في ولايات الشام، حتى صار رئيسا في محكمة الحقوق العليا ببيروت، وذلك سنة ١٣٠٥ هـ وحج سنة ١٣١٠هـ، ثم دخل الحجاز بعد ذلك وأقام بالمدينة المنورة مدة[١].

هـ: زهده وعبادته:

كان الشيخ النبهاني قد شدّ أزره وشمّر عن ساعد الجد، وأقبل على العبادة بهمة عالية وعزيمة صادقة، وقلب دائب على الذكر وتلاوة القران وكثرة الصلاة على رسول الله ﷺ، فأحيا ليله ونهاره بإقامة الفرائض ونوافل الطاعات، لا يفتر ولا يسأم، حتى عدّ ما يقوم به من خوارق العادات، وكانت أنوار العبادة وتعظيم السنة والعمل بها ظاهرة على وجهه المبارك.قال الشيخ الشنقيطى :

"أما عبادة الشيخ المؤلف فقد شاهدت منها بالمدينة المنورة ما لا يتفق إلا لمن خرق الله له العادة من أوليائه وأصفيائه،. وهو على عادته في ملازمة أداء الفرائض مع كثرة النوافل، والصلاة على النبى ﷺ، في وقت رحلته، وكان نور العبادة والاتباع للسنة ظاهرا على وجهه المستنير"[٢].

و:وفاته:

توفي الشيخ يوسف النبهاني في أوائل شهر رمضان سنة ١٣٥٠هـ – ١٩٣٢م في قرية "إجزم" [٣]عن عمر يناهز الخمس والثمانين، وبالإضافة إلى ذلك

(١) الأعلام ٢١٨/٨

(٢) شواهد الحق قي الاستغاثة بسيد الخلق ص٧

(٣) جامع كرامات الأولياء ٤/١، والأعلام ٢١٨/٨، حلية البشر ص ١٦١٦.

كـان قـوي البـدن، تـام الصـحة، موّفقـا لقـراءة أوراده، ومـا اعتـاده مـن الطاعـات وأعمـال الخير [١].

ز: آثاره:

يقول الحافظ محمد حبيب الله الشنقيطي :

"أمـا مصـنفاته فهـي كثيـرة جـدا، وجلهـا أو كلهـا فـي الحـديث ومتعلقاتـه: كالسـيرة النبويـة والمـديح، وعلـم الأسـانيد، وتـراجم أعيـان علمـاء الأمـة، والصـلاة علـى النبـي عليـه الصـلاة والسـلام، وتـدوين المـدائح التـي مدحـه بهـا أو مدحـه بهـا غيـره مـن الأقـدمين والمتأخرين، من سائر أهل المذاهب الأربعة وأكابر المحدثين"[٢].

لقد بلغ عدد مصنفاته إلى نيف وستين كتبا في فنون مختلفة[٣]، ومن أشهرها:

- إتحاف المسلم بإتحاف الترهيب والترغيب من البخاري ومسلم.
- أفضل الصلوات على سيد السادات
- جامع كرامات الأولياء مجلدان.
- جواهر البحار في فضائل النبى المختار، أربعة أجزاء.
- حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين.
- سعادة الدارين في الصلاة على سيد الكونين.
- شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق.
- العقود اللؤلؤية في المدائح المحمدية.

---

(١) حلية البشر ص ١٦١٦.

(٢) شواهد الحق قي الاستغاثة بسيد الخلق ص٧

(٣)جامع كرامات الأولياء ١/٤

- الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير، ثلاثة مجلدات، في الحديث.
- القول الحق في مدائح خير الخلق.
- المجموعة النبهانية في المدائح النبوية أربعة أجزاء.
- نجوم المهدين ورجوم المعتدين في دلائل نبوة سيد المرسلين.
- النظم البديع في مولد الشفيع.
- وسائل الوصول إلى شمائل الرسول.

****

المطلب الثاني

شعر يوسف بن إسماعيل النبهاني في المديح النبوي

نلاحظ عند دراستنا المديح النبوي لدى الشيخ يوسف النبهاني أنه وقف نفسه لمدحة النبي ﷺ، حيث نظم الشيخ النبهاني في مدح النبي صلى الله عليه وسلم من قصائد وأبيات لا تعد ولا تحصى وهذا من ناحية أما من ناحية أخرى فقد جمع ما نُظم في المدائح النبوية منذ عصر الصحابة إلى عصر العلامة النبهاني ، وهذه المجموعة في أربع مجلدات ضخمة تسمى " المجموعة النبهانية في المدائح النبوية". ومن الشواهد على ما نحن بصدده قصيدته الهمزية الألفية المسماة " طيبة الغراء في مدح سيد الأنبياء" التي طبعت في بيروت سنة ١٣١٤ هجرية، والتي وزعها على عناوين عدة منتزعة من حياة الرسول ﷺ وسيرته ، من ميلاده حتى وفاته، والتي عارض فيها همزية البوصيري "أم القرى في مدح خير الورى " ، وعدد صفحاتها مائة وأربع صفحات، والتي يقول فيها:

نورُكَ الكُلُّ وَالوَرى أَجزاءُ	يا نَبِيّاً مِن جُندِهِ الأَنبِياءُ
علةَ الكَونِ كُنتَ أَنتَ وَلَولا	كَ لَدامَت في غَيبِها الأَشياءُ
مُنتَهى الفَضلِ في العَوالِمِ جَمعاً	فَوقَهُ مِن كَمالِكَ الإِبتِداءُ
لَم تَزَل فَوقَ كُلِّ فَوقٍ مُجِدّاً	بِالتَرَقّي ما لِلتَّرَقّي اِنتِهاءُ
جُزتَ قَدراً فَما أَمامَكَ خَلقٌ	فَوقَكَ اللهُ وَالبَرايا وَراءُ(١)

(١) طيبة الغراء فى مدح سيد الأنبياء ص٢، وانظر الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر ص ٢٦

لقد تحدث العلامة النبهاني عن مجد النبي ﷺ وشرافته ، حيث أنه أعطي رأية الشرف والفضل وجميع الخلق تحت علمه وله رفعة ومنزلة عظيمة، لم يكن له لا في ذاته ولا في صفاته لا في الدنيا ولا في الآخرة ولا يُقال في مدحه إلا أنه عبد الإله وأنه خير الخلق كله، يقول في تائيته:

للمُصطفى نُصبَت في المجدِ راياتُ ... مِن تحتِها الخلقُ أحياءٌ وأمواتُ
روحُ الوجودِ ممدُّ الخلق قاطبةً ... لو زالَ لحظة عينٍ عنهمُ ماتوا
لا تعجبنّ لكفّارٍ به جهلوا ... أَما بأَرواحهم منهم جهالاتُ
نورُ الوَرى في جميعِ الكائنات سرى ... مِصباحها وهيَ للمصباح مشكاةُ
سَقى جميعَ البرايا نور ... فطرتهم فَنوّعته لدَيها القابليّاتُ
لا غروَ أَن صارَ ناراً بالجحودِ فقد ... تُغيّر الوصفَ في الشيء اِستحالاتُ
مثالهُ الماءُ أنواعَ النباتِ ... سَقى الحلوُ منها ومنها الحنظليّاتُ
صفاتهُ في العلا ما مثلها صفةٌ ... وَذاتهُ في الورى ما مثلها ذاتُ
لهُ المَعاريجُ في الدنيا لها خضَعت ... كلُّ المَعالي وفي الأخرى الشفاعاتُ
أَبعدَ ما عبرَ العرشَ العظيم ... علاً تَفي بوصفِ معاليه العباراتُ
ماذا أقولُ بهِ مِن بعد ما ... وَردت في مدحهِ مِن كلامِ اللّه آياتُ
وَكلُّ أمداحِنا مهما علَت ... وغلت فإنّما هيَ أخبارٌ صحيحاتُ
نَحكي بها حالةً من فضلهِ ... ثَبتت بِقدرِ ما ساعدت منه العناياتُ
وَخيرُ أوصافهِ عبدُ الإله ... وإن تمّت لديهِ على الخلق السياداتُ(١)

---

(١) النظم البديع في مدح النبي الشفيع ص ٣٤

أما حسن النبي ﷺ وجماله فيعبر عنه النبهاني بأنه أحسن الناس كلهم ووجهه كالشمس التي نوّرت بنورها البرية كلها، وكذلك لا مثيل لحسن جبينه وعينيه وأسنانه ، فالله سبحانه قد كلّله بأنواع الجمال ، يقول:

لفلكُ تَمخرُ وَالمَهاري تَنهَجُ   فَدَعوا المُقامَ وَنَحوَ طَيبَةَ عرّجوا
بَلَدٌ بِهِ حَلَّ النَبِيُّ مُحَمدٌ   شَمسُ البَرِيَّةِ نورُها المُتَوَهِّجُ
يا حَبَّذا وَجهٌ لَهُ بَهَرَ الوَرى   حُسناً بِأَنواعِ الجَمالِ مُدَبَّجُ
وَجهٌ مَحا الظَلماءَ ساطِعُ نُورِهِ   وَجَبينُهُ الوَضّاحُ أَبلَجُ أَبهَجُ
في عَينِهِ حَوَرٌ وَفيها شُكلَةٌ   كَالسيفِ أَضحى بِالدِماءِ يُضَرَّجُ
سَوداءُ بِالزَرقاءِ أَزرَت مقلَةً   وَالجَفنُ مِثلُ السَهمِ أَهدَبُ أَدعَجُ
وَبِثَغرِهِ شَنَبٌ يَروقُكَ حُسنُهُ   مُتَبَسِّمٌ عَن بارِقٍ متفلّجُ
لِلّهِ مَولىً بِالجَمالِ مُكَلَّلٌ   وَبِكُلِّ أَنواعِ الكَمالِ مُتَوَّجُ
سَبّاقُ غاياتِ الفَضائِلِ في الوَرى   طُرّاً وَسابِقُهُم لَدَيهِ أَعرَجُ
أَغنى الأَنام عَنِ الأَنامِ وَإِنَّهُم   أَغناهُمُ عَنهُم إِلَيهِ أَحوَجُ(١)

وقد شبه النبي ﷺ بالشمس في نور الهداية وبالبحر في الجود والكرم، وبالدهرفي شمول حكمه، ثم يقول إنه عبد الله ورسوله وجميع ما في الكون والزمان خادم له قال:

لِطيبةَ مِيثاقٌ عليَّ قديمُ   إذا ذُكرت يوماً لديّ أهيمُ
وَما ذاكَ إلّا أنّ فيها محمّداً   رسولَ الهُدى روحَ الوجود مقيمُ

---

(١) النظم البديع في مدح النبي الشفيع ص٥٦

هوَ الشمسُ إلّا أنّ في الكونِ نورهُ   يـدومُ وَنـورُ الشمس ليس يدومُ
هـوَ الـبحـرُ عمّ الكائناتِ بفضلهِ   بِساحـلهِ كلّ الـكــرامِ تـعـومُ
هوَ الدهرُ عمّ الخلقَ شاملُ حكمهِ   ومـا عـهـدهُ في النائبات ذميمُ
هوَ الـعـبدُ عـبدُ اللّه سيّد خـلـقـهِ   لـهُ الكونُ عبدٌ والزمان خدومُ
نبيّ الهدى يا أعظمَ الناس نـائلاً   وَمَن جودهُ في العالمين عميمُ
وَمَن هو في الدارَين خيرُ وسيلةٍ   شَـفيعٌ لـدى الـربِّ الكريم كريمُ
تَـدارَك أَغـثـني في أموري فإنّني   عَـرَتـنــي هـمـومٌ مسُّهنَّ أليمُ
وَمـا ذكرَ تَفصيلاتهـا لـكَ لازمٌ   فأنتَ بأسرارِ الـغيـوبِ علـيمُ(١)

يخاطـب الشـيخ النبهـاني مدينــة الرسـول ﷺ ويـدّعي أن المدينــة المنــورة أفضــل الـبلاد كلهـا ولهـا سـيادة وفضـل وكمـال مـابين الـبلاد كلهـا وعلـة هـذا الفضـل لـيس إلا أن رسـول الله ﷺ نـزل هنـاك، لأنّ الـبلاد تشـرف بقدومـه ونزولـه فيهـا، ثـم يتمنـى النـاظم أن يحضر مدينة الرسول وينشد ما نظم في مدحة النبي ﷺ بحضوره. يقول:

لكِ يـا طيبـةٌ علَـينا عـهــودُ   ذِكرُها في القلوب غضٌّ جديدُ
ما رَأيناكِ بالعيونِ ولَكن بقلوبٍ   فـيـهــا الــهــوى لا يـبـيـدُ
أَخـذَ البيـعةَ الغرامُ علينا لكِ   أنّ الـجـمـالَ فيـك فـريـدُ
مَن يكُن شـاهداً بفضلٍ فإنّي   لكِ بـالفضلِ والـكمالِ شهيدُ

(١) انظر جواهر البحار ٩٤٨/٣ ، و حياة الأدب الفلسطيني الحديث ص١٥١

سُدتِ كلَّ البلادِ أَهلاً وفضلاً وَبِسكّانها الديارُ تسودُ
حلَّ خيرُ الأنامِ فيك وجاءَ النَصر لِلدين منك والتأييدُ
ليتَ شِعري هل تَقبليني بشعري فيكِ أُبديهِ مُنشداً وأعيدُ
أَمدحُ المُصطفى هناكَ وأَتلوهُ كِفاحاً يجود لي فأجيدُ
سيّد العالمينَ طرّاً تساوى تحتَ علياهُ سيّدٌ ومسودُ
سادَه اللّه وحدهُ فهوَ عبدُ اللّه حقّاً له الأنام عبيدُ(١)

ويعبر عن العنوان نفسه في قصيدة أخرى بقوله:

قُل لِي مَتى العَذراءُ تَرضى وَلُبانَةُ المُشتاقِ تُقضى
وَمَتى أُشاهِدُ وَجنَتي بِتُرابِها لِلأَرضِ أَرضا
وَأَزورُ ثَمَّ مُحَمَّداً خَير الوَرى كُلّاً وَبَعضا
مَولى الخَلائِقِ نائِبَ الخَلّاق إِبراماً وَنَقضا
لَم يَقض قَطُّ قَضِيَّةً إِلّا لَها الرَحمَنُ أَمضى
جَعَلَ الإِلَهُ مِن القَديمِ وَلاءَهُ في الرُسلِ فَرضا
عَمَّ البَسيطَةَ دينُهُ وَسَرى بِها طولاً وَعَرضا
مَحَضَ النَصيحَةَ لِلوَرى إِذ جاءَهم بِالحَقِّ مَحضا
وَشَفى مِنَ الضُلّالِ وَالجُهّال أَمواتاً وَمَرضى
وَلَكَم جَفاهُ مَعَ اِقتِدار البَطشِ ذو جَهلٍ فَأَغضى(٢)

ومن الغرائب اللغوية والموضوعية في مدائحه النبوية ما اصطلح على تسميته " نعل محمد "، في الجزء الثالث من كتابه " جواهر البحار، حيث يورد قصيدة في " نعل محمد "، استهلها بقوله:

---

(١) المصدر نفسه

(٢) النظم البديع في مدح النبي الشفيع ص ٨٠

علـى رأس هـذا الـكـون نـعل محمـد   علت فجميع الخلق تحت ظلاله
لدى الطور موسى نودي اخلع وأحمد   على العرش لم يؤذن بخلع نعاله(١)

وحـول جماليـات المكـان، وأثرهـا فـي نفـس الشـاعر وفكـره، نقـرأ لـه قولـه فـي مدينـة رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم مبينـا مـدى حبـه وشـوقه وحنينـه لهـا، وهيامـه بها:

هـواي طـيـبة لا بيـضاء عطبول   ومـنيتي عينها الـزرقـاء لا النيل
عذراء جلت عن التشبيب إذ جليت   هامت بها الخلق جيلا بعده جيل
ما كنت أسـأل لولاها الركائـب عن   سلـع ولا كان لي بالجزع مسؤول
مـتـى أراهـا بـطـرف ظل يكحله   مـن تـربـة البيد ميل بعده ميل

والقصيدة مطولة تبلغ نحو مائة وخمسين بيتا(٢).

وبالتـالي يظهـر حضـور الإنسـان ممـثلا فـي شخصـية الرسـول ﷺ وصـحبه الكـرام، وحضـور المكـان ممـثلا فـي مكـة المكرمـة ومدينـة رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم فـي شـعر النبهـاني حضـورا مميـزا عـن أي حضـور آخـر، متصـفا بصـدق العاطفـة ، ومبينـا جـلال الإنسـان وقدسـية المكـان وهيبتهمـا فـي شـعره، يحـف بـه موكـب العاطفـة الدينيـة الصـادقة والمتأصـلة فـي فكـر الشـاعر ووجدانه،فقـد انبـرى فـي " الرائيـة الكبـرى "للـدفاع عـن ديـن الإسـلام، ووحدانيـة الله، واسـتعلائه علـى الخلائـق جميعهـا وتقديسـه وتنزيهـه، وتوحِّـده، فهـو الواحـد الأحـد، الفـرد الصـمد، الـذي لـم يلـد ولـم يولـد ولـم يكـن لـه كفـوا أحـد، يسـتغني عـن الخلائـق جميعهـا ولا تسـتغني عنـه، وهـو السـميع البصـير القـوي. وهنـا نـرى مـدى تـأثره الشـديد بـالقرآن الكـريم، وحبـه لـدين الإسـلام، وتضـيله علـى سـائر الأديان والملل والنحل.

---

(١) انظر جواهر البحار ٩٤٨/٣ .

(٢) انظر سعادة الدارين ص ٦٦٠ . ٧٧٠ ، و حياة الأدب الفلسطيني الحديث ص ١٤٧ . ١٤٩

لقد كان يرى نفسه " حسان بن ثابت " في الدفاع عن الإسلام والرد على خصومه، وبيان محاسن الديانة الإسلامية وعرض مساوئ غيرها، مع كمال الفصاحة والبلاغة والسهولة، في قصيدة طويلة، عدة أبياتها سبعمائة وخمسة وعشرون بيتا، منها أربعمائة بيت لم تتكرر فيها القوافي، وينصح المسلمين أن يعلموها أولادهم ويحفظوهم إياها لما اشتملت عليه من أحكام العقيدة الإسلامية والسيرة النبوية، وتزييف ديانة المخالفين الذين يجتهدون في تضليل أولاد المسلمين، والتي منها قوله:

بربك ذكِّرهم عسى تنفع الذكرى فكم نعم أجدى وكم منن أجرى
وأعظمها دين النبي محمد هو النعمة العظمى هو المنة الكبرى
فاشتهد أن الله لا رب غيره توحَّد في الدنيا، توحد في الأخرى
وقد كان من قبل الحوادث واحدا بلا حاجة للخلق أوجدهم طرا

وبعد أن يتناول في قصيدته الفضائل المحمدية والسيرة النبوية، والثناء على الخلفاء الأربعة وسائر الصحابة السابقين للإسلام، وذكر الهجرة ومشروعية الجهاد، وذكر الوفود وحجة الوداع، ووفاته ﷺ، والكلام مع أهل الكتاب في إثبات نبوته، والكلام مع اليهود والنصارى في شأنه، يختمها بقوله:

فهاك أيا خير الحسان قصيدة تجدد من حسان في عصرنا ذكرى
تنافح عن خير الأنام ودينه وتكشف عن أديان أعدائه السترا
حقائق حق لا خيالات شاعر ولكنها سحارة تسحر السحرا
تكاد لحسن السبك لو فاه منشد بشطر أتم السامعون الشطرا
تحلى بها جيد الزمان لأنني نظمت بها بالدر أوصافك الغرا(١)

****

(١) انظر الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر ص ٢٩ . ٣٠ ، والأدب العربي المعاصر في فلسطين ص ٤٠

الباب الثاني

المدائح النبوية في شبه القارة الهندية

دراسة تاريخية تحليلية

يحتوي هذا الباب على فصلين

الفصل الأول

نشأة المديح النبوي في اللغة الأردية

الفصل الثاني

أشهر شعراء المديح النبوي في الأدب الأردي

الفصل الأول

نشأة المديح النبوي في اللغة الأردية

يحتوي هذا الفصل على مبحثين

المبحث الأول

بواعث نشأة المديح النبوي في الأردية

المبحث الثاني

المديح النبوي وتطوره في اللغة الأردية عبر العصور دراسة تحليلية

المبحث الأول
بواعث نشأة المديح النبوي في الأردية

إن فن المديح النبوي برز كفن من الفنون في عصر الرسول ﷺ وازدهر مع مرور الأيام، وتسابق في هذا الفن الأدباء والشعراء من العرب والعجم وأخذوا نصيبهم حسب المؤهلات اللغوية والأدبية وسلكوا مسالك متنوعة في التعبير عما يجيش في خواطرهم من الحب والعواطف تجاه النبي ﷺ(١).

ومن المعلوم أن معظم العلماء والأدباء في شبه القارة الهندية لم يهتموا بقرض الأبيات ولم يعتنوا به كعنايتهم بالعلوم الدينية، ولو نال هذا الفن اهتمامهم وشغفهم كالفنون الأخرى لكانت لمدائحهم سمات خاصة ومكانة مرموقة في الآداب العربية كشعراء البلاد العربية، وبالرغم من ذلك نلاحظ أن المديح النبوي كان موضوعاً مفضلاً ومحبباً لدى الأدباء والشعراء الهنود، ، ويُعتبر القاضي الشيخ عبد المقتدر الشريحي الشاعر الهندي الأول في اللغة العربية للمدائح النبوية، ثم استمرّت هذه السلسلة منذ ذلك الوقت حتى هذا الحين فقرض كثير من العلماء العباقر أمثال العلامة فيض الحسن السهارنفوري، والشيخ غلام علي آزاد بلغرامي، والعلامة فضل حق الخيرآبادي، والشيخ الإمام أحمد رضا خان البريلوي، ولم يقف هذا الفن باللغة العربية في شبه القارة الهندية ، بل وجدناه أنه انتقل إلى الفارسية، وقام الشعراء الكبار بنظم القصائد في المديح النبوي بالفارسية، وعلى رأسهم الشاعر الكبير أمير خسرو

---

(١) انظر المدائح النبوية في الهند، للدكتور صدر الحسن ص ١٩

الدهلوي، ثم تأثر منه شعراء اللغة الأردية، فقرضوا قصائد عظيمة في المديح النبوي في الأردية. [١]

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي:

"وكان عشق الرسول ﷺ والشوق إلى المدينة موضوعا محبباً لدى الشعراء الهنود في مجال المديح النبوي، والقصائد الأردية تُعدّ أشدّ تأثيراً وحسناً بعد الفارسية."[٢]

والمدائح النبوية التي جرت على ألسنة هؤلاء الشعراء قد صدرت عن طبعهم الصادق وحبهم العميق للرسول ﷺ مجردة عن المطامع الدنيوية والمنافع المادية.

وهناك عدة أسباب وبواعث قد دفعت الشعراء الهنود إلى قرض القصائد والأبيات في مدح الرسول ﷺ وبالتالي سنسردها بإيجازٍ.

الف: حب النبي ﷺ

ومن الطبيعي أن المسلمين قد أحبوا النبي المرسل رحمة للعالمين أكثر من حبهم والديهم وأولادهم والناس أجمعين، وقد ورد في الحديث أنّ هذا الحبّ الصادق هو من أساس الإيمان، كما رواه الإمام البخاري والإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» [٣].

فالمسلمون الهنود لا يختلفون عن العرب في هذا المجال، فقد أبدى الشعراء الهنود حبهم للنبي ﷺ، بمدحه في قولهم وشعرهم، وبذلوا جهدهم المستطاع في آدابهم

(١) انظر نعتیہ روایت کا عروج وارتقا ایک تاریخی و تجزیاتی مطالعه ، للدكتور سراج أحمد ص ٤٤

(٢) كاروان مدينة ص ١٧٦.

(٣) الصحيح للبخاري ، كتاب الإيمان ٦٥/١

الشعرية معبرين عن هذا الحبّ العميق، وكان شعرهم في ذلك يدخل أساسا في قرض المديح، ولكنه يختلف عن المديح العام الذي يقدمه شاعر من الشعراء في قصيدته بين يدي ملك من الملوك، أو أمام شخصية من الشخصيات النابهة، فإن المديح الذي يقرضه الشعراء في حب الرسول ﷺ، فإنما يكون تعبيرا عن الحب المثالي والفداء النزيه الكرم. يقول الدكتور محمد إقبال:

محمد کی محبت دینِ حق کی شرطِ اول ہے　　اسی میں ہو اگر خامی تو سب کچھ نامکمل ہے

قوتِ عشق سے ہر پست کو بالا کر دے　　دہر میں اسمِ محمد سے اجالا کر دے

کی محمد سے وفا تو نے تو ہم تیرے ہیں　　یہ جہاں چیز ہے کیا لوح و قلم تیرے ہیں[١]

هناك شروط لتكميل الإيمان والدين أولها وأعظمها هو حبّ النبي ﷺ، وإن بقي في هذا نقص وقصور فلا يمكن تكميل الإيمان والدين. وبقوة العشق ارفع من اضمحل وانحدر وباسم النبي محمد ﷺ نوّر الأفاق. أيها الإنسان لك جميع ما في السماوات والأرض، بل لك اللوح والقلم إن كنت وفياً ومطيعاً للنبي ﷺ.

ب: البعد عن مدينة الرسول ﷺ:

الهنود كغيرهم من المسلمين يؤمنون بأن الحج ركن من الأركان التي يجب على كل مسلم تأديتها متى استطاع إلى ذلك سبيلا، ولكن بعد ديارهم عن الأماكن المقدسة يحول بين بعضهم وبين أداء هذا الواجب المقدس، فكلما ذكروا النبي صلى الله عليه وسلم أو احتفلوا بذكر سيرته ترحل عقولهم ومشاعرهم إلى تلك البقاع التي شهدت مولد الرسول ﷺ واحتضنت معجزاته، وشهدت فجر رسالته التي أخرجت العالم من الظلمات إلى النور، ولكن مناسبة توديع الحجاج وتشييع مواكبهم كانت

---

(١) كلياتِ إقبال ، الأردية ، بانك درا، ص ٣٦١

أكثـر إثـارة لهـذا النـوع مـن المشـاعر لـدى المتخلفـين، ـوخاصة العـاجزين مـنهم، الـذين تشـتد بهـم الأشـواق ويجـرفهم الحنـين فتسـافر قلـوبهم وترحـل أرواحهـم مـع الـراحلين، ولا يبقـى لهـم إلا تلـك الأجسـاد المحطمـة التـي أضـناها الشـوق وحالـت الظـروف بينهـا وبـين الرحيل مع تلك المواكب المحظوظة.

ومـن المعلـوم أنّ تطلّـعَ قلـوب المحبـين نحـو طيبـة، وتشـوق أرواحهـم لزيـارة قبـر الرسـول الشـريف ومسـجده المنيـف يعتبـر مـن أعظـم القربـات، وأرجـى الطاعـات، وهـو السـبيل إلـى الوصـول إلـى أعلـى الـدرجات. وكـل مـن اعتقـد بغيـر ذلـك فقـد خـالف الله ورسـوله والعلمـاء الأعـلام. قـال القاضـي عيـاض: "إنهـا سـنة مـن سـنن المسـلمين مجمـع عليهـا، وفضـيلة مرغّـب فيهـا"(١) فقـد روى الـدارقطني مـن حـديث ابـن عمـر رضـي الله عنهمـا أن رسـول الله ﷺ، قـال: « مـن زار قبـري وجبـت لـه شـفاعتي» (٢). وروى الطبرانـي أن النبـي ﷺ قـال: « مـن جـاءني زائـرا لا تعملـه حاجـة إلا زيـارتي كـان حقـا علي أن أكون شفيعا له يوم القيامة » (٣)

وعـن أنـس بـن مالـك رضـي الله عنـه قـال: قـال رسـول الله ﷺ : «مـن زارنـي فـي المدينة محتسبا كان في جواري وكنت له شفيعا يوم القيامة» (٤).

وروى الـدارقطني وغيـره عـن ابـن عمـر رضـي الله عنهمـا أن النبـي ﷺ قـال: « من حـج ولـم يزرنـي فقد جفـاني» (٥). وفـي الصـحيحين عن أبـي هريـرة رضـي الله عنـه أن

---

(١) الشفا، للقاضي عياض ٧٨/٢

(٢) سنن الدار قطني ١٧٨/٣

(٣) المعجم الكبير للطبراني ٢٣١/٤، مختصر تاريخ دمشق، لابن منظور ٢/ ٤٠٦، شفاء السقام في زيارة خير الأنام،تقي الدين السبكي ص ٢، تمييز الطيب من الخبيث، للشيباني ص ١٦٧.

(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٣٤٤/٢، نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري ٣٢٢/١

(٥) تمييز الطيب من الخبيث ص ١٦٥

النبـي ﷺ قـال: « مـا بـين بيتـي ومنبـري روضـة مـن ريـاض الجنـة» [١]. وعـن أبـي هريـرة رضـي الله عنـه أن النبـي ﷺ قـال: «صـلاة فـي مسـجدي هـذا خيـر مـن ألـف صـلاة فيمـا سـواه إلا المسـجد الحـرام» [٢] . إلـى غيـر ذلـك مـن الأحاديـث التـي تبـين فضـل الزيـارة وثـواب الصـلاة فـي المسـجد النبـوي الشـريف، وهـذا هـو الأمـر الـذي يـدفع جمـاهير المـؤمنين لزيـارة هـذه الأمـاكن المقدسـة، والمجـاورة فيهـا تـائبين مسـتغفرين مصـلين ومسلّمين: "أخبرنـا مالـك، أخبرنـا عبـد الله بـن دينـار أن ابـن عمـر رضـي الله عنهمـا كـان إذا أراد سـفراً، أو قـدم مـن سـفرٍ جـاء قبـر النبـي ﷺ ، فصـلى عليـه، ودعـا ثـم انصرف"[٣].

وكـان أهـل الهنـد مـن أرق المسـلمين شـوقا لزيـارة الرسـول ﷺ، لأن بعـد المـزار غـزا قلوبهم بأقباس الحنين كما نرى في قول الحاج إمداد الله المهاجر المكي:

کر کے نثار تم پر گھربار یارسول　　اب آپڑا ہوں آپ کے دربار یارسول

ہو آستانہ آپ کا امداد کی جبیں　　اور اس سے زیادہ کچھ نہیں درکار یارسول[٤]

الترجمـة: يـا رسـول الله ! إنـي فـديت جميـع مـالي وأتيـت إلـى عتبـة جنابـك، وأرجـو أن أكون ملقى ومطروحاً على عتبته، ولا أريد سوى هذا.

ويقول الإمام أحمد رضا خان، معبراً عن اضطرابه لزيارة روضة النبي صلى الله عليه وسلم، وهو يحسّ أن الروح والقلب والوعي والعقل تصل إليها قبل وصوله نفسه:

جان ودل ہوش وخرد سب تو مدینہ پہونچے　　تم نہیں چلتے رضا سارا تو سامان گیا[١]

---

(١) الصحيح للبخاري ٢٣٣/٢

(٢) الصحيح لمسلم ، باب فضل الصلوة في المسجد الحرام والمسجد النبوي ٤٣٣/٢

(٣) الموطأ ، لمالك بن أنس ص ٣٣٤

(٤) نقوش رسول نمبر ١٠ /٦٥٤

يـا رضـا إن الـروح والقلـب والـوعي والعقـل كلهـا طـارت عنـي ووصـلت إلـى المدينـة فلم يبق لك إلا اللحم والعظم، فلك أن تصل إليها على الفور.

ومـرة يفقـد قلبــه ولــم يجـده عنــده ولا يطيــق أن ينقــب عنــه، فيــدعو عبــاد الله أن يبحثوا عن قلبه المفقود، يقول:

ارے اے خدا کے بندو! کوئی میرے دل کو ڈھونڈو

مرے پاس تھا ابھی تو ابھی کیا ہوا خدایا

نہ کوئی گیا نہ آیا(٢)

الترجمة: يا عباد الله ! فقدت قلبي، فابحثوا عنه كان عندي قبل سويعات ولم أجده الآن، لم يأت آتٍ ولم يذهب ذاهب ليذهب به فأين هو؟

ثم يتخيل أنهم يبحثون عنه حتى يجدوه في حضرة النبي ﷺ ويجيبوه قائلين:

ہمیں اے رضا ترے دل کا پتہ چلا بہ مشکل

درِ روضہ کے مقابل وہ ہمیں نظر تو آیا

یہ نہ پوچھ کیسا پایا(٣)

الترجمة: يا رضا! إنا قد عثرنا على قلبك المفقود بجهدٍ كثيرٍ، ورأيناه أمام روضة النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن لا تسئل كيف وجدناه؟

ج: التأثر عن شعراء العربية والفارسية:

---

(١) حدائق بخشش ص ٣٣

(٢) المصدر نفسه ص ٢٥٥

(٣) المصدر نفسه

لقد ساهم شعراء المدائح النبوية من الهند كما ساهم الشعراء العرب في المدائح النبوية مثل حسان بن ثابت وكعب بن زهير والإمام البوصيري والإمام أبو بكر بن محمد البغدادي رحمهم الله تعالى في ترويجها في أنحاء العام. وصل الشعراء والأدباء في العجم من الحساسية ورقة الشعور والتواضع والتأدب لمقام الرسالة العظمى. وهؤلاء الشعراء البارزون قدموا مؤلفاتهم الرائعة. ومعظم مؤلفاتهم مثل مؤلفات العرب أسلوبا. وازداد عدد شعراء المدائح النبوية في شبه القارة الهندية العظيمة التي تتواصل حتى يومنا هذا.

يقول الدكتور فرمان فتح بوري في هذا الصدد:

"إذا درسنا تاريخ المدائح النبوية الأردية نجد فيها التلميحَ إلى قصائد حسان بن ثابت، وكعب بن زهير، والبوصيري، وكذا يُنشد بعض الأبيات من تلك القصائد في حفلات السيرة والميلاد بكل شوقٍ ورغبةٍ. وقام بعض الشعراء منهم بترجمة البردة في الأردية نظماً، وقد طبعت ترجمة منظومة لخان بهادر محمد حسين عارف مجلة "خاتون" سنة ١٩٦٤م. وقد درستها ووجدتها أحسن ما نظم في المدائح النبوية. وهذا كله يدلّ على أنّ هذه القصائد قد تأثّر بها شعراء الأردية تأثّراً شديداً" [١].

وقد أخذ الشعر الأردي عن العربية والفارسية نظام العروض وقواعد الشعر والأغراض الشعرية كالغزل والمدح والوصف والرثاء والحكمة، فتأثّر شعر المديح النبوي الأردي من الشعر الفارسيّ أكثر من الشعر العربي، وقد يوجد لدى شعراء الفارسية الكثيرين نموذجٌ للمدائح النبوية بصفة عامة، ولكنّ الذين لهم شهرة واسعة وتأثير عظيم في مجال المديح النبوي هم الشيخ السعدي شيرازي، والأمير خسرو، والعلامة عبد الرحمن جامي، والشيخ محمد جان القدسي.

يقول السعدي:

بلغ العلى بكماله   كشف الدجى بجماله

(١) أردو كي نعتيه شاعري، الدكتور فرمان فتحبوري ص ٣٢

حسنت جميع خصاله　　صلّوا عليه وآله[1]

وهذان البيتان وإن كانا في العربية ولكن الناس يعتبرونهما كالأبيات الفارسية، لأن السعدي مشهور عندهم كشاعرٍ فارسيٍّ، فشعراء الأردية يأخذونهما ويعتنون بهما تضميناً وتخميساً، فقام الشيخ حامد حسن القادري بالتضمين فأنشد في نفس الرديف والقافية قائلاً:

انہیں دل جو کر دیں حوالے ہی　　تو کرم پھر ان کا سنبھالے ہی

انھیں جانیں جاننے والے ہی　　کہ ہیں وصف ان کے نرالے ہی[2]

الترجمة: إذا سلّمنا القلوب إليه ﷺ، توجه إليها كرمه وفضله، لا يعرفه إلا من وفق الله المعرفة والحكمة، لأنّ أوصافه نادرة فريدة.

وللسعدي أبيات في الفارسية لها تأثير في الشعر الأردي ومنها ما يلي:

كريم السجايا جميل الشيم　　نبي البرايا شفيع الأمم

امامِ رسل پیشوائے سبل　　امینِ خدا مہبطِ جبرئیل

کلیمے کہ چرخِ فلک طور اوست　　ہمہ نورہا پرتوِ نورِ اوست

اگر یک سر موئے برتر پرم　　فروغِ تجلیٰ بسوزد پرم[3]

وأما شعر الشيخ أمير خسرو فقد تأثر منه حلقات العلم والأدب وعامية الناس كلهم، فأهل العلم والأدب تأثروا منه بالقراءة وعامية الناس بمحافل السماع، فلهذه الأبيات قبول عام في جميع طبقات الناس:

---

(١) المصدر نفسه ص ٣٣

(٢) المصدر نفسه

(٣) بوستان سعدي ص ٨

نمی دانم چہ منزل بود، شب جائے کہ من بودم
بہر سو رقصِ بسمل بود، شب جائے کہ من بودم
خدا خود میرِ مجلس بود ، اندر لا مکاں خسرو
محمد شمعِ محفل بود ، شب جائے کہ من بودم(١)

الترجمة: لا أعلم ما تلك الحال وما هذه المنزلة؟ كنت أنا في موضع وكانت ليلة مظلمة، وفي الجهات كلها قلق واضطراب كنت أنا في موضع وكانت ليلة مظلمة. وكان الله رئيس الحفلة وسيدها في ليلة المعراج، ومحمد كان كالشمع والسراج هناك كنت أنا في موضع وكانت ليلة مظلمة.

وللعلامة جامي قصيدة في هذا الخصوص لها شهرة واسعة وقبول عام أولها:

لي حبيب عربي مدني قرشي   کہ بود دردو غمش مایہ شادی وخوشی(٢)

الترجمة: إن لي حبيب عربيّ مدنيّ قرشيّ ووجع حبه وحزن فراقه عندي كالفرح والسرور.

وقد أجاد الشيخ محمد جان القدسي، حيث نظم قصيدة في المديح النبوي اشتهرت بين العلماء والأدباء، وأولها:

مرحبا سيّدي مكي مدني العربي   دل وجاں باد فدایت چہ عجب خوش لقبی

وقد نالت هذه القصيدة عناية الأدباء والشعراء، حيث قاموا بالتخميس والتضمين عليها، وقد طبعت مجموعة للتضمينات الأردية عليها بعنوان "حديث قدسي"، قام بترتيبها وطبعها ونشرها القاضي محمد عمر من المطبع المخدومي مومبائي

(١) ديوان أمير خسرو ص ١٧٦

(٢) أردو كي نعتيه شاعري، الدكتور فرمان فتحبوري ص ٣٦

سنة ١٢٨٠هـ. تحتوي هذه المجموعة على مائة تضمين لشعراء الأردية تقريباً، ومن بين هؤلاء الشعراء من يُعدّ من أساتذة الأدب الأردي كأسد الله خان غالب والحكيم مؤمن خان مؤمن وغيرهما. يقول مؤمن:

ہوں تو عاشق مگر اطلاق، یہ ہے بے ادبی　　میں غلام اور وہ صاحب ہے میں امت وہ نبی

یا نبی یک نگہ لطف بہ امی و ابی　　مرحبا سیّدي مكي مدني العربي

دل و جاں باد فدایت چہ عجب خوش لقبی[١]

الترجمة: أنا محب النبي ﷺ وعاشقه وأخاف أن لا أكون في جنابه سوء الأدب، لأنه سيد ونبي وأنا عبد من أمته، يارسول الله! الطف بأبي وأمي، مرحباً بك سيدي المكي المدني العربي فداك روحي وقلبي وهذا من حسن حظي ونصيبي.

وهناك بيتان للشاه عبد الحق الدهلوي قد اشتهرا بين أصحاب الأردية وهما:

يا صاحب الجمال ويا سيد البشر　　من وجهك المنير لقد نُوِّر القمر

لا يمكن الثناء كما كان حقه　　بعد از خدا بزرگ توئی قصہ مختصر[٢]

وزبدة القول فيما نحن بصدده هو أن شعراء الأردية قد تأثروا من شعراء العربية والفارسية فأنشدوا قصائد في مدح النبي ﷺ تضميناً وتخميساً، ثم اعتبروا المديح النبوية فناً مستقلاً في الأردية وعرف هذا الفن بالنعت، وله أدوار مختلفة للنشأة والتطور كما سنتحدث عنه في المبحث التالي، إن شاء الله تعالى.

****

(١) المصدر نفسه ص ٣٧

(٢) اردو زبان كا ارتقا ، الدكتور شوكت سبزواري ص ٩٠

المبحث الثاني

المديح النبوي وتطوره في اللغة الأردية عبر العصور دراسة تحليلية

يشتمل هذا المبحث على ثلاثة مطالب

المطلب الأول

تطور المديح النبوي في العصر الأول

المطلب الثاني

تطور المديح النبوي في العصر الثاني

المطلب الثالث

تطور المديح النبوي في العصر الثالث

تمهيد

إذا ألقينا النظر على تاريخ المديح النبوي في اللغة الأردية نجد أن الباحثين والأدباء قد اتفقوا على أن أول من حاول في مجال المديح النبوي في الأردية هو الشيخ بنده نواز غيسو دراز. ويعتبر كتابه "معراج العاشين" أول مصنف في هذه اللغة، يقول الدكتور شجاعت علي السنديلوي:

"وأول من صنف في الأردية هو الشيخ كنج العلم المتوفي سنة ١٣٩٤م الذي هاجر من "دهلي" إلى "دولت آباد" وسكن في "بيجابور" وقد يُذكر في الأردية الدكنية بعض رسائله، ولكنها لم تُطبع بعد، والذي يتفق عليه الأدباء والمؤرخون هو أن "معراج العاشقين" للشيخ بنده نواز يُعتبر كأول كتابٍ في الأردية، أنه هاجر من "دهلي" إلى "حسن آباد" سنة ١٤١٢م وتوفي هناك سنة ١٤٢٢م، وبالإضافة إلى ذلك له عدة رسائل في الأردية"[١].

اختلف رأي الدكتور جميل جالبي عنه وعنده "كدم راؤ بدم راؤ" لفخر الدين النظامي أول ما صُنف في الأردية ، ولكن الأدباء المشهورين أمثال الدكتور مسعود حسين خان[٢] والدكتور طلحة الرضوي البرق[٣] وغيرهما[٤] ردوا رأيه، واتفقوا على أن"معراج العاشقين" هو الكتاب الأول الذي ظهر في الأردية.

وعلى كل حال الأمر الذي ليس فيه شك ولا ارتياب هو أن بداية المديح النبوي في شبه القارة الهندية كانت في القرن التاسع الهجري.

---

(١) تعارف تاريخ اردو ، الدكتور شجاعت علي ص ٢٤-٢٥

(٢) انظر مقدمة تاريخ زبان أردو، الكتور مسعود حسين خان، ص ١٣٩-١٤٠

(٣) أردو كي نعتيه شاعري، الدكتور طلحة الرضوي، ص ٢٥

(٤) نعتيه روايت كا عروج وارتقا، الدكتور سراج أحمد، ص ١٧٠-١٨٠

إن الأدباء والمؤرخين قسموا تاريخ تطور الأدب الأردي إلى ثلاثة أعصر[1]، فنظراً إلى هذا التقسيم نحن ندرس تاريخ المديح النبوي في شبه القارة الهندية في ثلاثة عصور:

العصر الأول: يبتدي من ٨١٥هـ الموافق سنة ١٤١٢م وينتهي إلى ٨١٧هـ الموافق ١٤١٣م.

العصر الثاني: سنة ١١١٧هـ الموافق سنة ١٧١٣م، وينتهي إلى سنة ١٢١٥هـ الوافق سنة ١٨٠٠م.

العصر الثالث: من ١٢١٥هـ الموافق سنة ١٨٠٠، إلى يومنا هذا.

ونلاحظ المديح النبوي عبر هذه العصور في ثلاثة مطالب تالية:

(١) انظر تاريخ أدب أردو، ميرزا محمد عسكري، ص ٣٤، مقدمة تاريخ زبان أردو، الدكتور مسعود أحمد ص ١٤٥، وتعارف تاريخ أردو، الدكتور شجاعت علي ص ٢٧

المطلب الأول

تطور المديح النبوي في العصر الأول

طبقاً للمصادر التي تخبر عن بداية اللغة الأردية أنها لم تكن آنذاك في القوة والازدهار التي عليها الآن، وكانت قاصرةً عن أداء المفاهيم والمعاني على وجه الكمال، كما يقول الدكتور رام بابو سكسينه في كتابه "تاريخ أدب أردو" معبراً عما كانت عليه هذه اللغة في البداية:

"كان في البداية إطارها ضائقة ولم تكن في ذيلها ذخيرة الألفاظ ولم تعتبر كلغةٍ مستقلةٍ، ولم تكن جديراً بأن تعبّر بها الملاحظات اللطيفة والتخيلات الدقيقة، إلا أنها كانت تقبل الألفاظ والتراكيب من اللغات الأجنبية وتؤرّدها بشيئ من التغيّر، فلم تزل تدخلها قوافل الألفاظ والجمل وتجعلها قوية نظيفة يوماً فيوماً.

وشعراء العصر الأول كانوا يكتبون في لغة بين الفارسية والأردية، فغلبت الأردية شيئاً فشيئاً حتى غلبت وصارت لغةً مستقلةً، والألفاظ الأجنبية والتراكيب الفارسية قد تفاعلت مع الأردية، حتى عُدّت كأجزاء غير منكفة عنها. [(١)]"

ولم يختلف عن هذا ما نحن بصدده من شعر المديح النبوي(نعت)، ويتبين بوضوحٍ لمن درس "معراج العاشقين" و"كدم راؤ بدم راؤ" أن ما ورد فيهما من قصائد المديح النبوي لغتها ليست جيدةً فصيحةً، كما يتجلى من الأبيات الآتية، يقول صاحب معراج العاشقين:

اے محمد ہجلو جم جم جلوہ تیرا　　　ذات تجلی ہو لگی سیس سپور نہ میرا

واحد اپنی آپ تھا اپیں آپ نجھایا　　　پرکٹ جلوے کار نے الف میم ہو آیا

---

(١) تاريخ أدب أردو، مترجم مرزا محمد عسكري ص ٣٥

عشقوں جلوہ دینے کر کاف نون بسایا

لولاک لما خلقت الافلاک خالق پالائے فاضل افضل جتنے مرسل ساجد سجود ہو آئے

امت رحمت بخشش ہدایت تشریف پائے(١)

ويقول صاحب "كدم راؤ بدم راؤ" :

نبی بیرین دند کیبتا بنار انگل ہت کر چند کیتا دو پھاڑ

پتھاون نبی ماں دھرے روم رے پتھاون نبی بھینٹ کسریٰ وکے

محمد بڑا راوت جگ تھا کہ شجرا چرن رائے جگ مگ تھا(٢)

وبعد هذين نجد أول من له ديوان شعر في المديح النبوي(نعت) هو محمد قلي قطب(٣) شاه، ثم ابنه عبد الله قطب شاه(٤)، وهو يقول:

لکھ فیض سوں پھر آیا دن دین محمد کا آفاق صفا پایا دن دین محمد کا

یوں عید ہمن ساجے نصرت کے بجیں باجے ہیں جگ کے نبی راجے دن دین محمد کا

گلشن میں شریعت کے پھل کھلے طریقت کے پرمل سوں حقیقت کے دن دین محمد کا

جو بارہ اماماں ہیں لاکھ ان پہ سلاماں ہیں ہم ان کے غلاماں ہیں دن دین محمد کا

صدقے نبی عبد اللہ شہ کوں ہے مدد اللہ پنجتن گوا باللہ دن دین محمد کا(١)

---

(١) دكن میں اردو، نصير الدين هاشمى خ ص ٢٩

(٢) مثنوي كدم راؤ بدم راؤ ص ٧٠

(٣) سنتحدث عن حياته وشعره في الفصل الثاني من الباب نفسه إن شاء الله تعالى.

(٤) هو عبد الله قطب الشاه ابن محمد قطب الشاه ، وهو السلطان السادس من السلطنة الشاهية ، ولد سنة ١٦١٤م ولي الحكومة بعد وفاة أبيه ، كان شاعراً عظيماً لكلتا اللغتين : الفارسية والأردية . ومعظم شعره في المديح النبوي الشريف. انظر أردو مين نعتيه شاعري، الدكتور طلحه رضوي ص ٥٦

الترجمة: إن دين محمد قد امتدّ وتوسع الآفاق وقسم فيها فيضانه، ولنا عيد وفرح بأن نبينا محمداً ﷺ سيد الكونين، وقد نبت في حديقة الدنيا أزهار الشريعة وأينعت أثمار الطريقة حتى عُرفت الحقيقة. ومائة آلاف سلامٍ على إثني عشر إماما ونحن عبيدٌ لهم في دين محمد، فيا عبد الله! إن لنا نصرة الله وعونته بوسيلة النبي ﷺ، فوالله إنّ المطهرين الخمسة هم الشهداء لذلك.

ويقول الملا وجهي[٢] يصف النبي ﷺ:

محمد نبی ناں نوں تیرا ہے   عرش کے اوپر چھانوں تیرا ہے

کہ چودہ ملک کا تو سلطاں ہے   علی ساترے گھر میں پر دھاں ہے

اسی ہور ایک لاکھ پیغمبر آئے   ولے مرتبہ کوئی تیرا نہ پائے[٣]

الترجمة: يا محمد! إن اسمك أعلى وأرفع، مقامك عرش الله، إنك سيد لأربع عشرة طبقةً وأمثال عليّ وليّ في بيتك، وقد أتى مائة آلاف نبي ولكن لم يبلغ أحد منهم إلى أوصافك ومقامك.

ومن أشهر شعراء الأردية في هذا العصر ولي محمد ولي[٤] الدكني يعدّ من شعراء الغزل، إلا أنه قرض عدة قصائد في مدح النبي ﷺ يقول في قصيدة:

---

(١) أرمغان نعت ، ساجد الصديقي ص ٦٥

(٢) هو من أشهر شعراء القرن الحادي عشر ، وأول من كتب "مرثيه" في الأرديه ، من أشهر تأليفاته "قطب مشتري" و"سب رس" وكان شاعراً وأديباً شهيراً ، يُنظر دكن مين أردو، لنصير الدين الهاشمي، ص ٦٢

(٣) نقوش رسول نمبر يناير ١٩٨٤م، ٤٧٥/٢

(٤) ولد في غجرات سنة ١٠٧٩هـ وكان أبوه محمد شريف من أولاد لشاه نصر الله أخ الشيخ وجيه الدين الغجراتي وهو من كبار الأواولياء آنذاك، ابتدأ سفر علمه من مدرسة الشيخ وجيه الدين بأحمد آباد، وتتلمذ على يد سعد الله كلشن في الشعر وبإشارته جعل يقرض الأبيات في الأردية حتى عدّ من أساتذة الأدب الأردي، يقال إنه مجدد للأدب الأردي في القرن الثاني عشر، وبالإضافة إلى ذالك كان جامعاً للعلوم

عشق میں لازم ہے اول ذات کو فانی کرے　　ہو فنا فی اللہ دائم یاد یزدانی کرے

یا محمد دو جہاں کی عید ہے تجھ ذات سوں　　خلق کو لازم ہے جی کوں تجھ پہ قربانی کرے

جس مکاں میں ہے تمہاری فکر روشن جلوہ گر　　عقلِ اول آکے واں اقرار نادانی کرے

عارفاں بولیں گے جان و دل سے لاکھوں آفریں　　جب ولی تیری مدح میں گوہر افشانی کرے(١)

الترجمة: ومن لوازم المحبة والعشق أن يفني العاشق نفسه أولاً، ويذكر الله دائماً، يا محمد! بك الفرح والنشاط كيوم العيد في الكونين، فعلى الخلق أن يفدوك أنفسهم، والذي أعطاك الله من الحكمة والعقل والعلم يبهت أمامه العقل الأول ويعترف جهله، فإذا مدحك مادحك وليٌّ يهنّيه العرفاء بآلاف تهنئةٍ بكل شوقٍ ورغبةٍ.

ومن أشهر أبياته (في نعت) هذا الرباعي:

اے خلق کے زیب وزین! مجھ حال کوں دیکھ　　اے جدِ حسن حسین! مجھ حال کوں دیکھ

تجھ باج مجھے نہیں ہے دو جا جگ میں　　شاہنشہِ مشرقین! مجھ حال کوں دیکھ(٢)

الترجمة: يا زينة الخلق انظر إلى حالي، وياجد الحسن والحسين انظر إلى حالي، ليس لي أحد سواك في الكونين ويا سيد المشرقين انظر إلى حالي.

وكذا له مخمسات في المديح النبوي (نعت) نحو التالي:

مطلب نہیں ہے کہ ہم کو حسیناں! نعیم کا　　کچھ خوف نہیں ہم کو عزیزاں! جحیم کا

بندہ ہوں صدقِ دل سے نبی الکریم کا　　مجھ درد پر دوا نہ کرو کچھ حکیم کا

الدينية كلها، وكان له رغبة في السياحة والترحال، توفي ١١٩٠هـ. انظر مقدمة كليات ولي، الدكتور نور الحسن ص ١١، ومطالعه ولي، الدكتور شارب ص ١٨٣.

(١) نقوش رسول نمبر ١٧٢/١٠

(٢) مطالعه ولي ص ١٨٣

بن وصل نئیں علاج بِره کے سقیم کا(١)

الترجمــة: لــيس لنــا حاجــة إلــى الجنــة النعــيم، ولا خــوف لنــا مــن الجحــيم، أنــا محــب صــادق للرســول الكــريم ﷺ، ولا تــداووا علــى وجعــي ولا تســتخدموا طبيبــا لعلاجــي، لأنــي مبتلى بمرض المحبة والفراق والهجران ولا علاج لي إلا وصل الحبيب.

****

(١) المصدر نفسه ص ١٨٤

المطلب الثاني

تطور المديح النبوي في العصر الثاني

يبتدي هذا العصر من ميرزا محمد رفيع سودا[1]، وقد كان الشعر الأردي والمديح النبوي في الأردية ازدهر في هذا العصر إلى حد ما، والمديح النبوي الذي كانت بدايته على يد الشيخ بنده نواز وكانت لغته غير فصيحةٍ في أول وهلة، قد انقلبت فصيحةً بليغةً عذبةً، وكان ألوفٌ من شعراء الأردية قد أعملوا فكرهم في قرض الشعر في المديح النبوي، وعلى حد قول البعض من الباحثين قد قطع المديح النبوي في الأردية ثلث الطريق آنذاك[2]، يقول حفيظ التائب معبراً عن عصر سودا وأدبه:

"ويعدّ ميرزا محمد رفيع سودا (ت ١١٩٥هـ) من أشهر الشعراء في هذا القرن، وهو أول من يمتاز في الشعر الأردي بالهند الشمالية، والمسافة التي بين ولي وسودا تعتبر كمنزلٍ من منازل السفر الطويلة في شارع الأدب الأردي، والتطورات والتغييرات التي حدثت خلال هذه الفرصة في اللغة والأدب تظهر في قصائد سودا ظهور الشمس في رابعة النهار. [3]"

(١) كان من أشهر شعراء الأردية، ولد سنة ١٦٩٥م، أو ١٧١٣م أو سنة ١٧٠٧م بدهلي، وبها نشأ وترعرع حتى برع في جميع العلوم التي كانت مروجة في عصره، وهاجر سودا من دهلي إلى فرخ آباد سنة ١٧٦٠م ، ثم انتقل إلى فيض آباد ومنها إلى لكناؤ ، وبها توفي سنة ١٧٨١م. وقد نظم سودا في جميع الأصناف الشعرية من الغزل والمرثية وما إلى ذلك، ولكنه اشتهر كشاعر القصيدة، ويحتوي ديوانه على تسع وثلاثين قصيدة طويلة، وذلك في مدح النبي ﷺ ومدح كثير من الأساطين كأمثال علي ابن أبي طالب، والإمام كاظم، والإمام المهدي والإمامين الحسن والحسين وأمهما فاطمة الزهراء وغيرهم. انظر مرزا محمد رفيع سودا، لخليق أنجم، وأردو قصيده نكاري، أم هاني أشرف، ومطالعه سودا، لمحمد حسن.

(٢) انظر أرمغانِ نعت، لساجد الصديقي ص ٢٣.

(٣) نعتيه روايت كا عروج و ارتقا ص ١٩٩

ووفـق رأي الـدكتور طلحـة الرضـوي البـرق يمكـن أن يُقـال إن هـذه القصـائد هـي أول نمـوذج للمـديح النبـوي بالهنـد الشـمالية[1]، وهنـاك وإن يوجـد فـي القصـيدة التشـبيب والتغـزل ولكـن يلتفـت الشـعراء بعـد التشـبيب إلـى المـدح ويتـرك المجـاز يصـف عـن الحقيقـة، فلينظـر إلـى بعـض الأمثـال لشـعر المـديح النبـوي فـي عصـر المتوسـطين مـن شعراء الأردية. يقول ميرزا محمد رفيع:

زہے دین محمد پیروی میں اس کی جو ہو وے
رہے خاکِ قدم سے اس کی چشم عرش نورانی
ملک سجدہ نہ کرتے آدمِ خاکی کو گر اس کی
امانت دارِ نورِ احمدی ہوتی نہ پیشانی
جو صورت اس کی ہے لاریب وہ ہے صورتِ ایزد
جو معنی اس میں ہیں بیشک وہ ہیں معنی ربانی
حدیثِ من رآنی دال ہے اس گفتگو اوپر
کہ دیکھا جس نے اس کو ان نے دیکھی شکلِ یزدانی[2]

الترجمـة : مرحبـاً بمـن اتبـع ديـن نبينـا محمد ﷺ، فإنـه يتنـور جبينـه بنـور عرفانـه، لـم يسـجد الملائكـة لآدم لـولم يكـن تبينـه أمينـاً لنـور نبينـا محمد ﷺ، إن صـورة سـيدنا محمد ﷺ لا مثيـل لهـا ولا نظيـر، لأنهـا نـوّرت بنـور الله تعـالى، وقـال رسـول الله ﷺ « مـن رآنـي فقـد رأى الحق» وهو يدلّ على أن من رآه فقد رأى نور ربه بلا شبهة ولاشك.

---

(١) نقوش رسول نمبر ١٠/١٧٤

(٢) أردو مين نعتيه شاعري، الدكتور رفيع الدين اشفاق، ص ١٨٣–١٨٤

يقول نظير أكبر آبادي[1] :

تم شه دنیا و دیں ہو یا محمد مصطفے   سر گروہ مسلمیں ہو یا محمد مصطفے
حاکمِ دینِ متیں ہو یا محمد مصطفے   قبلہ اہلِ یقیں ہو یا محمد مصطفے
رحمۃ للعالمیں ہو یا محمد مصطفے

مخبرِ صادق ہو تم یا حضرت خیر الوریٰ   سرورِ ہر دوسرا اور شافعِ روزِ جزا
ہے تمہاری ذات والا منبعِ لطف وعطا   کیا نظیر اک اور بھی سب کی مدد کا آسرا
یاں بھی تم واں بھی تمہیں ہو یا محمد مصطفے[2]

الترجمة: أنت ملك الدين والدنيا يا مصطفى! وأنت سيدٌ لطائفة المسلمين يا رسول الله!، وأنت الحاكم للدين المتين وقبلة المحبين المعتمدين يا رسول الله! وأنت رحمةٌ للعالمين.

---

(١) هو ولي محمد نذير أكبر آبادي من كبار شعراء الأردية، ولد سنة ١٧٣٥م، في عائلة شريفة من أكبر أباد. لم يتلق أي تعليم رسميًا وفقاً لتقاليد العصر ، إلا أنه تتلمذ على بعض الأساتذة في موطنه في مكتب ديني وتعلم بشيئ من العربية والفارسية. جعل ينظم الشعر في عمر مبكر حتى عرف كشاعر مشهور في الأردية. هو أول شعراء الأوردو ، الذين أزالوا أسلوبهم الشعري المشترك واختاروا مساراتهم المنفصلة، حيث قدم قصائده للجمهور وبيّن فيها مشاكل أهل المجتمع وأهل الطبقة الدنيا، وهو يغطي المواضيع الاجتماعية والأخلاقية والإصلاحية والثقافية في شعره، جعل مواضيع خاصة من شعره للعبادة والحياة العامة، ويتم تسليط الضوء على أبرز العناصر الهندية في شعره، وبهذا العنصر الشعري يُعدّ نذير أكبر آبادي شاعراً شعبياً. توفي سنة ١٢٤٦هـ الموافق سنة ١٨٣٠م. انظر مقدمة ديوان نذير أكبر آبادي ص ٢٢-٢٧

(٢) أردو كي نعتيه شاعري ، الدكتور طلحه البرق ص٣٨-٣٩

ويـا خيـر الـورى! أنـت المخبـر الصـادق وأنـت سـيد الكـونين وشـافع يـوم القيامـة، وإن شخصـيتك منبـع اللطـف والإعطـاء وهـذا الكـرم والجـود والعطـاء لا لنظيـر مادحـك فحسب، بل هو لجميع الناس، فيا رسول الله ! ليس لنا سواك لا هنا ولا هناك.

وقال الشاعر الأردي الشهير الأستاذ مير تقي مير[1] في هذا الخصوص:

ہو رہے ہیں ہم جو دوزخ کے حطب   سر پہ ہم اعمال لائے ہیں غضب

رکھتے ہیں چشم عنایت تجھ سے سب   تجھ سوا کس سے کہیں احوال اب

رحمۃ للعالمینی یارسول! شفیع المذنبینی یارسول

جب تلک تاثیر کا تھا کچھ گماں   گر قرآں خواں میر تھے گر سبحہ خواں

وقت یکساں تو نہیں اے دوستاں   اب یہی ہے ہر زباں وردِ زباں

رحمۃ للعالمینی یارسول! شفیع المذنبینی یارسول[2]

الترجمـة: إنـا نصـير وقـود النـار ، لأننـا لـم نعمـل الصـالحات، ومـع ذلـك نرجـو منـك العنايـة والغفـران، ولمـن نقـول عـن أحوالنـا سـواك؟ أنـت يـا رسـول الله ! رحمـةٌ للعـالمين وشفيع المذنبين.

---

(١) كان من أساتذة الأدب الأردي، ولد بأكبر آباد سنة ١٧٢٢م وتوفي سنة ١٨١٠م بلكناؤ. كان آباؤه أتوا من الحجاز إلى دكن، وجده قد توطن أكبرآباد وسكنوا هناك، زكان أبوه من الرجال الصالحين وقد تأثر من زهده وتقواه مير ، وتوفي ولم يبلغ ولده هذا إلى إحدى عشرة سنة من العمر. نشأ مير وشب في كنف مير أمان الله حتى برع في كثير من العلوم والفنون وذعت صيت علمه وشعره في الهند وخارجها، وله مصنفات كثيرة في النظم والنثر من أشهر هذه المصنفات "نكات الشعرا" وذكر مير" ودواوين الشعر. انظر مير حيات اور كارنامي، خواجه أحمد الفاروقي ص ١٤٣-١٤٦، ومير همارے عهد ميں، ناصر كاظمي ص ٧٨-١٠٠.

(٢) أرمغانِ نعت ، ساجد الصديقي ص ٧٢

حيث كان الناس يخافون من العذاب يقرأون القرآن ويسبحون الله، أيها الرفقاء لا يساوي وقتٌ لوقتٍ والآن قد يتردد على الألسنة "أنت يا رسول الله ! رحمةٌ للعالمين وشفيع المذنبين".

ويقول الشيخ محمد إسماعيل الدهلوي(١):

وہ انسان اکمل ہے سنتے ہو کون ہوئے مفتخر جس سے یہ دونوں کون
نبی البرایا رسولِ کریم نبوت کے دریا کا در یتیم
حبیبِ خدا سید المرسلین شفیع الوریٰ ہادی راہِ دین
محمد ہے نام ان کا احمد لقب بیاں ہو سکے منقبت ان کی کب
دل ان کا جو ہے مخزنِ سرِ غیب مبرا خطا سے ہے بے شک وریب(٢)

(١) هو إسماعيل بن عبد الغني بن وَلي الله بن عبد الرحيم العُمري الدهلوي (١١٩٣-١٢٤٦) مجاهد مسلم وعالم دينى، قاتل في صفوف أحمد عرفان مع قبائل البشتون ضد إمبراطورية السيخ، التي حكمت في شمال غرب شبه القارة الهندية وكانت تتخذ من ولاية البنجاب عاصمة لها في النصف الأول من القرن التاسع عشر. وُلد بدِهْلِي ١٢ ربيع الثاني سنة١١٩٣ ، وتوفي والده في صباه، فتربّى في مهد عمه الشيخ عبد القادر بن ولي الله الدهلوي، وقرأ عليه الكتب الدرسيّة، واستفاد من عمَّيْه الشيخ رفيع الدين، والشيخ عبد العزيز أيضاً، ولازمهما مدةً طويلة، وصار عالماً نبيلاً في المعقول والمنقول، ثم لازم السيدَ الإمام أحمد بن عرفان، وسافر معه إلى الحرمين الشريفين، سنة سبع وثلاثين ومئتين وألف، فحج وزار، ورجع معه إلى الهند، وساح البلاد والقرى بأمره سنتين، فانتفع به خلق لا يُحصون بِحَدٍّ وعد، ثم سافر معه إلى الحدود سنة إحدى وأربعين ومئتين وألف، فجاهد معه في سبيل الله، وكان كالوزير للإمام، يجهز الجيوش، ويقتحم المعارك العظيمة، بنفسه حتى أُستشهد في بَالَاكَوْت من أرض باكستان. وله مصنفاتٌ عديدةٌ باللغة العربية والفارسية والأردية، منها: "الصراط المستقيم" و"إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح" و "منصب إمامة" و"مبحث إمكان النظير وامتناع النظير" و"رد الإشراك والبدع" و"تنوير العينين في إثبات رفع اليدين" انظر الإعلام بمن في الهند من الأعلام ٧/٢٣٤-٢٣٥.

(٢) أرمغانِ نعت ، ساجد الصديقي ص ٧٣

الترجمة: هو إنسانٌ أكمل من هو؟ هو الذي يفتخر به الكونان، هو نبي الخلق كله ورسولٌ كريمٌ وهو درٌّ منفردٌ في بحر النبوة، هو حبيب الله وسيد المرسلين شفيع الورى وهادٍ إلى صراط الدين، سُمّي محمداً ولُقّب بأحمد فلا تدخل مناقبه تحت عدٍّ ولا حصرٍ، فقلبه ﷺ مخزن للأسرار الغيبية وهو معصومٌ عى الخطيئات بلاشك وبلاريب.

****

المطلب الثالث

تطور المديح النبوي في العصر الثالث

عند ما نسعى الاستعراض عن تطور الأدب الأردي في القرن التاسع عشر الذي يُمثّل الحقبة الذهبية للشعر الأردي، نجد أنه قد اعتنى به الهنود في هذا القرن كلغة العلم والثقافة والحضارة، حتى خرجت جماعة كبيرة من العلماء والأدباء والشعراء النوابغ الذين طار صيتهم في الآفاق وراجت أسواقهم في مشارق الأرض ومغاربها، تفتخر بهم الهند ويتجمل بهم تاريخ الشعر الأردي فقد نبغوا في جميع المجالات، وخلفوا وراءهم درراً منثورةً في الأدب الأردي. ومن أشهر هؤلاء الأدباء والشعراء الذين نبغوا في هذه الفترة وكانت لهم مكانة عالية في صناعة الأدب والشعر الأردي ميرزا أسد الله خان غالب، وألطاف حسين حالي، ومحسن كاكوروي، والحكيم مؤمن خان، وداغ الدهلوي، والإمام أحمد رضا خان البريلوي، والعلامة حسن رضا خان البريلوي، والعلامة شبلي النعماني وسرسيد أحمد خان وغيرهم.

ومما لا يشوبه شيئ من الشك هو أن المديح النبوي (نعت) قد ازدهر وتطور في هذه الفترة كصنفٍ من أصناف الشعر الأردي، وقد تغيّرت في الهند القيم الأخلاقية والسياسية والاجتماعية، وظهرت في الثقافة والحضارة الهندية، وتفرس المفكرون والعقلاء نظراً إلى هذه الظروف السياسية والأوضاع الاجتماعية بأن السلطنة المغولية سيسقط نظامها ويكون المسلمون الهنود في انحطاطٍ اجتماعيٍّ وفسادٍ سياسيٍّ، فجعل الشعراء ينادون الرسول ﷺ في أناشيدهم بقلوب مفعمة بأنواع الهموم والأحزان ويشكون إليه بما واجهت أمته من الحوادث والآلام، لأن المسلمين الهنود لم يواجهوا مثل هذه الأوضاع بعد، فدخلت في المديح النبوي لديهم موضوعات جديدة وأساليب عجيبة، فطلبُ الطمانينة والسكينة للقلوب المضطربة الحزينة يعتبر

مـن أعظـم المحركـات للمـديح النبـوي آنـذك، فـإنّ الكربـة والابـتلاء يقـرّب المـرأ إلـى الله ورسوله ﷺ. يقول أحد الشعراء في هذا الخصوص:

مصروف سجدہ ہر نفس بے قرار ہے　　　دل کا سکون قربتِ پروردگار ہے

الترجمـة: كـلّ نفـسٍ مضـطربةٍ تسـجد لله تعـالى، لأنّ الطمانينـة والسـكينة ليسـت إلا في القرب من الله سبحانه.

وبمـا أن بعـض الشـعرا قرضـوا شـعر المـديح النبـوي فـي خلفيـة الظـروف والأوضـاع التـي أشـرنا إليهـا آنفـاً أمثـال: العلامـة شـبلي النعمـاني، وألطـاف حسـين حـالي، والإمـام أحمـد رضـا خـان، ومولانـا حسـن رضـا خـان، ومحسـن كـاكوروي، فـلا يوجـد لـديهم المـديح النبـوي رسـمياً، بـل لأناشـيدهم جوانـب مهمـة لهـا علاقـة بـالحوادث والتغييـرات التـي حـدثت فـي هـذا القـرن، فلـم ينظمـوا القصـائد فـي المـديح النبـوي (نعـت) للـيمن وبراعـة الاسـتهلال فحسـب، وإنمـا تلـك القصـائد تعبّـر عمـا وقـع بقلـوبهم مـن الآلام والكربـات وتمثّل الآهات والأنات التي تأوّهتها الأمة المسلمة حينئذٍ، كما يقول بعض الشعراء:

اے خاصہ خاصانِ رسل وقتِ دعا ہے　　　امت پہ تری آج عجب وقت پڑا ہے

الترجمـة: يـا أيّهـا الرسـول الـذي لا يقربـه رسـول آخـر فـي الرفعـة والمكانـة، قـد حان وقت الدعاء والإجابة، فأمتك على شفا جرفٍ حارٍ للمصائب والآلام.

ولـيس هـذا البيـت مطلعـاً للقصـيدة نُظمـت فجـاءةً فحسـب، بـل فيـه نـداء قلـبٍ قلـقٍ يعبّـر اضـطراب الشـاعر وقلقـه ويرجـع فضـله إلـى فكـره وتـدبره وهـذا التفكـر يـرتبط بـه أجزاء القصيدة، فليلاحظ هذا البيت:

جو دین بڑی شان سے نکلا تھا وطن سے　　　پردیس میں وہ آج غریب الغربا ہے

الترجمـة: الإسـلام الـذي كـان بـدأ مـن مبدئـه ووسـع الآفـاق بشـأن وكرامـة قـد عـاد غريباً منكّراً في الغربة والمهجر.

وفـي المنتصـف الأخيـر مـن القـرن التاسـع عشـر يبتـدئ العصـر الجديـد للمـديح النبـوي فـي اللغـة الأرديـة، دخلـت فيـه الموضـوعات الجديـدة والأفكـار الجيـدة والأحاسـيس المتنوعـة ولـم يـزل يتطـور ويزدهـر هـذا الفـن يومـاً فيومـاً إلـى يومنـا هـذا، فنـذكر فيمـا يلـي نمـاذج الأبيـات فـي المـديح النبـوي فـي اللغـة الأرديـة لأعـلام الشـعراء الـذين بـرزوا فـي تقريض الشعر الأردي في القرن العشرين.

يقول الشاعر الأردي الشهير مولانا كفايت علي كافي[١] مراد آبادي:

عرشِ بریں ایوانِ محمد صلی اللہ علیہ وسلم
خلد سراپا بستانِ محمد صلی اللہ علیہ وسلم
آپ کفیل کارِ امت ، آپ شفیعِ روزِ قیامت
ہیں بے حد احسان محمد صلی اللہ علیہ وسلم
رحمتِ عالم اس کا لقب ہے، خلقتِ عالم کا وہ سبب ہے
ہے کیا عالی شانِ محمد صلی اللہ علیہ وسلم[٢]

الترجمـة: إن العـرش الأعظـم هـو منـزل محمد رسـول الله ﷺ، والجنـة كلهـا حديقـة لـه. أنت يا رسول الله ! كفيل لأمتك، وشفيع لها يوم القيامة و لك اللطف والكرم.

(١) هو بطل الثورة الحرية ١٨٥٧م، العلامة المفتي السيد كفايت علي كافي، من سادات مديرية بجنور بولاية أترا برديش، تتلمذ على علماء بدايون وبريلي حتى برع في العلوم الدينية، تلقى علم الحديث على يد الشيخ أبي سعيد المجددي رامفوري الذي كان من تلاميذ الشاه عبد العزيز المحدث الدهلوي، قد قاد جيش المسلمين في ثورة١٨٥٧م من بلدة مراد آباد، وعندما فتحت هذه البلد عُين صدر الشريعة ثم حبسه الإنجليز وشنقوه ٦ من شهر مايو سنة ١٨٥٨م. انظر مرادآباد، تايخ جد وجهد آزادي، محبوب سبزاواري،ص ١٤٤، والعلماء والقائدين للثورة الحرية ١٨٥٧م ، لياسين أختر المصباحي ص ٦٧.

(٢) ديوان كافي ص ١٣٥

يقول الشيخ إبراهيم ذوق[1] الدهلوي:

ہوا حمدِ خدا میں دل جو مصروفِ رقم ہوا   الف الحمد رب العٰلمیں کا ہے قلم میرا

رہے نامِ محمد لب پہ یارب اول و آخر   الٹ جائے بوقتِ نزع جب سینے میں دم میرا

محبت اہلِ بیت مصطفےٰ کی نورِ برحق ہے   کہ روشن ہو گیا دل مثلِ قندیل حرم میرا

دکھائی مجھ کو راہِ شرع اصحابِ پیمبر نے   چراغِ راہ ہے اکرام اصحابِ کرم میرا[٢]

الترجمة: إن قلبي لا يزال يحمد الله تعالى لما أنه يخفق بذكر الله وكذلك قلمي يكتب الحمد لله فيُرى أنه صُننع من الحمد لله رب العالمين. يارب! إذا حان وقت أجلي أريد أن يكون اسم محمد ﷺ على لساني أولاً وأخيراً. وقلبي ولوع بحب أهل بيته وحبهم نور ينور القلب كما أن قنيل الحرم ينوره، وأما أصحابه ﷺ فقد هدوني إلى الشريعة والدين، فإكرامهم وعزّهم كالمصباح لي.

يقول آخر المغول بهادر شاه ظفر[٣]:

---

(١) هو الشيخ محمد إبراهيم ذوق من أساتذة آخر الملوك المغولي بهادر شاه ظفر، ولد سنة ١٧٨٩م بدهلي، تعلم الشعر والأدب من الأساتذة الكبار حتى طار صيت شعره في دهلي، حتى عين أستاذاً لبهادر الشاه ظفر و لُقب "خاقاني الهند"، توفي ذوق سنة ١٨٦٨م عن عمرٍ ناهز عن ثمانة وستين عاماً. كان ذوق من أساتذة الشعر الأردي قرض في البحور الطويلة كثيراً، تأثر شعره من شعر الشاه نصير وناسخ ودرد ومصحفي وإنشا بصفة عامة ومن قصائد ميرزا محمد رفيع سودا بصفة خاصة، يمتاز شعره بحسن اللفظ وجدة المعنى والتعبيرات العامة وحسن التعليل وما إلى ذلك من الصنائع اللفظية والمعنوية. انظر دهلي نا دبستان شاعري، للدكتور نور الحسن الهاشمي ص١٣٢، وتاريخ أدب أردو للدكتور جميل جالبي ص٢٥٤.

(٢) أرمغان نعت ، لساجد الصديقي ص ٩٥

(٣) هو أبو الظفر سراج الدين محمد بهادر شاه ظافر آخر حاكم مسلم للهند ، تولى "شاه ظافر" الحكم في عام ١٨٣٨م، وذلك خلفًا لوالده السلطان "محمد أكبر شاه الثاني" كانت الهند حينها تعاني من الاحتلال

اے سرورِ دو کون شہنشاہِ ذو الکرم   سرخیلِ مرسلین وشفاعت گرِ امم
رنگ ظہورسے ترے گلشن رخِ حدوث   نور وجود سے ترے روشن دل قِدم
تو تھا سریر اوج رسالت پہ جلوہ گر   آدم جہاں ہنوز پس پردہ عدم

الإنجليزي في فترة من التاريخ تعد الأصعب، حيث كان المحتلون يعملون على نهب خيرات البلاد حتى أنهم فرضوا على حكام الهند مرتبات يتقاضونها منهم وكأنهم يعملون لخدمة الهند، وبالغوا في تعنتهم وكبرهم حتى أنهم كانوا يتحكمون في منافذ الهند ومخارجها فلا يستطيع أحد أن يدخل أو يخرج إلى تحت عين وموافقة المحتل الإنجليزي.

قامت ثورة دهلي في الحادي عشر من مايو عام ١٨٥٧م، نتجت هذه الثورة عن حالة من السخط العام أصابت الجنود من المسلمين والهندوس داخل الجيش البريطاني، حيث قام الضباط البريطانيين بإهانة معتقداتهم الدينية، والسخرية منها، فقد أمروا كل من الجنود الهندوس والمسلمين أن يقطعوا بأسنانهم الشحم والدهن الذي يستخدم في تشحيم البنادق، وكان هذا الدهن لبقر وخنازير والبقر محرم على الهندوس والخنازير محرمة على المسلمين، مما زاد من عملية الاحتقان بين الطرفين خاصةً عندما صدرت الأوامر بمعاقبة المتذمرين منهم، وهنا انتفض الجميع في ثورة عارمة وغضب جامح قاموا على أثرها بقتل الضباط الإنجليز وأعلنوا العصيان والثورة في جميع أنحاء دلهي.

قام الإنجليز بالقبض على الملك شاه ظافر في ٢٦ يناير ١٨٥٨ ومحاكمته محاكمة صورية، تم توجيه له فيها هو وابنه "ميراز مغل" مجموعة من التهم على رأسها تكبيل العداء للإنجليز والمشاركة في قتل البريطانيين العزل من غير المحاربين وهي بالتأكيد كانت تهماً باطلةً، لأن العداء الحقيق كان مع المحاربين من الضباط والجنود وبعد مجموعة من الجلسات تم الحكم على شاه ظافر بالإعدام ثم خفف الحكم إلى النفي خارج البلاد.

وبالفعل في ١٧ من أكتوبر عام ١٨٥٨ تم نفي شاه ظافر إلى بورما وتخصيص محبس خاص له، ونقل زوجته وبقية أفراد حاشيته إلى مكان آخر تحت الحراسة المشددة ويعد هذا التاريخ هو تاريخ سقوط أخر قشة في عرش المغول والحكم الإسلامي بالهند، وتم إعلان الهند مستعمرة بريطانية، وظل إمبراطور المغول رهين حبسه حتى وافته المنية في ٧ نوفمبر ١٨٦٢. انظر تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، لأحمد محمود الساعاتي ص٩٤-٩٩ن وتاريخ الغسلام في الهند، لعبد المنعم النمر ص٦٧، تاريخ أدب أردو، لنور الحسن الهاشمي ص ١٩٨.

تیری جناب پاک میں یہ ہے ظفر کی عرض   صدقے سے اپنی آل کے اے شاہِ محتشم (١)

الترجمة: يا سيد الكونين ويا ملك الملوك ذا الجود والكرم وسيد المرسلين وشفيع الأمم، بظهورك يبقى الحدوث وبنور وجودك نُوّر القدم، وكنت متصفاً بالرسالة والنبوة وآدم كان في العدم بعدُ، ويلتمس ظفر إلى جنابك المحترم بأن تنظر إليه نظر الرحمة بآلك الأطهار.

يقول شاعر المديح النبوي (نعت) في الأردية أمير مينائي:

خلق کے سرور، شافعِ محشر صلی اللہ علیہ وسلم   مرسلِ داور، خاص پیمبر صلی اللہ علیہ وسلم

بحرِ سخاوت کانِ مروت آیہ رحمت شافعِ امت   مالکِ جنت قاسمِ کوثر صلی اللہ علیہ وسلم (٢)

الترجمة: هو سيد الخلق وشافع ليوم القيامة ﷺ، وهو النبي المرسل الخاص ﷺ، وهو بحر الجود والسخا، ومعدن المروءة والسماحة، وآية الرحمة، وشفيع الأمة، ومالك الجنة، وقاسم الكوثر ﷺ.

يقول أستاذ الأدب الأردي داغ(٣) الدهلوي:

---

(١) أرمغان نعت ، ساجد الصديقي ص ٩٦

(٢) محمد خاتم النبيين، لأمير مينائي ص ٤٥

(٣) هو نواب فصيح الملك مرزا خان الشهير بـ "داغ الدهلوي" من كبار شعراء الأردية ، سماه أبواه إبراهيم وبعد ذلك غيّر نفسه وسماه مرزا خان واختار "داغ" تخلصاً له، ولد بدهلي سنة ١٨٣١م، وتوفي أبوه وهو في الصغر فتربى في كنف أمه، تعلم جميع العلوم المروجة في عصره ، ثم ذهب إلى رامفور وهناك عين موظّفاً في الحكومة، ثم ترك الوظيفة سنة ١٨٨٨م وذهب إلى حيدر آباد، فصحب النواب السادس محبوب علي خان فأتى معه إلى دهلي وهناك توفي سنة ١٩٠٥م،. يُعد داغ من أساتذة الغزال في الأدب الأردي، فقد يأتي في شعره بموضوعات عديدة تركها عامة الشعراء، فهو في الحقيقة كان شاعر اللغة والبيان يستخدم التراكيب البديعة والألفاظ الجدلة في شعره. انظر دلي كا دبستان شاعري نور الحسن الهاشمي ص ١٣٢.

تو جو اللہ کا محبوب ہوا خوب ہوا یانبی خوب ہوا خوب ہوا خوب ہوا

شبِ معراج یہ کہتے تھے فرشتے باہم سخنِ طالب و مطلوب ہوا خوب ہوا

داغ ہے روزِ قیامت مری شرم اس کے ہاتھ میں گناہوں سے جو مجوب ہوا خوب ہوا(١)

الترجمة: صرت حبيباً لله تعالى فذلك جيد طيب رائع، كان يقول بعض الملائكة لبعض ليلة الإسراء، المحادثة بين الطالب والمطلوب جيدة جدا، سيؤول إليه صلى الله عليه وسلم يوم القيامة زمام حيائي، فإني منغمس في المعاصي والآثام.

يقول مولانا ألطاف حسين حالي(٢):

يا ملكي الصفات يا بشري القوى

فيك دليل على إنك خير الورى

تجھ سے ہوئی زندہ خلق جیسے کہ باراں سے خاک

خلقك خصف الزمان بعثك فحي الورى(٣)

يقول العلامة شبلي النعماني(٤) وهو يصف هجرة النبي ﷺ من مكة إلى المدينة:

---

(١) كليات داغ دهلوي ص٥٧٧

(٢) سيأتي في الفصل ترجمته و شعره إن شاء الله.

(٣) كليات حالي ص ٨٧

(٤) هو شِبْلي حبيب الله بن سراج الدولة النعماني، أحدُ أبرز علماء الهند في العصر الحديث، وأحد أعلام النهضة الأدبية والعلمية بها، ومن رواد الإصلاح والفكر الإسلامي الذين ساهموا بجهود ملموسة في حركة الأدب والتاريخ والدعوة الإسلامية في شبه القارة الهندية. وُلِد شِبلي النعماني في قرية (بندول) من أعمال (أعظم كرة) بالهند سنة ١٢٧٥، الموافق سنة ١٨٥٨ م، لأبٍ من أصلٍ برهَمي، وكان جدُّه الثالث عشر (سيوراج سنك) قد اعتنقَ الإسلام وتسمى (سراج الدين). تُوفي شبلي النعماني في ٣٠ ذو الحجة ١٣٣٢، الموافق ١٨ نوفمبر ١٩١٤ م عن عمر بلغ ٥٦ عامًا، بعد أن ساهم بنصيبٍ وافرٍ في نشر

جب کہ آمادہ خوں ہو گئے کفار قریش　　　لا جرم سرورِ عالم نے کیا عزمِ سفر
کوئی نوکر تھا نہ خادم نہ برادر نہ عزیز　　　گھر سے نکلے بھی تو اس شان سے نکلے سرور
اک فقط حضرت بو بکر تھے ہمراہ رکاب　　　کہ کہیں دیکھ نہ پائے کوئی آمادہ شر
چوں کہ سو اونٹوں کا انعام تھا قاتل کے لیے　　　آپ کے قتل کو نکلے تھے بہت طالب زر
انہیں لوگوں میں سراقہ خلف جعشم تھے　　　جن کو فاروق نے کسریٰ کے پہنائے تھے گہر
تین دن رات رہے ثور کے غاروں میں نہاں　　　تھا جہاں عقرب وافعیٰ کی حکومت کا اثر
بیم جان، خوفِ عدو، ترکِ غذا سختی راہ　　　ان مصائب میں ہوئی اب شبِ ہجرت کی سحر (١)

الترجمة: وعند ما قصد الكفار من قريش قتلَ الرسول ﷺ عزم سيد العالمين على السفر، خرج النبي ﷺ من بيته حيث لم يكن له خادم ولا رفيق ولا أخٌ، إلا أن أبا بكرٍ كان معه فخرجا خائفين من أن لا يراهما أحد من قريش، وبما أن خروجه شقّ على قريش وجزعوا لذلك وجعلوا مائة ناقة لمن رده فخرج كثيرٌ منهم طالبين للمال والثروة، ومنهم من ألبسه عمر بن الخطاب أسورة كسرى، فمكثا في الغار ثلاثة أيام وكانت هناك حياتٌ مثل أفعى و عقرب، فأسفر صبح ليلة الهجرة وعليهما أنواع الهموم والأحزان من العدو والتعب والجوع ومتاعب السفر وما إلى ذلك.

يقول مولانا حسرت موهاني(١):

الدعوة الإسلامية، وإبراز العديد من الجوانب الحضارية المُشرِقة في تاريخ الإسلام. له جهودٌ بالغة في اللغة العربية والحفاظ عليها، وقد صنَّف العديدَ من التصانيف؛ من أشهرها: انتقاد تاريخ التمدُّن الإسلامي، وسيرة الفاروق عمر بن الخطاب، والسيرة النبوية وغيرها. وإلى جانب ذلك يرغب ذوقه الجميل إلى الشعر فقال بالأردية والفارسية كلتيهما. انظر الأعلام ٣/١٥٥.

(١) أرمغان نعت، ساجد الصديقي ص ١٠٩

مظہرِ شانِ کبریا صلِ علی محمد　　آئنہ خدا نما صل علیٰ محمد

موجبِ نازِ عارفاں باعثِ فخرِ صادقاں　　سرورِ خیلِ انبیا صلِ علیٰ محمد

مرکزِ عشقِ دل کشا، مصدرِ حسنِ جانفزا　　صورت و سیرتِ خدا صلِ علیٰ محمد[2]

الترجمة: هو مظهر نور الله تعالى ومرآته، يفتخر به العارفون ويعتزّ به الصادقون فهو سيد الأنبياء والمرسلين، هو مدارٌ للقلوب العاشقة ومصدرٌ للحسن الخلاب وفي صورته ومعناه يتجلى نور الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

يقول الأستاذ العلامة حسن رضا خان البريلوي[3]:

مرادیں مل رہی ہیں شاد شاد ان کا سوالی ہے

---

(١) هو العالم النبيل شاعر من شعراء الأردية سيد فضل الحسن الملقب بـ "حسرت موهاني" ولد في قرية موهان من مضافات أناؤ بولاية أترا برديش سنة ١٨٧٥م، بدأ تعليمه من البيت حتى لحق بجامعة علي كراه الإسلامية وحصل منها على شهادة البكاليوروس سنة١٩٠٣م. وكان مولعا بالشعر والأدب منذ صباه، قرأ دواوين الشعراء المشاهير وجعل يقرض الشعر ويقدمه إلى الشاعر الأردي تسنيم لكنوي، مال إلى مجال السياسة وقام فيه بمساهمات عظيمة لا تنسى وقد واجه فيه متاعب شتى ولكن لم يسأم حتى عرف كشاعر عظيم وسياسي كبير معا فلقّب بـ "رئيس المتغزلين". توفي موهاني سنة ١٩٥١م بلكناؤ عن عمر ناهز ٧٢عاماً وعدة شهور، وبها دفن. انظر مقدمة ديوان حسرت موهاني ص ٢١-٢٣.

(٢) أردو كي نعتيه شاعري ، الدكتور طلحه الرضوي البرق ص ٦٦-٦٧

(٣) هو العلامة حسن رضا خان ابن الشيخ المفتي نقي علي خان بن الشيخ رضا علي خان، ولد الرابع من شهر الربيع الأول سنة ١٢٧٦هـ، الموافق سنة ١٨٥٩م ببلدة بريلي، تلقى العلوم الدينية من والده وأخيه الأكبر الإمام أحمد رضا خان، وتمرّن في مجال الشعر والأدب على هذا الإمام والشاعر الأردي ميرزا داغ الدهلوي، واختار لشعره موضوع المديح النبوي فنجد في قصائده جميع الموضوعات التي توج د لدى المادحين في عصرنا وإلى جانب ذلك قد اهتمّ بالاقتباس من القرآن والحديث وأقوال الأئمة كما استخدم المحسنات اللفظية والمعنوية كثيراً ، له مجموعة من القصائد في المديح النبوي طبع بعنوان "ذوقِ نعت" وتوفي هذا العالم النبيل في شهر رمضان سنة ١٣٢٦هـ الموافق سنة ١٩٠٨م بمسقط رأسه.

لبوں پر التجا ہے ہاتھ میں روضہ کی جالی ہے
تیری صورت تیری سیرت زمانے سے نرالی ہے
تری ہر ہر ادا پیارے ! دلیل بے مثالی ہے[١]

الترجمة : قد تتحقق الآمال والأمنية ويفرح سائله حيث يتكلم برجائه ويبسط يديه إلى شبكة الروضة، لا يجود الزمان بمثله لا في الصورة ولا في السيرة فيا حبيبي! ليس لأخلاقك وعاداتك مثل ولا نظير.

يقول العلامة الدكتور محمد إقبال[٢]:

محمد کی محبت دینِ حق کی شرط اول ہے   اسی میں ہو اگر خامی تو سب کچھ نامکمل ہے
کی محمد سے وفا تونے تو ہم تیرے ہیں   یہ جہاں کیا چیز ہے لوح و قلم تیرے ہیں
نگاہِ عشق و مستی میں وہی اول وہی آخر   وہی قرآں وہی فرقاں وہی یاسین وہی طٰہٰ[٣]

الترجمة : إن الشرط الأول للدين الحق هو حب النبي محمد ﷺ ومن نقص هذا الشرط لا يكمل في الإيمان والإسلام، إن اتبعت محمداً فنحن لك ولك العالم كله، بل لك العرش واللوح والقلم أيضاً، إن لُوحظ بنظر العشق والمحبة فهو الأول والآخر هو القرآن والفرقان وهو يس وطه.

يقول الإمام أحمد رضا خان البريلوي[٤]:

---

(١) ذوق نعت ص ١٣٣

(٢) سيأتي تفصيل من حياته وشعره في الفصل الثاني من نفس الباب إن شاء الله تعالى.

(٣) كليات إقبال ص ١٢٤-١٢٢٥

(٤) سندرس حياته ومآثره العلمية والأدبية بالبسط والتفصيل في فصل مستقل من الباب الثالث إن شاء الله تعالى.

اللہ کی سر تا بقدم شان ہیں یہ ان سا نہیں انسان وہ انسان ہیں یہ

قرآن تو ایمان بتاتا ہے انہیں اور ایمان یہ کہتا ہے مری جان ہیں یہ[1]

الترجمة : هو كله مظهرٌ لشأن الله تعالى وهو البشر الذي لا يساويه بشرٌ آخر، والقرآن يُخبر عنه بأنه إيمانٌ وأما الإيمان فيقول: إنه روحي ونفسي.

****

---

(١) حدائق بخشش ص١٦٢

الفصل الثاني

أشهر شعراء المديح النبوي في الأدب الأردي

يحتوي هذا الفصل على ستة مباحث

المبحث الأول

غلام علي آزاد بلغرامي ، حياته وشعره في المديح

المبحث الثانيى

أميرخسرو الدهلوي ، حياته وشعره في المديح النبوي

المبحث الثالث

السلطان قولي قطب شاه ، حياته وشعره في المديح النبوي

المبحث الرابع

مولانا ألطاف حسين حالي ، حياته وشعره في المديح النبوي

المبحث الخامس

الدكتور محمد إقبال ، حياته وشعره في المديح النبوي

المبحث السادس

محسن كاكوروي، حياته وشعره في المديح النبوي

تمهيد

المديح النبوي هو لسان محبي رسول الله ﷺ في كل جيلٍ وعصرٍ وأمةٍ. وله فضلٌ في إشعال الجمرة الإيمانية، والحب الدفين الكامن للرسول الأعظم ﷺ. وهي مصدر الحب والحنان والعاطفة والوجدان، ولم يزل حبّ النبي ﷺ يزيد ويقوى مع مرور الأيام، ولم تزل الأمة الإسلامية تستمد منها الحب الطاهر والعاطفة الجياشة، لقد قام علماء الهند وشعراءها من القدامى والمحدثين بقرض الأبيات في المديح النبوي وأعربوا مشاعرهم وعواطفهم تجاه الرسول ﷺ؛ لأنهم وجدوا شخصية الرسول القدوة مصدرَ الإيمان والحنان والعطفة والوجدان، ولم يزل الشعراء الهنود يستمدون منها الحب الطاهر والعطفة الجياشة ويشعلون بها مجامر قلوبهم التي تتعرض حيناً بعد حينٍ للانطفاء وتواجه العواصف الهوجاء، وقد ابتكر هؤلاء الشعراء الهنود في المديح النبوي وجاؤا بتعبيرات لم يسبقوا إليها توجد في كتب التاريخ والسير والتراجم لشعراء الهند المفلقين الذين اكتسبوا اللغة العربية دراسة وذوقا وفاضت قريحتهم بالتغنى بمدح الرسول ﷺ ولا تقلّ إنتاجاتهم الأدبية المدحية شأناً ومكانةً عن كلام شعراء العرب. ولم تقف سلسلة المدائح النبوية في شبه القارة الهندية على اللغة العربية، بل تنتقل إلى الفارسية ثم إلى الأردية تأثراً وانطلاقاً من العربية والفارسية كما تقدم الكلام عنه في الفصل الأول من نفس الباب. ثم إن المدائح النبوية التي جرت على ألسنة الشعراء في الهند وخاصة في الأردية قد صدرت عن طبعهم الصادق وحبهم الخالص تجاه الرسول ﷺ، وهذه المدائح النبوية ثروةٌ أدبيةٌ من أغنى الثروات الأدبية والإنتاجات الشعرية الهندية.

هناك قائمةٌ طويلةٌ لشعراء الهنود الذين قرضوا الأبيات في المديح النبوي باللغات الثلاث: العربية والفارسية والأردية، وقد تفاوت نوعية إنتاجهم الشعري من

ناحيـة الكميـة والكيفيـة، فبعضـهم وإن قـرض فـي المـديح النبـوي قصـائد ولكـن لـم يُعـرف كشـاعر النعـت والمـديح، لأن قصـائده فـي الموضـوعات الأخـرى أكثـر مـن القصـائد فـي المـديح النبـوي، والآخـر الـذي لـم يقـرض الشـعر إلا فـي المـديح النبـوي أو شـعره فـي المـديح النبـوي يغلـب علـى غيـره مـن الموضـوعات حتـى عُـرف كشـاعر النعـت والمـدح، فأخـذنا مـنهم مـن لهـم مكانـةٌ مرموقـةٌ وشـهرةٌ واسـعةٌ مـن بـين هـؤلاء الشـعراء فـي مجـال المديح النبوي لنرس حياتهم وشعرهم بقدر من التفصيل.

وبمـا أنّ الشـعراء الأرديـة قـد تـأثروا مـن الشـعراء العربيـة والفارسـية ـــ كمـا سـبق فـي الفصـل الأول مـن البـاب نفسـه ـــ انتخبنـا مـن كـلا المجـالين علمـاً، ثـم أتينـا إلـى شـعراء اللغـة الأرديـة وأخـذنا مـنهم مـن يُعـدّ مـن كبـار شـعراء المـديح النبـوي، وخصصـنا لكـلٍ مـنهم مبحثـاً مسـتقلاً لدراسـة حياتـه وشـعره، إلا أنـا لـم نتعـرض خـلال هـذه المباحـث الإمـام أحمـد رضـا خـان البريلـوي مـع أن لـه مكانـة رفيعـة فـي المـديح النبـوي حتـى يعتبـر عنـد الأدبـاء والبـاحثين إمـام الكـلام؛ لأننـا خصصـنا لـه فصـلاً كـاملاً فـي البـاب الثالـث ، فنتحدث عن حياته وشعره هناك ـ إن شاء الله تعالى.

****

المبحث الأول

غلام علي آزاد بلغرامي ، حياته وشعره في المديح

يحتوي هذا المبحث على مطلبين

المطلب الأول
حياة غلام علي آزاد

المطلب الثاني
شعره في المديح النبوي

المطلب الأول
حياة غلام علي آزاد بلغرامي(١)

هو السيد غلام علي بن السيد نوح الحسيني نسباً والواسطي أصلاً والبلكرامي مولداً ومنشأً المعروف بـ "حسان الهند"(٢).

ولد ببلدة بلكرام في يوم الأحد ٢٥ من شهر الصفر سنة ١١١٦هـ الموافق ٣٠ يومليو ١٧٠٤م(٣)، ودرس فيها على عدد من العلماء الذين كانت لهم شهرةٌ عظيمةٌ بين حلقات العلم آنذاك، فبدأ البلكرامي دراسته الإسلامية والدينية على السيد طفيل محمد الأترولوي، كما يقول العلامة آزاد نفسه عن بداية دراسته:

" قرأت الكتب الدرسية بداية ونهاية على الرتب السامي مولائي وأستاذي السيد طفيل محمد الحسيني الأترولوي البلكرامي- روح الله روحه-، كان جده مير عبد الجليل عالماً بارعاً في المعاني والبيان والبديع والحديث والتفسير والسير واللغة والتاريخ"(٤).

وبعد الحصول على التعليم الابتدائي وصل إلي جده لأمه عبد الجليل بن مير أحمد للحصول على العلوم والفنون في شتى المجالات، فمكث هناك سنتين وأخذ منه اللغة والحديث والسيرة والقوافي، وسمع منه المسلسل بالأولية وحديث الأسودين التمر والماء، وأخذ العروض والقافية وبعض العلوم والفنون عن خاله محمد بن عبد الجليل، كما قال في كتابه الشهير "سبحة المرجان في آثار هندوستان":

---

(١) ينظر ترجمته في:

(٢) انظر مقدمة سبحة المرجان في آثار هندوستان ص ٣٢

(٣) المصدر نفسه

(٤) الإعلام بمن في الهند من الأعلام ٣٩٨/٦

"أخـذت اللغـة والسـيرة النبويـة وسـند الحـديث المسلسـل بالأوليـة وحـديث الأسـودين وإجـازة أكثـر كتـب الأحاديـث والشـعر العربـي والفارسـي عـن جـدي القريـب مـن جهـة الأم صـدر النحـارين وبـدر الـدياجير مـولائي وأسـتاذي السـيد عبـد الجليـل البلغرامـي- نـور الله ضـريحه-، واسـتفدتُ العـروضَ والقـوافي ونبـذاً مـن فنـون الأدب عـن سـيدي وخالي خضارة العلوم مولائي السيد محمد بن عبد الجليل".[1]

أخـذ الطريقـة عـن الشـيخ لطـف الله الحسـيني البلكرامـي حتـى عـدّ مـن العلمـاء المتصـوفين المشـهورين، ثـم سـافر إلـى الحـرمين للحـج ولقـي هنـاك كثيـراً مـن العلمـاء والفضلاء يقول صاحب نزهة الخواطر عن رحلته هذا:

"رحـل إلـى الحجـاز وحـج وزار سـنة إحـدى وخمسـين ومائـة وألـف، وقـرأ بالمدينـة المنـورة صـحيح البخـاري علـى الشـيخ محمد حيـاة السـندين وأخـذ عنـه إجـازة الصـحاح السـتة وسـائر مقروءاتـه، وصـحب الشـيخ عبـد الوهـاب الطنطـاوي المصـري المتـوفى سـنة سـبع وخمسـين ومائـة وألـف، وأخـذ عنـه فوائـد جمـة، وعـرض عليـه لقبـه الشـعري "آزاد" فقـال: أنـت مـن عتقـاء الله تعـالى، فاستبشـر بهـذه الكلمـة، وأرخ لحجـه بلفـظ "عمـل أعظـم" ورحـل إلى الطائف فزار قبر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما"[2].

ثـم عـاد إلـى الهنـد سـنة إثنتـين وخمسـين ومائـة وألـف مـن الهجـرة، وأقـام خمسـة أشـهر فـي مدينـة "سـورت"، ثـم رحـل إلـى مدينـة "أورنـك آبـاد" وسـكن بهـا، وأقـام فـي زاويـة الشـيخ مسـافر الغجـدواني عنـد الشـيخ محمـود سـبع سـنين، واقتـرب منـه ناصـر جنـك بـن آصـف جـاه كـان يعـاون معـه كأخيـه حتـى حصـل بينـه وبـين جنـك بـن آصـف جـاه المـوا فقـة فأحبـه حبـاً شـديداً كـان لا يدعـه فـي الظعـن والإقامـة، فلمـا قـام ناصـر جنـك بالملـك

(١) المصدر نفسه

(٢) المصدر نفسه ٣٩٩/٦-٤٠٠

مقام والده سنة إحدى وستين ومائة وألف ألحّ عليه بقبول منصب الإمارة فأبى وقال: "هذه الدنيا مثلها كمثل نهر "طالوت" غرفة منها حلالٌ والزيادة عليها حرامٌ"(١).

وقد طال قيامه في أورنك آباد حتى توفى هناك في سنة١٢٠٠هـ، فأرّخ لوفاته بعض أصحابه من اسمه "آه غلام علي آزاد" (٢).

لقد ترك غلام علي آزاد خلفه مصنفات عديدةً قيمةً في الأدب والتاريخ والحديث والتراجم والشعر بالعربية والفارسية معاً، كلها حظيت بالقبول والتجاوب لدى العلماء والباحثين، أشهرها كما يلي:

- سبحة المرجان في آثار هندوستان، بالعربية: وهو يحتوي على أربعة فصول يشمل فصله الأول والثاني بمصنفين مستقلين بقلمه هما "شمامة العنبر" و "تسلية الفؤاد" والأول يضم ما ورد من فضائل الهند في كتب التفاسير وفي أحاديث النبي ﷺ، والثاني يحتوي على تراجم أعيان الهند وعلماءها، أما فصله الثالث فهو ينطوي على محسنات الكلام من البدائع والصنائع السنسكريتية، وفصله الرابع يحتوي على ذكر المعشوقات والعشاق.
- ضوء الدراري في شرح صحيح البخاري: وهو شرح غير كامل، ويقول عنه الشيخ عبد الحي الحسني الندوي: "وقفت عليه في خزانة السيد نور الحسن بن صديق حسن القنوجي بخط المصنف، وهو شرح ممزوج بالمتن ملخص من القسطلاني صنفه بالحرمين الشريفين." (٣)

---

(١) انظر المصدر نفسه

(٢) انظر مقدمة سبحة المرجان في آثار هندوستان ص ١٤

(٣) الإعلام بمن في الهند من الأعلام ٤٠٢/٦

- روضــة الأوليـاء: وهـو مـوجز صــغير فــي أخبـار بعـض المشـايخ الجشـتية ممـن قبورهم بالروضة على ثلاثة أميال من أورنك آباد.
- مـآثر الكـرام فـي تـاريخ بلكـرام : وهـو كتـاب مفيـد فـي أخبـار المشـايخ والعلمـاء مـن أهـل بـالكرام. وقـد تعقـب عليـه غـلام حسـين البلكرامـي فـي "شـرائف عثمـاني" وشـنع عليه تشنيعا بالغاوكنى عنه ابن نوح.
- خزانــة عــامرة: وهـو ملاحظـات مرتبـة علـى أحـرف الهجـاء عـن نحـو ١٣٥ شـاعر من شعراء الفرس.
- سـرو آزاد: وهـو تـراجم لمائــة وثلاثــة وأربعـين شـاعرًا هنـديًا نظمـوا بالفارسـية أو بالأردية.
- يـد بيضــاء: وهـو مجموعـة تـراجم لخمسـمائة وإثنـين وثلاثـين شـاعرًا، رتـبهم علـى أحـرف الهجـاء، وكـان قـد صـنف هـذا الكتـاب فـي الأصـل بسيوسـتان (أي سـهوان من أعمال السند) عندما كان يشغل هنا منصب "نائب وقائع نكار".[١]

****

(١) انظر للتفصيل مقدمة سبحة المرجان في آثار هندوستان ص١٥-٢٢ والإعلام بمن في الهند من الأعلام ٤٠٢/٦-٤٠٣

المطلب الثاني

شعر غلام علي آزاد البلغرامي في المديح النبوي

كان غلام علي آزاد البلكرامي شاعرًا مطبوعاً أصيلاً من أشهر الشعراء الهنود الذين لهم إسهامات جمة في قرض الشعر في اللغة العربية الفصحى، وشعره يعتبر ثروةً أدبيةً قيمةً في تاريخ الشعر العربي في الهند، وقد اعتنى به أصحاب النقد والتاريخ، فاعترفوا بعلو كعبه في قرض الشعر، ونظرًا إلى ارتجاله البديع الذي كانت تجود به قريحته الفياضة عدّوه بين معاصريه من الشعراء الممتازين من الناحية الفنية؛ لذلك فإن شعره يتسم بجزالة اللفظ وبلاغة المعاني وروعة الأسلوب والبيان، يقول الدكتور عبد المقصود محمد شلقامي:

"وإذا نظرنا إلى شعره بالمقارنة إلى معاصريه وجدناه قمةً لايتسامي إليها أي شاعر معاصر سواء في الأساليب أو المعاني أو الأخيلة؛ ولكنه لما كان بعيدًا عن بلاد العرب هندي المنشأ والموطن واللسان فإن الأضواء لم تستطع أن تعبر إليه الخليج، وبالتالي لم يعرف عنه الكثير ولو أنه عاش في بلاد العرب لصار رائدًا من طراز البارودي".(١)

لقد عرض "آزاد" الشعر في أغراض متنوعة من المدح والحب والغزل والوصف والرثاء، ولكن الغزل والمدح يحويان معظم ديوانه، يشهد بذلك آزاد بنفسه في مجموعته الشعرية "السبعة السيارة قائلاً:

(١) الآداب العربية في شبه القارة الهندية، للدكتور زبيد أحمد ص٢٥١

"إنـي نظمـت سبعـة دواويـن فـي اللسـان العـربي، وسـميتها بالسـبعة السـيارة أكثرها في التغزل، وتوجت رأس كل ديوان بمدح النبي ﷺ تيمنًا".(١)

ولشعره في المديح النبوي مشابهة عظيمة مع شعر حسان بن ثابت رضي الله عنه شاعر الرسول فنظراً إلى هذه المشابهة لقب آزاد بلقب "حسان الهند" وله مجموعةٌ من قصائده الغراء في مدح النبي ﷺ ، وأرجوزة طويلة تبلغ ٣٥٠٠ بيت تقريبًا، وبالإضافة إلى ذلك له عشرة دواوين، وقد منحه الله تعالى قدرةً عجيبةً على نظم الشعر، يقول السيد عبد الحي الحسني:

"وقال بعض أصحابه فيما كتبه في ترجمة آزاد وجعله ديباجة للديوان الرابع: إنه حسان الهند ومداح النبي ﷺ أوجد في مدحه معاني كثيرة نادرة لم يتفق مثلها لأحد من الشعراء المفلقين، وأبدع في قصائده المدحية مخالص لم يبلغ مداها فرد من الفصحاء المتشدقين، وله في التغزل طور خاص يعرف أصحاب الفن ومنحه الله قدرة على النظم بحيث ينظم قصيدة كاملة في يوم واحد، في بعضه على كيفية يراها الناظرون وكل ما يتوجه إلى النظم تحضر المعاني لديه صفاً صفاً وتتمثل بين يديه فوجاً فوجاً، وهو قرر نصاب القصيدة في التغزل أحداً وعشرين بيتاً، وهي الدرجة الوسطى التي تريح الأسماع ولا تملّ الطباع، وإنما يميل خاطره إلى النظم في أيام الربيع، وأما في غير هذه الأيام فيصدر الشعر من قريحته قليلاً، لأن الربيع تخضر المراتع وتهتزّ الطبائع"(٢).

---

(١) دواوين آزاد ص ٢٩٤

(٢) الإعلام بمن في الهند من الأعلام ٧٧١/٦

وكما سبق أنه لُقب بحسان الهند قام بنظم الموضوعات التي قام بها حسان بن ثابت، قام بالمعارضة على قصائده مثاله القصيدة الهمزية الشهيرة لحسان بن ثابت، فقد نظم آزاد في نفس القافية والرديف في المديح النبوي قصيدة أولها:

لمحت إلى بعينها الكحـــلاء   فمرضت طول العمر بالسوداء
ولقد ثملت بلحظة سمحت بها   مـــن نرجس ريان بالصهباء(١)

تشتمل هذه القصيدة على سبعين بيتا، أربعة عشر منها خاصة بالتشبيب والباقية تتعلق بالمديح النبوى ﷺ، وخلال هذا الموضوع يأتي الشاعر إلى بيت الله الحرام ثم يتوجه إلى روضة النبي ﷺ ليزورها بكل رغبة وشوق، فبعض الأبيات هكذا:

بالبيت طفت وجئت زمزم والصفا   واتـــيت كل مواطن الا آلاء
ولقد رحلت إلى المدينة عاجل   والشوق يهجمم عند قرب لقاء
لونى تغير فى مواظبة السرى   حتى رأيت معالم الصفراء
لما استزاد من العقيق نعطشى   حاولت بحرا تم فى الارواء
فلثمت اعتاب النبوة خاضعا   وشممت عرف رياضها الخضراء
روحى الفداء لروضة القدسية   مملوة بلطافة وصفاء
بلغ المشارك والمغارب ضوءها   ترنو إليها الشمس كالحرباء
ما أحسن القبر الذى فى حجره   خير البرية سيد البطحاء
طوبى لطيبة حيث ضم ضريحها   جسما تسنم فوق سبع سماء

ويقول في قصيدة أخرى:

من أيِّ ناحية مجيئك يا صبا   إن جئت من وادي العتيقِ فمرحبا
أنا يا نسيمُ على نوالك شاكرٌ   شرَّفتني متفضلًا من مجتبى

---

(١) السبعة السيارة ص ٣

طي الطَّريق على العليل مشقَّة   فجنحت حيث أتيت نحوي مُتعبا
أحييتني كرمًا بنفحة وردة   بسمت فأخجلتِ الوميض الأشنبا[١]

ويمثل حسن الرسول ﷺ وجماله قائلاً:

جـمالـه فـايض بـنـور   وخـلقه فائح بطـيب
دعـائـه جاء بـالغوادى   وكـفـه جـاد بـالصبـيب
نـواله واسـع فـاهـلا   بـمعتفى زرعه الخصيب
قـدارتقى فى السماء حقا   وحـل بـالمنزل الرحـيب
لـقيمـة اللحم خاطبـته   ودرت الشـات بـالحليب
اتـاه شـرالعدى بقـلب   فـكـبه الله فى القلـيب
مـن ابتغى ههنا جنانا   سرى الى روضة الرطيب[٢]

ويقول أيضا:

محـمد ﷺ نور الأكوان قاطـبة   فيا لنور بدا فى هنيكل البشر
اتفاه اسنى من إلا قمار واصفه   فأن جوهره صاف عن الكدر
ما ان رأيت شريكا فى ملاحته   ولا سمعت به والسمع والبصر[٣]

وأيضا:

أبو القاسم النور المضيئ محمد ﷺ   مـشنف أسمـاع الـورى بالبشائـر
ثـمـال الـورى قـطـميرها ونقيرهـا   أجـاد الذى ينمو بارض المشاعـر
حـبا ربـنا ختـم النبيين خاتـما   نـعم يجعل الخيتام حلى الخناصر[٤]

****

(١) السبعة السيارة ص ٧
(٢) المصدر نفسه ص ٥ .
(٣) المصدر نفسه ص ١١.
(٤) المصدر نفسه ص ١٢

المبحث الثانيى

أميرخسرو الدهلوي ، حياته وشعره في المديح النبوي

يحتوي هذا المبحث على مطلبين

المطلب الأول

حياة أمير خسرو

المطلب الثاني

شعره في المديح النبوي

المطلب الأول
حياة أمير خسرو الدهلوي

هو الشيخ الإمام الفاضل أبو الحسن يمين الدين خسرو ابن سيف الدين محمود البخاري الدهلوي الشهير بـ "أمير خسرو" من أكبر شعراء الهند وأشهر مشاهيرهم، وعلى حد قول الشيخ عبد الحي الحسني: "لم يكن له نظير في العلم والمعرفة والشعر والموسيقي وفنون أخرى قبله ولا بعده"[١].

ولد سنة ٦٥١هـ الموافق لسنة ١٢٥٣م، في بتيالي من شمال الهند[٢]، وكانت مدينةً كبيرةً في ذلك العهد، والآن قرية من مقاطعة "إيتا" في الهند، عاش أكثر حياته في "دلهي" وإليها ينسب، وعندما ولد خسرو ذهب به أبوه إلى مجذوبٍ يسكن قريباً من بيته، فقال المجذوب: جئت برجلٍ يسبق الخاقاني بقدمين في الشعر والأدب[٣].

تربى خسرو وترعرع بدهلي في بيتٍ معمورٍ بالعلوم والفنون، وأبوه تركي الأصل، قدم إلى الهند والتحق بخدمة السلطان إلتمش ثالث سلاطين دولة المماليك الأتراك في دهلي(حكم ٦٠٧ – ٦٣٣هـ) [٤]، أما أم أمير خسرو فهي ابنة عماد الملك أحد قادة الجيش في الهند، وفي حجره نشأ أمير خسرو، إذ مات أبوه وهو في السابعة من عمره[٥]. ولم يزل ملازماً للجد والاجتهاد في التحصيل والتضلع في العلوم حتى بلغ الغاية وتفرد بالشعر والموسيقي والبلاغة وغيرها من العلوم، ثم مال إلى مذهب

---

(١) الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام ١٥٦/٣

(٢) انظر صوفي أمير خسرو، لسيد صباح الدين عبد الرحمن ص ٣

(٣) انظر سير الأولياء ص ٣٠١، وأخبار الأخيار ص ٩٢

(٤) انظر الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام ٣ /١٥٧

(٥) انظر غرة الكمال، لخسرو ص ٦

الصوفية وسلوك طريقتهم، فبايع الشيخ الإمام المجاهد نظام الدين محمد بن أحمد البدايوني[١].

وعندما شب أمير خسرو عمل في خدمة كشلوخان ابن السلطان غياث الدين بلبان ألغ بك مؤسس الدولة الألغ خانية (حكم ٦٦٤ - ٦٨٦هـ) ثم انتقل إلى خدمة أخيه ناصر الدين بغراخان بن بلبان ورافقه إلى البنغال، ولكنه مالبث أن عاد إلى دهلي ووضع نفسه في خدمة أكبر أولاد السلطان وهو محمد قان بن بلبان الذي اصطحبه معه في حروبه. ولما قتل محمد قان في إحدى المعارك التي خاضها في مقارعة المغول سنة ٦٨٣هـ/١٢٨٤م، وقع أمير خسرو أسيراً ووضع في السجن، ولكنه تمكن من الهرب بعد وقت قصير، وعاد إلى دهلي، ثم التحق بالملك علي سرجندار هاتام خان ابن بغراخان حاكم "أودة" وبقي معه مدة سنتين، ثم استأذنه في العودة إلى دهلي، حيث أقام بحماية السلطان معز الدين كيقباد (٦٨٦ - ٦٨٩هـ/١٢٨٧ - ١٢٩٠م). وبعد أن استولى جلال الدين فيروز شاه الخلجي على الحكم في دهلي (٦٨٩ - ٦٩٥هـ/١٢٩٠ - ١٢٩٥م) عمل أمير خسرو في خدمته فكان ذا حظوة لديه، وخصه بنفقة كبيرة، كانت له أكبر مشجع على الكتابة[٢].

وله مصنفات كثيرة ممتعة منها "إعجاز خسروي" في البدائع، و"محسنات الكلام" في ثلاثة مجلدات، فرغ من تأليفه سنة ٧١٩هـ، ومنها "أفضل الفوائد" جمع فيها ملفوظات شيخه نظام الدين أولياء الدهلوي رحمه الله، ومنها "قران السعدين" وهي أول مزدوجة صنفها في سنة ٦٨٨هـ في لقاء كيقباد وأبيه بغراخان، ومنها "تاج الفتوح" مزدوجة في غزوات السلطان تاج الدين الخلجي، ومنها "خزائن الفتوح" مزدوجة

---

(١) الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام ١٥٧/٣

(٢) انظر الصوفي أمير خسرو، لصباح الدين عبد الرحمن ص٩-١٠

فـي فتـوح السـلطان عـلاء الـدين الخلجـي محمد شـاه الخلجـي، ومنهـا "تـه سـپہــر" صـنفها باسـم السـلطان قطـب الـدين مبـارك شـاه الخلجـي، ومنهـا "ديـول رانـي خضـر خـان" وهـي المزدوجـة الغراميـة فـي أخبـار خضـر خـان بـن عـلاء الـدين الخلجـي وعشـيقته ديـول رانـي، ومنهـا "تغلـق نامـه" فـي غـزوات غيـاث الـدين تغلـق، وأبياتـه فـي هـذه المصـنفات يربـو عددها على أربعة مائة ألف كما في "مرآة الخيال".

وإلـى جانـب ذلـك لـه خمسـة دواويـن فـي الشـعر الفارسـي، وهـي: "تحفـة الصـغر" و"وسـط الحيـاة" و"غـرة الكمـال" و"البقيـة النقيـة" و"نهايـة الكمـال"، ولـه خمـس مزدوجـات عـارض بهـا خمسـة الشـيخ النظـامي الكنجـوي، وهـي : "مطلـع الأنـوار" و"شـيرين خسـرو" و"ليلـى مجنـون" وآينـة إسـكندري" و"هشـت بهشـت"، نسـج خمسـتها فـي سـنتين وفيهـا ثمانية عشر ألف بيت.

تـوفي أميـر خسـرو ليلـة الجمعـة ١٨ مـن الشـوال سـنة ٧٢٥هـ الموافـق لسـنة ١٣٢٧م، عـن عمـر نـاهز ٧٤ سـنة، ودفـن فـي نظـام أبـاد فـي دلهـي القديمـة فـي جـوار قبـر الشـاعر الصـوفي نظـام الـدين أوليـاء الـدهلوي الـذي كـان هـو الملهـم الروحـي لأميـر خسرو(١).

****

(١) انظر الإعلام بمن في الهند من الأعلام ١٥٨/٣

المطلب الثاني
شعر أمير خسرو في المديح النبوي

ومما لا شك فيه أنّ أمير خسرو كان ممن تفرد في العلم والأدب والشعر في ذلك العهد، فقد نظم الشعر في اللغات الثلاث: العربية والفارسية والأردية، وإن كان بعض الباحثين يثيرون الشكوك حول الأشعار التي تنسب إليه في العربية، ولا ريب في أن أمير خسرو كان يجيد العربية، متمكناً من النحو والبلاغة والعروض وتتسم قصائده بالرقة والسهولة. ومع ذلك فإن أمير خسرو لم يتمكن من الحصول على المكانة الرفيعة في تاريخ الأدب العربي الهندي، ولعل شاعريته الفلسفية قد حالت دون عنايته بالشعر العربي عناية كبيرة، وذلك لأن اللغة الفارسية في زمنه كانت لغة السلاطين والحكام والأمراء، وكان العلماء والأدباء يعجبون بقصائد الشعر الفارسي ويحفظونها، ولعل قصائد خسرو العربية لم تنل ما تستحقه من مؤرخي الأدب فاندثرت مع الأيام، وما يوجد منها فهو جيد كما يتجلى من الأبيات التالية:

ذاب الفؤاد وسال من عيني الدم   وحكى الدوامع كل ما أنا أكتم

وإذا أبحت لدى الورى كرب النوى   تبكي الأحبة والأعادي ترحم

يا عاذل العشاق دعني باكيا   إن السكون على المحب محرم

من بات مثلي فهو يدري حالتي   طول الليالي كيف بات متيم(١)

أما قصائده في الفارسية فدواوينه مملوؤة بها، وقد اخترع خسرو في شعره أنواعاً من البديع، وله قصيدة ملمعة، حيث نظم شطراً بالفارسية وآخر بالبرجية(١)،

(١) المصدر نفسه ص١٥٩

ففي البيتين: الأول والثاني، الصدر بالفارسية والعجز بالبرجية، والبيت الثالث فارسي والرابع برجي، ثم فارسي فبرجي وهلم جرا:

زحال مسکیں مکن تغافل دو رائے نیناں بتائے بتیاں

کہ تاب ہجراں ندارم اے جاں نہ لیہو کاہے لگائے چھتیاں

شبان ہجراں دراز چوں زلف و روز وصلت چوں عمر کوتاہ

سکھی پیا کو جو میں نہ دیکھوں تو کیسے کاٹوں اندھیری رتیاں

یکا یک از دل دو چشم جادو بہ صد فریبن ببرد تسکیں

کسی پری ہے جو جا سناوے پیارے پیا سے ہماری بتیاں

چوں شمع سوزان چوں ذرہ حیران ہمیشہ گریان بہ عشق آنہا

نہ نیندِ نیناں نہ انگ چیناں نہ آپ آویں نہ بھیجیں پتیاں

بہ حق روز وصال دلبر کہ داد مارا فریب خسرو

سپیت من کے ورائے راکھوں جو جائے پاون پیا کی کھتیاں(٢)

أما المديح النبوي في شعره فكثير، ويتجلى من شعره في هذا الخلوص حبه للنبي ﷺ وهو يراه مقصود الكون وسيد الخلق كله، يقول:

چرخ کہ زیں ساں عجب آراستند بہرِ رسول عرب آراستند

احمدِ مرسل کہ نوشتہ قلم حمد بنامِ وے و حم ہم

---

(١) وقد قلده الكثير من الشعراء، وكان يطلق على هذا النوع من الشعر بـ "ريختہ" والتسمية حسب الاصطلاح الموسيقي، المدخل إلى الشعر الأردي ص ١٩

(٢) دليل العارفين ص ١٠٧

زاں ازلی مکتبِ او امی لقب   عقلِ کل آموختہ لوح ادب

پردہ کش امتِ شوریدہ کار   ضامن آمرزش آمرزگار(١)

إن جمال الكون وحسنه للنبي العربي ﷺ ، وعندما كتب القلم "أحمد" اندرج تحته "حمد" أيضاً، كذا يتضمن هذا الاسم السورة "حم" ، وهو وإن كان أمياً ولكنه تعلم العقول كلها منذ الأزل، وقد كشف الحجاب عن هموم الأمة وهو ضامن لشفاعتهم يوم القيامة.

ويصف بلسان النبي ﷺ وحاجبه وذوائبه قائلاً:

اے سخنت گنجِ خدا راکلید   گوہر آں گنج توکردی پدید

از تو صلائے بہ الست آمدہ   نیست بہ مہمانی ہست آمدہ

غرہ ماہ ازخم ابروئے تست   طرہ شام ازشکن موئے تست(٢)

يا من لسانه وكلامه مفتاحٌ لخزائن الله بكاملها، أنت تنظّف درر هذه الخزائن من الدناءات، بك رفِع صوت ألست في عالم الأرواح وقُلِّب العدم بالوجود، والهلال كما نراه يلمع لأنه قد نُوّر بحاجبك والليل يمثل بذوائبك.

ويصف مكانته بين الأنبياء الكرام بأنه سيدهم وملكهم فيقول:

شاہ رسل شفیع مرسل   خورشیدِ پسین ونورِ اول

ہم نوردہ چراغ بینش   ہم چشم وچراغ آفرینش

شاہنشہ تخت آسمانی   خوانندہ تختہ نہانی

---

(١) مثنوي مطلع الأنوار ص ١٠-١١

(٢) المصدر نفسه ص ١٩

سلطانِ ممالک رسالت طغرائے صحیفہ جلالت[1]

أنــت ملــك فــي مملكــة الأنبيــاء علــيهم الســلام، وأنــت أولهــم خلقــاً وآخــرهم مبعثــاً وظهـوراً، أنــت تعطــي النــور والضــياء للعقـل وأنــت كالســراج للعــالم كلــه، أنــت ســلطان السماء وأنت تعلم ما يخفى، أنت سيد الأنبياء والمرسلين وطغراء المصحف الشريف.

يـرى أميـر خسـرو أن النبـي ﷺ ، لـولاه لـم يخلـق الله السـماء، ولا يكـن لشـيئ رفعـة وعظمة ، يقول:

زمویش چرخ را منشور لولاک زز لفش کعبہ راز نجیر افلاک

مسیحا از دم خود رفتہ جایش خضر از آب حیواں شستہ پایش[2]

لـولاك لمـا خُلقـت السـماء ولـم تكـن لبيـت الله رفعـة ومكانــة مرموقـة، جـاء عيسـى مسيح الله ليطهر الأرض لك وغسل خضر قدميك بالماء الذي يحي به الموتى.

****

(١) مثنوي مجنون ليلى ص ٢٣

(٢) مثنوي شيرين خسرو ص ١٥

المبحث الثالث

السلطان قولي قطب شاه ، حياته وشعره في المديح النبوي

يحتوي هذا المبحث على مطلبين

المطلب الأول

حياة محمد قلي قطب الشاه

المطلب الثاني

شعره في المديح النبوي

المطلب الأول
حياة السلطان محمد قولي قطب

هو الشيخ السلطان محمد قولي قطب الشاه بن إبراهيم قولي قطب الشاه بن السلطان قولي، ينتهي نسبه إلى قبيلة من تركستان تدعى بـ "قراقو نيلو"، وكان جده قد هاجر مع عمه من تركستان إلى الهند في عهد الملك البهمني وسكن في بيداء في الدكن، وكان لمحمود الشاه علاقة بتركستان وإيران، وبما أن السلطان قلي قد وهبه الله تعالى بالمواهب العلمية والقدرات الإدارية والفهم والذكاء، وإلى جانب ذلك كان وفياً للملك، عُدّ من القائدين الذين لهم مكانة مرموقة ومرتبة عالية رفيعة في كلا المجالين معاً : مجال قيادة الجيش ومجال العلم والأدب، حتى لقّبه محمود الشاه البهمني بـ "رب السيف والقلم" و "قطب الملك" واشتهر بين عامة الناس بدكن بـ "الملك الكبير"(١).

وفي سنة ٩٠١هـ الموافق لسنة ١٤٩٥م عيّنه محمود الشاه أمير مقاطعة "تلنكانه"ن فلما توفي محمود الشاه سنة ٩٢٤هـ الموافق لسنة ١٥١٨م، أعلن السلطان قولي بسيادته المطلقة على هذه المقاطعة وأسّس سلطنةً عظيمةً و صار حاكماً مستقلاً لها(٢).

---

(١) انظر تاريخ غولكنده ، لعبد المجيد الصديق ص٣٣٧

(٢) انظر السلطان محمد قلي قطب الشاه، للدكتور محي الدين القادري ص ٢٣

عاد الحكم عند وفاة السلطان قلي سنة ٩٥٠هـ عيّن ابنه السلطان جمشيد قلي حاكماً فسرعان عيّن ابنه الصغير السلطان إبراهيم قلي مقامه، وهو أبو السلطان محمد قلي قطب الشاه(١).

ولد السلطان محمد قلي قطب الشاه في يوم الجمعة ١٤ من شهر رمضان سنة ٩٧٣هـ الموافق ٤ من شهر أبريل سنة ١٥٦٥م، وبمناسبة ولادته أقيم بمهرجان في "غولكندا" إلى عدة أيام. فأُطعم المساكين وألبسوا بكل فرحٍ ونشاطٍ وسرورٍ وانبساطٍ(٢).

تربى ونشأ السلطان في بيتٍ مرفّهٍ بالعلم والأدب والمال والجاه، إلى أن عُيّن كحاكمٍ خامسٍ لمقاطعة "غولكندا"، وذلك في يوم الجمعة ٢١ من شهر ربيع الثاني سنة ٩٨٨ الموافق ٥ من شهر يونيو سنة ١٩٨٠م، وكان السلطان محمد قلي آنذاك ابن أربع عشرة سنة(٣)، وحكم على هذه الولاية إلى إحدى وثلاثين سنة بكل عظمة وكبرياء إلى أن توفي عن عمر ناهز ٤٧ عاماً، وذلك يوم السبت ١٧ من ذي القعدة سنة ١٠٢٠هـ الموافق ١١من شهر يناير سنة ١٦١٢م(٤).

ووفق ما كتب الباحثون والمؤرخون كان لسلطان محمد قلي قطب خمسة إخوان وهم: الشاه عبد القادر، وحسين قلي، وعبد الفتاح، وخدا بنده، ومحمد أمين،

---

(١) المصدر نفسه ٣١

(٢) المصدر نفسه ص ٣٢، ومحمد قلي قطب شاه ، للدكتور مسعود حسين خان ص٨٣

(٣) انظر سلطان محمد قلي قطب شاه، للدكتور محي الدين القادري ص ٣٤

(٤) المصدر نفسه

وبالإضافة إليهم كانت له أختان أيضاً ولكن لم يحظ لمحمد قلي من العلوم والفنون كما حظ إخوانه لما أنه استلم مهامّ المنصب وتولّى مسؤليةَ الحكومة في صباه، إلا أنه قرأ دواوين كبار الشعراء والأساتذة كأمثال: الحافظ الشيرازي والخاقاني حتى استطاع أن يكون شاعراً كبيراً وأن يترجم قصائد هؤلاء الشعراء الكبار، فنظم الشعر كثيراً وتشتمل كلياته خمسين ألف بيت، وترجم بعض القصائد للحافظ الشيرازي في الأردية منظوماً[١]. وكان للسلطان محمد قلي قطب شوق ورغبة بفن الخطاطية وكان يكتب بأحسن الخط وآنذك كان يكتب بنستعليق ونسخ والأساتذة الخطاطون كانوا يأتون من العراق وإيران ويعلمون الخطاطية، ومهما يكتب السلطان بنفسه على المباني والجدران، وقيل ما كتب على باب المسجد الجامع في دهلي بخط نستعليق من آيات القرآن فهو من كتابة السلطان محمد قلي قطب الشاه[٢].

****

(١) انظر محمد قلي قطب شاه، للدكتور مسعود حسين خان ص ٨٤

(٢) انظر سلطان محمد قلي قطب شاه، للدكتور محي الدين القادري ص٣٥

المطلب الثاني

شعر السلطان محمد قلي قطب في المديح النبوي

اتفق الباحثون والمؤرخون على أن السلطان محمد قلي قطب هو أول شاعر في اللغة الأردية الذي له ديوان شعر، لم يعهد لأحد سواه ديوان من الشعر، فكما أنه نظم القصائد في جميع الأصناف التي كانت تعرف آنذاك في مجال الشعر والأدب كالغزل والنظم والمراثي وغيرها، هكذا أعمل فكره في نظم القصائد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، يقول الشاعر الأردي الشهير حفيظ التائب عن شعره في المديح النبي:

"ابتدأ المديح النبوي في اللغة الأردية في القرن الهادي عشر عندما أقيمت الدولة القطب الشهية بعد الدولة البهمنية، وأول من له ديوان شعر من شعراء الأردية كان السلطان محمد قلي قطب الشاه، وقد اعتبر السلطان قلي قطب المديحَ النبويَ (نعت) كفنٍ مستقلٍ، وإلى جانب الغزال في هذا الخصوص رتّب رباعيات أيضاً، وبلوعه بالمديح النبوي نجد عنده موضوع المديح النبوي في قالب الغزال أيضاً، وهناك كثيرٌ من القصائد في مدح الرسول ﷺ، منها ست قصائد في ميلاد الرسول ﷺ، وخمس قصائد في بعثة النبي ﷺ، وقصيدة طويلة ورباعيات في معراج النبي ﷺ، وكان يحب النبي ﷺ حباً جماً، ويحتفل بمولد النبي ﷺ في عصره كل سنة"[(١)]

إليكم نموذج من شعره:

تجھ مکھ اجت کی جوت تھے عالم دپین ہاراہوا

تج دین تھے اسلام لے موہن جگت ساراہوا

یک لک اسی پیغمبراں اپجے جگت میانے ولے

---

(١) نقوش رسول نمبر ١٧٠/١٠، انتخاب كلام قلي قطب شاه ص٢٢

تج پر نبوت ہے ختم سب تھے توں ہی پیارا ہوا[١]

وبوجهك المنير قد نُوّر العالم كله ولأجل دينك الإسلام شاع الأمن والسلامة في الكون كله، وقد أتى ألف مائة نبي في الدنيا وإنما بُعثت آخراً وخُتمت النبوة عليك فأنت أحبّ إلى الله منهم.

يقول في مولد النبي ﷺ:

خوشیاں شادیاں سیتیں مولود آیا ہے پیغمبر کا
سدا دو جگ منے سہتا ہے اے مولود پیغمبر کا
سلیماں تے زیادہ پادشاہی انکو حق دیتا
سبب کیا ناوں لینا ہے اونن ان کے سکندر کا
سب ہی پیغمبر اں اعجاز تھے واقف اتھیں حضرت
نہیں حاجت انن اٹکے کبھی کوئی قصہ آذر کا[٢]

جاء الفرح والانبساط فقد حان وقت مولد النبي ﷺ وبمولده يستضاء العالم كله، وكان سليمان عليه السلام ملكاً عظيماً، وإنما كان النبي ﷺ أجدر بالملك من سليمان، ولم يستحق به سليمان لولم تكن معه بركات اسم النبي محمد ﷺ، والأنبياء والرسل جميعهم كانوا يعرفون مكانته وفضيلته.

وكتب "معراج نامه" عالج فيها سفر النبي ﷺ في ليلة الإسراء والمعراج يقول فيها:

---

(١) انتخاب كلام قلي قطب شاه ص ٣٢

(٢) المصدر نفسه ص ٣٨

شاہ مرداں و محمد ہیں ہمارے سرتاج   خدا باتاں حبیب اپنے سوں کیا شب معراج
چاند سورج انن نور تھے پیدا ہوئے   دین ہور دنیا انن اسلام تھے پایا رواج
قدرت حق دیکھوں ان میں ہستے بیچوں گت   خدا ان دونوں کو دیتا ہے دوعالم کا راج[1]

هو ملك الشجعان محمد سيدنا وقد كلّم الله حبيبه ليلة المعراج، فقد نُوّر القمر والشمس بنوره وبهدايته يرقى الدين والدنيا، فليتوجه إلى قدرة الله تعالى حيث من نشأ في بيت النبي ﷺ **(يعني الحسن والحسين)** جعله سيداً في الكونين.

****

(١) المصدر نفسه ص ٥٦

المبحث الرابع

مولانا ألطاف حسين حالي ، حياته وشعره في المديح النبوي

يحتوي هذا المبحث على مطلبين

المطلب الأول

حياة ألطاف حسين حالي

المطلب الثاني

شعره في المديح النبوي

المطلب الأول
حياة مولانا ألطاف حسين حالي

هو الشيخ الفاضل خواجه ألطاف حسين بن إيزد بخش الأنصاري الباني بتي، أحد الأفاضل المشهورين في الهند.

ولد خواجه ألطاف حسين حالي سنة ١٨٣٧م، بسوني بت من مضافات "باني بت"،[١] وقام أبوه بتربية ابنه وتعليمه جيداً، حيث أخذ يعلمه بالعلوم الدينية وهو ابن خمس سنوات، فحفظ القرآن الكريم، ودرس العلوم الإسلامية واللغوية والأدب على عدد من علماء عصره، منهم المولوي إبراهيم حسين الأنصاري[٢].

فلما بلغ إلى التاسعة من عمره تُوفي أبوه فكفله أخوه الكبير ولم تتيسر له فرصةٌ ليتعلم رسمياً ويدرس دراسةً منتظمةً، فسرعان زوّجه أهل الأسرة وفقا لتقاليد العرف في ذلك العهد ولكنه لم يرض عنه، لأنه كان يولع بحصول العلم والأدب، فذات ليلة خرج من البيت وقطع ٥٥ميلاً حتى وصل إلى دهلي التي كانت مركزا للعلم والأدب والتحق مدرسة دينية قرباً من المسجد الجامع[٣]، وهناك ازدهر ذوقه العلمي والأدبي، وتتلمذ على مولانا نواز علي الدهلوي، ولازمه مدة، ثم رجع إلى مسقط رأسه ١٨٥٤م، فأخذ عن عدد من شيوخها، منهم: المولوي قلندر، والمولوي محبّ الله، وعبدالرحمن الأنصاري، ولازمهم مدة[٤].

---

(١) انظر تذكرة حالي، لمحمد إسماعيل باني بتي ص ٣٢، ونزهة الخواطر ٢٣١/٨

(٢) انظر مولانا حالي، لأنور الحسن ص ٢٥

(٣) المصدر نفسه ٢٦

(٤) انظر تذكرة حالي، ص ٣٥

قصد جهانكير آباد، وتقرب إلى نواب مصطفى خان الدهلوي، وصاحبه مدة، وتتلمذ في الشعر على مصطفى خان شيفته وأسد الله خان غالب[١]، وبايع الشيخ عبد الغني بن أبي سعيد المجددي الدهلوي[٢].

سافر إلى لاهور وأقام بها أربع سنوات عمل خلالها بالتدريس ثم اعتزل في بيته منشغلاً بالكتابة والتأليف ومساعدة حركة التعليم التي كان يتزعمها أحمد خان.

وله مصنفات جليلة، منها "حياة جاويد" كتاب بسيط في سيرة السيد أحمد بن المتقي الدهلوي، و"حياة سعدي" في سيرة المصلح السعدي الشيرازي، و"يادكار غالب" في سيرة أسد الله الدهلوي الغالب، و"ترياق السموم" في الذب عن الملة الإسلامية والرد على المسيحيين، و"مجالس النساء" و"مناجاة بيوه" وشكوه هند" وله أرجوزات كثيرة[٣].

من أشهر مصنفاته "المد والجزر في الإسلام" المعروف بـ "مسدس حالي" منظومة تلقاها الناس بالقبول، وسارت مسير الأمثال في البلاد، وأولع الناس بها ولعاً عظيماً، وطبعت مراراً لا تحصى، وهي ملحمة إسلامية ذكر فيها ظهور الإسلام وما له من فضل على الإنسانية، وذكر البعثة المحمدية والشخصية النبوية في أسلوب معجب مطرب، وذكر الصحابة والعرب وما لهم من فضل في إحياء العلوم والحضارة، ومآثر السلف وعلو همتهم، ثم ذكر ما نكب به المسلمون في الدور الأخير من انحطاط في الأخلاق وانصراف عن معالي الأمور وسقوط في الهمة، وصور المجتمع الإسلامي المعاصر تصويراً دقيقاً صادقاً، ويؤخذ عليه أنه بالغ في

---

(١) نزهة الخواطر ٢٣١/٨

(٢) المصدر نفسه

(٣) المصدر نفسه ص ٢٣٢

الثناء على الحكومة الإنكليزية وعدلها وفضلها. وله مقدمة في الشعر وديوان الشعر بالأردو، وله أبيات رائقة رقيقة بالعربية والفارسية، وهو أول من اخترع أسلوباً جديداً في الشعر [١].

سافر حالي إلى حيدر آباد سنة ١٨٧٨م، وذلك بامتثال أمر سرسيد أحمد خان، وعيّن هناك كموظف في الحكومة ومكث هناك مدة مديدة حتى رجع إلى مسقط رأسه باني بت وتوفي هناك سنة ١٩١٤م [٢].

****

(١) المصدر نفسه

(٢) انظر تذكرة حالي ص ١٣٤

المطلب الثاني

شعر مولانا حالي في المديح النبوي

وكما درسنا في المطلب السابق أن حالي كان مولعاً بالشعر والأدب وتتلمذ في مجال الشعر على عدد من ألأساتذة الكبار كميرزا أسد الله خان وغيره، وقرأ شعر من له إلمام به من الشعراء المشهورين إلى أن وهبه الله قريحة جيدة وذهناً صافياً وفكرة سليمة لقرض الشعر كما يقول الشيخ عبد الحي الحسني:

"وكان حالي رقيق الشعور، مرهف الحس، سريع الانفعال، جيد القريحة في الشعر، له كعب عال في نقد الشعر ومعرفة جيده من سقيمه، أحسن الاقتباس من الأساليب العصرية في النقد والتاريخ، رقيق الذوق، متألماً بما أصيب به المسلمون، مبالغاً في حب السيد أحمد خان، شديد الإعجاب به، كريم الطبع، متواضعاً، دمث الخلق، كثير الإنصاف مع معاصريه"[١].

ويقول الدكتور أحمد إدريس:

"نظم في عدد من الأغراض المعبرة عن طبيعته الإنسانية وظروف مرحلته التاريخية، والكاشفة عن روح الناقد الكامنة في شخصيته انشغلت قصائده بتصوير حال الأمة الإسلامية، والتوقف أمام ماضيها المجيد، اشتهرت منظومته الملحمية "المد والجزر في الإسلام" ذات الطابع الملحمي التي تتشكل من خط تاريخي يبدأ من ظهور الإسلام وما له من فضل على البشرية والبعثة المحمدية والشخصية النبوية والصحابة، ثم ما أصيبت به الأمة من ضعف وهوان، في أسلوب قوي متين ولغة رائقة دالة"[٢].

---

(١) الإعلام بمن في الهند من الأعلام ٢٣٢/٨

(٢) الأدب العربي في شبه القارة الهندية حتى أواخر القرن العشرين، أحمد إدريس ص ٢٧٧

وكـان حـالي تـأثر مـن اللغـة العربيـة تـأثيراً شـديداً نثـراً ونظمـاً، وهـذا التـأثير يظهـر في شعره جلياً، يقول في مثنويه الشهير "مسدس حالي":

غنیمت ہے صحت، علالت سے پہلے　　فراغت، مشاغل کی کثرت سے پہلے

جوانی، بڑھاپے کی زحمت سے پہلے　　اقامت، مسافر کی رحلت سے پہلے

فقیری سے پہلے غنیمت ہے دولت　　جو کرنا ہے کرلو کہ تھوڑی ہے مہلت[١]

أي الصـحة نعمـة قبـل المـرض، والفـراغ نعمـة قبـل كثـرة الأشـغال. وكـذلك الشـباب قبـل زحمـة الهـرم، والإقامـة قبـل بـدء السـفر. وكـذلك الثـروة نعمـة قبـل الفقـر، فأسرعوا إلى إنجاز ما تريدون القيام به لأن المهلة قليلة جدا.

فعنـدما نقـرأ هـذه الأبيـات يتبـادر إلـى أذهاننـا ذلـك الحـديث النبـوي الشـهير الـذي قال فيه رسول الله ﷺ:

« اغتـنم خمسـا قبـل خمـس، شـبابك قبـل هرمـك وصـحتك قبـل سـقمك وغنـاءك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك» [٢].

أمـا مـا يتعلـق بتـأثير الشـعر العربـي فـي شـعر هـذا الشـاعر فنـراه واضـحاً جليـاً فـي الأبيات التالية:

کل کی ہے یاروبات کہ تھی　　قوم میں باقی جان ذرا

قوم میں جیساحال ہے اب　　آدمیوں کا کال نہ تھا

تھے موجود ادیبوں میں　　اخطل واعشیٰ کے ہمتا

---

(١) كليات حالي ص٢٥

(٢) رواه أحمد والحاكم والبيهقي

منشیوں میں تھے ایسے بہت　　جن پہ کہ نازاں تھی انشا

شعر میں تھے استاد اکثر　　سحر بیاں اور نکتہ سرا

لے گئی ان کو آخر کار　　بحر فنا کی موج بہا

اہل ہنر کا نام ونشاں　　قوم میں جب باقی نہ رہا

حالی وزید وعمر بنے صاحبِ دیواں نامِ خدا

اب چاہو نام گنو　　یا ہمیں سمجھو تم یکتا

ہم ہیں وہی ناچیز مگر　　كبرنا موت الكبراء(١)

أحبائي! كان الشعب فيه رمق من الحياة بالأمس، وكان بين المنشئين رجال يفخر بهم فن الإنشاء، ولم يكن الشعب يعاني من قحط الرجال مثلما يعانيه اليوم، كان الشعراء الكبار مثل الأعشى والأخطل موجودين في الأمة، وفي الشعر كانت أساتذة، بيانهم كان سحرا ونظمهم كان دقيقاً، إلا أن موجة من موجات بحر الفناء ذهبت بهم أخيراً، فعندما لم يبق أحد من رجال الفن في الشعب، صار الناس أمثال "حالي" و"زيد" و"عمر" أصحاب الدواوين اسميا، والآن في وسعكم أن تحسبونا من أساتذة الفن أو الأفذاذا، لافضل فينا إلا أنه "كبرنا موت الكبراء".

ويقول:

کر دیا مر کے یگانوں نے یگانہ ہم کو　　ورنہ یاں کوئی نہ تھا ہم میں یگانہ ہرگز(٢)

جعلنا الأفذاذ فريدين بموتهم، وإلا فلم يكن أحد منا فريدا.

---

(١) كليات حالي ص ٢٨

(٢) المصدر نفسه ص ١٢١

وهي ترجمة لبيت شاعر من شعراء ديوان الحماسة، إنه يقول:

خلتِ الديار فسدت غير مسود ومن الشقاء تفردي بالسؤدد[(١)]

ويُروى أن المتنبي –الشاعر العباسي الشهير– لما ترك بلاط سيف الدولة ذهب إلى الكافور الأخشيدي الذي كان ملكا لمصر، ومكث عنده فترة من الزمن يمدحه وينال منه جوائز طائلة، كما أنه كان يحتل مكانة مرموقة عند الكافور، فشاعرنا "ألطاف حسين حالي" عندما رأى كساد سوق الشعر في زمنه، وعدم اكتراث الناس بالشعر والشعراء رفع عقيرته وانبرى قائلا:

اس زمانے میں وہ غریب ہوں میں جو وطن سے ہو لاکھ منزل دور

کاش اس عہد میں مجھے پاتے تھا سخن جب کہ قبلہء جمہور

کاش واں دیکھتے مجھے کہ جہاں متنبی تھا مادح کافور

کون سمجھے مجھے کہ ہوں کیا چیز انوری ہے نہ عرفی و شاپور

فی المثل ہے میری مسلمانی جیسے زندگی کا نام ہو کافور[(٢)]

أنا ذلك الغريب في هذا الزمان الذي يعيش على بعد آلاف أميال من موطنه. يا ليتني عشت في ذلك العصر الذي كان الشعر فيه قبلة الجمهور وديوانهم لوجدوني أحتل ذلك المقام الذي كان قد اكتسبه المتنبي المادح للكافور. من يقدر حق قدري ولا يوجد في زمني أحد من "أنوري" أو"عرفي" أو"شابور" ، وعملي لا يطابق قولي ويخالف ما يقتضيه الإسلام فمثل إيماني كمثل الملك الكافور الذي كان حبشياً أسود ولكن اسمه كان كافوراً.

---

(١) ديوان حماسة ص ٨٨

(٢) كليات حالي ٤٣٢، و نفس القصيدة التي

أما شعره في المديح النبوي فنراه أيضاً أنه تأثر من شعراء العربية، كما يبدأ قصيدةً بهذين البيتين :

يا ملكي الصفات يا بشري القوى
فيك دليل على أنك خير الورى
تجھ سے ہوئی زندہ خلق جیسے کہ باراں سے خاک
لقك خب الزمان بعثك محيا الورى(١)

أما مسدسه فهو شهيرٌ وإضافة عظيمة في مجال المديح النبوي

وہ نبیوں میں رحمت لقب پانے والا مرادیں غریبوں کی بر لانے والا
مصیبت میں غیروں کے کام آنے والا وہ اپنے پرائے کا غم کھانے والا
فقیروں کا ملجا ضعیفوں کا ماویٰ یتیموں کا والی غلاموں کا مولیٰ(٢)

هو الذي لُقب بـ" الرحمة" بين النبيين ويُحقّق للفقراء بغياتهم وآمالهم، ويعاون الآخرين في المصائب والكربات، ويتألّم بحزن الأقارب والأجانب ويؤاسي الأصدقاء والأعداء، وهو الملجأ للفقراء والمأوى للضعفاء ووالٍ لليتامى ومولى للعبيد.

ولعل البيت الأخير من تلك الأبيات مستفاد من البيت الآتي لأبي طالب عم النبي ﷺ:

وأبيض يستسقى الغمام وبوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل(٣)

والأبيات الباقية من مسدسه هكذا:

---

(١) كليات حالي ص ١٢٨
(٢) المصدر نفسه ص٦٤
(٣) الروض الأنف للسهيلي ٢٨/٢

خطا کار سے در گزر کرنے والا   بد اندیش کے دل میں گھر کرنے والا
مفاسد کا زیر و زبر کرنے والا   قبائل کو شیر و شکر کرنے والا
اُتر کر حرا سے سوئے قوم آیا   اور اک نسخۂ کیمیا ساتھ لایا(١)

هو يعفو عن الخاطئ، يرسخ في قلب العدو الدنيئ ويتأصل في نفسه، يقلّب المفاسد تقليباً يُصلح بين القبائل التي كانت بينهم عداوة بعدُ، نزل من حراء إلى قومهم ويأتي بنسخة عظيمة وهو القرآن الكريم.

مسِ خام کو جس نے کُندن بنایا   کھرا اور کھوٹا الگ کر دکھایا
عرب جس پہ قرنوں سے تھا جہل چھایا   پلٹ دی بس اک آن میں اس کی کایا
رہا ڈر نہ بیڑے کو موجِ بلا کا   اِدھر سے اُدھر پھر گیا رُخ ہوا کا(٢)

وهوالذي جعل النحاس الخام ذهباً خالصاً لامعاًوميّز الجيّد من الزيف والخيرَ من الشرِّ، العرب الذين كانوا في قعر الجهالة الغباوة منذ قرون قلّب حظها في آنٍ وملأها بنور العلم والمعرفة، فلم يبق للأسطول خوف البلاء والأمواج فأصبح مأموناً فتغيّر الجو وانقلبت الظروف.

****

(١) كليات حالي ص ٦٥
(٢) المصدر نفسه

المبحث الخامس

الدكتور محمد إقبال ، حياته وشعره في المديح النبوي

يحتوي هذا المبحث على مطلبين

المطلب الأول

حياة الدكتور مدور إقبال

المطلب الثاني

شعره في المديح النبوي

المطلب الأول
حياة الدكتور محمد إقبال

هـو العلامـة الـدكتور محمد إقبـال ابـن الشـيخ نـور محمد، كـان مـن الآحـاد الأفـذاذ الـذين قلمـا يجـود الزمـان بهـم، والـذين قـادوا البشـرية إلـى حيـاة أفضـل وتركـوا العـالم علـى أحسـن حـالٍ، وكـان إقبـال شـاعر الإسـلام، وشـاعر الشـرق شـاعر الإنسـانية كلهـا، وهـو من أسرة برهمنية، كما يقول البروفيسور محمد منور عن نسبه:

"وينتمـي إقبـال إلـى أسـرة برهميـة اعتنقـت الإسـلام زعيمهـا (بابـا لـول الحـاج) خـلال القـرن الخـامس عشـر المـيلادي وذلـك قبـل مائـة عـام مـن إنشـاء الإمبراطوريـة المغوليـة فـي الهنـد علـى يـد الملـك المغـولي (ظهيـر الـدين بـابر) وقـد هـاجر جـد إقبـال الشـيخ محمد رفيـق مـن كشـمير فاسـتوطن مدينـة سـيالكوت، وكـان أجـداد إقبـال بطبيعـتهم يميلـون إلـى العبـادة وكـان أبـوه الشـيخ نـور محمد وأمـه السـيدة إمـام بـي معـروفين بالصـلاح والتقوى"(١).

وقـد أشـار الـدكتور محمد إقبـال فـي مواضـع كثيـرة فـي شـعره أنـه مـن البراهمـة وأنـه لا يفتخـر بهـذا الأصـل، بـل يفتخـر أنـه مـن سـلالة البراهمـة التـي أدركـت مـن حقـائق الإسلام وأسراره مالم يدركه غيره. يقول:

میں اصل کا خاص سومناتی   آبا میرے لاتی و مناتی

تو سید ہاشمی کی اولاد   میری کف خاک برہمن زاد(٢)

---

(١) حياة إقبال ص ٢

(٢) ضرب كليم ص٢٥

وإنني في الأصل سومناتي وكان سلفي من عبدة اللات والمناة، وأنت من أولاد هاشمي وطينتي من نسل برهمني.

وأضاف قائلاً:

میرا بنگر که در هندوستان نمی بینی   برہمن زاده رمز آشنائے روم تبریزاست[1]

ولد العلامة إقبال في سيالكوت إحدى مدن البنجاب الغربية في الثالث من ذي القعدة ١٢٩٤هـ الموافق ٩ نوفمبر ١٨٧٧م[2].

نشأ العلمة إقبال في بيئة دينية نشأةً دينيةً وتربى تربية أدبية في كنف أبويه الذين كانا من الرجال الأفذاذ الذين يشار إليهم بالبنان فأجادا في تربية ولدهما هذا وأحسنا إلى أن أصبح شخصية فذة فريدة، فقد تأثر إقبال بوالده أشد تأثير حيث يقول عنه:

"يرجع الفضل في كل ما أنشأته من شعر أو نثر إلى توجيهات أبي رحمه الله، فقد عودني تلاوة القرآن الكريم بعد صلاة الصبح من كل يوم...... ومنذ ذلك الوقت بدأت أتفهم القرآن الكريم، أقبل على وداخل كلماته ومعانيه، فكان من أنواره ما اقتسبت، ومن بحره ما نظمت"[3].

فتربى العلامة إقبال في أحضان هذين الوالدين الصالحين واستفاد أثناء مراحل تعليمه من الأساتذة والأذكياء الذين كان لهم أثر كبير في رفعة فكره وسلوكه حتى أنه ليعبر كثيرا بالقول والعمل، وهو في تألق مجده عن فضل هؤلاءالأساتذة وأثرهم فيه. من أشهرهم الأستاذ مير حسن الذي كان له أثره بعلمه وسلوكه في تربية إقبال

---

(١) زيور عجم ص ٣٠

(٢) انظر علامة إقبال، حياته وآثاره، لأحمد معوز ١٢.

(٣) المصدر نفسه

وتوجيهه إلى مواصلة طلب العلوم الحديثة بجانب العلوم الإسلامية، والأستاذ السير تومانس آرنولد صاحب كتاب "الدعوة إلى الإسلام" فقد تتلمذ عليه إقبال في الهند وفي انجلترا[(١)].

بدأ إقبال في كتابة الشعر في هذه المرحلة المبكرة، وشجّعه على ذلك أستاذه مير حسن، فكان ينظم الشعر في بداية حياته بالبنجابية، ولكن السيد مير حسن وجهه إلى النظم بلغة الأردو، وكان إقبال يرسل قصائده إلى ميرزا داغ دهلوى الشاعر البارز في الشعر الأردو، حتى يبدي رأيه فيها، وينصحه بشأنها وينقحها، ولم يمضِ إلا فترة بسيطة حتى قرر داغ دهلوي أن أشعار إقبال في غنى تام عن التنقيح، وأتم إقبال دراسته الأولية في سيالكوت، ثم بدأ دراسته الجامعية بالكلية الحكومية ١٨٩١م، التي تخرج فيها وحصل منها على إجازة الآداب ١٨٩٧م، ثم حصل على درجة الماجستير ١٨٩٩ م، وحصل على تقديرات مرموقة في امتحان اللغة العربية في الكلية الحكومية[(٢)].

وبعد أن حصل إقبال على الماجستير عُين عميدًا للعربية في الكلية الشرقية لجامعة البنجاب، وحاضر حوالي أربع سنوات في التاريخ والتربية الوطنية والاقتصاد والسياسة، وصنف كتابًا في "علم الاقتصاد" ولم يصرف التدريس محمد إقبال عن الشعر، بل ظل يشارك في محافل الأدب وجلسات الشعر، والتي يسمونها في شبه القارة "مشاعرة".

ذهب إقبال إلى القارة الأوروبية وزار كثيراً من بلدانها، وكان في كل أسفاره يعمل على نشر الإسلام، وأثر بشعره وأسلوبه في كثير من الأوروبيين، وبعد أن

(١) انظر حياة إقبال ص ١٥

(٢) المصدر نفسه ص٢٠-٢٢

قضى مدة في أوروبا عاد إقبال إلى شبه القارة في شهر يوليو ١٩٠٨م[١]، وأفادته هذه المدة في التدرب على منهج البحث والإلمام بالفلسفة الغربية.

ترك العلامة إقبال ثروة ضخمة من علمه وأدبه، فمن آثاره عشرون كتابًا في مجال الاقتصاد والسياسة والتربية والفلسفة والفكر وترك أيًضا بعض الكتابات المتفرقة وبعض الرسائل التي كان يبعث بها إلى أصدقائه أو أمراء الدول، ذلك إلى جانب روائعه من الشعر والتي لقب بسببها "شاعر الإسلام".

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي:

"ومن دواعي العجب أن كل هذا النجاح حصل لهذا النابغة، وهو لم يتجاوز اثنين وثلاثين عامًا من عمره"[٢].

ومن آثاره:

- رسالة المشرق (بيام مشرق)
- زبور العجم (زبور عجم)
- الفتوحات الحجازية (أرمغان حجاز)
- صلصة الجرس (بانك درا)
- اسرار معرفة الذات (أسرار خودي)
- رموز بيخودي (أسرار فناء الذات)
- جناج جبريل(بال جبريل)
- ضرب كليم (ا الكليم موسى)

توفي الدكتور إقبال في ٢١ من شهر أبريل ١٩٣٨م، في تمام الساعة الخامسة صباحاً[٣].

****

(١) انظر إقبال سيرته وفلسفته وشعره، لعبد الوهاب عزام ص٢٩

(٢) روائع إقبال ص ٣٩

(٣) انظر علامة إقبال، حياته وآثاره، لأحمد معوز ص٥٠.

المطلب الثاني

شعر الدكتور محمد إقبال في المديح النبوي

كان الدكتور محمد إقبال محب الرسول ﷺ منذ طفولتهن وقد قال عدة أبيات في مدح الرسول ﷺ، وقصائده وإن لم توجد مختصة بمدح النبي، ولكن مع هذا لم نجد قصائده تخلو من حب النبي ﷺ وشعور الإسلام، وكان قلبه يخفق بذكر النبي ﷺ، وحبه كان يجري كالدم في جسده، ولهذا كان كل شعره مملوءاً بحب الرسول وبمدح النبي ﷺ، وكان يعتقد إقبال أن سر الأسرار في الحياة الإسلامية على الصعيد الفردي والصعيد الجماعي، هو محبة الرسول ﷺ وكان كثيراً ما يردد كما قال الدكتور حسين مجيب المصري:

"أن أنوار أوروبا ومدينتها لم تخلب لبّي أو تعشى بصري لأني اكتحلت باسم المدينة"[١]

ولق عاش الدكتور إقبال طول حياته متغرداً بترنيمة محبة النبي ﷺ والشوق إلى مدينته، لقد طفح الكأس به في آخر حياته، حتى إنه كلما ذُكرت المدينة المنورة فاضت عيناه وانهمرتا بالدموع، فيدعو إقبال الأمة الإسلامية إلى حب النبي صلى الله عليه وسلم واتباع سنته حيث قال:

بمنزل کوش مانند مہ نو در یں نیلی فضا ہر دم فزوں شو

مقامِ خویش اگر خواہی دریں دیر بحق دل بند وراہِ مصطفےٰ او[٢]

---

(١) الجكيم الأمة وشاعر الإسلام علامة محمد إقبال، ص ٦٦

(٢) أرمغان حجاز ص ٥٤

وثـق فـؤادك بالـهـدى واسـلك سـبيل المصـطفى واقطـع منـازل سـفرك بخطـر جديـد كـالقمر، وكنبـر فـي هذالفضـاء الأزرق، لـو أردت مقامـك فـي هـذا العـالم فوثـق قلبـك بالحق واسلك سبيل سن النبي ﷺ.

وكـان إقبـال يـرى أن النبـي ﷺ هـو مقصـود إيجـاد الخلائـق، وكـل العـالم الإنسـاني يـدور حـول هـذا المحـور، ويوفـق الشـاعر بـين مـدح الرسـول وأحـوال الأمـة الإسـلامية، وهـو يعـرض عـن الأسـاليب القديمـة فـي مـدح الرسـول ويتكـرر صـوراً جديـدة فـي النبـي ﷺ، ووصل في الحسن والإبداع لهذا الأسلوب مبلغ الذروة.

يقول:

ويوجـد هـذا الأسـلوب الرائـع خاصـة فـي المنظومـات: "ذوق وشـوق" و"بـلال" و"صـديق" وغيرهـا. ويـذكر إقبـال أحيانـاً وقـائع مـن التـاريخ الإسـلامي وإلـى جانـبٍ آخـر يـذكر سـير أصـحابه خصوصـاً سـيدنا بـلال ويقـارن بينـه وبـين الإسـكندر والقيصـر ويثبـت أن حب الرسول ﷺ افضل من السلطة والمناصب.

يقول:

ہو نہ یہ پھول تو بلبل کا ترنم بھی نہ ہو چمنِ دہر میں کلیوں کا تبسم بھی نہ ہو
یہ نہ ساقی ہو تو پھر مئے بھی نہ ہو خم بھی نہ ہو بزمِ توحید بھی دنیا مین نہ ہو تم بھی نہ ہو
خیمہ افلاک کا استادہ اسی نام سے ہے لفظِ ہستی تپش آمادہ اسی نام سے ہے
قوت عشق سے ہر پست کو بالا کردے دہر میں اسمِ محمد سے اجالا کردے[1]

لـولم يكـن هـذا الزهـر لا يكـون تغـرد بلبـل ولا نُـوّار الأزهـار فـي بسـتان الـدهر، ولـو لـم يكـن هـذا السـاقي العظـيم لـم يكـن هنـاك دنٌ ولا خمـرٌ وكـذا لـو لاه لـم يكـن يعـرف

(١) كليات إقبال ص ٢٣٣

التوحيد في الدنيا ولا أنتم موجودين، أقيمت خيمة الأفلاك بهذا الاسم وبهذا الاسم لفظ الكيان على حرارة وقوة، وبقوة العشق ارفع كل مضمحلٍّ كسولٍ وباسم محمدٍ نوّر الكون كله.

وعنده عشق النبي ﷺ رأس كل متاع وهو يتيقن أن حياة الملة ومحور الكون وطمانينة الروح بفضل حب النبي ﷺ وعشقه، يقول:

ہر کہ عشقِ مصطفی سامانِ اوست　　　بحر وبر در گوشہ دامانِ اوست

زانکہ ملت راحیات از عشقِ اوست　　　برگ وساز کائنات از عشقِ اوست(١)

كل من يكون متاعه عشقَ النبي ﷺ يكون البر والبحر في طرف ذيله، وبعشقه حياة الملة وبه بهاء الكون ورونقه.

ويقول في أوصافه ومحامده ﷺ:

لوح بھی تو قلم بھی تو تیرا وجود الکتاب　　　گنبد آبگینہ رنگ تیرے محیط میں حباب

نگاہ، عشق و مستی میں وہی اول وہی آخر　　　وہی قرآں وہی فرقاں وہی یاسیں وہی طٰہٰ(٢)

أنت اللوح وأنت القلم في الحقيقة وأنت الكتاب كله والقبة الزرقاء ذرة في بحرك العرم، ولو رأينا نظرة العشق والحب فأنت الأول وأنت الآخر وأنت القرآن والفرقان وأن ياسين وطه.

****

(١) أرمغان حجاز ص ٧٨

(٢) كليات إقبال ص ٧٢٦

المبحث السادس

محسن كاكوروي، حياته وشعره في المديح النبوي

يحتوي هذا المبحث على مطلبين

المطلب الأول

حياة الشيخ محسن كاكوروي

المطلب الثاني

شعره في المديح النبوي

المطلب الأول

حياة محسن كاكوروي

هو الشيخ محمد محسن بن الشيخ حسن بخش بن الشيخ حسين بخش، ينتهي نسبه إلى خليفة الرسول علي بن أبي طالب رضي الله عنه، كان أجداده هاجروا من المدينة إلى قرية "صحرام" من مضافات "خراسان"[١]. وأول من أتى إلى الهند من تلك الأسرة هو الشيخ القاري محمد صديق الشهير بأبي محمد الخافي، ومن أحفاده كان الشيخ أمير سيف الدين، هو الذي استوطن قرية "كاكوري" من مضافات "لكنؤ" وذلك في عهد الملك "إسكندر" أو الملك "إبراهيم لودهي" ولم يزل يسكن أولاده في القرية عينها حتى الآن.

ولد الشيخ محمد محسن سنة ١٢٤٢هـ الموافق سنة ١٨٢٧م بـ قرية "كاكوري"[٢]، وكان بداية تعليمه على يد والده الشيخ حسن بخش وعلى يد الأستاذ المولوي عبد الرحيم، ولكن مات أبوه وهو في السنة السابعة من عمره، وبعد وفاته تربى وترعرع في كفالة جده الشيخ حسين بخش الذي كان من أشهر العشاق للنبي ﷺ[٣].

ولما بلغ السنة التاسعة ذات ليلة كان نائماً في جنب جده إذ رأى رؤيةً عظيمةً، حيث يأتي النبي ﷺ في منامه، كتب بنفسه عن هذه الرؤيا الصالحة بنفسه في الفارسية ما نصه:

"بشبے کہ صبحِ آں روز جمعہ نہم ذی قعدہ ۱۲۵۱ بود بعمر نہ سال وچند ماہ در کنار جد بزرگوار خود بمقامِ اٹاوہ در خواب دیدم کہ بصحرائے بہمراہِ جدِ بزرگوارِ خود دست گرفتہ بطفرے می روم حضرت محمد مصطفے صلی اللہ علیہ

---

(١) انظر مقدمة كليات محسن كاكوروي ص ٨

(٢) المصدر نفسه ص٩

(٣) انظر تاريخ أدب أردو ، للسيدة جعفر ١٤٣/١

وسلم تشریف می آرند بدست مبارک ایشاں تسبیحے است پس دستِ من وجد بزر گوارِ من گرفت بمکانِ پرنور وباصفابردند وروبقبلہ نشانیدہ اول جد بزرگوار رامرید کردند بعد ازاں مرابمریدی گرفتند"(١)

الترجمة:

ذات ليلة، وهي ليلة الجمعة التاسع من شهر ذي القعدة سنة ١٢٥١هـ، وكنت آنذك ابن تسع سنوات وأشهر، كنت نائماً في جنب جدي بـ "اتاوا"، فرأيت أنّ جدي يمشي بي في صحراء جرداء وهو آخذٌ بيدي، فجاء النبي ﷺ وفي يده سبحة حسنة فأخذ بأيدينا وذهب بنا إلى مكانٍ نظيفٍ منورٍ وجلس مستقبلاً للقبلة فبايعته أنا وجدي.

وقد نظم هذه الرؤيا في منظومٍ له باللغة الفارسية، وكان يقول هذا أول ما نظمته وأسست عليه شعري وقصائدي(٢)، وتعلم الشعر والأدب على خاله المولوي هادي علي أشك الذي كان عالماً ثقةً تقياً، وكان محسن كاكوروي يعرض عليه قصائده للتصحيح والتنقيح، وبعد وفاته لم يطلب التصحيح من أحد(٣).

عُيّن موظفاً في الحكومة في "مين فوري" وبقي هكذا إلى مدة، ثم مارس مهنة المحاماة بـ "آغرة" حتى فاز بمنصب القضاء هناك ولكن لم يقبل هذا المنصب واختار الحرة من هذه المناصب والمسؤليات واللقاء بكثير من العلماء والأدباء والشعراء(٤).

توفي يوم الإثنين الثامن عشر من شهر الصفر سنة ١٣٢٣هـ الموافق ٢٤ من شهر أبريل سنة ١٩٠٥م(٥).

****

(١) مقدمة كليات محسن ص ١٢

(٢) انظر لكهنؤ كا دبستان شاعري ، لأبي الليث الصديقي ص ٥٦

(٣) انظر مقدمة كليات محسن ص ١٤

(٤) انظر تاريخ أدب أردو ١٤٣/١

(٥) انظر مقدمة كليات محسن ص ١٦، و تاريخ أدب أردو ١٤٤/١

المطلب الثاني
شعر محسن كاكوروي في المديح النبوي

فكما سبق في المطلب الأول من نفس المبحث أن بداية شعر الكاكوروي كانت في السنة التاسعة من عمره، والذي حثه على قرض الشعر هو رؤيا رأى فيها النبي ﷺ ، فأخذ ينظم القصائد تأثراً من جماله وبهائه، فلم يزل ينشد أناشيد في المديح النبوي حتى عرف كشاعر كبير في هذا الإطار، وهو أول من قام بقرض القصائد في الأردية على منوال الشعراء العرب، ولم يُعرف شعره إلا في المديح النبوي، وقام ابنه محمد نور الحسن بجمع قصائده بكاملها فنشرها بعنوان "كليات محسن" سنة ١٩١٥م، من مطبع الناظر لكهناؤ، والقصائد التي تحتوي عليها هذه المجموعة هي كما يلي:

گلدسته كلامِ رحمت (باقة القول ذي الرحمة)، تشتمل هذه القصيدة على أحد وخمسين بيتاً، قرضها محمد محسن في السنة السادس عشرة من عمره.

سراپا ئـي رسولِ اكرم (صورة الرسول الأكرم ﷺ) تمثل القصيدة صورة النبي الكريم ﷺ بكاملها في قالب المسدس وعدد الأبيات تبلغ إلى أربعة وسبعين بيتاً.

أبياتِ نعت (أبياتٌ في المديح النبوي) هذه قصيدة في معجزات النبي ﷺ وفضائله وشمائله تأخذ في ثناياها واحداً ومائة بيت.

صبحِ تجلى (صباح اليوم) مثلث يتحدث عن مولد النبي ﷺ ، وفيه مائة وستة وثمانين بيتاً.

چراغِ نعت (سراج المديح النبوي) هذه القصيدة أيضاً في صورة المثلث تحتوي على أربع مائة وثمانية وستين بيتاً، وقد ذكر فيها الناظم معراج النبي ﷺ ، فسرد القصة مفصلاً.

شــفاعت ونجــات (الشـفاعة والنجـاة) تتضــمن القصـيدة أحـوال القيامــة والحشــر بصــفة عامـة وتتحـدث عـن شـفاعة النبـي ﷺ للمـذنبين يومئـذٍ بصـفة خاصــة، وفـي القصـيدة أربـع مائة وخمسة وتسعون بيتاً. [1]

قصـيده مـديح خيـر المرسـلين. هـذه أشـهر قصـائده فـي المـديح النبـوي تشـتمل علـى مائـة وثلاثـة وأربعـين بيتـاً. نسـج الشـاعر هـذه القصـيدة علـى منـوال الشـعراء العـرب، حيـث بـدأ بالتشبيب والنسيب، فيأتي إلى سلب الموضوع بطريق الاقتضاب والتخلص، مطلعها:

سمتِ کاشی سے چلا جانب متھرا بادل   برق کے کاندھے پہ لاتی ہے صبا گنگا جل

الترجمـة: تمشـي السـحابة مـن "كاشـي" إلـى "متهـرا"[2] ويـأتي الصـبا بمـاء "الكنكـا"[3] علـى كواهل البرق.

هـذه القصـيدة سـجلٌ عظـيمٌ فـي خصـوص المـديح النبـوي فـي الأرديـة، حيـث يريـد الشــاعر أن يـذكر صـفات النبـي ﷺ وخصـائله فـي قالـب الثقافـة الهنديـة، فمهّـد القصـيدة بتمهيـدٍ زُيّـن بالتشـبيهات والاسـتعارات التـي تسـتعمل فـي شـبه القـارة، وكـذلك يـأتي بـذكر المقامـات التـي يحترمهـا الهنـادك والأصـنام التـي يعبـدونها، وهـذه الموضـوعات لا علاقـة لهـا بـذات النبـي ﷺ ولا بالمـديح النبـوي، ولكـن الشـاعر يجمـع بـين هـذين الموضـوعين المتضـادين وينظمهمـا فـي سـلك واحـد، حيـث يـذكر تلـك المراسـم الباطلـة ويـدعوهم إلــى

(١) انظر مقدمة كليات محسن ص ٣٣

(٢) هما بلدتان من بلاد الهند يعظمهما الهنادك، والأولى منهما على شاطئ هذا النهر وهناك يغتسل الهنادك للنظافة من الذنوب في معتقدهم، والأخرى وهي "متهرا" بعيدة عنها، حيث لا يصل سكانها إلى النهر إلا بالجهد وبشق الأنفس، ويقول الشاعر إن الصبا يأتي بماء هذا النهر إلى "متهرا" في صورة السحابة وهي تمطر هنا بنفس الماء فلا يحتاج من أراد الاغتسال من أهلها أن يحمل مشاق السفر ومتاعبه إلى "كاشي"، بل يجد الماء نفسه هنا.

(٣) نهرٌ من الأنهار الكبار الهندية يحترمونه الهنادك

دراسة سيرة النبي ﷺ، وهذا الأسلوب لم يعرف لدى شعراء المديح النبوي لا في الأردية ولا في لغة أخرى، وبهذا الأسلوب يمتاز الشاعر من بين المعاصرين والأقران، يقول أبو الليث الصديقي في هذا الصدد:

"هذا هو التشبيب الفريد البديع الذي لم يعهد عند أحد من شعراء الأردية، وذوق وسودا وإن كانا ملكين في مملكة القصائد الأردية ولكن لم يوجد لديهم مثله من التشبيه البديع"[(١)]

يذكر محاسن النبي ﷺ ويقول:

نہ کوئی اس کا مشابہ ہے نہ ہم سر نہ نظیر   نہ کوئی اس اس کا مماثل نہ مقابل نہ بدل
اوجِ رفعت کا قمر، نخلِ دوعالم کا ثمر   بحرِ وحدت کا گوہر، چشمہ کثرت کا کنول
مرجعِ روحِ امیں، زیب دہِ عرشِ بریں   حامیِ دینِ متیں، ناسخِ ادیان و ملل[(٢)]

الترجمة: إن رسول الله ﷺ ليس له شبه ولا مثيل ولا نظير، ولا مماثل له ولا مقابل، وهو كالقمر في الرفعة والمكانة، وحاصل الكونين وثمرة العالمين، وكالدر الوحيد في بحر وحيدة وكالزهر المفتح على عين الكثرة، وهو المرجع للروح الأمين، والزينة للعرش العظيم ، الحامي للدين المتين والناسخ لكل الأديان.

ويبين ما هو عقيدة الناظم وما وهو المأمول له منه في الدنيا والآخرة قائلاً:

سب سے اعلیٰ تری سرکار ہے سب سے افضل   میرے ایمانِ مفصل کا یہی ہے مجمل
ہے تمنا کہ رہے نعت سے تیری خالی نہ   مرا شعر، نہ قطعہ، نہ قصیدہ، نہ غزل
آرزو ہے کہ رہے دھیان ترا تادمِ مرگ   شکل تیری نظر آئے مجھے جب آئے اجل

---

(١) لكهنؤ كا دبستان شاعري، ص ٥٠٩

(٢) كليات محسن ص ٢٤٤

رخِ انور کا ترے دھیان رہے بعدِ فنا   میرے ہمراہ چلے راہِ عدم یہ مشعل

صف محشر میں ترے ساتھ ہو تیرا مداح   ہاتھ میں ہو یہی مستانہ قصیدہ یہ غزل[1]

الترجمة: أنت أفضل البرية كلها وأعلاها، هذا هو الحاصل والإجمال لما هو معتقداتي المفصلة في شانك يارسول الله!، وأتمنى وأرجو أن لا يخلو شعري من المديح النبوي، سواء كان الشعر في صورة القصيدة أو القطعة أو الغزل. وأتمنى أن يكون فكري وخيالي مملوءاً بك إلى آخر يوم من حياتي وإذا حان موعدي وأجلي يكون نظري على وجهك وأنظر إليك نظرة العاشق المحبّ، وإذا وصلت إلى عالم الآخرة لم يزل وجهك في خاطري ولا يزال يكون هذا السراج معي في منازل الآخرة. يارسول الله! إني أتمنى أن يكون مداحك هذا معك يوم القيامة وهناك يكون هذا الطرب وهذه القصيدة وهذا الغزل.

****

(١) المصدر نفسه ص ٢٤٥

الباب الثالث

حياة الإمام شرف الدين البوصيري والإمام أحمد رضا خان البريلوي
دراسة تحليلية

يحتوي هذا الباب على فصلين

الفصل الأول

حياة الإمام شرف الدين البوصيري وآثاره

دراسة تحليلية

الفصل الثاني

حياة الإمام أحمد رضا خان وآثاره

دراسة تحليلية

الفصل الأول
حياة الإمام شرف الدين البوصيري وآثاره

دراسة تحليلية

يحتوي هذا الفصل على مبحثين

المبحث الأول
حياة الإمام شرف الدين البوصيري

يحتوي هذا المبحث على سبعة مطالب

المطلب الأول : اسمه ونسبه وكنيته

المطلب الثاني: ولادته

المطلب الثالث: نشأته وثقافته

المطلب الرابع: أساتذته

المطلب الخامس : تلامذته

المطلب السادس : ثناء العلماء عليه

المطلب السابع : وفاته

المبحث الثاني
آثار الإمام البوصيري

المبحث الأول
حياة الإمام شرف الدين البوصيري

المطلب الأول
اسمه ونسبه وكنيته

هـو[١] محمد بـن سـعيد بـن حمـاد بـن محسـن بـن عبـد الله بـن حيـاني بـن صـنهاج ابـن مـلال[٢]. يلقـب بشـرف الـدين[٣]، ويكنـى بـأبي عبـدالله[٤]، كـان أحـد أبويـه مـن دلاص[٥] والآخـر مـن بوصـير[٦] فركـب لـه نسـبة منهمـا ويقـال "الدلاصـيري"[٧] ولكـن

---

(١) ينظر ترجمته في : فوات الوفيات ٢٥/١، والوافي بالوفيات٨٨/٣-١٠٥، وآداب اللغة١٢٠/٣، وحسن المحاضرة ٢٤٥/١و١٤٣/٢، وخطط المقريزي٤/ ٩٠، تاريخ مصر لابن أياس١٢٤/١، شذرات الذهب ٧٥٣/٥٧-٧٥٤، والموسوعة الموجزة ٢/ ١٩٣، ومعجم الشعراء ٢٧/٥، والأعلام ١٣٩/٦ و معجم أعلام الشعراء المديح النبوي ص ٢٣٣، وثلاثية البردة ص ٨٦، معجم المؤلفين لعمر كحالة ٣١٧/٣، وأعلام في التاريخ الإسلامي في مصر، لسامح كريم ص ٥٢، ومعجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢، وهدية العارفين للبغدادي ١٣٨/٣، جامع الكرامات العلية في الطبقات السادة الشاذلية ص ٨١-٨٣.

(٢) انظر الوافي بالوفيات ٨٨/٣

(٣) انظر شذرات الذهب ٧٥٣/٥٧، والأعلام للزركلي ١٣٩/٦

(٤) المصدر نفسه

(٥) دلاص: كورة بصعيد مصر على غربي النيل تشتل على قرى وولاية واسعة. انظر معجم البلدان، لياقوت ٣٠٤/٢.

(٦) بوصير: اسم لأربع قرى بمصر أشهرها بوصير قوريدس. انظر معجم البلدان ، لياقوت ٤١٠/٤

(٧) يقول صاحب الوافي بالوفيات : كانت له أشياء مثل هذا يركب من لفظتين مثل قوله في كساء له "كساط" فقيل له: لم ذا سميته بذلك؟ قال: لأني تارة أجلس عليه فهو بساط وتارة أرتدي به فهو كساء، وأهل العلم يسمون مثل هذا منحوتا كقولهم عبشمي نسبة إلى عبد شمس. انظر الوافي بالوفيات ٨٨/٣

اشتهر بـ "البوصيري"[١] وقال الأدباء: إنه الصنهاجي الجد، الدلاصي المولد، المغربي الأصل ، البوصيري المنشأ. [٢]

وقد أشار البوصيري إلى أصله فقال:

أن كان مثلي مغربيا فما   في صحبة الأجناس من بأس[٣]

****

(١) انظر حسن المحاضرة ٢٤٥/١

(٢) انظر شذرات الذهب ٧٥٣/٧

(٣) ديوان البوصيري ص ١٣٥

المطلب الثاني

ولادته

ولـد الإمـام البوصـيري بقريـة "دلاص" مـن صـعيد مصـر، يـوم الثلاثـاء فـي أول شـوال سـنة ٦٠٨هـ الموافـق للسـابع مـن مـارس سـنة ١٢١٣م[١] لأسـرة ترجـع جـذورها إلـى قبيلـة "صـنهاجة" إحـدى قبائـل البربـر، التـي اسـتوطنت الصـحراء جنوبي المغرب الأقصى، ونشأ بقرية "بوصير" القريبة من مسقط رأسه. [٢]

****

(١) الأعلام للزركلي ١٣٩/٦

(٢) معجم الشعراء ٢٧/٥

المطلب الثالث
نشأته وثقافته

بدأ حياته الدراسية كما كان يبدؤها معاصروه وذلك بحفظ القران الكريم ودراسة علوم الدين واللغة كالنحو والصرف والعروض، كما درس الأدب والتاريخ الإسلامي وبخاصة السيرة النبوية(١)، ثم انتقل الإمام البوصيري رحمه الله تعالى بعد ذلك إلى القاهرة التي كانت بلدة العلم الأدب، حيث تلقى علوم العربية والأدب، وتتلمذ على عدد من أعلام عصره حتى برع في كثير من العلوم والفنون وهو ابن ثلاثة عشر عاما(٢).

وقد مكث الإمام البوصيري بالقدس إلى عشر سنوات، ثم ذهب إلى مكة المشرفة ودرس هناك القرآن الكريم ثلاثة عشر عاما، ثم رجع إلى وطنه سنة ٦٥٩هـ(٣)، وتقلب في العديد من المناصب في القاهرة والأقاليم، فعمل في شبابه في صناعة الكتابة، كما تولى إدارة مديرية الشرقية مدة أربع سنوات(٤).

كان الإمام البوصيري يريد أن يؤسس مدرسة لتعليم القرآن الكريم، ولكن لم يقم بتأسيسها إلى أن ذهب إلى القاهرة وأنشد في شأن الأمراء والحكام قصائد مدحية فلم يجد فيها ما أراد، فقام بتأسيس مدرسة دينية واشتغل في خدمة العلم والدين(٥).

عاش الإمام البوصيري في القرن السابع الهجري الموافق للقرن الثالث عشر الميلادي الذي ساءت فيه الأوضاع الاجتماعية والسياسية واضمحلت الحياة الأدبية

---

(١) انظر التحفة في محاسن البردة ص ٢٧

(٢) انظر جامع الكرامات ص ٨١، ومعجم أعلام الشعراء المديح النبوي ص ٣٥٤

(٣) انظر أعلام في التاريخ الإسلامي في مصر ص ٥٢

(٤) انظر شذرات الذهب ٧/٧٥٣، وحسن المحاضرة ٢/١٤٣، والأعلام ٦/١٣٩

(٥) انظر التحفة في نشر محاسن البردة ص ٢٧

والفكرية كما فسدت الأخلاق وكثر الأشرار والمفسدون الذين ابتزوا أموال الناس ظلما وعدوانا وخربوا البيوت وحرقوا، فقد كثر في المجتمع فساد الضمائر وتفشي الامراض، وأثر ذلك على الإمام البوصيري في بواكير حياته، فأخذ ينقد تصرفات المحيطين به في العمل، والموظفين في عصره الذين كانوا يسرقون الغلال ليلبسوا الحرير وليشربوا الخمور، إذ كان يعاني من أخلاقهم مالا يلائم طبعه ولا يناسب عفته وصلاحه، وكان يضيق صدره بهم كثيرا، فنظم فيهم قصائد عدة يصف بها حالهم ويذكر مساوئهم، من جملتها قصيدته النونية التي نظمها في مباشري الشرقية ببلبيس(١) والتي أولها:

فقدت طوائف المستخدمينا   فلم أر فيهم رجلا أمينا

فقدعاشرتهم ولبثت فيهم   مع التجريب من عمري سنينا

وقال في نفس القصيدة معبرا عما كان في مصر من الحالة الاجتماعية آنذاك:

فكتاب الشمَال هم جَمِيعًا   فَلَا صَحِبت شمالهم اليمينا

فكم سرقوا الغلال وَمَا عرفنَا   بهم فَكَأَنَّمَا سرقوا العيونا

وَلَولَا ذَاك مَا لبسوا حَرِيرًا   وَلَا شربوا خمور الأندرينا(٢)

وَلَا ربوا من المردان مردا   كأغصان يقمن وينحنينا

وَقد طلعت لبَعْضهِم ذقون   وَلَكِن بَعْدَمَا نتفوا ذقونا

---

(١) بلبيس: مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام. انظر معجم البلدان لياقوت الحموي ٤/٣٧٧

(٢) الأندرين: منطقة كانت مشهورة بصناعة الخمرة في عصر الرومان ، وآثارها ما تزال موجودة وقد اندثر قسم كبير منها وتقع جنوب حلب بمسافة ١٠٠كم تقريبا انظر معجم البلدان لياقوت الحموي ١/٥٧.
وتغني بها كثير من الشعراء، وعلى رأسهم الشاعر الجاهلي عمر بن كلثوم الذي قال في مطلع معلقته:
ألا هبي بصحنك فاصبحينا   ولا تبق علينا خمور الأندرينا

وَأَقلَام الـجَمَـاعَـة جـايلات كأسيـاف بـأيـدي لاعـبـيـنا

وَقـد سـاوقـتهـم حـرفا بِحرف فَـكل اسْـم يـخـطوا مِنْهُ سينا

أمـولاي الْـوَزيـر غـفلت عَمَّا يـتـم مـن الـلـئام الـكاتـبيـنا

تـنسك مـعشر مِـنْهُم وعـدوا مـن الــزهــاد والـمـتـورعينا

وَقـيـل لَـهُـم دُعَـاء مستجاب وَقد ملأوا من السُّحت البطونا

تـفـقـهـت الْقُـضَاة فخان كل أَمَـانَـتــه وسـمــوه الأمـيـنـا

وَمَا أخْشَى على أَمْوَال مصر ســوى مـن مـعـشـر يتأولــونا

يَقُـول الْـمُـســلمُونَ لنا حُقُوق بـهَـا ولـنـحـن أولى الآخـذينا

وَقَالَ القبط نَحن مُلُوك مصر وَإِن سـواهُـم هـم غـاصبـونا

وحللـت الْيَهُود بِحِفْظ سبت لَهُم مَال الطوايف أجمعينا

وَمَـا ابْـن قـطـيبة إِلَّا شـريك لَـهُـم فِـي كل مَا يـتـخـطفونا

أغـار عـل قـرى فـاقوس مِنْهُ بـجـور يـمْـنَـع النـوّم الجفونا

وصـيـر عـينـهَـا حملا وَلَكِن لـمـنـزلــه وغـلـتـهـا خـزينا

وَأَصْـبـح شـغـلة تَحْصِيل تبر وَكَانَـت راؤه مـن قـبـل نـونا

وَقـدمـه الَّذيـن لَـهُم وُصُـول فـتـمـم نَـقـصـه صلَة الذينا

وَفِـي دَار الْـوكَالَـة أَي نـهـب فـلـيـتـك لَـو نـهبت الناهبينا

فـثـم بـهَـا يَـهُـودِيّ خَـبِـيـث يسـوم الْمُسلمين أَذَى وهونا

إِذا أَلْـقـى بـهَـا مُوسَى عَصَاهُ تـلـفـقـت الـقـوافل والـسفينا(١)

---

(١) ديوان البوصيري ص ١٣٣–١٣٤

والقصيدة طويلة إلى الغاية قد اختصرت منها، وله فيهم غير ذلك من الأبيات، كان الشيخ فتح الدين يقول : هو أحسن من شعر الجزار والوراق، وقال فيمن اسمه عمر وعلى عينه بياض:

سموه غمراً فصحفن اسمه عمرا فبين الدَّهر منا موضع الغلط

فأصبحت عينه غيناً بنقطتها وطالما ارتفع التَّصحيف بالنقط

قال الإمام الحَافظ فتح الدّين ابن سيد النَّاس رحمه الله : كَانَت للإمام البوصيري حمارة استعارها منه ناظر الشرقية فأعجبته فأخذها وجهز له ثمنها مايتي درهم فكتب على لسانها إلى الناظر المملوكة حمارة البصيري تنشد:

يا أَيهَا السَّيد الَّذي شهدت ألفاظه لي بأنه فاضل

أقصى مرادي لو كنت في بلدي أرعى بها في جوانب الساحل

ما كان ظني يبيعني أحد قط ولكن سيدي جاهل

لو جرسوه عليّ من سفه لقلت غيظا عليه يستاهل

وبعد هذا فما يحل لكم بيعي فإني من سيدي حامل

فردها الناظر عليه ولم يأخذ الدراهم منه[1].

وبالنظر إلى الأحوال السياسية والظروف الاجتماعية التي واجهها الإمام البوصيري ترك وظيفته وغادر إلى الإسكندرية واستوطنها ، وهناك عرف الإمام البوصيري شيخ الإسكندرية وعالمها الجليل قطب العارفين وقدوة السالكين الشيخ أبا العباس المرسي[2] رحمه الله تعالى وأرضاه وعنا به، وهو الذي تلقى علوم الأستاذ

---

(١) انظر الوافي بالوفيات ٩٢/٣

(٢) سيأتي عن حياته إن شاء الله تعالى.

الجليل القطب الواصل سيدي أبي الحسن الشاذلي[1] رحمه الله تعالى، وقد وفد أبو العباس المرسي إلى الإسكندرية سنة ٦٤٢هـ كما سيأتي، فانتفع الإمام البوصيري بصحبته كثيرا، ولازمه وأقبل على طريقه الصوفي وتتلمذ على يديه ، فكان لهذه الصحبة المباركة أثرها العميق في توجيه البوصيري وصفاء روحه وقلبه [2].

يقول علي مبارك في خططه : "كان البوصيري وابن عطاء الله السكندري تلميذين لأبي العباس المرسي، فخلع على البوصيري لسان الشعر ، فكان بارعا فيه، وعلى ابن عطاء الله صاحب الحكم لسان النثر، فكان مجيدا فيه." [3]

واشتهر الإمام البوصيري رضي الله عنه بأنه كان يجيد الخط، وقد أخذ أصول هذا الفن وتعلم قواعده على يد إبراهيم بن أبي عبد الله المصري[4]، وقد تلقى عنه هذا العلم عدد كبير من الدارسين، بلغوا أكثر من ألف طالب أسبوعا[5].

قرأ الإمام البوصيري المؤلفات التي وضعها النصارى واليهود تأييدا لأديانهم، وقد رأى فيها إنكارا لنبوة نبينا محمد ﷺ، وقد شغله ذلك فأقبل على دراسة الإنجيل والتوراة دراسة دقيقة، كما درس تاريخ ظهور المسيحية ليرد على أصحاب تلك الديانات محاولا إقناعهم بأن الأناجيل التي بين أيديهم لا تدل على ألوهية عيسى،

---

(١) أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي المغربي، الزاهد، الصوفي إليه تنتسب الطريقة الشاذلية، سكن الإسكندرية، ولد ٥٧١هـ بقبيلة الأخماس الغمارية، تفقه وتصوف في تونس، توفي الشاذلي بوادي حميثرة بصحراء عيذاب متوجهًا إلى مكة في أوائل ذي القعدة ٦٥٦هـ. انظر النفحة المحمدية في الحكمة الروحانية، للإمام سلامة الراضى ١٣٢/١.

(٢) انظر حسن المحاضرة ٢٤٥/١

(٣) خطط مبارك ٧٠/٧

(٤) لم أعثر على أحد من الأدباء والكتاب تعرض لترجمته أو شيئ من حياته.

(٥) انظر شذرات الذهب ٧٥٤/٧، ومعجم الشعراء ٢٧/٥

وإنمـا تـدل علـى نبوتـه، وأن هـذه الأناجيـل تخبرنـا بظهـور نبـي مـن أبنـاء إسـماعيل[1]. وهـو يـرد اليهـود والنصـارى صـريحا فـي بعـض قصـائده وحواشـيه، ومـن أشـهر تلـك القصائد "لاميته" التي تشتمل على ٣٤٠ بيتا والتي مطلعها:

جـاء المسيح من الإلـه رسـولا فـأبى أقـل الـعالـمين عقولا

قـوم رؤوا بـشـرا كـريـما فادعوا مـن جـهـلهم بالله فيه حلـولا[2]

وكانـت حيـاة البوصـيري جحيمـا، فقـد رزق كثيـرا مـن الأولاد لدرجـة أنـه كـان يلـوم زوجتــه لكونهـا ولـودا، فتمنـى لـو كانـت عقيمـا، وهجـره أصـدقاؤه وقـاطعوه لشـدة فقـره، وعلى الرغم من ذلك قام بأداء فريضة الحج عن طريق البر[3].

****

(١) انظر هدية العارفين للبغدادي ١٣٨/٢، والزبدة الرائقة ص ٢٥، والتحفة في نشر البردة ص ٢٧

(٢) ديوان البوصيري ص ١٣٤

(٣) انظر معجم أعلام الشعراء المديح النبوي ص ٣٥٤

المطلب الرابع

أساتذته

لـم نعثـر خـلال الدراسـة والبحـث علـى تفاصـيل متعلقـة بأسـاتذته الـذين تتلمـذ عليهم هـذا الإمـام غيـر الشـيخ أبـي العبـاس المرسـي، إلا أن بعـض العلمـاء يعـدون مـن بـين أسـاتذته الشـيخ إبـراهيم بـن أبـي عبـد الله المصـري الـذي أخـذ عنـه البوصـيري أصـول الخـط ولكـن لـم نجـد لـه أي تفصـيل فـي كتـاب، فبالتـالي سـوف نلقـي ضـوءا علـى حيـاة أبي العباس المرسي.

أبو العباس المرسي

هـو الشـيخ الإمـام العـارف بـالله تعـالى قطـب زمانـه شـهاب الـدين أبوالعبـاس أحمـد بـن عمـر المرسـي الأنصـاري الإسـكندري المـالكي الصـالح المشـهور كـان علامـة زمانـه فـي العلـوم الإسـلامية ولـه القـدم الراسـخة فـي علـم التحقيـق ولـه الكرامـات البـاهرة. ولـد أبـو العبـاس سـنة ٦١٦ هـ[١]، بمرسـية[٢] الأندلسـية ونسـب إليهـا كغيـره مـن المرسـيين ، وعـاش فـي كنـف أبويـه نـاعم البـال ، راضـي الـنفس فقد كـان أبـوه عمـر بـن علـي مـن كبـار تجار بلده، وكانت أمه فاطمة بنت عبد الرحمن المالقي امرأة صالحة.

وفـي سـنة ٦٤٠ هـ، كـان أبـو العبـاس قـد بلـغ مـن العمـر أربعـة وعشـرين عامـاً، وإذ ذاك اتجـه أبـوه التـاجر بقلبـه نحـو بيـت الله الحـرام وعقـد العـزم علـى أداء فريضـة

(١) انظر لطائف المنن، لابن عطاء الله الإسكندري ص ٩٢

(٢) مرسِيَة أو مَرسِيَة والنسبة إليها مُرسِيّ (بالإسبانية: Murcia) تلفظ مرسيا أو مرسيه، هي مدينة تقع في جنوب شرق إسبانيا على ضفاف نهر شقورة، تطل على البحر الأبيض المتوسط. هي عاصمة منطقة مرسية. أسسها عبد الرحمن الداخل عام ٨٢٥ م. انظر المعجم الكبير لمجمع اللغة العربية بالقاهرة الجزء التاسع حرف الراء القسم الأول الطبعة الأولى ٢٠١٢م ص ٦٢٠

الحج، فاصطحب زوجته وولديه، فركبوا السفينة حتى لجت بها الأمواج، واشتدت عليها الريح بالقرب من "بونه"(١) فأغرقتها، واستشهد الأبوان دون بلوغ مأربهما، وقدر الله تعالى النجاة لأبي العباس وأخيه، فنزلا أرض تونس دون التفكير في العودة إلى مسقط الرأس والتجارة وطلب العيش لهما، حيث أخذ الأكبر يعمل في مهنته، وتمكن أبو العباس من فتح مكتب بإحدى الزوايا يعلم فيه الصبيان.

وإذ ذاك قدم تونس الشيخ العابد أبو الحسن الشاذلي، وتناقل الناس فيما بينهم بركاته، حتى رآه أبو العباس في المنام فتاقت نفسه إلى أن يتعرف عليه في اليقظة، وتحقق الحلم وتم اللقاء، فلقيه هو وبايع على يده وتتلمذ عليه وتردد على مجالسه ودروسه ، ولازمه زمناً طويلاً حتى صار من مريديه وأتباعه .

ولم ينقض ثلاث سنوات حتى هاجر أبو الحسن وتلاميذه وبينهم أبو العباس من تونس إلى الإسكندرية، على أثر فتنة هوجاء احتدم أوارها في تونس على يد قاضيها الفقيد أبي القاسم بن البراء، ففروا بدينهم وعقيدتهم من لفحها، وتركوها قائمة على عرشها(٢).

ولما بلغ أبو العباس الثلاثين من عمره أقام شيخه حفلاً بجامع العطارين حضره تلاميذه وأصحابه ومريدوه ، وفي هذا الحفل المشهود أعلن الشيخ على الملأ

---

(١) هي إحدى مدن الجزائر وعاصمة ولاية عنابة، وهي تعتبر من أهم مدن الجزائر. سابقا كانت تسمى بونة وأيضا كانت تسمى بون (Bône) خلال فترة الاحتلال الفرنسي، وفرس النهر أو الكرسي الملكي في العصور القديمة. تُعتبر مركز صناعي رائد في شرق الجزائر فهي تحوي على أكبر مصنع للحديد و الصلب في افريقيا، معظم الناس يسمّون هذه المدينة بلد العناب وذلك بسبب وفرة هذه الفاكهة في المنطقة و هي مشهورة بإنتاجها لهذه الفاكهة منذ زمن بعيد، وقد أخذت من ذلك اسمها. انظر معجم البلدان للبلاذري ١٢٣/١.

(٢) انظر لطائف المنن، لابن عطاء الله الإسكندري ص ٩٣-٩٤

أنه قد استخلف تلميذه أبا العباس ورشحه لخلافة الطريق ، وطالما كان يخصه بالرعاية ، لما توسم فيه من صفاء النفس وشفافية الروح والذكاء والاستقامة على الطريق[١].

وفي ٢٥ من ذي القعدة سنة ٦٨٦هـ مات أبو العباس المرسي بالإسكندرية ودفن حيث قبره الآن من مسجده المشهور ، ثم دفن معه من بعده ولداه ، وعدد كبير من الصالحين من تلاميذه وأتباعه ، حتى من الأمراء الذين كانوا يعتقدون فيه ولم يدركوه.[٢]

ومن أشهر تلاميذه بالإسكندرية صفوة مختارة من أعلامها الإمام البوصيري وابن عطاء الله السكندري ، وياقوت العرشي ، ومن سار على نهجهم من بعدهم كالقباري ، وابن الحاجب ، والشاطبي ، وقد تأثروا جميعاً بما كان يقوله من حكم غالية[٣].

* * * * * * * * * * *

---

(١) المصدر نفسه ص ٩٥

(٢) انظر الأعلام للزركلي ٢٣٣/٣

(٣) انظر لطائف المنن، لابن عطاء الله الإسكندري ص ١٠٢

المطلب الخامس

تلامذته

أما تلاميذ الإمام البوصيري رحمه الله تعالى فقد ترك عددا كبيرا من طلابه ومريديه الذين أخذوا منه العلم والحكمة والشعر والأدب، ونحن ندرس فيما يأتي من السطور من كان له شهرة عظيمة منهم في مجال العلم والأدب وهم كما يلي:

الف: ابن سيد الناس

هو محمد بن محمد بن محمد اليعمري ، فتح الدين أبو الفتح الإشبيلي، المعروف بابن سيد الناس، ولد سنة ٦٧١ هـ[١]، كان محدثا، حافظا، مؤرخا وفقيها أندلسي الأصل.

نشأ ابن سيد الناس في أسرة اشتهرت بالعلم والثقافة، فكان والده على جانب كبير من العلم الشرعي والأدبي، وولي مشيخة الكاملية بعد ابن دقيق العيد، كما كان جده يلقب بخطيب تونس وعالم المغرب[٢] ، اعتنى به والده منذ صغره، فحرص على تأديبه وتنشئته نشأةً دينيةً، وتولى بنفسه تعليمه كثيراً من المعارف والعلوم وعلى رأسها علم الحديث، فكان شيخه في هذا الباب، وعنه روى كثيراً من الكتب بأسانيدها، وكان يحضره إلى كبار علماء عصره فيجيزونه[٣]، وفي ذلك يقول هو عن نفسه:

"ومولدي في رابع عشر ذي القعدة سنة إحدى وسبعين وست مئة بالقاهرة، وفي هذه السنة أجاز لي الشيخ المُسند نجيب الدين أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم الحرّاني، وكان أبي رحمه الله يخبرني أنه كّناني، وأجلسني في حجره، وكان يسأله عني بعد ذلك، وأجاز لي بعده جماعة، ثم في سنة خمس وسبعين حضرت

---

(١) انظر الأعلام، للزركلي ٣٤٤/٢

(٢) الدرر الكامنة ٣٣٠/٤

(٣) تذكرة الحفاظ، للذهبي ١٤٩١/٤

مجلس سماع الحديث عند جماعة من الأعيان، منهم الحبر الإمام شيخ الإسلام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي ابن أخي الحافظ عبد الغني المقدسي، وأثبت اسمي في الطباق حاضراً في الرابعة"(١)

قام ابن سيد الناس برحلات عديدة في طلب العلم والسعي إليه، حيث رحل إلى بلاد الشام والحجاز والإسكندرية، التقى خلالها بأبرز علمائها، وأشارت المصادر إلى أنه أخذ العلم عما يقارب الألف من العلماء قراءةً وسماعاً وإجازةً(٢)، حتى استطاع أن يكون واحداً من أبرز علماء عصره، وكان في مقدمتهم الإمام قطب الدين القسطلاني، وعن ذلك يقول :

"ثم في سنة خمس وثمانين كتبت الحديث عن شيخنا الإمام قطب الدين أبي بكر محمد بن أحمد بن القسطلاني رحمه الله بخطي، وقرأت عليه بلفظي، وعلى الشيوخ من أصحاب المسند أبي حفص بن طبرزد والعلامة أبي اليُمن الكندي والقاضي أبي القاسم الحرستاني والصوفي أبي عبد الله بن البنّا وأبي الحسن بن البنا، وغيرهم بمصر والإسكندرية والشام والحجاز وغير ذلك ، وأجاز لي جماعة من الرواة بالحجاز والعراق والشام وإفريقية والأندلس وغيرهم يطول ذكرهم"(٣)

ومن أبرز مشايخه أيضاً مَن ارتحل إليهم وكان لهم عظيم الأثر في حياته وتكوين شخصيته العلمية والأدبية استاذه الفقيه ابن دقيق العيد والإمام شرف الدين البوصيري وقد كان يحبهما ويؤثرهما ويصغي إلي كلامهما ويثني عليهما، ومن

---

(١) الوافي بالوفيات ١٠٩/١

(٢) انظر فوات الوفيات ٢٨٨/٣، والدرر الكامنة ٢٠٨/٤، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص٣٥٠

(٣) أعيان العصر لصلاح الدين الصفدي ٢١٤/٥

مشائخه أيضاً الإمام البدر ابن جماعة، والقاضي شمس الدين ابن العماد ، وابن المجاور ، وابن عساكر، أما تلاميذه فكان من أشهرهم الحافظ الذهبي الذي قال عنه:

"سمعت بقراءته وجالسته مرات وحفظت عنه وأجاز لي مما قرأت بخطه".(١)

ومن أشهرهم كذلك الصفدي ، والغزي.

وللحافظ ابن سيد الناس قصائد كثيرة، وشعر متعدد الأغراض، وصف بالسهل الرقيق، قال عنه الشيخ الصفدي في كتابه الوافي بالوفيات :

"وشعره رقيق سهل التركيب منسجم الألفاظ عذب النظم وترسله جيد، وكان النظم عليه بلا كلفة يكاد لا يتكلم إلا بالوزن"(٢).

ومن شعره القصيدة العينية في مدح النبي ﷺ وذكر كرامات الصحابة رضي الله عنهم يقول فيها :

سر في الظلام بجذوة من أضلعي   وإذا عدمتَ الورد حسبك أدمعي
وصِل السُّرَى بالسير لا متوانياً   واجْفِ الكرى من بعد طول المهجع
وإذا حللت بطيبة فلك الهناءُ   بما حللت من الجناب الممرع
وادٍ يهيم به الفؤاد مقدس   كم لي لبعديَ عنه أنَّةَ موجع
فانشر به نشر العبير تحيتي   وابثث كما بث السقام تفجعي
واقر السلام على النبي فطالما   حَمّلْته نسمات بان الأجرع
واحبس فؤادك إن تكن مثلي فما   أَلقى فؤادي عند ذكراه معي

(١) ذيل تاريخ الإسلام ص ٣٩٦

(٢) الوافي بالوفيات ١/١٣٠

وعساك تبدي ما ترى من لهفتي وعساك تجري ما جرى من مدمعي[١]

مدمعي[١]

ترك الحافظ ابن سيد الناس للأمة مصنفات عديدة منها ما هو مطبوع متداول في عصرنا هذا ، ومنها مالا يزال مخطوطاً في المتاحف والمكتبات الخاصة ، ومنها ما فقد وأشارت إليها كتابات المؤرخين ، من أشهرها:

- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير
- نور العيون في تلخيص سيرة الأمين المأمون ، وهو مختصر لكتاب عيون الأثر
- المقامات العلية في كرامات الصحابة الجلية
- النفح الشذي في شرح جامع الترمذي
- منح المدح
- بشرى اللبيب بذكرى الحبيب
- تحصيل الاصابة في تفضيل الصحابة
- العباب في الفروع

ب. ابن جماعة

هو محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن علي بن جماعة بن حازم الكناني الشافعي، وكنيته أبو عبد الله، ولقبه بدر الدين. ويعرف منسوباً إلى جده الرابع "جماعة[٢].

---

(١) منح المدح لابن سيد الناس ص٨٨

(٢) انظر فوات الوفيات ١/ ٣٥٣، وشذرات الذهب ٦/ ١٠٥، وطبقات الشافعية الكبرى ٥/٢٣٠، والبدر الطالع ٢/ ١٤٧، ونكت الهميان ص ٢٣٥، والمختصر الروي ص ١٤٦، والدرر الكامنة ٤/٢٨٠.

ولد بدر الدين ابن جماعة بحماة سنة ٦٣٩ هـ، باتفاق جميع الروايات[١]، وقد قدر الله تعالى لبدر الدين أن يعيش في كنف أبيه برهان الدين إبراهيم حياة علمية راقية، وذلك أن أباه كان فقيهاً متصوفاً متعبداً، مراقباً لله في حاله ومقاله[٢]، وهو شيخ البيانية في زمانه[٣] ، فنشأ بدر الدين على طريقة أبيه آخذا عنه العلم والطريقة إلى سنوات عديدة.

أما شيوخه الذين سمع منهم وروى عنهم في حماة ودمشق والقدس والقاهرة، فهم بكثرة كاثرة نذكر منهم: جمال الدين ابن مالك صاحب الألفية في النحو، والقاضي تقي الدين ابن رزين الحموي[٤]، ومسند الشام ابن أبي اليسر، وابن عزون، وابن عبد الله[٥]، وابن مسلمة، وابن القسطلاني، والإمام البوصيري[٦]، كما روى عن شيخ الشيوخ شرف الدين الأنصاري الحموي وأنشد في كتبه من مستحسن شعره[٧].

ولما أتم بدر الدين تحصيله العلمي انصرف إلى التدريس والإفتاء، فقد ذكر أنه كان يدرس بالقيمرية في دمشق[٨]، وأنه أفتى في سن مبكرة، ولما عرضت فتواه على الشيخ محيي الدين النووي استحسن ما أجاب به[١].

---

(١) انظر طبقات الشافعية الكبرى ٢٣٠/٥، والأنس الجليل١٣٦/٢، وشذرات الذهب ١٠٥/٦، وفوات الوفيات ٣٥٣/٢، وطبقات الأسنوي ص ٤٨، ونكت الهميان ص ٢٣٥.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى٤٦/٥.

(٣) البيانية إحدى الطرق الصوفية بالشام وتنسب إلى أبي البيان وهو نبا بن محمد بن محفوظ القرشي الشافعي المعروف بابن الحوراني توفي سنة ٥٥١هـ. انظر العبر ١٤٤/٤، وشذرات الذهب ١٦٠/٤.

(٤) انظر شذرات الذهب ١٠٥/٦، وبغية الوعاة ١٣٠/١.

(٥) فوات الوفيات ٣٥٣/٢

(٦) طبقات السبكي ٢٣٠/٥

(٧) المصدر نفسه ٥/ ١٠٨، وحسن المحاضرة٤٢٥/١

(٨) البداية والنهاية ١٤/ ١٦٣

وقد انتدب ابن جماعة إلى القضاء والخطابة في القدس ودمشق والقاهرة، وبقي قاضياً للقضاة في مصر وحدها خمساً وعشرين سنة، ولما استغنى لم يأخذ على القضاء أجراً معلوماً، مقتدياً بشيخه تقي الدين ابن رزين الحموي(٢). ويبدو أن أجمل أيامه في القضاء كانت في دمشق والقدس، حيث كان بعيداً عن مركز السلطة، آمناً على دينه، سالماً من الكيد والحسد. وكثيراً ماكان القضاة يتعرضون للعزل والنقل بسبب وقوفهم إلى جانب الحق، وعدم استجابتهم لأهواء السلاطين. وفي شعر ابن جماعة إشارة إلى ذلك هي في غاية البيان والإحسان. يقول:

يالهف نفسي لو تدوم خطابتي بالجامع الأقصى وجامع جلَّق

ماكان أهنأ عيشنا وألذّه فيها.. وذاك طراز عمري لو بقي

الدين فيه سالم من هفوة والرزق فوق كفاية المسترزق

والناس كلهمُ صديق صاحب داعٍ.. وطالب دعوة بترفق(٣)

وقد أكسبته حياة القضاء الطويلة علماً لا ينضب معينه، وخبرة واسعة في دنيا الناس، وفهماً عميقاً لفنون الرواية والدراية، فانصرف يؤلف الكتب في قواعد الحكم والأحكام الفقهية، وفي أصول البحث والمناظرة والتربية. ولربما نظم الشطر ليزيح عن صدره معتلجاً أو وجداً منبعثاً.. حتى كف بصره، وثقل سمعه، فأعفى نفسه من القضاء، غير أنه لم ينقطع عن التدريس. وكان بيته المطل على نهر النيل موئلاً يقصده أهل العلم والأدب، فيسمعون ويتبركون، إلى أن وافاه الأجل سنة ٧٣٣هـ، عن

---

(١) النجوم الزاهرة ٢٩٨/٩

(٢) طبقات السبكي ٢٣٠/٥

(٣) نكت الهميان ص ٤٢

عمر يناهز الرابعة والتسعين، ودفن بالقرافة في القاهرة، قريباً من الإمام الشافعي، وكانت جنازته حافلة هائلة(١).

وقد تعاقب أبناؤه وحفدته من بعده على خطابة المسجد الأقصى وإعادة المدرسة الصلاحية في القدس، والقضاء في مصر والشام أكثر من قرن ونصف من الزمن، وكلهم يعرف باسم "ابن جماعة"، وآخر من ذكر القاضي مجير الدين الحنبلي وهو من أعلام القرن العاشر الهجري من أفراد هذه الأسرة العلمية: الخطيب محب الدين ابن جماعة وأخوه شيخ الإسلام نجم الدين(٢).

أما تلامذة بدر الدين ابن جماعة فنكاد لا نحصي لهم عدداً، وإن منهم من تقصر دونه أعناق الطامحين، ويكفي أن نذكر المسند الكبير برهان الدين الشامي(٣)، وعبد الوهاب السبكي صاحب طبقات الشافعية الكبرى(٤)، وعبد العزيز ابن جماعة قاضي القضاة في مصر والشام فلذة كبده وقرة عينه.. وآخرين غيرهم أتى على ذكرهم أصحاب التراجم.

ج. أبو حيان الغرناطي

هو العلامة محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، أثير الدين، أبو حيان، الغرناطي الأندلسي الجياني النفزي. ولد في غرناطة سنة ٦٥٤هـ. (٥)

---

(١) انظر الأنس الجليل ١٣٧/٢، وشذرات الذهب ١٠٦/٦، وحسن المحاضرة ٤٢٥/١

(٢) الأنس الجليل ٢٩٦/٢

(٣) تاريخ ابن قاضي الشهبة ٦٦٨/١

(٤) طبقات الشافية ٢٣٠/٥

(٥) انظر الدرر الكامنة ٣٠٢/٤، وبغية الوعاة ص ١٢١، وفوات الوفيات ٢٨٢/٢،

بدأ تعليمه في "غرناطة"[١] حيث أخذ العربية على أبي الحسن الأبذي وأبي جعفر الطباع، كما درس في "مالقة"[٢] على أبي عبد الله بن عباس القرطبي، وفي "بجاية"[٣] على أبي عبد الله محمد بن صالح، وفي "تونس"[١] على أبي محمد عبد الله بن

---

(١) هي مدينة وعاصمة مقاطعة غرناطة في منطقة أندلوسيا جنوب إسبانيا. تقع غرناطة على سفح جبال سييرا نيفادا، في التقاء ثلاثة أنهار: دارّو (Darro) ، بيرّو(Beiro) والشنيل (Genil)، في الارتفاع من ٧٣٨ متراً فوق مستوى سطح البحر.

كانت غرناطة تدعى إلبيرا حتى منتصف القرن الثامن الميلادي. تسمية غرناطة تأتي من أيام الحكم الإسلامي للأندلس بعد أن فتحها المسلمون الأمويون عام ٧١١ ميلادي وأسسوا قلعة غرناطة. من أهم معالم المدينة قصر الحمراء.

ويبزغ نجم هذه المدينة الأندلسية الرائعة إبان تهاوي عواصم المسلمين في الفردوس الضائع، وتساقطها الواحدة تلو الأخرى بعد موقعة العقاب بين إسبانيا المسيحية والمغرب العربي الإسلامي الممثل في دولة الموحدين حين ذاك، وتمركز المسلمين في قصبتها الشهيرة، ثم تولي ابن الأحمر زمام الأمور، الذي ورغم تهاونه في كثير من الأمور واسناده المخزي للقشتاليين في حصار إشبيلية، فإنه يحسب له ترسيخه للمسلمين بالأندلس الصغرى كما كانت تسمى غرناطة، حيث أضحت في زمانه وزمان خلفاءه من بني الأحمر جوهرة المدائن في إيبيريا ورائدة النفائس، وناهز سكانها من المسلمين ما يربوا على النصف مليون كما تشير بعض المصادر. انظر معجم البلدان، للبلاذري ١٢١/٢، وصفحة غرناطة على إنترنيت:ttps://ar.wikipedia.org/wiki/غرناطة

(٢) مدينة إسبانية قديمة واقعة في جنوب البلاد وهي عاصمة مقاطعة مالقة في منطقة أندلوسيا. تطل على البحر المتوسط وتقع وسط منطقة كوستا دل سول وهي أهم ميناء إسباني بعد برشلونة. تحيط بها الجبال، ويوجد حولها نهري غوادالمدينا وغواداهورس، مناخها اللطيف المعتدل يجذب إليها السواح بشكل كبير. انظر معجم مااستعجم من أسماء البلاد والمواضع ص٣٤٥.

(٣) سميت أيضا : صالدى، الناصرية، و بوجي (Bougie)، هي مدينة جزائرية تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط وشاطئها مطل على خليج جميل وتزدهر فيها الخدمات السياحية للمدن البحرية حيث المسابح والشواطئ والرمال النظيفة والمطاعم.وتعتبر بجاية من أهم المناطق السياحية في الجزائر نظرا للأماكن الخلابة المتوفرة فيها كقمة قوراية، رأس كربون، قمة القرود، قصبة مدينة بجاية، جزيرة جربة ببوليماط في الساحل الغربي. انظر صفحة بجاية في GeoNames ID". GeoNames

هارون، وفي الإسكندرية على الحافظ عبد النصير المريوطي، وفي "مصر" على عبد العزيز الحراني وابن خطيب المزة وأبي الطاهر المليجي، ودرس الحديث في مصر على العلامة ابن دقيق العيد والنحو على الشيخ بهاء الدين بن النحاس. وأخذ الطريقة والتصوف على الإمام البوصيري وبايع على يده وأجاز له البوصيري كما أجاز له خلق من ابن دقيق العيد والحافظ الدمياطي وأبو اليمن بن عساكر(٢).

وقعت وحشة بين أبي حيان وأستاذه أبي جعفر، وألف أبو حيان كتاباً سماه "الإلماع في إفساد إجازة الطباع" مما حدا الأخير إلى شكواه لدى السلطان محمد بن نصر الفقيه الذي أصدر الأمر بتنكيله، ما جعل أبا حيان يسارع إلى الفرار وعبور البحر مفتتح سنة ٦٧٩هـ. (٣)

تتلمذ عليه في مصر خلق كثير، على رأسهم تقي الدين السبكي وابنه تاج الدين السبكي، وبدر الدين بن جماعة وجمال الدين الأسنوي وابن عقيل والسفاقسي

---

(١) هي دولة تقع في شمال أفريقيا. عاصمتها مدينة تونس. لعبت تونس أدوارا هامة في التاريخ القديم منذ عهد الفينيقيين والأمازيغ والقرطاجيين والونداليين والرومان وقد عرفت باسم مقاطعة أفريكا إبان الحكم الروماني لها والتي سميت باسمها كامل القارة. فتحها المسلمون في القرن السابع الميلادي وأسسوا فيها مدينة القيروان سنة ٥٠ هـ لتكون أول مدينة إسلامية في شمال أفريقيا. في ظل الدولة العثمانية، كانت تسمى "الإيالة التونسية". وقعت تحت الاحتلال الفرنسي في عام ١٨٨١، ثم حصلت على استقلالها في عام ١٩٥٦ لتصبح رسميا المملكة التونسية في نهاية عهد محمد الأمين باي. تلى الأخيرَ في رئاسة الجمهورية زين العابدين بن علي بالانقلاب عام ١٩٨٧، واستمر حكمه حتى ٢٠١١ حين هرب خلال الثورة التونسية. انظر معجم البلدان، للبلاذري ١/١٧٦، و https://ar.wikipedia.org/wiki

(٢) انظر شذرات الذهب ١/٦٤٥

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١١١، وطبقات السبكي ٦/٣٢

والصفدي وغيرهم. و قد تصدر أبو حيان لتدريس الحديث في المدرسة المنصورية بالقاهرة، وخلف شيخه بن النحاس في حلقة النحو. (١)

كان أبو حيان عالما جيدا جامعاً للمعارف الإسلامية، ملماً باللغات الشرقية، يقول عنه تلميذه الصفدي :

"ثبت فيما ينقله، محرر لما يقوله، عارف باللغة ضابط لألفاظها، وأما النحو والتصريف فهو إمام الدنيا في عصره فيهما، ولم يُذكر معه أحد من أقطار الأرض، وله اليد الطولى في التفسير والحديث، وتراجم الناس وطبقاتهم وتواريخهم وحوادثهم، وله التصانيف التي سارت وطارت، وانتشرت وما اندثرت، وقرئت ودرست، ونُسخت وما نسخت، أخملت كتب المتقدمين وألهت بمصر المقيمين والقادمين." (٢)

ويقول عنه السيوطي: "نحوي عصره ولغويه ومفسره ومحدثه ومقرؤه ومؤرخه وأديبه". (٣)

لقد ترك أبو حيان مؤلفات عديدة تشهد على غزارة علمه ودقة نظره وعلو فكره، وأعظمها تفسيره الضخم "البحر المحيط" الذي يُعد قمة التفاسير التي عنيت بالنحو، وليس له مثيل، وقد ساعد عليه قيامه بالتفسير في قبة السلطان المنصور قلاوون مطلع القرن الثامن. وله أيضاً:

- ارتشاف الضرب من لسان العرب
- إتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب
- النافع في قراءات نافع

---

(١) انظر الدرر الكامنة ٣٠٢/٤

(٢) الوافي بالوفيات ٣٤٤/٢.

(٣) بغية الوعاة ص ١٢١

- الأثير في قراءة ابن كثير
- تقريب النائي إلى قراءة الكسائي
- الإدراك في لسان الأتراك
- نور الغبش في لسان الحبش
- النهر الماد وهو اختصار لتفسيره الذي سمّاه البحر المحيط[١]

لقد قضى أبو حيان عمره في القاهرة حتى توفي في منزله خارج باب البحر بظاهر القاهرة في الثامن والعشرين من صفر سنة ٧٤٥هـ، ودُفن بمقابر باب النصر شمال القاهرة. [٢]

****

(١) انظر الدرر الكامنة ٣٠٣/٤، وفهرس الفهارس ١٠٨/١

(٢) انظر فوات الوفيات ٢٨٢/٢، وغاية النهاية ٢٨٥/٢، والنجوم الزاهرة ١١١/١٠، والأعلام للزركلي ١٥٢/٧

المطلب السادس
ثناء العلماء عليه

قد أجمع أصحاب التراجم على حسن سيرة الإمام شرف الدين البوصيري وصفاء سريرته وزهده وتقشفه في كل شيء مأكلاً وملبساً ومركباً، وكذلك أجمعوا على أنه رائد للمدائح ونظم في هذا المجال عديدا من القصائد التي شاهدة بسلامة طباع الناظم، منقحة بحسن البيان، مبنية على أساس تقوى من الله ورضوانه، سافرة عن وجوه البديع، سامية بمدح النبي ﷺ ، وأثنى عليه كثير ممن عاصروه أو جاؤوا بعده ، وشهدوا بصحة أحكامه ويمن أيامه، وغزارة علمه وفهمه، ونحن ندرس ثناء بعضهم على الإمام البوصيري فيما يأتي:

يقول شيخ الإسلام القاضي زكريا الأنصاري:

"لم يشتهر أحد في مجال مدح خير البرية ﷺ ، مثلما اشتهر الإماما البوصيري صاحب البردة الشهيرة التي فاقت شهرتها شهرةَ صاحبها، والتي تعتبر من الفرائد في مدح رسول الله ﷺ، وقد تلقاها العلماء في مشارق الأرض ومغاربها عربا وعجما بالقبول والإجلال، حتى إنها كانت الهدية التي قدمها العلامة ابن خلدون إلى تيمورلنك، كما كان الأمير عبد القادر الجزائري يكتب على رايته التي جاهد تحتها الفرنسيين بيتا من أبياتها، وهو البيت الذي يقول فيه الإمام البوصيري:

ومن تكن برسول الله نصرته   إن تلقه الأسد في آجامها تجم

وأصبحت البردة من أهم القصائد التي يتغنى بها المادحون في الليالي الدينية وفي الاحتفالات بالمولد النبوي الشريف، بل دأب المسلمون في العديد من البلدان على إقامة مجالس أسبوعية للبردة يجتمعون فيها لقراءتها بصورة جماعية." (١)

قال العلامة ابن حجر الهيتمي في شرحه للهمزية النبوية :

" وإن أبلغ ما مدح به النبي ﷺ من النظم الرائق البديع، وأحسن ما كشف عن شمائله من الوزن الفائق المنيع، وأجمع ما حوته قصيدة من مآثره وخصائصه ومعجزاته ، وأفصح ما أشارت إليه منظومة من بدائع كمالاته ، ما صاغه صوغ التبر الأحمر ونظمه النظم الدر والجوهر، الشيخ الإمام العارف الكامل الهمام، المتفنن المحقق، البليغ الأديب المدقق، إمام الشعراء وأشعر العلماء، وبليغ الفصحاء وأفصح البلغاء،الشيخ شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله الصنهاجي........ وقد صحب البوصيري القطب أبا العباس المرسي رضي الله عنه وأرضاه، وجعل جنات المعارف منقلبه ومثواه، فعادت عليه بركته، وساعده لحظه وهمته إلى أن فاق أهل زمانه، ورزقه الله من الشهرة والحظ ما لم يصل إليه أحد من أقرانه، فرحمه الله تعالى ورضي عنه........... ومن أجلِّ الشعراء الإمام الكامل والهمام العالم العامل البليغ الأديب أشعر العلماء وأفصح الحكماء الشيخ شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد البوصيري." (٢)

ويقول أيضا:

"كان البوصيري من عجائب الله في النظم والنثر، وإن لم يكن له إلا قصيدته المشهورة "نهج البردة" لكفاء ذلك فخرا بين الشعراء، لقد ازدادت شهرة هذه القصيدة

(١) الزبدة الرائقة في شرح البردة الفئقة ص ٣٦

(٢) المنح المكية في شرح الهمزية ص ١٠٥

إلــى درجــة أن النــاس كــانوا يتدارســونها فــي البيــوت والمســاجد ودور العلــم التــي كانــت موجودة وقتئذ." [١]

وقال الهيتمي أيضا في نفس الكتاب في شرح بيت:

كل وصـف لـه ابتـدأت بـه استو عب أخبار الفضل منه ابتداء

وبهـذا التحقيـق الـذي تنبـه لـه النـاظم يعلـم أنـه كـان ثاقـب النظـر، كامـل المعرفـة، متضـلعا مـن العلـوم والمعـارف، ولـيس ذلـك بكثيـر علـى مـن حـل عليـه نظـر القطـب الكبيـر، والعلـم الشـهير، سـيدي أبـي العبـاس ﭐلمرسِـي، وارث أبـي الحسـن الشـاذلي، قـدس الله تعالى سرهما، ونوّر ضريحهما." [٢]

وقال الشيخ الباجوري في شرحه على البردة:

"ومـن أجـلِّ الشـعراء الإمـام الكامـل والهمـام العـالم العامـل البليـغ الأديـب أشـعر العلماء وأفصح الحكماء الشيخ شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد البوصيري." [٣]

وقال الشيخ بسام محمد بارود في حاشيته على العمدة شرح البردة:

"البوصـيري إمـام الشـعراء، وشـاعر الأئمـة العلمـاء، بـل هـو الفرقـد الوضـاء الـذي أنـار الطريـق إلـى المـدائح النبويـة شـرف الـدين أبـو عبـد الله محمد بـن سـعيد بـن حمـاد بـن محسن بن عبد الله ابن صنهاج بن هلال الصنهاجي البوصيري." [٤]

يقول الدكتور سامح كريم :

"ومـن هنـا نـدرك أن الإمـام البوصـيري يجمـع إلـى تفقهـه فـي الـدين البلاغـة فـي القـول، فقـد كـان شـاعرا مـن الشـعراء المجيـدين والـدليل قصـيدته "نهـج البـردة" وغيرهـا مـن

(١) المصدر نفسه ص ٢٢١

(٢) المصدر نفسه ص ٢٧١

(٣) شرح الباجوري على البردة ص ٦٧

(٤) العمدة شرح البردة ص ٦٤

القصائد . ولعل هذا يدعونا إلى التعرف عليه أكثر وأكثر. هو الشيخ الصالح شرف الدين أبو عبد الله بن سعيد الصنهاجي المعروف بالبوصيري، نسبة إلى قرية "بوصير" وهي موطن أمه وأحيانا كان يلقب بالدلاصي، نسبة إلى قرية "دلاص" موطن أبيه".(١)

يقول العلامة عمر بن أحمد الخربوتي:

"كان الإمام البوصيري قدس الله سره عالما بالعلوم العربية فصيحا في غاية الفصاحة وبليغا في نهاية البلاغة، بل لا يوجد له مثل ولا نظير في الفصاحة والبلاغة في الجم الغفير، وكان قدس سره في بداية عمره من مقربات السلاطين وكان مقبولا عندهم ومرغوبا فيما بينهم، وكان يصفهم بالأبيات والأشعار الفصيحة ويهجو أعدائهم بالأوصاف الفضيحة ، وكان قد جاء يوما من أحد السلاطين إلى بيته فدخل السكة فصادف شيخا مليحا، فقال الشيخ له أنت رأيت رسول الله ﷺ في المنام، قال البوصيري إني لم أر النبي ﷺ في تلك الليلة لكن امتلأ قلبي من ذلك الكلام بعشقه ومحبته عليه الصلاة والسلام. فجئت إلى بيتي فنمت فإذا أنا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الأصحاب كالشمس بين النجوم فانتبهت وقد ملئ قلبي بالمحبة والسرور ولم يفارق بعد ذلك من قلبي محبة ذلك النور فأنشدت في مدحه قصائد كثيرة كالمضرية والهمزية وما إلى ذلك." (٢)

يقول الكامل سليمان الجبوري:

---

(١) أعلام في التاريخ الإسلامي في مصر ص ٢٥٢

(٢) العصيدة الشهية في شرح البردة ص ٥

"هو محمد بن سعيد بن حماد ن عبد الله الصنهاجي البوصيري المصري، شرف الدين ، شاعر حسن الديباجة مليح المعاني ، وله ديوان شعر وأشهر شعره البردة ، مطلعها:

أمن تذكر جيران بذي سلم   مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم

شرحها وعارضها كثيرون، والهمزية ومطلعها:

كيف ترقى رقيك الأنبياء   يا سماءً ما طاولتها سماء

وعارض "بانت سعاد" بقصيدة مطلعها:

إلى متى أنت بالذات مشغول   وأنت عن كل ما قدمت مسؤول[١]

يقول العلامة أبو علي الحسن بن محمد بن قاسم الكوهن الفاسي المغربي:

"الإمام الرباني والعارف الصمداني الأستاذ الفاضل والملاذ الكامل شمس الملة وبرهان الأمة شيخ المحققين وملاذ أهل التمكين ذو المعارف الربانية والمواهب الصمدانية أبو عبد الله شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد الدلاصي الصنهاجي الشاذلي البوصيري........ بدت عليه إشارات البداية وألوية الهداية فعظمت هيبته وأجلته العيون والأنظار وشدت إليه الرحال من جميع الأمصار وعمل القصائد البديعة والموشحات الغريبة في مدح الرسول ﷺ ، ويكفي في فضله بردته المشهورة ، وهي قصيدة لم يأت بمثلها أحد لا من قبله ولا من بعده." [٢]

****

(١) معجم الشعراء ٥/٢٧

(٢) جامع الكرامات العلية في طبقات السادة الشاذلية ص ٨١-٨٢

المطلب السابع

وفاته

لقد عاش الإمام البوصيري عمرا طويلا حتى ضعفت قواه وتوفى الإمام رضي الله عنه سنة ٦٩٥ هـ[١] عن عمر بلغ ٨٧ عاما، قيل سنة ٦٩٤هـ[٢] ، وقيل سنة ٦٩٦هـ[٣] ، وقيل توفي سنة ٦٩٧هـ[٤]. هذه الأقوال توجد في مصادر ترجمته عن وفاته والصحيح هو القول الأول ؛ وذلك لأن المصادر كلها تصرح أنه ولد سنة ٦٠٨هـ ولم يختلف أحد منها في سنة ولادته ، وكذلك يصرح معضمهم أنه بلغ من العمر سبعا وثمانين عاما، وإذا أضفنا إلى سنة ولادته عدد ٨٧ يبلغ ٩٥، وهو سنة وفاته.

ودفن الإمام البوصيري في مسجده الذي كان في الأصل زاوية صغيرة توالت عليها يد الإصلاح والترميم حتى شيّد المسجد الحالي سنة ١٢٧٤هـ ، والذي يقع في مواجهة جامع سيدي أبي العباس المرسي ، فجاور الإمام البوصيري أستاذه أبا العباس في حياته وبعد مماته[٥].

وكتب على قبره الأبيات التالية:

محمد بن سعيد حاز منزلة   في صادق الشعر أعيت كل نحرير

والناسجون على منوال بردته   باؤوا بعجز وأبدوا كل تقصير

(١) انظر شذرات الذهب ٧٥٤/٧، وهدية العارفين ١٣٨/٢

(٢) انظر معجم المؤلفين ٣١٧/٣ ، وجامع الكرامات للكوهن ص ٨٢

(٣) انظر الأعلام للزركلي ١٣٩/٦، والزبدة الرائقة ص٢٦

(٤) انظر معجم أعلام الشعراء المديح النبوي ص ٣٥٤

(٥) انظر الزبدة الرائقة ص ٢٧

أبـيـاتـهـا كالـرقى أضـحـت مكررة   فيـشـتـفي كل منفوس ومصـدور
تـتـلى بـكل بـقـاع الأرض ينشدها   فم الـزمـان بـإجـلال وتـوقير
وفي سماء الهدى الهمزية اشتهرت   كأنها رقمت في اللوح بـالـنـور
مــيــلاده بـدلاص ثــم غــادرهــا   بـالـيـمن والأمـن تـنـفيذا لمقدور
وقـد تـرعـرع فـي بـوصـيـر بلدته   ومنهما جـاء تـركيب الدلاصيري
تـحـيــة الله لا تـنـفـك هــامـيـة   عليه حتى يحين النفخ في الصور
هـواتـف الـحــق نــادتــه مؤرخه   وحـي القبول على لحد الأباصيري[١]

* * * * * * * * * * * * * * * *

(١) انظر التحفة في نشر المحاسن البردة ص ٢٤

المبحث الثاني
آثار الإمام البوصيري

ترك الإمام شرف الدين البوصيري عددًا كبيرًا من القصائد التي ضمّها ديوانه الشعري الذي حققه "محمد سيد كيلاني"، وطُبع بالقاهرة سنة (١٣٧٤ هـ= ١٩٥٥ م)، ومن قصائده ما يُعد من أهم القصائد الرائعة في الأدب العربي والتي نالت اهماماً بالغاً من الأدباء والعلماء، حيث قاموا بدراستها وشرحها، وهذه القصائد هي التي تعدّ من آثاره العلمية والأدبية والنتناول بعضها بشيئ من التفصيل فيما يلي:

الف: القصيدة اللامية في الرد على اليهود والنصارى.

هذه قصيدة طويلة للإمام البوصيري، وقد أتى البوصيري في هذه القصيدة بمجادلة النصارى واليهود في عقائدهم، والمقارنة بينها وبين العقيدة الإسلامية، فقد نظم البوصيري أولاً، ثم شرحها بنفسه، وسمّاها "المخرج والمردود على النصارى واليهود" وطبع بالقاهرة مراراً.

وحديثه في هذا ينقسم إلى قسمين: أحدهما يتصل بالجانب الديني ، والثاني بالجانب السلوكي.

أما القسم الأول فيحرص فيه البوصيرى على إثبات فساد عقيدة النصارى واليهود ، وذلك من خلال تفنيده لمزاعمهم ، إذ يوازن بين تلك المزاعم وما جاء في كتبهم المقدسة مما يفند تلك المزاعم ، ففي قصيدته هذه يفند فكرة ألوهية عيسى عليه السلام التي تقوم عليها الديانة المسيحية المحرّفة ، بمختلف البراهين والأدلة ، ففي مطلعها يسخر من حمق النصارى بقوله:

جاءَ المَسِيحُ مِنَ الإلـهِ رَسُولا فـأبَى أَقَـل العالَمِينَ عُقُولا

قَوم رأَوا بشراً كريماً فادعوا مِن جَهلهِم للهِ فيهِ حُلولا

وَعِصَابَةٌ ما صَدَّقَتهُ وَأَكثرت بالإفكِ والبُهْتانِ فيهِ القِيلا

لَم يأت فيهِ مُفرِطٌ ومُفرِّطٌ بالحَقّ تَجرِيحاً وَلا تَعدِيلا

فكَأنما جاء المَسيح إليهم لِيكَذِّبُوا التَّوراةَ والإنجِيلا

فاعجَب لِأُمَّتِهِ الّتي قد صَيَّرَتْ تَنزِيهَها لإلهِها التَّكِيلا(١)

أما القسم الآخر الذي يعكس موقف البوصيري من الجانب السلوكي للنصارى واليهود ، فهو الذي يدخل تحت طائلة الهجاء رغم أنه لا ينفصل عن القسم الأول، فإذا كان في هذا الجانب سيصف النصارى بالفساد والرشوة والرياء وشهادة الزو ، فإنه قد سبق وأن حكم عليهم بفساد العقيدة وبطلانها ، وبالتالي لا يستنكر فساد الخُلق ممن فسدت عقيدته، يقول:

إنّ النّصارى واليهود معاشر جُبلوا على التحريف والتبديل

لو أنّ فيهم عُوّر عن باطل أبقوا على التوراة والإنجيل(٢)

وقد أبدى الإمام البوصيري في القصيدة معرفته الواسعة بالتوراة والإنجيل، ومطالعته لكتب النصارى واليهود، والتمعن فيها، ومنها قوله عمّا جاء فيهما من إشارات تدلّ على نبوة نبينا محمد ﷺ ، يقول:

تخبركم التوراة أن قد بشّرت قدما بأحمد أم بإسماعيلا

طوبى لموسى حين بشّر باسمه ولسامع من فضله ما قيلا

وجبال فاران الرّواسي إنّها نالت على الدّنيا به التّفضيلا

(١) المخرج والمردود على النصارى واليهود ص ٢٠

(٢) المصدر نفسه ص ٣٥

إن يـدعـه الإنـجيـل فـارقليطه		فـلـقـد دعـاه قـبـل ذلك إيلا
يأتي عـلى اسم الله مـنه مبارك		مـا كان موعـد بـعثه ممطولا
وكما شـهدت لـه سيشـهـد لي إذا		صـار العليم بما أتيت جهولا
والـمـنحـمّنا لا تشكّوا إن أتـى		لـكـم فلـيس مـجيئه مجهولا[١]

ثـم ينتقـل ليثبـت نبـوة رسـول الله ﷺ بمـا يعتقـده المسـلمون بعـد مـا أثبـت ذلـك بمـا جـاء فـي التـوراة والإنجيـل لـيخلص إلـى أن تخرّصـات أهـل الكتـاب حـول رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم ليسـت عائـدة إلـى أمـور دينيـة وإنمـا إلـى أمـور سياسـية وأحقـاد قديمـة، إذ اسـتطاع رسـول الله ﷺ أن ينتصـر علـيهم، ويظهـر انحـرافهم عـن حقيقـة الشـريعة السماوية، فقال:

لـم يـجـهـلـوه غـيـر أنّ سـيـوفـه		أبقت حقودا عندهم ودحولا
ما لـي أجادل فيه كلّ أخي عميّ		كيما أقيم على النّهار دليلا[٢]

فالصـليبيون كـانوا دائمـي الانتقـاد للإسـلام ومهاجمـة نبيّـه، لـذلك ردّ المسـلمون على ذلك بالدفاع عن رسول الله ﷺ ومدحه.

ب: القصيدة البردة.

وهـي مـن أشـهر قصـائد الإمـام البوصـيري، وتسـمى "الكواكـب الدريـة فـي مـدح خيـر البريـة"، روي أنـه أنشـأ هـذه القصـيدة حـين أصـابه فـالج (شـلل)، فاستشـفع إلـى الله تعـالى، ولمـا رأى النبـي صـلى الله عليـه وسـلم فـي منامـه، فمسـح بيـده المباركـة بدنـه، فعـوفي، وخـرج مـن بيتـه أول النهـار، فلقيـه بعـض الفقـراء، فقـال: يـا سـيدي أريـد أن تعطينـي القصـيدة التـي مـدحت بهـا رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم ، قـال: أي قصـيدة؟

---

(١) المصدر نفسه ص ٤٦

(٢) المصدر نفسه ٥٤

قال التي أولها: "أمن تذكر جيران بذي سلم" فأعطاها له. وجرى ذكرها بين الناس، وأصبح الناس يتبركون بها ويستسفعون بها، على أن الاستشفاء بها ليس استشفاءً بألفاظها، وإنما هو استشفاء برسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ هو بركة الدنيا والآخرة. (١)

ولقد تصدى لشرح هذه القصيدة الغرّاء كبار علماء الإسلام في مختلف لغات العالم الحية، والذين قد اهتموا بشرح هذه القصيدة هم كثيرون، ونحن نأتي بأسماء بعضهم فيما يأتي:

- الشيخ العلامة علي بن محمد البسطامي الشاهرودي(ت ٨٧٥هـ)
- الشيخ بدر الدين محمد بن محمد الغزي (ت ٩٨٤هـ) شرحه للبردة يسمى "الزبدة".
- الشيخ محي الدين محمد بن مصطفى المعروف بـ "شيخ زاده" شرحه قد طبع على حاشية "عصيدة الشهدة" من أصح المطابع آرام باغ، كراتسي باكستان.
- القاضي بحر بن رئيس بن الهاروني المالكي، شرحه بعنوان" ارتشاف الشهدة في شرح قصيدة البردة"
- الشيخ عبيد الله محمد بن يعقوب الفناري(ت ٩٣٦هـ)
- الشيخ شرف الدين علي اليزدي (ت ٨٢٨هـ)
- الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الزمردي المعروف بـ "ابن الصائغ" (ت ٧٧٦هـ)
- الشيخ كمال الدين حسين الخوارزمي (ت ٨٤٠هـ)

---

(١) انظر شرح البردة للعلامة الباجوري ص ٢٣

- الشيخ جمال الدين عبد الله بن يوسف المعروف بـ "ابن هشام النحوي" (ت ٧٦١هـ)
- الشيخ زين الدين خالد بن عبد الله الأزهري (ت ٩٠٥هـ)، شرح البردة أولاً مفصلاً وسماها "الزبدة في شرح قصيدة البردة" ، فلما فرغ منها سنة ٩٠٣هـ لخّصها، وهذا الملخص قد طبع من ميدان الأزهر بالقاهرة سنة ١٣٥٦هـ على هامش شرح البردة للباجوري.
- الشيخ أحمد بن محمد بن أبي بكر، قد اكتفى أولاً على حل الألفاظ الصعبة في البردة، ثم قام بشرح مفصل مبسوط وسماها "نزهة الطالبين وتحفة الراغبين".
- الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد المرزوق التلمساني (ت ٧٨١هـ)، له شرحان على البردة بعنوان " الاستيعاب لما في قصيدة البردة من البيان والإعراب" و "إظهار صدق المودة في شرح قصيدة البردة".
- الشيخ أحمد بن مصطفى كتب شرح البردة في العربية ثم ترجمها إلى التركية سنة ١٠٠١هـ.
- الشيخ محمد بن ملا أبوبكر بن محمد بن سليمان الكردي الحنفي، شرحه " الدرة المضيئة في شرح الكواكب الدرية"
- مجدد الإسلام الشيخ نور الدين علي بن سلطان محمد الهروي المكي (ت١٠١٤هـ) شرح البردة وسماها "الزبدة العمدة في شرح البردة"، وقد عدّه الحاج الخليفة صاحب "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون" من أحسن الشروح للبردة.

- الشيخ القاضي زكريا بن محمد الأنصاري(ت ٩٢٦هـ) شرحه للبردة هو "الزبدة الرائقة في شرح البردة الفائقة".
- الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني (ت ٩٢٣هـ) وعنوان شرحه للبردة "مشارق الأنوار المضيئة في شرح الكواكب الدرية".
- الشيخ عمر بن جلال الدين أحمد بن خجندي ، وله "طيب الحبيب هدية إلى كل محب لبيب" في شرح البردة. [1]

جـ : الهمزية النبوية.

وهي من أطول قصائد الإمام البوصيري، حيث تشتمل على ست وخمسين وأربع مائة بيت، قد عارض بها همزية حسان بن ثابت رضي الله عنه، وتسمى هذه القصيدة بـ "أم القرى" أيضاً.

فمن هذه الشروح :

- شرح العلامة شمس الدين محمد بن عبد المنعم بن محمد الجوجري (ت ٨٨٩هـ).
- شرح العلامة شهاب الدين أحمد بن أحمد بن عبد الحق السنباطي (ت ٩٩٠هـ)
- شرح الشيخ محمد بن أبي الوفاء الخلوتي الحموي ، فرغ منه سنة ٩٩٦هـ ، وسماه "نهاية الأمنية في شرح الهمزية".
- شرح الشيخ أحمد بن يوسف البرلسي ابن الأقيطع (ت ١٠٠١هـ) سماه "النخبة السنية".

---

(١) انظر كشف الظنون ، لحاجي خليفة ٢/١٣٣٢-١٣٣٦

- شرح الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الله الغزي الحنفي المعروف بالتمرتاشي.
- شرح الشيخ أحمد بن عبد الوهاب الفاسيز
- شرح الإمام العلامة سليمان الجمل (ت ١٢٠٤هـ) ، سماه "الفتوحات الأحمدية بالمنح المحمدية على متن الهمزية"، وهو شرح مختصر لخصه من هذا الشرح المبارك "المنح المكية".
- شرح الشيخ محمد بن أحمد بنيس، فرغ منه سنة ١٢٠٠هـ ، سماه "لوامع أنوار الكوكب الدري في شرح همزية البوصيري".(١)

د: ذخر المعاد في معارضة بانت سعاد

وهي قصيدة لامية عارض بها قصيدة "بانت سعاد" لكعب بن زهير رضي الله عنه، يقول في أولها:

إلى متى أنت بالذات مشغول   وأنت عن كل ما قدمت مسؤول

في كل يوم ترجى أن تتوب غداً   وعقد عزمك بالتسويف محلول(٢)

هـ : القصيدة المضرية

وهي التي تدعى بـ"القصيدة المضرية في الصلاة على خير البرية"، لقد نظم الإمام البوصيري هذه القصيدة للصلاة على رسول الله ﷺ، تحتوي القصيدة على إثنين وأربعين بيتا، صلى على النبي ﷺ ويذكر أوصافه الحميدة ويدخل تحت هذه الصلاة أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار والذين شهدوا معه في غزوات عديدة، وتسميته بـ" مضر" من قبيل تسمية الكل باسم الجزء، وهذا نظراً إلى ما ورد هذا الاسم

---

(١) انظر مقدمة المنح المكية، لابن حجر ص٢٤-٢٥

(٢) ديوان البوصيري ص ١٥٥

في المصرع الأول من مطلعها، وقد كانت مضر هي الفرع الأكبر مقارنة بربيعة، حتى إنه يستعاض أحيانا عن اسم عدنان باسم المضرية بمقابل القبائل المسماة باليمانية أو القحطانية، ويطلق ابن خلدون على اللغة العربية اسم "لغة مضر". وينتمي إلى مضر النبي محمّد ﷺ،[١] وإلى هذا يشير الشاعر في القصيدة.

وأولها:

يا رب صل على المختار من مضر   والأنبياء وجميع الرسل ما ذكروا

وصل رب على الهادي وشيعته   وصحبه من لطي الدين قد نشروا[٢]

و: تهذيب الألفاظ العامية.

لم يكتب الإمام البوصيري كتاباً أو رسالةً في النثر سوى هذا الكتاب، وقد طبع الكتاب بالقاهرة ولكن لم نعثر عليه.

****

(١) انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٤٣٠/٣

(٢) ديوان البوصيري ص ٩٢

الفصل الثاني

حياة الإمام أحمد رضا خان وآثاره

دراسة تحليلية

يحتوي هذا الفصل على مبحثين

المبحث الأول

حياة الإمام أحمد رضا خان البريلوي

يحتوي هذا المبحث على ستة مطالب

المطلب الأول : اسمه ونسبه ولقبه

المطلب الثاني: مولده ونشأته وثقافته

المطلب الثالث: أساتذته

المطلب الرابع: تلامذته

المطلب الخامس : ثناء العلماء عليه

المطلب السادس: وفاته

المبحث الثاني

آثاره العلمية والأدبية

المبحث الأول
حياة الإمام أحمد رضا خان البريلوي
المطلب الأول
اسمه ونسبه ولقبه

هو[(١)] أحمد رضا خان بن محمد نقي علي خان بن محمد رضا علي خان بن محمد كاظم علي خان بن شاه محمد أعظم علي خان بن محمد سعادت يار خان بن محمد سعيد الله خان[(٢)] رحمهم الله.

سمي وقت ولادته بـ " محمد " [(٣)]، ولكن سماه جده بـ " أحمد رضا "[(٤)] وهو الاسم الذي اشتهر به ، واشتهر في الأوساط الدينية والعلمية والأدبية على حد سواء بـ" محمد أحمد رضا خان،[(٥)] واختار له اسم يوافق سنة ولادته بحسب الجمل ، هو "المختار" الذي يوافق السنة الهجرية التي ولد فيها ، وهي ١٢٧٢هـ[(٦)]. وقد أخرج الإمام البريلوي سنة ولادته من هذه الآية المباركة : ﴿أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ

---

(١) ينظر ترجمته في : حياة أعلى حضرت للعلامة ظفر الدين البيهاري، والإعلام بمن في الهند من الأعلام ٣٤٤/٧، ومن أقطاب الأمة ، وشاعر من الهند، ودور الشيخ أحمد رضا خان الهندي البريلوي في مقاومة البدع والرد عليها، فقيه العصر ، امام احمد رضا کاملین کی نظر میں، امام احمد رضا اور علمائے مکہ، امام احمد رضا خان قادری دیوبندی اکابرین کی نظر میں.

(٢) انظر حياة أعلى حضرت ٤٥/١، والإعلام بمن في الهند من الأعلام ٣٤٤/٧.

(٣) المصدر نفسه ص ٤٦

(٤) انظر من أقطاب الأمة ص ١٣٣

(٥) انظر حياة أعلى حضرت ص٤٦

(٦) المصدر نفسه ص ٤٨

﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [١]. وقد لقب بألقاب عدة لما تميزت به شخصيته القوية الفذة من أوصاف نادرة، كما يقول الدكتور حازم محمد أحمد محفوظ المصري :

" وله عند رجالات الدين والعلم والأدب ألقاب لا تكاد تدخل تحت حصر، منها :الفاضل البريلوي، والحضرة العالية والمجدد، وشيخ الإسلام والمسلمين، ورئيس المفسرين، وإمام المحدثين، وأفقه العلماء والمتكلمين، والعلامة المحقق، وشيخ مشايخ التصوف، وشاعر المديح النبوي الشريف، وأستاذ أساتذة العربية، وإمام أهل السنة والجماعة في شبه القارة".[٢] أما تخلصه[٣] أي الاسم الذي يطلق على نفسه في شعره العربي والفارسي والأردي فهو "رضا".[٤]

ومن تتمة الكلام في هذا المطلب أنه ينتسب إلى النبي ﷺ ، فيتسمى بـ "المحمدي" و "الأحمدي" [٥] وكذلك يسمى نفسه السني والحنفي والقادري[٦]. ومما تدل على اعتزازه بالنسبة إلى النبي ﷺ أنه اختار لنفسه اسم "عبد المصطفى" [٧] وهو يباهي بذلك في شعره فيقول:

خوف نہ رکھ رضا ذرا تو تو ہے عبد مصطفےٰ

تیرے لیے امان ہے تیرے لیے امان ہے[٨]

الترجمة: لاتخف يا رضا، لأنك عبد المصطفى، فليس لك إلا النجاة والأمان.

****

(١) المجادلة :٢٢

(٢) المنظومة السلامية ص ٢٢

(٣) هو في الأردية اسم مختصر للشعراء ليستعمله في شعرهم. انظر فيروز اللغات تحت مادة ت، خ، ل.

(٤) انظر حياة أعلى حضرت ١/٥٠

(٥) انظر المنظمومة السلامية ص ٢٣

(٦) انظر من أقطاب الأمة ص ١٣٤

(٧) المصدر نفسه

(٨) حدائق, بخشش ص١١٧

المطلب الثاني

ولادته ونشأته وثقافته

ولد الإمام أحمد رضا قبل الثورة الإسلامية الهندية بعام واحد والتى أثارها الهنود – المسلمون وغيرهم – للتخلص من الاحتلال البريطانى وذلك في العاشر من شهر شوال عام ١٢٧٢هـ/ ١٤ من شهر يونيو عام ١٨٥٦م بمدينة بريلي[١]. وقد صنع لنفسه تاريخا أخذه من قوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [٢]

اشتغل الشيخ أحمد رضا خان بالدراسة منذ نعومة أظفاره حينما ألحقه أبوه بكتاب الحي ، وفيه تلفى تعليمه الأول ، حيث درس بكل اختمام منذ اليوم الأول وأقبل على التعليم بشغف كبير وظهرت عليه مخايل الذكاء ومواهب الإقبال على العلوم الإسلامية والعربية، فتعلم القرآن في سن مبكر كما يقول الدكتور مختار الدين أحمد معجبا بذكائه الحاد:

"إن طفولة الشيخ أحمد رضا خان المدهشة تختلف تماما عن طفولة الآخرين من معاصريه ، حيث إنه ختم قراءة القرآن الكريم ولما يتجاوز التابعة من عمره[٣]".

ويبين العلامة ظفر الدين البيهاري إقبال الشيخ أحمد رضا خان بشغف كبير على قراءة القرآن الكريم، حيث يقول:

---

(١) حياة أعلى حضرت ٦٠/١، و مقدمة بساتين الغفران ص٤، المنظومة السلامية ص ١٠.

(٢) المجادلة: ٢٢، والمنظومة السلامية ص ١٠

(٣) انوار رضا لصوة من العلماء ص ٣٥٥

"إنــه كــان يـذهب إلــى الكتــاب بنفســه حتــى أنــه ذات يــوم قصــد الكتــاب فــي يــوم العطلــة أي يــوم الجمعــة، ولــم يتغيــب عــن الدراســة ليــوم، وذلــك لشــدة شــوقه إلــى قــراءة القرآن[١]".

هكـذا بـدأ الإمـام أحمـد رضـا خـان تعليمـه ناشـئا علـى حـب العلـم والمعرفـة حيـث إنــه كــان حــاد الـذكاء كمـا كـان كوهوبـا وحريصـا علـى تلقـى العلـوم الإسـلامية والعربيـة خاصــة القـرآن الكـريم، فبـدأت موهبتـه الصـافية تنمـو وقريحتـه النافـذة تصـقل، ولمـا أكمـل قراءة القرآن الكريم وجهه والده إلى مرحلة أخرى، يقول العلامة البيهاري:

"ولمـا اجتـاز المرحلـة الدراسـية الأولـى انتقـل إلـى المرحلـة الثانيـة حيـث إنـه أخـذ يـدرس مبـادئ علـم الصـرف علـى يـد مولانـا غـلام قـادر بيـك، ولمـا تأهـل لتلقـي العلـوم تتلمـذ علـى والـده وجـده، فـتعلم علـى أيـديهما العلـوم الإسـلامية والعربيـة حتـى أنـه أكمـل دراسة العلوم والمقررات السائدة وقتئذ[٢]".

وقـد أشـارت المصـادر أن أبـاه وجـده كانـا عـالمين كبيـرين وزاهـدين متصـوفين[٣] وعرفانـا بفضـلهما عليـه يقـول فـي إحـدى قصـائده باللغـة العربيـة التـي يثنـي فيهـا عليهمـا ويدعو لهما:

وارحـم أبي وأبـاه رحمـا دائـما   واجعل قبورهما رياض الجنان
آنثهمـا أللهـم في جـدثـيهما   بالـحـور والـغلمان والرضوان
أبـدلـهمـا دارا وجـارا خـيـرا   مـن هولاء الـدور والـجيـران[٤]

(١) حيات أعلى حضرت ٩١/١
(٢) المصدر نفسه
(٣) انظر المنظومة السلامية ص ٢٣
(٤) بساتين الغفران ص ١٦٧

أنشأ أبوه مدرسة لتعليم العربية تسمى"مصباح التهذيب" وكان الإمام أحمد رضا خان التلميذ النجيب فيها، وبذلك يكون قد حصل العربية على يد أبيه ومدرسته وكان ذلك عمدة السبب في اتساع باعه في العربية ، وقد تجلى ذلك بوضوح فيما أخرج من الكتب بالعربية كما سنبين ذلك بقدر من البسط والتفصيل فيما يأتي إن شاء الله تعالى.

وصف الدكتور حازم محفوظ في تقديمه لكتاب "الدولة المكية بالمادة الغيبية" تلك الروح العربية التي نشأ فيها الإمام أحمد رضا خان، ويقول:

" نشأ الإمام محمد أحمد رضا خان في أسرة لها مع اللغة العربية وآدابها باع وتاريخ حافل، فكان والده وجده على سبيل المثال ممن يجيدون اللغة العربية إجادة تامة وقد ألفوا بها مؤلفات كثيرة كما وجدنا والده الإمام محمداً نقي علي خان يفتتح مدرسة للغة العربية وآدابها في موطنه مدينة بريلي تحت اسم "مصباح العلوم" من أجل تعليم ونشر اللغة العربية وآدابها ليس في مسقط رأسه فحسب، بل في كل ربوع شبه القارة، وقد توافد على هذه المدرسة طلاب من جميع الأنحاء.

إذا تدبرنا في عمل الإمام محمد نقي علي خان نجد فيها دليلاً باهراً على شغفه باللغة العربية ومعرفته بأنها المطلب الأول لكل داع صادق في طريقه إلى الله تعالى على بصيرة وهدى. هذا هو النهج الأمثل الذي صار عليه الإمام نقي علي خان وقد وفق في تحقيق ما سعى من أجله وكانت هذه رغبته من أجل العامة من المسلمين، وإذا نظرنا إلى اهتمامه الخاص وجدناه قد وفق فيه توفيقا منقطع النظير ، حيث إنه حرص كل الحرص على تنشئة وتعليم ابنه محمد احمد رضا خان في بيئة علمية قوامها اللغة العربيةة وآدابها. وقد لاقى استجابة كبيرة من ابنه هذا الذي ورث عن أبيه وأجداده حب اللغة العربية والإقبال على الاغتراف من علومها الكثيرة الغزيرة.

إن هذه اللبنة الأولى كان لها عظيم الأثر في حياته كلها. وقد استمر تأثير هذه النشأة والتربية والتعليم العربي _ في مرسة والده- طيلة حياته الحافلة وتجلى لنا في مصنفاته كلها حتى التي كتبها بغير العربية فلا يستطيع أي ناقد يطلع على مؤلفاته -الأردية والفارسية- إلا وان يصرف بأن مؤلفها لا بد وأن يكون عالما وأديبا في اللغة العربية نظرا للأثر الكبير الذي تطبعت به هذه المؤلفات.

وبالإضافة إلى كل هذا أنكب الإمام محمد أحمد رضا خان في شغف منقطع النظير- بعد أن أجاد اللغة العربية إجادة تامة- على علوم اللغة العربية فاطلع عليها، كما قرأ كلما وصصلت إليه يده من كتب باللغة العربية- في العلوم والفنون المختلفة – التي ألفها علماء وأدباء من شبه القارة والعالم العربي . وقد كانت أكثر قراءاته – باللغة العربية – في العلوم الإسلامية خاصة علوم الشريعة والطريقة. وقد وجدناه يصرح في كثير من مصنفاته بأنه اطلع على مصنفات لعلماء أعلام وأئمة مشاهير من أمثال العارف بالله سيدي الإمام جلال الدين السيوطي رضي الله عنه وقد افتخر به وبمؤلفاته كثيرا ، وعد نفسه تلميذا لهذا الإمام الجليل.

ومما لا شك فيه أن هذا الشغف الكبير باللغة العربية وعلومها لازمه شغف أكبر بأهل هذذه اللغة وهم العربز إن الشعب المسلم – على العموم-_في ششبه القارة محب للعرب، وهذا الحب نابغ من حب سيد العرب والعجم المصطفى – صلوات ربي وتسليماته عليه – وحب لغته ووطنه .

إن الإمام محمد أحمد رضا خان تعلم كل هذا من والده وجده الذين طالما تحدثا عن أمجاد العرب ، فشغف حبا للذهاب لأداء فريضة الحج وزيارة أماكن المقدسة ،

ومـن ثـم تعـرف التعـرف عـن قـرب علـى علمـاء العـرب والاتصـال بهـم والتتلمـذ علـى أيديهم." [١]

اشـتهر عـن الإمـام أحمـد رضـا خـان أنـه حفـظ القـرآن الكـريم فـي شـهر[٢] وأتـم دراسـته فـي مختلـف العلـوم العقليـة والنقليـة فـي منتصـف شـعبان عـام ١٢٨٦هـ / ١٨٦٩م وكان إذ ذاك ابن ثلاثة عشرة عاما وعشرة أشهر وخمسة أيام [٣].

ويشير الإمام أحمد رضا خان إلى إكمال دراسته حيث يقول:

"وذلـك لمنتصـف شـعبان سـنة ١٢٨٦هـ الموافـق لسـنة ١٨٦٩م. وأنـا إذ ذاك ابـن ثلاثـة عشـر عامـا وعشـرة أشـهر وخمسـة ايـام، وفـي هـذا التـاريخ فرضـت علـي الصـلوة وتوجهت إلي إلى الأحكام[٤]".

وفـي عـام ١٢٨٦هـ الموافـق عـام ١٨٦٨م نـال الشـيخ أحمـد رضـا خـان إجـازة الإفتـاء علـى المـذهب الحنفـي مـن أبيـه وفـي الوقـت عينـه بـدأ باتـأليف بـالفتوى والعلـوم التي أتقنها ، يقول الإمام أحمد رضا عن نفسه:

"كـان سـيدي وأبـي ختـام المحققـين وإمـام المـدققين مـاحي الفـتن وحـامي السـنن سـيدنا ومولانـا المولـوي محمد نقـي علـي خـان القـادري البركـاتي أمطـر الله تعـالى مرقـده الكـريم شـأبيب رضـوانه فـي الحاضـر والآتـي أقـامني فـي الإفتـاء للرابـع عشـر مـن شـعبان سـنة ١٢٨٦هـ سـت وثمـانين مـائتين وألـف مـن هجـرة سـيد المتقـين عليـه وعلـى آلـه

(١) الدولة المكية بالمادة الغيبية

(٢) انظر حياة أعلى حضرت ٩٦/١، ومن أقطاب الأمة ص ٢١

(٣) حياة أعلى حضرت ١/ الشيخ أحمد رضاخان البريلوى وشيء من حياته وأفكاره ص ١١

(٤) رسائل رضوية ، ٣٠٩/٢

وأصحابه الصلوات من رب المشرقين ولم تتم إلي ذاك أربعة عشر عاما من العمر."[1]

وبعد تخرجه قد عكف على البحث والمطالعة في شتى العلوم والفنون ، ولم يكتف بذلك فحسب ، بل مضى ليتتلمذ على يد المشايخ الكرام من أمثال فضيلة الإمام العلامة الشيخ السيد آل رسول المارهروي الأحمدي ، فدخل في حلقته وبايع على يده وأخذ عنه الطريقة القادرية وأجازه شيخه إجازة تامة كما حصل على الإجازة في عدة طرق صوفية أخرى كالطريقة النقشبندية والطريقة الجشتية والطريقة السهروردية.

وبعد ذلك شرع الإمام في التدريس والإفتاء والتصنيف والوعظ والإرشاد إلا أنه ركّز أغلب وقته وجهده في التأليف ، فكان سريع القلم فألف وصنف باللغات العربية والفارسية والأردية.

وقد بدأ يؤلف ويشرح ويحقق باللغة العربية على وجه الخصوص وهو في العاشرة من عمره ، فقام بشرح كتاب "هداية النحو" ثم ألف كتابا سماه "ضوء النهاية في أعلام الحمد والهداية"وهو في الثالثة عشرة من عمره.

لقد تشرف الشيخ الإمام أحمد رضا خان بزيارة الحرمين الشريفين مع والده سنة ١٢٩٥هـ الموافق لسنة ١٨٧٨م[2]، وفي هذه الرحلة الميمونة المباركة أخذ الإمام أحمد رضا إجازة الحديث والفقه والطريقة عن مشايخ مكة المشرفة – كما سيأتي إن شاء الله تعالى- ،بل اقترح عليه إمام الحرم المكي الشيخ حسين بن صالح أن يكتب شرحا على كتابه "الجوهرة المضية" فأخذه الإمام أحمد رضا وكتب بما فتح الله به

(١) الإمام الأكبر ص ٢٩

(٢) المصدر نفسه

عليه في فترة بسيطة لا تزيد عن يومين، وأسماه" النيرة الوضية في شرح الجوهرة المضية" وأورد فيه آراء علماء الفقه الحنفي جنبا إلى جنب آراء المذهب الشافعي. [١]"

ولقد رجع هو من هذه الرحلة المباركة بعد أن غنم من نعمة الله الكثيرة، فقد تمتع بحج وزيارة للمسجد النبوي والقبر الشريف كما عاد واصطحب معه إجازات في الحديث والفقه والطريقة القادرية.

ومرة أخرى يسعد قلبه الملتاع ونفسه التائقة برؤية مباركة للحرمين الشريفين وذلك سنة ١٣٢٣هـ الموافق لسنة ١٩٠٦م[٢].

فكما كانت الرحلة الأولى لم تخل من العلم اطلاعا وتأليفا فهذه الرحلة الثانية ايضا أضيئت بالعلم، فقام الشيخ الإمام حمد رضا خان بهمة الإفتاء والتأليف خلال إقامته بأرض الحرمين الشريفين ، وفي هذا يقول الشريف أبو الحسن علي الندوي:

"إنه سافر إلى الحرمين الشريفين عدة مرات وذاكر علماء الحجاز في بعض المسائل العلمية والكلامية، وألف بعض الرسائل أثناء إقامته بالحرمين ، وأجاب عن بعض المسائل التي عرضت على علماء الحرمين ، وأعجبوا بغزارة علمه وسعة اطلاعه على المتون الفقهية والمسائل الخلافية وسرعة تحريره وذكائه"[٣].

****

---

(١) انظر من هو أحمد رضا للشيخ شجاعت علي القادري ص ١٢٥، ونزهة الخواطر ٤٣/٨

(٢) الإمام الأكبر ص ٢٩

(٣) نزهة الخواطر ٤١/٨

المطلب الثالث

أساتذته

مما لا ريب فيه أن الإنسان لا ينفرد في بناء شخصيته، وإنما يساهم في بنائها دوافع كثيرة وأسباب عديدة من بيئته وأبويه وأساتذته ومشايخه وأصدقائه ومشاهداته ودراساته وحركات وأحداث عصره وغيرها مما يقتضي التفصيل.

إذا أردنا أن نعدّ أساتذة الإمام أحمد رضا خان الذين لهم مساهمات عظيمة في بناء شخصية الإمام البريلوي فهم من أجلة الأعلام في ذلك العصر وأولهم أبوه وجده تعلم منهما حب الله ورسوله وتلقى عليهما التربية والعلوم العقلية والنقلية، نحن نقف هنا لندرس حياة هذين الفذين بقدر من التفصيل:

الف: الشيخ رضا علي خان:

هو الشيخ رضا علي خان بن محمد أعظم خان بن محمد سعادت يار خان ، كان من كبار علماء مدينة بريلي وله واسع الشهرة بالعلم والفضل بين أهل شبه القارة ، لقد هاجر آباؤه من ضواحي مدينة قندهار، واستقروا في مدينة بريلي في شبه القارة وذلك في عهد دولة المغول(١)، قيل: إن أسلافه تولوا رفيع المناصب في تلك الدولة، وذلك لما كانوا عليه من علم غزير رفعهم مقاما عليا(٢)، كما ذكر أن أجداده كانو أعلاما منهم الوزراء والمؤلفون والأئمة والدعاة والمجاهدون في سبيل الله(٣).

ولد الشيخ محمد رضا علي خان سنة ١٢٢٤هـ، وتلقى العلوم الابتدائية على المولوي خليل أحمد ببلدة "تونك" حتى تخرج سنة ١٢٤٧ هـ وبرز في العلوم العقلية

(١) انظر حياة أعلى حضرت ٤٧/١

(٢) انظر المصدر نفسه ، ومن هو أحمد رضا البريلوي الهندي ص ١٦

(٣) المصدر نفسه

والنقلية وكان ابن اثنين وعشرين عاما آنذاك[١]، وكان له شهرة بأنه من الأكابرين المتصوفين الذين التفّ حولهم المريدون يسمعون منهم ويأخذون عنهم[٢]، ويمتاز الشيخ بسجاياه المحمودة من العفو والمسامحة واتباع السنة النبوية فتأصلت هذه المزايا والخصائص في حفيده أيضا.

توفي الشيخ محمد رضا علي خان الثاني من شهر جمادى الأولى سنة ١٢٨٢هـ[٣].وكان الإمام أحمد رضا عندئذ ابن عشر سنوات تقريبا[٤]. وقد نظم الإمام أحمد رضا خان أبياتا في مدح جده الشيخ رضا علي خان وأشار فيها إلى تاريخ ولادته وفراغه من التعليم وعام وصاله وهي كما يلي:

جدّي كان عالما	لم ير مثله النظر
بهجة جلِّ من مضى	حجة كلّ من غبر
بان برمزه الزبر	دان لرمزه الزمر
قلت لطائف سري	طيف جماله السحر
نعلم عام إذ ولد	سيدنا الرضا الأبرّ
قال رأيت أنجما	قلتُ نظرت قال ذَر

(١) انظر حياة مولانا أحمد رضا خان البريلوي ص ٨٤

(٢) انظر ياد أعلى حضرت بريلوي ص ١٢-١٣

(٣) تصرح المصادر كلها بأن سنة وفاة الإمام رضا علي خان هي ١٢٨٢هـ إلا أن صاحب كتاب"حياة أعلى حضرت" كتب سنة وفاته ١٢٨٦هـ نقلا عن "تذكرة علماء هند" فإذا وجدنا هذا الاختلاف رجعنا إلى كتاب" تذكرة علماء هند" وجدنا هناك ١٢٨٢هـ ونص الكتاب هكذا"دوم جمادى الاول سال يشتادو دوم صد سيزدهم ازىں سرائے بے بود رحلت فرمود" (تذكره علماے هند ص ٦٤) ، فتبن من هذا أن ما في حياة أعلى حضرت هو خطأ من الكاتب.

(٤) انظر حياة أعلى حضرت ص ٩٦/١

قلت فكيف نهتدي قال أضاءنا القمر

قلت ختام درسه قال أخار الدرر

قلت فعام نقله قال محجّل أغرّ[١]

إذا تأملنا في الألفاظ التي تحتها خط يتجلى لنا عام مولد الشيخ رضا علي خان، وكذلك عام فراغه، ووفاته أيضا بحساب الجمل ، فقوله: "أضاءنا القمر" يساوي عدده ١٢٢٤ وهو عام ولادته . وقوله: "أخار الدرر" فعدده ينبئ سنة فراغه من التعليم وهو ١٢٤٧. أما قوله : "محجل أغرّ" فيبلغ عدده إلى ١٢٨٢ وهو عام ارتحاله من الدنيا.

ب:الشيخ نقي علي خان

هو مولانا الشيخ محمد نقي علي خان بن الشيخ محمد رضا علي خان، كان عالما فاضلا جوادا ، عالي الهمة ، مبادرا إلي الصدقات والمبرات ، منعزلا عن الأثرياء والأمراء ، معينا للفقراء والبائسين ، فريدا في العلم والفضل، كانت ولادته في مدينة بريلي في غرة شهر رجب سنة ١٢٤٦هـ١٨٣٠م[٢]، تلقى العلم والتربية عن أبيه[٣] حتى تبحر في العلم والمعرفة وعُرف كشيخ كبير من الشيوخ المتصوفة وفقيه أعظم من علماء الأحناف الأعاظم واشتهر بالزهد والورع والعلم الغزير، ومع ذلك المال الجزيل الذي ورثه عن أبيه خرج من ماله للفقراء وآثر الزهد والقناعة بأقل قليل[٤].

---

(١) بساتين الغفران ص ١٨٣-١٨٤

(٢) انظر مقدمة جواهر البيان في أسرار الأركان ص ٢٥٦، وحياة أعلى حضرت٥٢/١، ومولانا نقي علي خان حيات وخدمات ص٣٦.

(٣) حياة أعلى حضرت ٥٢/١

(٤) انظر محمد أحمد رضا خان والعالم العربي ص٢٠

تأثر الشيخ نقي علي خان من مشايخ مارهرة، وهو يتردد عليهم ليأخذ عنهم التصوف ، فبايع على يد العلامة الشيخ آل رسول الأحمدي مارهروي سنة ١٢٩٤هـ[١].

ارتحل إلى أرض الحجاز سنة ١٢٩٥هـ[٢]، وهناك حضر بحضرة العالم الشهير السيد أحمد بن زيني دحلان ونال منه الإجازة في الحديث الشريف، وهناك ندرك العلاقة الوثقى بينه وبين علماء العرب الذين أكرموا وفادته وقدروه حق قدره[٣].

توفي الشيخ نقي علي خان في شهر ذي القعدة سنة ١٢٩٧هـ الموافق ١٨٨١م في مسقط رأسه ودفن في جنب أبيه[٤]. لقد أخرج الإمام أحمد رضا خان عام ولادته وفاته من الآيات والأحاديث بحساب الجمل سنبينها في المبحث الثاني إن شاء الله تعالى.

ترك العلامة نقي علي خان خمسا و عشرين مؤلفا في الدراسات الإسلامية كما ذكرها العلامة ظفر الدين في كتاب "حياة أعلى حضرت" وهي كما يلي:

- الكلام الأوضح في تفسير سورة ألم نشرح
- وسيلة النجاة
- سرور القلوب في ذكر المحبوب
- جواهر البيان في أسرار الأركان
- أصول الرشاد لقمع مباني الفساد
- إذاقة الآثام لما نعى عمل المولد والقيام

---

(١) انظر حياة أعلى حضرت ٥٦/١

(٢) المصدر نفسه

(٣) انظر محمد أحمد رضا والعالم العربي ص٢١

(٤) انظر حياة أعلى حضرت ٥٧/١ تذكره علماء هند ص ٢٣٤

- فضل العلم والعلماء
- إزالة الأوهام
- تزكية الإيقان رد تقوية الإيمان
- الكوكب الزهراء في فضائل العلم وآداب العلماء
- الرواية الروية في الأخلاق النبوية
- التقاوة النقوية في الخصائص النبوية
- لمعة النبراس في آداب الأكل واللباس
- التمكن في تحقيق مسائل التزين
- أحسن الوعا في آداب الدعا
- خبر المخاطبة في المحاسبة والمراقبة
- هداية المشتاق إلى سر الأنفس والآفاق
- إرشاد الأحباب إلى آداب الاحتساب
- أجمل الفكر في مباحث الذكر
- عين المشاهدة لحسن المجاهدة
- تشرق الأواه إلى طريق محبة الله
- نهاية السعادة في تحقيق الهمة والإرادة
- أقوى الذريعة إلى تحقيق الطريقة والشريعة
- ترويح الأرواح في تفسير الانشراح[١]

---

(١) حياة أعلى حضرت ١/٥٣-٥٥

هـذه هـي الكتـب المطبوعـة للشـيخ نقـي علـي خـان ، ولـه مؤلفـات أخـرى غيـر مطبوعـة وهـي مسـودات وكتبـات فـي عنـاوين مختلفـة قـد فقـدت مـن أولهـا أو وسـطها أو آخرها ، فلم يقم يتمكن أحد من إتمامها بعدُ[١].

لقـد كـان الإمـام أحمـد رضـا خـان يـردد ذكـر أبيـه وجـده فـي شـعره العربـي مقرونـا بالإعجـاب بهمـا والثنـاء عليهمـا ، يقـول فـي قصـيدة لـه تحـت عنـوان"رنّ الحمـام علـى شجون البان":

وارحـم أبي وأبـاه رحما دائما   واجعل قبورهما رياض الجنان

آنسهـما اللهم في جـدثـيهـما   بالـحور والـغلمان والـرضـوان

أبـدلهـمـا دارا وجـارا خـيرا   مـن هـؤلاء الـدور والـجـيران

حتى يقول الناظرون إليهـما   بـتـعـجـب وتـبـاشـر وتـهـان

عبـدان مـرحومان رب غافر   نـزل كـريـم منـزل روحـان[٢]

ويظهـر ممـا ذكـر عـن جـده وأبيـه أنـه كـان شـريف النسـب عريـق الحسـب ، وذلـك فـي العلـم والـدين والتقـوى ممـا يُسـتدل منـه علـى أنـه لا بـد مـن أنـه ورث عنهمـا تلـك الصفات التي امتاز بها عن أقرانه وأثبت أن للنسب حكما وأن الولد سر لأبيه.

أمـا الـذين أخـذ عـنهم الإمـام أحمـد رضـا خـان العلـوم والمعرفـة مـن المشـايخ والعلماء بعد أبيه وجده فهم كما يلي:

جـ: الشيخ آل الرسول المارهروى

كـان مـن كبـار أوليـاء الله الصـالحين ، ولـد سـنة ١٢٠٩هــ وتلقـى العلـوم الابتدائيـة فـي الزاويـة البركاتيـة عـن مولانـا عبـد المجيـد البـدايوني، وتلقـى آخـر دروسـه

---

(١) المصدر نفسه ص٥٦

(٢) بساتين الغفران ص ٨٧

الدينية على يد علماء فرنجي محل، ثم التحق بدروس الشيخ عبد العزيز المحدث الدهلوي فى الحديث حيث حصل على إجازات لسلاسل الحديث وطرق الصوفية ، فأصبح أستاذا في الحديث وشيخا في الطريقة، عاش حياة حافلة في خدمة الإسلام والمسلمين إلى أن توفي إلى رحمة الله تعالى في سنة ١٢٩٦هـ الموافق لسنة ١٨٧٧م.(١) قد قرض الإمام أحمد رضا قصيدة في مدحه أيضا، يقول فيها:

خذ التاريخ في التوشيح نظما   يلوح كأنه البدر المنير
وخذ من كل قطر مثل سطر   تكن ستا وليس له نظير
ولي طاهر برّ إمام   وصول طيب بدر أمير
وحيد طائع بحر إمام   ودود طالب بدل أجير(٢)

د: الشيخ أبو الحسين أحمد النوري

هو أستاذ الإمام أحمد رضا وحفيد شيخه الشيخ آل الرسول المارهروي والذى كان عالما نبيلا وفاضلا جليلا، ولد سنة ١٢٥٧هـ الموافق لسنة ١٨٣٩م توفيت أمه ولم يتجاوز السنة الثالثة من عمره ، وتوفي أبوه أيضا وهو في السنة التاسعة من عمره، فنشأ وتربى في حضن جديه وتلقى دراسته الابتداءية في الزاوية البركاتية على يد أساتذة أجلاء، منهم مولانا محمد سعيد البدايوني ومولانا نور أحمد البدايوني ومولانا فضل الله الجاسيري ومولانا هدايت علي البريلوي، أخذ الحديث والطريقة عن جده مولانا السيد آل رسول المارهروي، وتوفي بعد حياة حافلة

(١) انظر تذكرة علماء أهل سنت لمحمود أحمد ص ٢١-٢٢، ورسائل رضوية للشيخ أحمد رضا ٢٦/٢، والشيخ أحمد رضاخان البريلوى وشيء من حياته وأفكاره ص ١٣، ونزهة الخواطر للشيخ عبد الحي ٤/٧.

(٢) بساتين الغفران ص١٩٤

قضاها مشتغلا بإصلاح المسلمين ظاهرهم وباطنهم وذلك في سنة ١٣٢٤هـ الموافق لسنة ١٩٠٤م. له مؤلفات كثيرة وقدم عال في الطريقة والإرشاد[١]، يقول عنه الإمام أحمد رضا خان:

"لقد بايعت على يد الشيخ آل الرسول المارهروي رحمه الله تعالى سنة ١٢٩٤هـ، وارتحل هو إلى رحمة الله تعالى سنة ١٢٩٦هـ وسلّمني إلى حفيده الشيخ أبي الحسين أحمد النوري، فأخذت عنه الطريقة والمعرفة وكذلك علم التكسير والجفر[٢]".

هـ: مولانا عبد العلي خان رامفوري،

هو أحد العلماء البارزين في علم المنطق والحكمة والهيئة، درس وأفاد مدة حياته، وأخذ عنه غير واحد من العلماء الأفاضل، تلقى دراسته الابتدائية عن المولوي حيدر علي تونكي، والمفتي شرف الدين الرامفوري، ودرس الحديث على يد مولانا محمد إسحاق الدهلوي، كما قرأ كتب الطب على الحكيم صادق علي الدهلوي ودرس على يد الإمام فضل حق الخير آبادي "حاشية قديمة" في الحكمة، وكان شغوفا بعلوم الحكمة وعمل مدرسا بالمدرسة العالية بمدينة رامفور، إلى أن توفي سنة ١٣٠٣هـ،[٣] قال عنه صاحب نزهة الخواطر:

"الشيخ الفاضل العلامة عبد العلي الحنفي الرامفوري أحد الأفاضل المشهورين في المنطق والحكمة وسائر الفنون الرياضية، ودرس وأفاد مدة عمره ، وأخذ عنه غير

---

(١) انظر تذكرة علماء أهل سنت ص ٢٨، ونزهة الخواطر ٨/٨-٩

(٢) حياة أعلى حضرت ٩٤/١

(٣) انظر تذكرة علماء أهل سنت ص٢٨، وتذكره كاملان رامفور للحافظ أحمد علي شوق ص ٢٢٨.

واحد من العلماء، منهم القاضي عبد الحق بن محمد أعظم الكابلي صاحب" القول المسلم"توفي سنة ثلاث وثلاث مائة وألف ببلدة رامفور"[1].

لقد سمع عنه الإمام أحمد رضا خان أنه عالم شهير ببلد رامفور وأن له يد طولى وملكة تامة في علم الهيأة، فحضر في جنابه وأخذ عنه هذا العلم وقرأ عليه دروسا لكتاب "شرح جغميني" في الهيأة[2].

و: مولانا غلام قادر اللكنوي

هو غلام قادر بيك اللكنوي بن حسن جان بيك اللكنوي، ولد في سنة ١٢٣٢هـ الموافق لسنة ١٨٢٧م بمدينة لكناؤ، نزح والده من مدينة لكناؤ إلى مدينة بريلي حيث أقام في المسجد الجامع بجوار القلعة ، وكانت أسرته في الأصل قد هاجرت من إيران إلى الهند واشتغل أجداده في الجيش المغولي حيث منحوا لقب "ميرزا" و"بيك" وذلك نظرا لخدماتهم في الجيش.

كان مولانا غلام قادر بيك من أصدقاء الشيخ نقي علي خان فأقدم بنفسه لتدريس ابن صديقه حيث تعلم الشيخ الإمام أحمد رضا خان على يده بعض المواد التي كانت تدرس بالمرحلة الابتدائية في عصره.

هاجر مولانا غلام قادر بيك من مدينة بريلي إلى مدينة كولكاتا في أواخر أيامه، و كان يتردد إلى الإمام أحمد رضا خان ويجلس عنده في حلقات الدرس والوعظ والنصيحة وكان تلميذه هذا يعامله بكل الإجلال والتكريم كلما ذهب إليه، وكان مولانا غلام قادر يرسل إلى الشيخ أحمد رضا خان الاستفتاءات من مدينة كولكاتا طالبا منه الفتوى فيها، وكان الإمام أحمد رضا يردّ عليه بشوق ورغبة، وهذه

---

(١) نزهة الخواطر ٢٨٢/٨

(٢) انظر حياة أعلى حضرت ٩٢/١

الاستفتاءات مع أجوبتها طبعت في ثنايا الفتاوى الرضوية وقد ألف الإمام أحمد رضا خان رسالة هامة تسمى بـ "تجلي اليقين بأن نبينا سيد المرسلين" وذلك ردا على استفتاء مولانا غلام قادر بيك اللكنوي.(١)

هؤلاء من علماء الهند الذين جمعوا بين العلم والعمل وتتلمذ على أيديهم الإمام أحمد رضا خان، ويمكن لنا أن نقول : إن هؤلاء شيخ الإقراء للإمام أحمد رخا خان، أما شيخ الإجازة له الذين اجتمع معهم على أرض مكة المكرمة خلال زيارته الأولى إلى الحرمين الشريفين ، حيث تتلمذ على أيديهم واستفاد من علمهم وأخذ منهم الإجازة في الحديث والفقه والتصوف فهاكم نبذة من حياتهم:

ز: الشيخ أحمد بن زيني دحلان المكي

ولد الشيخ أحمد بن زيني دحلان بمكة سنة ١٢٣١هـ وتعلم بها وأخذ العلم والفقه عن كبار العلماء والفقهاء في عصره، ولقد وصفه إسماعيل باشا البغدادي برئيس العلماء وشيخ الخطباء(٢). كما يلمح عمر رضا كحالة إلى مكانته العلمية قائلا: "فقيه، مؤرخ، مشارك في أنواع من العلوم مفتي الشافعية بمكة المكرمة"(٣). ويعرفنا الزركلي قائلا: "فقيه ، مكي، مؤرخ، ولد بمكة وتولى فيها الإفتاء والتدريس"(٤). وعن اهتمامه بتدريس الحديث النبوي الشريف يحدثنا الكتاني حيث يقول: "كان مدمنا على الدرس، خصوصا الحديث حتى قالوا: صار البخاري عنده ضروريا كالفاتحة"(٥). وله

---

(١) حياة أعلى حضرت ٩٢/١-٩٣

(٢) انظر فهرس الفهارس لأبي جعفر الكتاني ٣٩٠/١

(٣) هدية العارفين ١٩١/١

(٤) معجم المؤلفين ص ٢٢٩

(٥) الأعلام ١٢٩/١

مؤلفات قيمة كلها مطبوعة [١]، أخذ عنه الإمام أحمد رضا مع أبيه إجازة الحديث في سنة ١٢٩٥هـ[٢]، وتوفي هذا العبقري سنة ١٣٠٤هـ [٣].

كان الإمام أحمد رضا خان إذا ذكره فاضت كلماته بمعاني المحبة والتقدير والإجلال، فيقول عنه:

"شيخ العلماء بالبلد الأمين المحدث الفقيه الرزين المولى السيد أحمد بن زين بن دحلان المكي قدس سره الملكي".[٤]

حـ: الشيخ عبد الرحمن السراج

هو كما يقول الإمام أحمد رضا خان البريلوي: "المولى الأجل الفقيه الأبجل درة التاج وبدر الداج مفتي الحنفية بمكة المحمية سيدنا الشيخ عبد الرحمن السراج بن المفتي الأجل عبد الله السراج الوهاج"[٥].

ولد بمكة المشرفة سنة ١٢٤٩هـ وحفظ القرآن الكريم، وتتلمذ على أبيه شيخ علمء مكة ، مفتي الأحناف الشيخ عبد الله السراج ، كما تلقى العلوم على كثير من العلماء الكبار بتلك الديار، وكان مجتهدا في الطلب مجدا فيه ، متميزا بين الأقران فصار أوحد علماء عصره وفقهائه وشعرائه، وحصل على إجازات أقطاب العلماء في زمانه، تفنن في علومه وأجاد في منثوره ومنظومه، فأصبحت له حلقة في المسجد الحرام وتتلمذ عليه طلاب العلم وتخرج جماعة منهم على يده. ولما توفي الشيخ جمال

---

(١) فهرس الفهارس ١/١٣٠

(٢) من أقطاب الأمة في القرن العشرين ص ٢٣

(٣) الأعلام ١/ ١٣٠، و هدية العارفين ١/١٩١

(٤) من أقطاب الأمة ص ٢٣

(٥) المصدر نفسه

عبد الله مفتي الأحناف ولى الشيخ عبد الرحمن هذا المنصب الذي أسنده إليه الشريف عبد الله بن عون أمري مكة[١].

أخذ عنه الإمام أحمد رضا خان إجازة الفقه سنة ١٢٩٥هـ،[٢] وتوفي هو سنة ١٣١٤هـ[٣].

ط: الشيخ حسين جمل الليل

هو الشيخ المبارك السيد الصالح حسين بن صالح جمل الليل المكي الشافعي الخطيب، الإمام بالمسجد الحرام، ولد بمكة المشرفة ونشأ بها وأخذ العلم والمعرفة عن أفاضل أهلها وتولى منصب مشيخة الخطباء والأئمة بمكة سنة ١٢٩٩هـ ، نصبه إياه أمير مكة يومئذ الشريف عبد المطلب، ولبث فيه إلى أن توفي بمكة سنة ١٣٠٥هـ . صلي عيه عند باب الكعبة ودفن في المعلاة ، وكان لطيفا حسن المفاكهة ناظما للشعر[٤].

****

(١) أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر، للأستاذ محمد علي المغربي ٣/٣٣٩-٣٤٠

(٢) تذكرة علماء أهل سنت ص٤٣

(٣) معجم المؤلفين ١٥٠/٥

(٤) انظر المختصر من كتاب نشر النور والزهر، للشيخ عبد الله مرداد أبو الخير ص ١٧٧.

المطلب الرابع

تلامذته

وكما كان إمامنا مجمعا فعالا في الكتابة والتأليف ، فألَّف ما يقارب ألف مؤلف ، كذلك كان مدرسة قائمة بذاتها ، تخرج فيها الفقهاء، والمحدثون، والدعاة، والمفكرون، وهم بكثرة كاثرة، حيث لا يدخلون تحت حد و عد ومن أشهرهم كما يلي:

أولا: الشيخ حامد رضا خان الملقب بـ " حجة الإسلام "

هو حامد رضا بن أحمد رضا بن تقي علي بن علي رضا خان. ولد في ربيع الأول سنة ١٢٩٢ هـ الموافق سنة١٨٧٥ م في بريلي، شمال الهند(١). سماه أبوه الإمام أحمد رضا خان بعد ولادته بـ"محمد" ثم أضاف إليه "حامد رضا" وكان الناس يطلقون عليه "مولانا الكبير" (بڑے مولانا) ، أما لدى أهل العلم والمعرفة فقد لقّب بـ "حجة الإسلام"(٢).

تلقى تعليمه المُبكر تحت وصاية والده أحمد رضا خان وأكمل دراساته الإسلامية الرسمية هو ابن تسعة عشر سنة. ولقد وفره الله تعالى قوة الوعي والحفظ وأعطاه ذهنا حادا وفكرا صوابا وكان مولعا بالكتابة والتأليف منذ صغره ، حيث كتب الحواشي على عديد من الكتب الدراسية في زمن تعلمه من أمثال: "الخيالي" و"التوضيح والتلويح" الهداية الجزءين الأخيرين" و"البيضاوي" و"الصحيح للبخاري"(٣).

تولى مهام التدريس في مدرسة أبيه التي كانت تسمى بـ " منظر الإسلام" في حياة أبيه حتى درّس الطلاب معظم الكتب الدراسية في الفنون العقلية والنقلية وكلما

---

(١) انظر تجليات خلفاء اعلى حضرت ص ١٠٤

(٢) انظر مقدمة الفتاوى الحامدية ٣٤/١

(٣) انظر تجليات خلفاء اعلى حضرت ص ١٠٥

تيسرت لـه فرصـة كـان يـأتي أبـاه ليأخـذ عنـه مزيـدا مـن العلـم حتـى أخـذ عنـه كثيـرا مـن العلـوم كالتوقيـت والهندسـة والتـاريخ أثنـاء زمـن التـدريس، حتـى بـرع فـي هـذه العلـوم، ومـن الشـواهد علـى مهارتـه فـي تسـمية الكتـب حسـب التـواريخ أنـه كـان يعـين أسـماء الكتـب بحسـاب الجمـل علـى الفـور، كمـا أنـه ألـف كتابـا فـي الـرد علـى ادعـاء القاديـاني الكـاذب وهـو ابـن ثـلاث وعشـرين سـنة وسـماه بحسـاب الجمـل "الصـارم الربـاني علـى أسـراف القاديـاني" قـد يبلـغ عـدد هـذا الاسـم إلـى ١٣١٥ وهـو نفـس العـام الـذي ألـف فيـه هـذا الكتـاب. وفـي سـنة ١٣٢٨هـ أسـس مسـجد لـدى محطـة القطـار ببلـد بريلـي وجـاء أهلهـا إلى حجة الإسلام ليسميه بالاسم التاريخي فأنشد على الفور:

قلـت سبـحن ربي الأعلى مـسجد أسس علـى تقوى(١٣٢٨)

فلمـا ارتحـل أبـوه الإمـام أحمـد رضـا خـان وذلـك فـي سـنة ١٣٤٠هـ كتـب الشـيخ حجـة الإسـلام لتعيـين سـنة وفاتـه هـذه الجمـل التاليـة التـي عـددها يسـاوي ١٣٤٠ بحسـاب الجمل:

- نور الله ضريح
- شيخ الإسلام والمسلمين
- إمام هداية السنة الحاج أحمد رضا
- رضي الله الحق عنه(١)

بـايع فـي الطريقـة علـى يـد العلامـة السـيد أبـي الحسـين أحمـد النـوري وأخـذ عنـه الإجـازة فـي السلسـلة القادريـة(٢) ، وسـافر حجـة الإسـلام إلـى الحـرمين الشـريفين لأداء

(١) انظر المصدر نفسه ص ١٠٦

(٢) مقدمة الفتاوى الحامدية ٢٤/١

فريضة الحج سنة ١٣٢٣هـ وكان معه في ذلك السفر أبواه الكريمان أيضا ولاقى كثيرا من علماء الحرمين الأكابر(١).

لقد كان حجة الإسلام يتقن اللغتين العربية والفارسية، و كَتب وترجم العديد من الكتب حول مجموعة متنوعة من المواضيع حيثُ كان يترجم كتب والده من اللغة العربية إلى اللغة الأردية. وإلى جانب ذلك ألف مؤلفات كثيرة ومن أشهرها:"الفتاوى الحامدية" يحتوي هذا الكتاب على الفتاوى التي كتبها هذا الشيخ مابين سنة ١٨٩٥م إلى ١٩٤٣م. و"الصارم الرباني على إسراف القادياني" و"الإجازات المتينة لعلماء بكة والمدينة" و"سد الفرار" و"أجلى أنوار الرضا" و"آثار المبتدعين لهدم حبل المتين" سلامة الله لأهل السنة من سبيل العناد والفتنة" و"حاشية ملا جلال" و حاشية كنز المصلي" و"تمهيد كفل الفقيه الفاهم" و"التمهيد والترجمة للدولة المكية " و"خطبة الوظيفة الكريمة" و" وقاية أهل السنة" و"المقالات الحامدية"(٢).

توفي العلامة حامد رضا خان في ١٧ جمادى الأولى ١٣٦٢ هـ الموافق ٢٣ مايو ١٩٤٣م، ودُفِن إلى جانب والده أحمد رضا خان في مسقط رأسه(٣).

ثانيا: العلامة مصطفى رضا خان الملقب بـ " مفتي الهند الأعظم "

هو العلامة الشيخ محمد مصطفى رضا خان القادري ابن الإمام أحمد رضا خان البريلوي، ولد ٢٢ من شهر ذي الحج ١٣١٠هـ الموافق ٧ يوليو سنة ١٨٩٣م في بلدة بريلي أترابرديش الهند(٤)، قرأ القرآن الكريم في بيت أبيه على أخيه الأكبر الشيخ حامد رضا خان في السنة الثالثة من عمره، ثم تلقى العلوم الرسمية بمدرسة

---

(١) المصدر نفسه

(٢) تجليات خلفاء أعلى حضرت ص ١٠٦

(٣) المصدر نفسه ص ١٠٧

(٤) انظر جهان مفتي أعظم ص ١٠١

"منظر الإسلام"[١]. وبما أنه كان ذكيا فطينا ومغرما بالعلوم الإسلامية سرعان برع في كثير من العلوم والفنون حتى تخرج في السنة الثامنة عشر من عمره ، وذلك سنة ١٣٢٨[٢]. وأشهر أساتذته هم: أبوه الشيخ الإمام أحمد رضا خان البريلوي و أخوه الأكبر حجة الإسلام الشيخ حامد رضا خان والعلامة الشيخ رحم إلهي المنغلوري(ت ١٣٦١) والعلامة السيد بشير أحمد علي جري (ت ...) والعلامة الشيخ ظهور الحسين الرامفوري (ت ١٣٤٢) [٣].

وبعد تخرجه من العلوم والفنون عُين أستاذا في "منظر الإسلام" سنة ١٣٢٨ه وجاء الطلاب من أنحاء الهند وخارجها ليأخذوا عنه ما أخذه عن أبيه من العلوم والمعرفة حتى تتلمذ على يده خلق كثير من العلما ء الأفاضل والذين لهم سمة وشهرة واسعة بين حلقات العلم من تلاميذه هم: العلامة المفتي أفضل حسين مونغيري والعلامة أبو البركات السيد أحمد لاهوري والمفتي محمد أحمد جهانغير الأعظمي والعلامة المفتي عبد المنان الأعظمي ، العلامة المفتي شريف الحق الأمجدي ، تاج الشريعة العلامة أختر رضا الأزهري البريلوي وغيرهم[٤].

وفي نفس السنة دخل الشيخ مصطفى رضا في دار الإفتاء الرضوي ذات يوم وقد اشتبه على العلامة ظفر الدين البيهاري والعلامة عبد الرشيد عظيم آبادي مسئلة من كتاب الرضاعة وهما يتحيران لحلها ، فأخذ الشيخ مصطفى رضا القلم وكتب الجواب على الفور، وإذا لاحظ الإمام أحمد رضا هذا الجواب أعجب به ودعا لابنه وأعطاه إجازة الإفتاء في نفس الوقت ، فأخذ في كتابة الفتاوى من ذلك اليوم تحت

---

(١) انظر تجليات خلفاء أعلى حضرت ١١٤
(٢) المصدر نفسه ص ١١٥
(٣) جهان مفتي أعظم ص ١٢٢
(٤) المصدر نفسه ص ١٢٣ ومقدمة فتاوى مفتي أعظم ٢٣/١

رعاية أبيه وبذل قصارى جهده في مطالعة كتب الأصول الفقهية حتى برز كفقيه عظيم وعالم نبيل ولُقّب بـ"المفتي الأعظم بالهند"(١).

وفي سنة ١٩٧٥م سافر إلى الحرمين الشريفين للحج وكان عمره قد تجاوز عن ثمانين، ومكث في حي "ميمن رباط" بمكة عدة أيام ، حيث حضر في حضرته كثير من العلماء والأدباء واستفادوا منه وأخذوا عنه الإجازة والخلافة في الطريقة(٢).

لقد ترك المفتي الأعظم مؤلفات قيمة تبلغ إلى خمس وأربعين كتبا منها كما يلي:

"وقعات السنان" و"نور الفرقان" و"إدخال السنان" و"سيف القهار" و"النكتة على مرآة كولكتة" و"الموت الأحمر" و"الملفوظ" و"الطاري الدراري لهفوات عهد الباري" و"الفتاوى المصطفوية" و"الحاشية على الفتاوى الرضوية المجلد الأول" و"الحاشية على التفسير الأحمدي" و"الفتاوى للمفتي الأعظم". وله ديوان شعر في المديح النبوي طبع باسم "سامان بخشش"(٣).

توفي الشيخ مصطفى رضا خان يوم الجمعة ١٤ من شهر المحرم الحرام سنة ١٤٠٢هـ الموافق ١٢ نومبر ١٩٨١م في بريلي وصلى عليه بعد صلاة الجمعة ألوف من الناس ودفن في جنب والده(٤).

ثالثا: المفتي أمجد علي الملقب بـ " صدر الشريعة "

هو الشيخ الأجل الفاضل الأبجل بحر العلوم والمعارف الأستاذ محمد أمجد علي بن الحكيم جمال الدين بن الشيخ خدا بخش بن خير الدين الأعظمي الشهير بصدر

(١) تجليات خلفاء أعلى حضرت ص ١١٧

(٢) جهان مفتي أعظم ص ١٢٤

(٣) المصدر نفسه ص ١٢٥

(٤) المصدر نفسه ص ١٤٠، وتجليات خلفاء أعلى حضرت ص١٢٤

الشـريعة وشـاع صـيته البقيـه الأعظـم للهنـد ، كـان بارعـا فـي العلـوم الدينيـة حاذقـا فـي التـدريس والتعلـيم حتـى أطلـق عليـه علمـاء عصـره " صـدر الأسـاتذة" ، كـان كثيـر الباعـة فـي الفقـه والحـديث . ولـد فـي قريـة غوسـي مـن مديريـة أعظـم جـراه سـابقا ومـؤ حـالا مـن الولاية الشمالية بالهند سنة ١٢٩٦هـ الموافق سنة ١٨٧٨م(١).

تعلـم فـي نشـأته علـى أخيـه الأسـتاذ محمد صـديق ، ثـم شـد رحالـه لتحصـيل العلـوم والفنـون إلـى عـدة شـيوخ مـاهرين فـي العلـوم الدينيـة بـارعين فـي الفنـون الأدبيـة ، ومـن أشـهرهم الشـيخ العلامـة هدايـة الله الرامفـوري والشـيخ وصـي أحمـد المحـدث السـورتي والشـيخ الطبيـب عبـد الـولي اللكنـوي، ثـم أتـى إلـى الشـيخ الإمـام أحمـد رضـا خـان البريلـوي وبـذل لديـه معظـم أوقاتـه يخـدم العلـوم الدينيـة ويعاونـه علـى خدماتـه العلميـة الجليلـة مـثلا إملاء الفتاوى وطباعة مصنفاته(٢).

كـان الفقـه أكبـر مجالاتـه العلميـة وأكثـر خدماتـه الدينيـة وسـرى فـي مذاقـه حتـى أصـبح فقيـه الهنـد وقـال عنـه شـيخه الإمـام أحمـد رضـا خـان : "إن الأسـتاذ أمجـد علـي أفقه فقهاء العصر."(٣)

وبعـد مـا تخـرج مـن العلـوم ألقـى الـدروس فـي عـدة مـدارس أمثـال المدرسـة منظـر الإسـلام بريلـي و المدرسـة المعينيـة العثمانيـة بـأجمير والمدرسـة الحافظيـة السـعيدية بـدادون مـن منـاطق علـي جـراه وغيرهـا، فتتلمـذ عليـه آلاف مـن الطـلاب مـن أنحـاء الهنـد وخارجهـا ونهلـوا مـن معينـه حتـى أصـبحوا بـارعين فـي العلـوم الدينيـة وأفاضـل العلمـاء فـي عصـرهم. وكـان العلامـة أمجـد علـي وحيـدا فـي تـدريس العلـوم والفنـون ومعروفـا بتـدريس

(١) اليواقيت المهرية لغلام مهر علي ص ٧٩، ومقدمة الفتاوى الأمجدية ١٨/١، وتذكره علماء أهل السنة لمحمود أحمد القادري ص٥١

(٢) المجلة الشهرية "رضاء مصطفى " ذي القعدة ١٣٧٩ ص ٣.

(٣) انظر ملفوظات أعلى حضرت ص ١٧٨

الأصـول والمنطـق، فـأثنى عليـه كبـار علمـاء الهنـد واعترفـوا بمهارتـه فـي التـدريس، حيـث قـال حجـة الإسـلام حامـد رضـا خـان رحمـه الله حـين رآه يجيـب أسـئلة المعترضـين:"كأنـه بحـر ذاخـر يمـوج"(١) وقـال الشـيخ حبيـب الـرحمن خـان الشـيرواني: "الأسـتاذ أمجـد علـي الأعظمي أستاذ وحيد في سائر بلاد الهند"(٢).

ومـن أشـهر تلامذتـه الفاضـل الجليـل الشـيخ عبـد العزيـز الشـهير بحـافظ الملـة مؤسـس الجامعـة الأشـرفية والشـيخ سـردار أحمـد المحـدث الأعظـم بباكسـتان والشـيخ حبيـب الـرحمن الشـهير بمجاهـد الملـة والـدين والفاضـل الجليـل الشـيخ حشـمت علـي خـان والشـيخ القاضـي شـمس الـدين جونفـوري والعلامـة السـيد غـلام جيلانـي المعـروف بإمـام النحو(٣).

لقـد تـرك الشـيخ أمجـد علـي الأعظمـي مؤلفـات قيمـة فـي الفقـه والفتـاوى منهـا سـبع عشـرة مجلـدات فـي الفقـه باللغـة الأرديـة المعروفـة بــ" بهـار شـريعت" محتويـة علـى المسـائل الفقهيـة علـى المـذهب الحنفـي ، وعليهـا يعتمـد فـي حـل الإشـكالات والمسـائل الفقهيـة، ومنهـا أربـع مجلـدات لفتـاواه، مجموعـة لجواباتـه عـن أسـئلة النـاس والعلمـاء بالـدلائل التفصـيلية، ومنهـا كشـف الأسـتار حاشـية شـرح معـاني الآثـار ، ومنهـا رسـالة قنوت النوازل، لحل مسئلة دعاء القنوت(٤).

لقـد قـام العلامـة أمجـد علـي الأعظمـي بزيـارة الحـرمين الشـريفين، فلمـا رجـع إلـى وطنـه ازداد شـوقا وعشـقا فلـم يـتمكن عـن رحلتـه الثانيـة إلـى الحـريم النبـوي فشـد رحالـه وذلـك عنـد مـا كـان عمـره أحـدا وسـبعين عامـا، ولكـن لمـا بلـغ إلـى مومبـائي حـان أجلـه

---

(١) انظر مقدمة كشف الأستار ص٣

(٢) المصدر نفسه

(٣) مقدمة الفتاوى الأمجدية ١/ ٢٣

(٤) تذكرة علماء أهل السنة ص٥٢، واليواقيت المهرية ص ٨٠

فتوفي هناك وذلك في ثاني ذي القعدة سنة ١٣٦٧هـ وأتي بجنازته إلى وطنه "غوسي" ودفن به[١].

رابعاً: الشيخ محمد الكشوشوي الملقب بـ " محدث الهند الأعظم "

هو العارف بالله شيخ المشايخ العلامة السيد محمد الكشوشوي بن حكيم الإسلام الشيخ السيد نذر أشرف بن العلامة السيد فضل حسين الأشرفي الجيلاني، كان عالما نبيلا ومحدثا كبيرا وخطيبا بليغا، ولد في ١٥ ذي القعدة سنة ١٣١١هـ الموافق ١٨٩٥م[٢].

قرأ القرآن الكريم وبعض الكتب الأساسية على أمه وتلقى الفارسية والعربية والهندسة وغيرها من أبيه في بيته، ثم التحق بالمدرسة النظامية بفرنغي محل لكناؤ والتي كانت من أشهر المدارس الإسلامية في شبه القارة آنذاك، وتتلمذ هناك على الشيخ عبد الباري إلى مدة ثماني سنوات حتى أكمل دراسته وتخرج وهو ابن أربعة عشر عاما. وبعد ما حصل على شهادة الفضيلة سافر من لكناؤ إلى علي جراه وحضر في حضرة العلامة المفتي لطف الله علي جري رحمه الله وقرأ منه أدق الكتب في المنطق والفلسفة كشرح التجريد وأفق المبين وغيرهما، ثم ترحل إلى فيلي بيت وأخذ علم الحديث عن العلامة وصي أحمد المحدث السورتي رحمه الله ، حيث قرأ الكتب الستة الصحيحة ومعاني الآثار والكتب الأخرى في الحديث وأصوله[٣].

وبينما هو في بيلي بيت أشاره خاله أن يأتي ببريلي ويأخذ عن الإمام أحمد رضا خان العلوم والفنون، فأتى هنا ومكث لدى الإمام أحمد رضا خان سنتين، وأخذ

---

(١) انظر مقدمة الفتاوى الأمجدية ٢٤/١، وتجليات خلفاء أعلى حضرت ص ٢٥٢، اليواقيت المهرية ص ٨٠.

(٢) تجليات خلفاء أعلى حضرت ص ٢١٣

(٣) انظر المصدر نفسه ص ٢١٥

عنه الفقه والفتاوى حتى صار فقيها ماهرا ، ثم أمره الإمام أحمد رضا خان أن يخصص في الحديث النبوي عند العلامة عبد المقتدر المروف بمطيع الرسول ببدايون لما كان له شهرة واسعة في علوم الحديث ، فأخذ عنه الشهادة في الحديث النبوي ولقب بـ "المحدث الأعظم بالهند" وهكذا تمّ سفره العلمي هذا في سبعة عشر عاما(١).

وأساتذته الذين لهم فضل عظيم في تكوين شخصيته هم أمه السيدة محمدي خاتون، وأبوه العلامة السيد نذر أشرف، والشيخ الإمام أحمد رضا خان، وأستاذ العلماء المفتي لطف الله علي جري، والعلامة عبد الباري، والعلامة وصي أحمد المحدث السورتي، والعلامة عبد المقتدر البدايوني، والعلامة السيد أحمد أشرف الكشوشوي رحمهم الله.

جاء إلى دهلي وقام بتأسيس مدرسة تسمى "مدرسة الحديث" تحت رياسة العلامة مير محمد ودرس علم الحديث فيها إلى إثنتي عشرة سنة وكذلك درّس "الرسالة القشيرية" و"قانون الطب" وغيرهما من كتب التصوف والطب إلى أن هاجر من دهلي إلى الكشوشة وعُين شيخ الحديث بـ "جامعة أشرف" ولم يزل يدرّس الحديث هناك إلى مدة مديدة، ومن أشهر تلاميذه العلامة سليمان الأشرفي باغلفوري، والعلامة المفتي أفضل الدين الأشرفي ، والعلامة السيد نعيم أشرف الأشرفي، وابنه شيخ الإسلام محمد مدني ميان الأشرفي الجيلاني(٢).

لقد ترك المحدث الأعظم مئات من المصنفات التي طبعت ونشرت في أنحاء العالم ومن أشهرها :"معارف القرآن" وإتمام الحجة" وبصارة العين" و"شيخ العالم"

---

(١) المصدر نفسه ص ٢١٦

(٢) المصدر نفسه ص ٢١٧

و"معظم الأبواب" و"سلطان المشايخ" و"كتاب الصلاة" و"تحقيق التقليد" و"سيرة الخلفاء" وما إلى ذلك.

توفي هذا العالم الرباني في ١٦ من شهر رجب المرجب ١٣٨١هـ الموافق ٢٥ من شهر ديسمبر سنة ١٦١م[١].

خامساً: العلامة محمد ظفر الدين البيهاري:

يعد العلامة محمد ظفر الدين القادري البيهاري من العلماء الهنود الذين لهم شهرة عظيمة بين الحلقات العلمية في أنحاء الهند وخارجها، ولد العلامة البيهاري في ١٠ من شهر محرم الحرام سنة ١٣٠٣هـ الموافق ١٩ من شهر أكتوبر سنة ١٨٨٠م بـ"رسولفور من مديرية بتنة بولاية بيهار الهند[٢]. سماه بعض أفراد الأسرد بـ"عبد الحليم" و سماه أبوه "مختار أحمد" ، ولكن اتفقوا على أن يسموه بـ" ظفير الدين" ولم يزل يُدعى بهذا الاسم إلى أن بدّله الإمام أحمد رضا خان رحمه الله بـ "محمد ظفر الدين" فاشتهر بذلك الاسم فيما بعد[٣].

وفي السنة الرابعة من عمره بدأ تعليمه في بيته حيث قرأ القرآن على أبيه والكتب الفارسية والأردية على الحافظ مخدوم أشرف والمولوي كبير الدين والمولوي عبد اللطيف، والتحق بالمدرسة الغوثية الحنفية بقرية "بين" من مديرية بتنة سنة ١٣١٢وقرأ هناك "تفسير الجلالين" و"مير زاهد" وغيرهما من الكتب المتوسطة[٤]، ثم أسست في عظيم آباد من المديرية نفسها المدرسة الحنفية تحت رياسة الشيخ القاضي عبد الوحيد الفردوسي (ت ١٣٢٦هـ) وعقد هناك في نفس السنة مؤتمرا دينيا دعا فيه

---

(١) لمصدر نفسه ٢١٨

(٢) انظر حياة أعلى حضرت ١٣/١ و جهان ملك العلماء ص ٣٥.

(٣) انظر المصدر نفسه ص ١٣

(٤) انظر جهان ملك العلماء ص ٣٦

العلماء المشاهير الهنود وعلى راسهم الإمام أحمد رضا خان رحمه الله، فعين هذا الإمام الأساتذة الكبار في المدرسة منهم الشيخ وصي أحمد المحدث السورتي رحمه الله ، فلما سمع عن تعيينه العلامة البيهاري التحق بهذه المدرسة في ٢٥ جمادى الأخرى سنة١٣٢٠هـ ، ليأخذ عنه علوم الحديث ، فقرأ عليه "المسند للإمام أبي حنيفة" و"مشكوة المصابيح" و"ملا جلال" وغيرها ثم بلغ إلى بريلي سنة ١٣٢١هـ[١] وكان يريد أن يتتلمذ على الإمام أحمد رضا خان ويأخذ عنه علم التفسير والحديث والفقه والتصوف وبعض العلوم النادرة كالهيئة والتكسير والجفر وما إلى ذلك، ولكن لم يتيسر له فرصة لذلك، لكون الإمام مشغولا بالفقه والإفتاء والتأليف والتصنيف ولكن لم تفتر عزيمته ، بل ركز انتباه العلامة حسن رضا خان البريلوي(ت ١٣٢٦هـ) أخي الكبير للإمام أحمد رضا خان، وحجة الإسلام الشيخ حامد رضا خان، والشيخ الحكيم محمد أمير الله البريلوي رحمهم الله إلى أن الحاجة ماسة بأن أسست هنا مدرسة ، وبالتالي قبل الإمام أحمد رضا خان رياسة هذه المدرسة ، فأسس دار العلوم منظر الإسلام[٢]، فكان أول من التحق بهذه المدرسة من الطلاب هو العلامة محمد ظفر الدين البيهاري، ثم التفت إليها ألوف من الطلاب من جوانب الهند وعين للتدريس جماعة من العلماء الأفاضل الذين يعتمد على علمهم. واستمر سفر العلامة البيهاري العلمي هذا إلى سنتين حيث درسه الإمام أحمد رضا خان نفسه الصحيح للبخاري ومرّنه الإفتاء وعلّمه الهيئة والتكسير والجفر وغيرها من الفنون الصعبة حتى خرج في

---

(١) انظر تجليات خلفاء اعلى حضرت ص ٣٩٧

(٢) انظر حياة أعلى حضرت ١/١٤

شعبان سنة ١٣٢٥هـ وأعطاه الإمام أحمد رضا خان شهادة الإفتاء والتدريس ولقّبه بـ "ملك العلماء" و "الفاضل البيهاري"[١].

وفي السنة نفسها عُيّن الفاضل البيهاري أستاذا في نفس المدرسة، ولم يزل يدرس التلاميذ إلى أربع سنوات ثم ذهب إلى مدارس أخرى بإيماء شيخه كأستاذ ورئيس الأساتذة ومن أشهر العلماء والأفاضل الذين تتلمذوا عليه السيد فريد الحق العمادي، والعلامة الحافظ عبد الرؤوف البلياوي(ت ١٣٩١) شيخ الحديث بالجامعة الأشرفية ، وشمس العلماء المفتي نظام الدين البلياوي(ت١٩٩٤م)، الشيخ المفتي غلام مجتبى الأشرفي (ت ٢٠٠٢م) ، وإمام الفن الشيخ خواجة مظفر حسين البورنوي (ت١٤٣٤هـ)[٢].

له إسهامات جليلة في خدمة العلم والدين، مصنفات عديدة في شتى الموضوعات أشهرها: "شرح كتاب الشفا" و"جامع الرضوي" و"التعليق على القدوري" و"جواهر البيان في ترجمة خيرات الحسان" و"حياة أعلى حضرت" في أربع مجلدات و"الوافية" و"سد الفرار" و"الجواهر واليواقيت" و"أطيب الاكسير"[٣].

توفي ملك العلماء الفاضل البيهاري في ١٩ من جمادى الأخرى سنة ١٣٨٢هـ الموافق ١٨ نومبر سنة ١٩٦٢م[٤].

سادساً: الداعية الكبير الشيخ عبد العليم الصديقي الملقب بـ " مبلغ الإسلام "

هو الشيخ العلامة عبد العليم الصديقي ميرتي ، كان كاتبا كبيرا وشاعرا عظيما و خطيبا بليغا وباحثا ذكيا في الإسلام والعلوم الحديثة وكان مشهورا في جميع أنهاء

(١) تجليات خلفاء أعلى حضرت ص ٤٠٠

(٢) المصدر نفسه ص ٤٠١

(٣) انظر حياة أعلى حضرت ٢٠/١، وتجليات خلفاء أعلى حضرت ص ٤٠٣

(٤) انظر جهان ملك العلماء ص ٤١٦ ، وتجليات خلفاء أعلى حضرت ص ٤٠٧

العالم لقيادته الروحية ونشر رسالة الأمل والسلام. ولد في ١٥ من شهر رمضان سنة ١٣١٠هـ الموافق ٣ من شهر أبريل سنة ١٨٩٢م في ميروت الهند[١]. قرأ القرآن الكريم وبعض الكتب الدراسية الابتدائية على أبيه الشيخ محمد عبد الحكيم حتى ارتكب ببراعة القرآن الكريم إلى ذاكرته عندما كان في أربع سنوات فقط من العمر[٢].

كان العلامة عبد العليم مولعا ومغرما بالخطابة من نعومة أظفاره وكان والده أيضا يرغبه ويشوقه إلى هذا المجال حتى وهبه الله تعالى قوة ومهارة في الخطابة ولم يبلغ بعد من العمر إلى تسع سنوات وفي نفس العمر ألقى خطابه العلمي الأول في مسجد الحي الجامع بميروت[٣].

تخرج من العلوم الإسلامية وكان ابن ستتة عشر سنة ثم توجه إلى الدراسات الحديثة في العلوم والقانون وحصل على شهادة الليسانس بالدرجة الأولى من كلية ميروت ، وكان يتردد أثناء ذلك على الإمام أحمد رضا خان ويقرأ عليه العلوم القرآنية والأحاديث النبوية ، والفقه الإسلامي، بل وكان يقضي عنده أيام العطلة كلها حتى أخذ عنه الإجازة في الطريقة إضافة إلى علوم الشريعة[٤]، وهكذا يعدّ العلامة الصديقي من أشهر تلاميذ الإمام البريلوي وأعظم خلفائه وقال عنه أستاذه وشيخه في قصيدة :

عبد علیم کے علم کو سن کر جہل کی بہل بھگاتے یہ ہیں

---

(١) انظر تجليات خلفاء أعلى حضرت ص ١٧٥

(٢) انظر المصدر نفسه ، و تذكره اكابر أهل السنة ص ٢٣٦

(٣) تذكره اكابر أهل السنة ص ٢٣٧

(٤) المصدر نفسه ص ٢٣٧

وبإشارة هذا الإمام سافر الشيخ عبد العليم بشكل مستمر لمدة ٤٠ عاما لجميع أنحاء العالم حتى يجاهد حبه للإصلاح والتنوير الروحي للبشرية تغطي جزءا كبيرا من العالم. وفي البلادان التي يزورها: الحجاز، وسنغافور، وماليزيا، وإندونيشيا، وتايلاند، وبورما، وفيتنام، وسيلان، والصين، واليابان، والفلبين، وموريشيوس، ومدغشقر، وجنوب أفرقيا، وكينيا، وبلجيكا، ومصر، وسوريا، وفلسطين، والأردن، والعراق، وفرنسا، جزيرة الهند الغربية، والولايات المتحدة الأمريكية ، وكندا وغير ذلك[١].

جاء إلى سنغافور عام ١٩٣٠م، لنشر رسالة الإسلام وجماله وجاهد بشكل مكثف في قضية الإسلام وألقى العديد من المحاضرات في سنغافور واجتذب الكثير من الناس إلى الإسلام. وفي عام ١٩٣٥م في مومباسا (كينيا) التقى مع الفكرة الأوروبية الشهيرة جورج برنادر شو، وأجاب ما سئل عنه هذا الفيلسوف الكبير وألقى أمامه تعاليم الإسلام بحيث اعترف هو أن الإسلام هو الدين الذي يليق بأن يقتدى به[٢]. وهكذا ذهب إلى أنحاء العالم لتبليغ الإسلام ودخل ألوف من الناس في الإسلام بتبليغه[٣].

وبالإضافة إلى هذه المساهمات الجليلة في مجال الخطابة والتبليغ ترك العلامة عبد العليم عديدا من المؤلفات التي تدل على ما عنده من فن الكتابة والتأليف ومنها: "ذكر الحبيب" في مجلدين و"كتاب التصوف" و"ربيع الشبيبة" (بهار شباب) و"أحكام رمضان" و"التعاليم الأساسية للإسلام" (إسلام كي ابتدائي تعليمات) و"أصول الإسلام"

---

(١) تجليات خلفاء أعلى حضرت ص ١٧٥

(٢) تذكره اكابر أهل السنة ص ٢٣٩

(٣) المصدر نفسه ص ٢٤٠

و"الإسلام والاشتراكية" و"حل المسائل البشرية" و"الحقوق النسوانية في الإسلام" و "إظهار حقيقة القادياني" وغيرها(١).

لقد استمر سفره هذا لتبليغ الإسلام إلى أربعين سنة ثم توفي هذا المبلغ الكبير في ٢٢من شهرذي الحجة سنة ١٣٧٤ هـ الموافق ١٢ من أغسطس سنة ١٩٥٤م في مدينة النبي ﷺ ودفن في جنة البقيع(٢).

*****

هذا ويذكر في تلامذته بعض الأعلام العرب الذين تلمذوا على يده ، وأخذوا منه الإجازة من أمثال الشيخ عبد الحي بن عبد الله الكتاني ، والشيخ أحمد الخضراوي المكي ، والشيخ السيد محمد سعيد المدني ، والشيخ عبد القادر الكردي ، وغيرهم – رحمهم الله تعالى(٣).

****

(١) المصدر نفسه ص ٢٤١

(٢) المصدر نفسه ص ٢٤٢، وتجليات خلفاء أعلى حضرت ص١٨٠

(٣) انظر حيات أعلى حضرت ٢١٥/٣

المطلب الخامس
ثناء العلماء عليه

لا شك أن الإمام أحمد رضا خان من أعظم الأ علام الهنديين، فقد قام بتأليف الكتب القيمة في كل مجال العلم حتى اعترف بشخصيته كل من قرأ تأليفاته من العرب والعجم، وقد قام العلماء بجمع آراء أهل العلم عن هذه الشخصية الفذة ومن أهم المؤلفات في هذا الموضوع : "*امام احمد رضا اور علماے مکہ مکرمہ*" للشيخ بهاء الدين الشاه، "*وامام احمد رضا کاملین کی نظر میں*" للسيد صابر حسين الشاه، و "*امام احمد رضا خان دیوبندی اکابرین کی نظر میں*" ، فنحن نكتفي بذكر بعض الآراء عن الإمام أحمد رضا خان.

- قال الدكتور حسين مجيب المصري في تقديمه لكتاب "الشيخ أحمد رضا خان البريلوي":

"ونحن إذا ذكرنا أحمد رضا خان فقد ذكرنا مفكرا وداعية إسلامية له من رفعة المكان في شبه القارة الهندية وغيرها من آفاق البلاد الإسلامية ، وكذا في بلاد الغرب، ولا عجب فهو عالم علامة في أصول الدين، وفقيه متبحر في شتى المذاهب والتيارات الدينية الإسلامية. إنه قطب من أقطاب الإسلام في القرن العشرين، وهو أعرف من أن يُعرّف، إنه يختلف عن كثير من أقطاب العلماء والفقهاء بكثرة ما أخرج من كتب قيل إنها تجاوزت الألف وهذا ما لا علم لنا بمثله عند من سواه من أهل العلم"(١).

- يقول عبد الحي الحسني :

(١) الشيخ أحمد رضا خان البريلوي ص ٢٣

"اشتغل (الشيخ البريلوي) بالعلم على والده، ولازمه مدة طويلة حتى برع في العلم وفاق أقرانه في كثير من الفنون لا سيما في الفقه الإسلامي ...... وسافر إلى الحرمين الشريفين عدة مرات وذاكر علماء الحجاز في بعض المسائل العلمية والكلامية، وألف بعض الرسائل أثناء إقامته بالحرمين ، وأجاب عن بعض المسائل التي عرضت على علماء الحرمين ، وأعجبوا بغزارة علمه وسعة اطلاعه على المتون الفقهية والمسائل الخلافية وسرعة تحريره وذكائه.

كان عالما متبحرا، كثير المطالعة واسع الاطلاع، له قلم سيال وفكر حافل في التأليف، تبلغ مؤلفاته ورسائله على رواية بعض مترجميه إلى خمس مائة مؤلف أكبرها " الفتاوى الرضوية" في مجلدات كثيرة ضخمة ..... يندر نظيره في عصره في الاطلاع على الفقه الحنفي وجزئياته، يشهد بذلك مجموع فتاواه وكتابه "كفل الفقيه الفاهم في أحكام قرطاس الدراهم" الذي ألفه في مكة سنة ثلاث وعشرين وثلاث مائة وألف، وكان راسخا طويل الباع في العلوم الرياضية والهيئة والنجوم والتوقيت، ملما بالرمل والجفر، مشاركا في أكثر العلوم[(١)]."

- يقول العلامة الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني في تقريظ له على الدولة المكية بالمادة الغيبية":

لما تشرفت بالمحاورة في أعتاب سيد المرسلين في بلدته الطاهرة ومدينته المنورة في هذا العام ١٣٣١هـ. طلب مني بعض العلماء الأفاضل من أهل السنة والعترة الطاهرة من أهل المدينة المنورة أن أقرظ هذا الكتاب المسمى بالدولة المكية بالمادة الغيبية تأليف العلامة الشيخ أحمد رضا خان الهندي وكان قبل ذلك كاتبني إلى بيروت في هذا المعنى الشيخ الفاضل العالم الكامل الشيخ كريم الله الهندي ، فلما

(١) نزهة الخواطر ٨٢/٨

أرسله إليّ هذه المرة السيد عبد الباري حفظه الله قرأته من أوله إلى آخره فوجدته من أنفع الكتب الدينية وأصدقها لهجة وأقومها حجة لا يصدر مثله إلا عن إمام كبير وعلامة نحرير ، فرضي الله عن مؤلفه وأرضاه وبلغه من كل خير مناه[١]."

- يقول الشاعر الإسلامي العلامة الدكتور محمد إقبال:

"إن شبه القارة الهندية من أقصاها إلى أقصاها لم يولد فيها من يشبه أحمد رضا خان في عبقريته التي لا يجود الزمان على أحد بما يدانيها ، وهذا واضح بالوضوح الأتم في فتاواه ، إنها شاهد صدق على حدة ذكائه وعمق تفكيره في تدبر مايبدي الرأي فيه على أنه الفقيه الحق بالأصح الأدق الذي تضلع من شتى علوم الدين على نحو لا نصادفه عند غيره.

إنه دأب على تعميق التفكر والتأمل قبل الإعلان عن رأيه، فهو لا يبدي رأيه من فراغ، بل على النقيض من ذلك، يلتمس إليه كل وسيلة لترجيح ذلك الرأي ، وترتب على أنه عرف في جزم ويقين أنه رأيه هو الصواب الأصوب، ولذلك فإنه في غنية عن الرجوع عما قاله في شتى الفتاوى ، ويسعنا قولنا: إنه يعد أبا حنيفة في عصره الحاضر[٢]."

وقال بعضهم معبرا عن وقع شعر أحمد رضا عند العلامة إقبال :

"اتفق في عام ١٩٢٥م أن جميعة سيالكوت الإسلامية أقامت حفلها السنوي تحت رياسة "محمد إقبال" وأنشد منشد مدحة مما نظم أحمد رضا أولها:

زہے عزت و اعتلائے محمد   کہ ہے عرشِ حق زیرِ پائے محمد[٣]

(١) الدولة المكية بالمادة الغيبية ص ١٢

(٢) مقالات يوم رضا ١٣٨/٣

(٣) حدائق بخشش ص ٤٠

وجاء دور إقبال في إلقاء كلمته ، فقال بيتين عفو الخاطر في نفس البحر والرديف في قصيدة أحمد رضا وقال: والحق أنه كان عالما ذكيا، دقيق الفكر ، وكانت له مرتبة رفيعة في التفقه ، يعرف مواهبه الاجتهادية العالية من مطالعة فتاواه وكان من نوابغ الهند ، يصعب علينا أن نجد في الهند فقيها طباعا ورجلا ذكيا مثله في عصر المتأخرين [١].

- قال الدكتور فرمان فتحبوري ، وهو من أساتذة الأدب الأردي:

"إن شبه القارة الهندية أنجبت أعاظم العلماء المتضلعين من شتى العلوم بيد أننا لا نقع فيهم على شاعر من الطراز الأول إلى كونه علامة في العلوم الإسلامية وقد وجدنا هذا في أحمد رضا خان ، ولقد تبوأ منزلة رفيعة في الشعر ، وبذا شخصية أحمد رضا خان تعد مباينة لشخصية سائر علماء شبه القارة . غنه من علماء الدين الحنيف، غير أنه شاعر االمديح النبوي الشريف بخاصة . وتلك منزلته في الأدب الأردي . إن ما نظم من شعر يمتدح به خير البرية ﷺ يقع موقعه العميق في قلوب مسلمي الهند. وعلى ذلك إذا نظرنا في مدائحه النبوية أيقنّا أنه أعظم شاعر امتدح رسول الله ﷺ ، إنله الدرجة على جميع معاصريه من الشعراء في هذا الفن من فنون القريض، ومما يؤيد ذلك ويؤكده أن الشاعر محسن الكاكوري وهو من مشاهير شعراء المديح في عصره تأثر به ، وضرب على قالبه في مدائحه. أما خصائص مدائح أحمد رضا النبوية فمتسمة بالوضوح ، فمعانيها في ظاهر ألفاظها، وغرض الشاعر يدرك في غير عسر ومشقة . وهذه ميزة جعلت شعره شعرا يتفهمه ويتذوقه المتلقون على تفاوت حظوظهم من علمهم. وحسنا أن نشير إلى أن مدائحه تنشد في المحافل الدينية الخاصة ، وندوات السيرة النبوية العامة . وإذا سمعها المسلمون

---

(١) أعلى حضرت كي شاعري پر ايک نظر ص ٢٧

استخفهم الطرب وبلغ مبلغه العجب ، ولسنا نعرف ولا نكاد ، مسلما في شبه القارة ليس في محفوظه أشعار مما فاضت بها قريحة أحمد رضا خان في مديح سيد الأنبياء ﷺ." (١)

- يقول الدكتور محي الدين الواتي:

"قديما قيل : إن التحقيق العلمي الأصيل والخيال الذهني الخصيب لا يجتمعان في شخص واحد ولكن المولينا أحمد رضا خان كان قد برهن على عكس هذه النظرية التقليدية ، فكان شاعرا ذاخيال خصيب وتشهد له بذلك دواوينه الشعرية باللغات الفارسية والأردية والعربية." (٢)

- يقول شاعر الأردية ماهر القادري

"إن مما لا شك فيه أنّ أحمد رضا خان كان مجمع العلوم الإسلامية والعربية، وعلى اطلاع واسع بعلوم الرياضيات . وكان شاعرا مجيداً، له قصائد جياد إلى جانب ثقافته الإسلامية الواسعة . لقد قال في المديح النبوي ، ولكن على نحو خاص ، فما ركن إلى النظم في هذا الفن إلى الشعر الرمزي المجازي . وفي هذا الصدد يُذكر أن حسن رضا الأخ الأصغر لأحمد رضا خان الذي كان شاعرا مجيدا وتلميذا لشاعر الأردية الأشهر الأستاذ داغ الدهلوي الذي كان أستاذا للدكتور محمد إقبال هذا الشاعر قرأ ذات مرة مطلع قصيدة في شعر أخيه على أستاذه داغ ، فأعجب بها كل الإعجاب، فقال : أ يمكن لعالم عظيم من علماء الدين أن ينظم مثل هذه القصيدة."(٣)

ويُقال إن مطلع القصيدة التي أعجب بها الأستاذ كالتالي:

---

(١) جهانِ رضا، لمؤيد أحمد الجشتي ص ٢٠٦

(٢) جريدة صوت الشرق القاهرة ، فبراير ١٩٧٠م.

(٣) أعلى حضرت كي شاعري پر ايک نظر ص ٢٥-٢٦

ان کی مہک نے دل کے غنچے کھلا دیے ہیں   جس راہ چل گئے ہیں کوچے بسا دیے ہیں

- وممن خالفوا في الرأي كذلك من يسمى أشرف علي التهانوي.

ولكن حينما مر بسمعه خبر وفاة أحمد رضا ترحم عليه وقال: إنه خالفنا في رأيه، ولكننا لا نرى في ذلك بأسا ولا يغض هذا الخلاف في الرأي من أنه صاحب رأي لازم أن يعتد به ، ويميل إليه من يميل كما يميل عنه من يميل ، لأن وجهات النظر لا بد أن تتباين ، بغير هذا التباين سيصيب العلم الجمود والخمود، ولقد أفتى بكفرنا لما تيقن أننا ارتكبنا جريمة إهانة المقام النبوي ، ولولم يكفرنا مع وجود هذا اليقين لديه لكفر هو بنفسه[١]."

- يقول الشيخ أبو الأعلى المودودي:

"إن الشيخ أحمد رضا خان لقد أعطاه الله كثيرا من العلوم والفنون وله مكانة مرموقة في قلبي ، والحق أن له دقة النظر وإصابة الفكر، وقد يعترف علمه وفضيلته كل من يتفقه أو يختلفه. وأرى أنه من العلماء الأفاضل الذين لهم عبرة وشهرة بين الناس ، وإنني معترف بمساهماته العلمية والدينية وإن كان لي رأي يختلف عن رأيه في بعض المسائل"[٢].

- يقول الأستاذ محمد مجيد السعيد رئيس جامعة صدام بغداد:

" كان شاعرنا محمد أحمد رضا خان يتمتع بعبقرية وألمعية وبموهبة نادرة وذكاء حاد وقدرة فائقة على الحفظ والاسترجاع وسرعة بديهة منذ طفولته ونعومة أظافره وأيام شبابه وكهولته، وقد أهلته هذه الإمكانات الذهنية أن يمنح إجازة الفتوى هوه لما يزل في الثالثة عشر من عمره. وهي درجة علمية لا يطالها الآخرون إلا بعد جهد ومشقة

---

(١) جهان رضا ص٢٠٤-٢٠٥، و من أقطاب الأمة ص ٣٥

(٢) مقالات يوم رضا ص ٤٠

ومعاناة. فكان دؤوبا يصل الليل بالنهار قارئا وباحثا ومؤلفا. لم يتحدد نشاطه واهتمامه بعلم أو بفن واحد معين بل كان متنوع المعارف والاهتمامات." [١]

****

(١) شاعر من الهند ص ١٩

المطلب السادس

وفاته

انتقل الشيخ الإمام أحمد رضا خان البريلوي إلى جوار ربه في يوم الجمعة المبارك ٢٥ من شهر صفر سنة ١٣٤٠هـ الموافق ٢٨ من أكتوبر سنة ١٩٢١م بمدينة بريلي التي تشرفت بحياته وطاب ثراها بضم جثمانه[١]. وفي هذا يقول الأستاذ حازم محمد أحمد:

"بعد عمر طال خمسة وستين عاما (حسب التقويم الميلادي) تنبأ الشيخ أحمد رضا خان بوفاته وتحقق ما تنبأ به، وتوفي في نفس السنة التي تصور أنها زمان وفاته، فقد أقدم في الثالث من شهر رمضان عام تسعة وثلاثين بعد الثلاثمائة والألف للهجرة الوافق للعاشر من شهر مايو عام واحد وعشرين بعد التسعمائة والألف للميلاد، وقبل رحيله بأربعة أشهر وإثنين وعشرين يوما بادر إلى استخراج عام رحيله بحساب الجمل من قوله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآَنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾.[٢]

وفي الساعة الثانية وسبع وثلاثين دقيقة من ظهر يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر صفر عام اربعين بعد الثلاثمائة والألف للهجرة الموافق للثامن والعشرين من شهر أكتوبر عام واحد وعشرين بعد التسعمائة والألف للميلاد رحل الشيخ احمد رضا خان إلى الرفيق الأعلى ، وعند ما شاع خبر رحيله أقبل الألوف من علماء وأدباء وساسة أهل السنة للمشاركة في تشييع جنازته ، وقد روى مولانا يسين أختر المصباحي أنه قد شوهدت الشوارع المودية من مدينةن بريلي إلى الميدان الفسيح المخصص لصلاة العيدين والذي شهد صلاة الجنازة يزدحم بآلاف من أهل

---

(١) المصدر نفسه

(٢) الإنسان : ١٥

السنة والجماعة الذين اشتركوا في أداء صلاة الجنازة، وبدأت الجرائد والمجلات في جميع أنحاء شبه القارة تنشر خبر وفاته مع معلومات عن حياته ومؤلفاته وخدماته الدينية، وتصفه بأنه الإمام العالم الجليل الذي ترك بوفاته فراغا لا ينسد"(١)

مضى الشيخ إلى ربه بعد أن أدى الذي عليه، تاركا وراءه تراثا عظيما ينتفع به، وتلامذة ومريدين لا يحصون حملوا أفكاره وأصابوا من أنواره، ثم فوق هذا وذاك، طاقة من الحب تسع الكون بأسره ما يوافقها محظوظ إلا سعد بها في الدنيا قبل سعادة الآخرة.

يأيها المزجي المطية سادرا	قف بالمجدد وارث النعمان
عرفت بريلي في البلاد بأن فيـ	ـها مضجعا للعالم الرباني
من أجله جادت عليها مزنه	من رحمة الجبار بالتهتان
هو درة في مفرق الدنيا وتا	ج كرامة من خالص العقيان
ودعا إلى حب النبي وآله	أبناء إسلام من كل مكان
فعليه رحمة ربه وسلامه	ما غرد الأطيار بالألحان
مادام تلمع في السماء نجومها	وتبسم الأزهار بالبستان(٢)

****

(١) الإمام الأكبر المجدد أحمدرضا خان والعالم العربي ن للأستاذ حازم محمد أحمد ص ٤٧-٤٨.
(٢) المصدر نفسه

المبحث الثاني

آثارالإمام أحمد رضا خان البريلوي

إن الشيخ أحمد رضا خان وجه اهتمامه البالغ إلى التصنيف والتأليف لنشر الوعي الإسلامي والحث على حب الرسول ﷺ وتحريك العواطف للإرتواء من هذا الحب، ومقاومة البدع والمنكرات السائدة في شبه القارة آنذاك، فصنف في موضوعات شتى وعلوم كثيرة، كما يقول العلامة البهاري:

"إن الله تعالى جعله جامعا لعلوم وفنون حيث إنه بتوفيق الله تعالى وبفضل جهوده في مجال العلم وذكائه الموهوب استطاع أن يؤلف في خمسة وخمسين علما وفنا. (١)"

ولقد أعطاه الله قلما سيالا وفكرا صائباً حيث اعترف ببداهة تحريره وجودة تأليفه كثير من العلماء والأدباء كما يقول السيد أبو الحسن علي الندوي:

"إن الإمام أحمد رضا ذهب بسبب مرضه في ٢٩ من شعبان سنة ١٣٣٩هـ/١٩٢١م إلي بهوالي من مديرية نيني تال بالولاية الشمالية ليستريح وليستجم نفسه هناك ، وكان قد أرسل أثناء إقامته ببهوالى مكتوبا إلى القاضي غلام ياسين – من أهل ديره غازي خان بمقاطعة بنجاب التابعة لباكستان حاليا – بعد شهر وستة وعشرين يوما في ٢٦ من ذي القعدة سنة ١٣٣٩هـ/ ١٩٢١م كتب فيه : لقد ألفت حتى الآن خمس رسائل بعد قدومي هاهنا والسادسة في طريقها للتأليف ومما يسترعي الانتباه أنه كان مصابا بمرض شديد في ذلك الحين ولم يكن لديه كتاب وانتقل إلى رحمة الله تعالى بعد ذلك بثلاثة أشهر في صفر سنة ١٣٤٠هـ/١٩٢١م

(١) حياة أعلى حضرت ٢٣/٤

ورغم ذلك كله لا يبدو من كتاباته التي صدرت منه أيام مرضه أنه كان مريضا أو يعوزه الكتب لأن ذاكرته القوية كانت بنفسها بمثابة مكتبة ضخمة ، أما عدد تصانيفه وشروحه وحواشيه فهو ما بين خمسمائة إلى ألف"(١).

لقد قام الباحثون والعلماء باستخراج ما برع فيه الإمام أحمد رضا خان من العلوم والفنون من مصنفاته هذه وهي خمسة وخمسون فنا كما يقول الدكتور مسعود أحمد:

" ولم يزل بعد تخرجه يبحث ويكتب ويستزيد بدراسته ومطالعته أنواعا من العلوم والفنون حتي برع في خمسة وخمسين علما وفنا ، وقد سرد تفاصيل تلك العلوم والفنون في كتاب له ونذكرها فيما يأتي نقلا عنه : القرآن ، الحديث ، أصول الحديث، الفقه ، أصول الفقه ، تفسير، أصول التفسير، العقائد ، الكلام ، النحو ، الصرف، المعاني ، البيان ، البديع ، المنطق ، الفلسفه ، المناظرة ، التكسير ، الحساب ، الهيئة ، الهندسة أما بقية العلوم والفنون فعدة منها أخذها عن غير أبيه من العلماء والأساتذة وقد تمهر في أكثرها بذهنه المتوقد الموهوب وهي فيما يلي : القراءة والتجويد، التصوف ، السلوك ، الأخلاق ، أسماء الرجال ، السير ، التاريخ، اللغة ، الأدب بجميع فنونه ، الأرثماطيقي ، الجبر والمقابلة ، الحساب الستيني، اللوغارثمات، التوقيت ، المناظر والمرايا ، الأكر ، الزيجات ، المثلث الكروي ، المثلث المسطح ، الهيئة الجديدة المربعات ، الجفر ، الزائرجة ، النظم العربي ، النظم الفارسي ، النظم الأردي، النثر العربي، النثر الفارسي ، النثر الأردي ، خط النسخ ، خط النستعليق، الفرائض وغيرها." (٢)

---

(١) امام احمد رضا ديوبندى اكابر كى نظر مىں ص ٨٧

(٢) الشيخ أحمد رضا وشيئ من حياته ص ٦٧

أما عدد مصنفاته فقد ذكر ابنه حامد رضا خان أن عدد مؤلفات والده تربو على أربعمائة كتاب، وذكر تلميذه الشيخ ظفر الدين البهاري أن مؤلفات أستاذه تزيد على ستمائة . ومنهم من أوصل الرقم إلى ألف كتاب[١]. وهذه المؤلفات في اللغات الثلاث: العربية والفارسية والأردية والكتب التي ألفت بالعربية قد برئت من أي نكتة أعجمية ، بل جاءت بلسان فصيح كأن الكاتب من العرب الذين يفتخرون ببلاغتهم وفصاحتهم، وأروع ما جرى به قلمه في النثر العربي مقدمة كتابه "العطايا النبوية في الفتاوى الرضوية" جاء فيه:

"الحمد لله هو الفقيه الأكبر، والجامع الكبير لزيادات فيضه المبسوط، الدرر الغرر ، به الهداية، وإليه النهاية، بحمده الوقاية، ونقاية الدراية، وعين العناية، وحسن الكفاية، والصلوة والسلام على الإمام الأعظم للرسل الكرام، مالكي وشافعي وأحمد الكرام، يقول الحسن بلا توقف، محمد الحسن أبو يوسف، فإنه الأصل المحيط، لكل فضل بسيط، ووجيز ووسيط، البحر الزخار، والدرر المختار، وخزائن الأسرار وتنوير الأبصار، ورد المحتار، على منح الغفار، وفتح القدير، وزاد الفقير، وملتقى الأبهر، ومجمع الأنهر، وكنز الدقائق، وتبيين الحقائق، والبحر الرائق، منه يستمد كل نهر فائق، فيه المنية، وبه الغنية، ومراقي الفلاح، وإمداد الفتاح، وإيضاح الإصلاح، ونور الإيضاح، كشف المضمرات، وحل المشكلات، والدرر المنتقى، وينابيع المبتغى، وتنوير البصائر، وظواهر الجواهر، والبدائع النوادر، والمنزه وجوبا عن الأشباه والنظائر مغني للسائلين، ونصاب المساكين، والحاوي القدسي، لكل كمال قدسي وإنسي، الكافي الوافي الشافي، المصفى والمصطفى المستصفى، المجتبى المنتقى الصافي، عدة النوازل،وأنفع الوسائل، لإسعاف السائل، بعيون المسائل، عمدة الأواخر

(١) انظر من هو أحمد رضا خان ص ٢٢

وخلاصة الأوائل، وعلى آله وصحبه، واهله وحزبه، مصابيح الدجى، ومفاتيح الهدى، لا سيما الشيخين، الصاحبين، الآخذين من الشريعة والحقيقة بكلا الطرفين، والختنين الكريمين، كل منهما نور العين، ومجمع البحرين، وعلى مجتهدي ملته، وأئمة أمته، خصوصا الأركان الأربعة، والأنوار اللامعة، وابنه الأكرم، الغوث الأعظم، ذخيرة الأولياء، وتحفة الفقهاء، وجامع الفصولين، فصول الحقائق والشرع المهذب بكل زين، وعلينا معهم، وبهم ولهم يا أرحم الراحمين، آمين آمين، والحمد لله رب العالمين(١)."

يقول الدكتور الأستاذ حسين مجيب مصري بعد سرد هذه العبارة :

"وبالنظر في هذا النثر يستبين لنا أنه يتسم بالسلاسة والكلام فيه ينحدر في ماء واحد آخذا بعضه برقاب بعض دونما تكلف أو إقحام ، إن جمله قصار على غير ما نصادف في النصوص العربية المنسوبة إلى العرب، وسجعه يأتي عفوا والمعنى في ظاهر اللفظ يدرك من غير كد للذهن وإعنات للروية. إنه خلو من البديع المتكلف لا إفراط فيه في الصناعة، تلك الصناعة التي غالبا ما تطمس المعنى وتصرفه عن وجهه وتجعل الكلام تلعبا بالألفاظ يهمل فيه اللفظ، فاللفظ على قدر المعنى لا يكلف الكاتب اللفظ ما لا يحتمل من المعنى(٢)".

وهذا هو أسلوبه في الكتابة بالعربية أما مؤلفاته بغير العربية فيعنون لبعضها عنوانا بالعربية محتفظا فيه بالسجع اللطيف المنبئ عن مضمون الكتاب المراعي بحساب الجمل، يقول الأستاذ حازم محمد أحمد في هذا الصدد:

" إنه اختار لأغلب مصنفاته أسماء مسجوعة دالة على عام تأليفها بحاب الجمل، وكان يراعي عن اختياره أغلب مؤلفاته ما يأتي:

---

(١) العطايا النبوية في الفتاوى الرضوية ١/ ٨٣-٨٤

(٢) المنظومة السلامية ص١٢

١.أن يكون اسم الكتاب مسجوعا مقفى.

٢.مراعاة موضوع الكتاب أو الفن الذي ألفه فيه، فكما يقال:"العنوان دليل على ما فيه" فنجد هذه المقولة منطبقة تماما على مصنفاته.

٣.استخراج عام التأليف من عنوان الكتاب

٤.اختيار عنوان بالعربية في الأغلب لمصنفاته العربية والأردية والفارسية.

٥.اختيار كلمات مفهومة للعامة والخاصة من العرب وغيرهم على حد سواء، أي اختيار كلمات فصيحة من اللغة العربية المعاصرة. [١]"

وإليكم بعض تلك الأسماء على سبيل المثال:

- العطايا النبوية في الفتاوى الرضوية
- الفضل الموهبي فيما إذا صح الحديث فهو مذهبي
- الزبدة الزكية في تحريم سجود التحية
- جمل النور في نهي النساء عن زيارة القبور

يلاحظ أن مؤلفات الشيخ الإمام أحمد رضا خان يبلغ عددها إلى الألف كما سبق منا آنفا، حيث يصعب علينا أن نتعرض لجميعها بالتفصيل والتعريف والتحليل، فسنكتفي بالإشارة إلى بعض مؤلفاته الهامة التي ذاع صيتها وانتشرت في أوساط العلماء والباحثين في شبه القارة الهندية وفي غيرها من بلاد المسلمين:

أما تصانيف الإمام أحمد رضا فقد علمت أنها كثيرة ولكن تصانيفه الآتية تحتل مكانة مرموقة وهامة جدا لبعض الوجوه والاعتبارات، ولذلك أذكر إليكم بعض المؤلفات المهمة له وهي كالتالي:

الف: العطايا النبوية في الفتاوى الرضوية

---

(١) بساتين الغفران ص ٢٣٣-٢٣٤

هو في إثني عشر مجلدا ضخما، وقد طبع لأكثر من مرة، وهذه المجدات تحتوي على ثلاثة وتسعين و ثلاثمائة وسبعة آلاف صفحة وقد ضمت إليها أكثر من مائة رسالة أيضا و التى هي أبحاث علمية مستقلة، وأفرد الإمام أحمد رضا لكل منها اسما تاريخيا بحساب الجمّل، والكتاب يضم معظم فتاواه واجتهاداته الفقهية على وفق مذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله.

وتبدو مكانة الفتاوى الرضوية ومنزلتها بما قاله الدكتور محمد إقبال في جلسة علمية معبرا عن رأيه حولها وهو فيما يلي : "يقدر بمطالعة فتاواه أنه يحظى بالمواهب الاجتهادية السامية"(١) وقال معين الدين أحمد الندوي رئيس تحرير مجلة "معارف" الشهيرة سابقا والتي تصدر من دار المصنفين بأعظم كراه معلقا على الفتاوى الرضوية:

"كان الإمام أحمد رضا متعمقا ومتوسعا في العلوم الدينية بالأخص في الفقه والحديث ، وما أجاب به عن أسئلة العلماء بدقة الملاحظة والاستقصاءالكامل لهو دليل واضح على جامعيته وبصيرته العلمية، وذكائه، وألمعيته النافذة ، إن فتاواه العلمية التحقيقية لجديرة بأن يطالع كل من رزق نصيبا من العلم سواء كان من مخالفيه أو من موافقيه"(٢).

ب. كنز الإيمان في ترجمة القرآن

تعد هذ الترجمة مآثر الإمام أحمد رضا الخالدة على طول الزمان وهي خير دليل على ما كان لصاحبها من علم غزير وإيمان صادق واطلاع واسع وتبحر كامل بالغتين العربية والأردية ، وقد استحسنها علماء أهل السنة وامتدحوها وأثنوا عليها

---

(١) مقالات يوم رضا ١٠/٣

(٢) مجلة معارف الشهرية الصادرة من اعظم جراه عدد سبتمبر عام ١٩٤٩م

وعلى صاحبها نشر كنز الإيمان سنة ١٣٣٠هـ الموافق لسنة ١٩١١م أي قبل وفاة الإمام أحمد رضا خان بعشر سنين وكان في ذلك الوقت يوجد كبار العلماء لكل مسلك ومذهب ، ولكنه لم يستطع أحد منهم أن يطعن فيها أو يعترض عليها من أى ناحية ، بينما كتب عدة من العلماء والمفكرين مقالاتهم القيمة باللغة الأردية التى تبين محاسن هذه الترجمة وأهميتها، كما يكتب العالم السلفي الشيخ سعيد بن عزيز يوسف زئي في مقالته معبرا عن مميزات كنز الإيمان الهامة:

"إنها أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم روعي فيها علو حضرته تعالى وجلالته وعظمته ومجده وكبرياؤه عند ترجمة معانى الآيات المتعلقة بذاته تعالى ولا توجد هذه المزية في غيرها من التراجم القرآنية ، سواء كانت من علماء أهل الحديث أو من أصحاب مدرسة فكرية أخرى، كما راعى الإمام أحمد رضا في ترجمته لمعاني آيات تتعلق بسيد الأولين والآخرين ، حبيب رب العالمين ، إمام الأنبياء ، شفيع يوم الجزاء محمد المصطفى ﷺ ، راعى في الترجمة مكانته السامية ومنزلته الرفيعة ولم يساير في هذا الصدد مع غيره من المترجمين الذين أتوا بترجمة لمعاني هذه الآيات من الناحية اللغوية والحرفية فحسب، وهذه فضيلة تخلو منها التراجم الأخرى تماما"[١].

لقد شاع كنز الإيمان بين مسلمي شبه القارة ثم ترجمت إلى عدة لغات العالم كالإنجليزية والسندية والبنغالية وغيرها، وطبعت عشرات الطبعات[٢]، كما قام خليفة الإمام أحمد رضا خان الشيخ السيد محمد نعيم الدين المراد آبادي بتعليقات على كنز

---

(١) *كنز الإيمان اہل حديث كي نظر ميں*، سعيد بن عزيز يوسف زي، و

(٢) انظر المنظومة السلامية ص ٣٣

الإيمان مختصرة في كلماتها جامعة في معانيها، سماها "خزائن العرفان في تفسير القرآن" ، والتي صدرت على هامش كنز الإيمان.

جـ. جد الممتار علي رد المحتار

هذه حاشية جليلة على رد المحتار شرح الدر المختار للعلامة ابن عابدين الشامي رحمه الله تعالى (ت ١٢٥٢هـ/ ١٨٣٦م) والكتاب يضم مجموعة من فتاوى الإمام أحمد رضا خان وآرائه الفقهية، وتعد من مآثره التاريخية العظيمة، ولم يظهر كتاب إلى الآن على رد المحتار مثل هذا الكتاب، وهو يوضح "ردّ المحتار" توضيحا جميلا، ويكشف عن عباراته العويصة ويحل مواضعه المغلقة ويتدفق بالبحوث الوجيزة النادرة والتحقيقات العجيبة الأنيقة(١)، والكتاب في جزئين وقد حققه واعتنى بتصحيحه أعضاء المجمع الإسلامي بمباركفور، وقام مركز بحوث الإمام أحمد رضا الكائن في كراتشي بطبع هذه الحاشية من باكستان سنة ١٩٨٤م.

د.الدولة المكية بالمادة الغيبية

يقول الدكتور مسعود أحمد عن هذا الكتاب:

"لما وصل الإمام أحمد رضا إلى أرض الحجاز المقدسة لأداء حجه الثاني و لزيارة الحرمين الشريفين عام ١٣٢٣هـ الموافق لعام ١٩٠٥م طرح عليه بعض الهنديين سؤالا عن مسألة علم الغيب لعلهم كانوا يريدون باستفتائه أن يؤكدوا للحكومة القائمة آنذاك أن اتهامهم بأن الإمام أحمد رضا يسوّي العلم النبوي بالعلم الإلهي صحيح وحق، فقام الإمام بإعداد بحث علمي عن هذه المسألة و جعل له اسمه التاريخي "الدولة المكية بالمادة الغيبية" يتعلق فيه بعض المباحث بالعلوم الرياضية وعلم الفلسفة والمنطق أيضا أتمه في ٢٧من ذي الحجة سنة ١٣٢٣هـ الموافق لسنة

(١) انظر جد الممتار على رد المحتار ٢٨/١

١٩٠٥م، وقرأه الشيخ صالح كمال مفتي مكة المكرمة بمجلس " الشريف" أمام حشد كبير من العلماء فترك البحث أثرا عميقا في قلوبهم وقرظ عليه حوالي خمسين عالما من علماء الحرمين الشريفين ، وخمسة عشر عالما من علماء الدول الإسلامية الأخرى. إن الإمام أحمد رضا خان قد وفق في هذه المقالة بين الآيات الدالة على اختصاص العلوم الغيبية بالله تعالى وبين الآيات الدالة على أن الله تعالى أطلع نبيه على العلوم الغيبية، وأنه جل جلاله أخبر النبي ﷺ بها، ووجه التطبيق بين هذين النوعين من الآيات الكريمة أن علم الله تعالى ذاتي مختص به تعالى ومن أثبت منه شيئا لغيره تعالى فقد اقترف كفرا صريحا وشركا بواحا، أما العلوم الغيبية التي شرف الله تعالى وأكرم بها حبيبه ﷺ، فحاصلة له من ربه تعالىوليست بذاتية ومن أثبت منها شيئا لله فقد كفر، ويجب علينا أن نؤمن بهذين النوعين من الآيات، لأن الإيمان بهما شعبة من شعب الإيمان وإنكار أي منهما كفر وخروج عن حظيرة الإسلام، وقد طبع الكتاب الدولة المكية بالمادة الغيبية من الهند وباكستان وإستانبول ونال هذا الكتاب تقديرا لائقا به في العالم الغربي أيضا وقد ألف الأستاذ الدكتور حنيف أختر الفاطمي كتابا سماه "CONCEPT OF ISLAMIC KNOW LADGE" واقتبس فيه من الدولة المكية وقد نشر الكتاب في مانشستر (إنجلترا)." (١)

هـ. كفل الفقيه الفاهم في أحكام قرطاس الدراهم

يلاحظ أن الإمام أحمد رضا كان قد عرف بين علماء الحرمين الشريفين عن طريق كتابه "الدولة المكية" ، فتأثروا بعلمه وفضله كثيرا حتى رجعوا إليه في بعض المسائل الصعبة، فكانت مسئلة النقود الورقية دائرة بينهم وكان الشيخ جمال بن عبد الله بن عمر الحنفي المفتي الأعظم بمكة المكرمة سئل من قبل عن النقود الورقية

(١) الشيخ أحمد رضا خان وشيئ من حياته وأفكاره. للدكتور مسعود أحمد ص ٢٣

لكنه كان اعتذر عن الجواب وكانت الأسئلة تجول في أذهان العلماء، فعرضوا على الإمام أحمد رضا خان اثني عشر سؤالا عن النقود الورقية، فقام الإمام بتحضير مقالة قيمة و محققة سنة ١٣٢٤هـ الموافق لسنة١٩٠٦م في بضعة أيام وأجاب فيها عن تلك الأسئلة وكان الجوب وافيا مقنعا سمّاه " كفل الفقيه الفاهم في أحكام قرطاس الدراهم" ولما رأى الشيخ عبد الله الصديق مفتي الحنفية هذه المقالة البليغة تأثر بها كثيرا وأثنى على المصنف ثناء جميلا واستنسخها علماء الحرمين الشريفين الآتية أسماؤهم:

- شيخ الأئمة أحمد أبو الخير المرداد
- الشيخ صالح كمال الحنفي القاضي بمكة المكرمة
- السيد إسماعيل خليل الحنفي حافظ كتب الحرم الشريف
- الشيخ عبد الله الصديق مفتي الحنفية

وذكر السيد أبو الحسن علي الندوي "كفل الفقيه" على وجه الخصوص وجعلها دليلا قويا على نبوغ الإمام أحمد رضا في الفقه كما سبق في المبحث الأول من الباب نفسه.

و. فوز مبين در رد حركة زمين (الفوز المبين في الرد على حركة الأرض)

هذا الكتاب في الرد علي نظرية دوران الأرض والتي اخترعها العالم اليوناني فيثا غورث، وقام بتأييدها الأستاذ كوبر نيكس المتخصص في العلوم الرياضية، وهكذا عمت هذه النظرية مرة أخرى ، وكان الأستاذ ألبرت آين ستايين أجرى اختبارا سنة ١٨٨٠م كان يبطلها إلا أنه علل ذلك الاختبار تعليلا ثبت به تلك النظرية، لكنه على حد قول السيد محمد تقي: "كان تعليلا سخيفا و غير معقول في تاريخ العلوم

الطبيعيــة"[١]، تعقــب الإمــام أحمــد رضــا الــذي كــان معاصــرا لآيــين ســتاين نظرياتــه ونظريــات غيــره مــن علمــاء الطبيعيــة ورد علــى نظريــة دوران الأرض بمائــة وخمســة دلائــل، أمــا فــي الوقــت الــراهن فقــد زاد عــدد ناقــدي آيــين ســتايين علــى المائــة[٢] ولعــل الفضل القيادي في هذا المضمار يرجع إلى الإمام أحمد رضا خان رحمه الله.

فــي الكتــاب مقدمــة ذكــر فيهــا مقــررات علــم الفلــك الجديــدة ومبادئهــا واســتخدمها فــي الكتــاب، ثــم عقــد فصــولا أربعــة بحــث فــي أولهــا النافريــة وأقــام بهــا اثنــي عشــر دلــيلا علــى إبطــال دوران الأرض ، وفــي الثــانى تحــدث عــن الجاذبيــة وأقــام خمســين دلــيلا علــى إبطــال هــذه النظريــة ، وفــي الثالــث أقــام ثلاثــة وأربعــين دلــيلا علــى بطلانهــا و هكــذا بلــغ مجمــوع مــا ســرد مــن الــدلائل علــى بطــلان النظريــة مائــة وخمســة دلائــل أمــا تســعون دلــيلا مــن تلــك الأدلــة فالإمــام أحمــد رضــا أبــو عــذرتها، وأمــا الفصــل الرابــع ففــي الــرد علــى الشــبهات التــي يثيرهــا علــم الفلــك الجديــد فــي إثبــات دوران الأرض وفــي الآخــر خاتمــة أثبت وحقق فيها دوران الشمس وسكون الأرض بالكتب السماوية.

يقول الأستاذ الدكتور مسعود أحمد عن طبع الكتاب ونشره:

" كــان الكتــاب ينشــر فــي حيــاة الإمــام أحمــد رضــا فــي مجلــة رضــا الشــهرية فــي حلقــات ولــم تنشــر منهــا إلا تســع حلقــات ووقفــت هــذه السلســلة بوفاتــه ، وتلقينــا مســودته الأصــلية بعــد البحــث والتنقيــب المضــني يبيضــها الشــيخ مظفــر حســين مــن "إلــه آبــاد" وعبــد المــنعم العزيــزي مــن "بريلــي" وهــي تشــتمل علــى خمــس وتســعين صــفحة نشــر الجــزء المطبــوع منهــا فــي مجلــة معــارف رضــا الكراتشــية ، ويشــتغل الأســتاذ أبــرار حســين –

---

(١) جريدة جنك الأردية الكراتشية ، عدد فبراير ١٩٨٢م، ص ٣

(٢) مجلة الرضا الشهرية عدد رجب ١٣٣٨هـ ص ٦٧

بجامعة إقبال المفتوحة سابقا- بترجمته وتحشيته في اللغة الإنجليزية وقد أرسل الجزء المطبوع إلى تريست بإيطاليا أيضا"[١]

هذا نموذج من كتب الإمام أحمد رضا خان، وقد سرد تلميذه وخليفته العلامة ظفر الدين البهاري رحمه الله في كتابه "حيات أعلى حضرت" مؤلفاته، فقام بإلقاء الضوء عليها بالتفصيل، وأحصاها بحسب الفنون التي ألفت فيها، حيث عرف جميع العلوم والفنون التي أتقنها الإمام أحمد رضا خان تعريفا جامعا وعدّ تحت كل علم وفن المؤلفات التي ألفها فيه، وقد خص العلامة البهاري لذلك التفصيل المجلد الرابع من نفس الكتاب، وبالإضافة إلى ذلك له ديوان شعر بالعربية بعنوان "بساتين الغفران" قام بتحقيقه الأستاذ الدكتور حازم محمد أحمد عبد الرحيم المحفوظ الأستاذ بكلية اللغات والترجمة، جامعة الأزهر الشريف القاهرة، وله أيضا ديوان كبير في الأردية أعيد طبعه عشرات المرات في أحجام متفاوتة في شبه القارة باسم "حدائق بخشش" وهو الذي يحتوي على قصائد عظيمة في مدح الرسول ﷺ وآل بيته وصحابته والأولياء الصالحين، وسنورد مبحثا مستقلا في الباب الآتي إن شاء الله تعالى، لنقوم فيه بالبحث والتحليل والدراسة لشعره في المديح النبوي.

****

(١) الشيخ أحمد رضا خان وشيئ من حياته وأفكاره ص٣٤

الباب الرابع

المدائح النبوية بين الإمام البوصيري والإمام أحمد رضا خان البريلوي

دراسة تحليلية مقارنة

يحتوي هذا الباب على فصلين

الفصل الأول

قصائد المدائح النبوية للبوصيري والبريلوي

دراسة فنية تحليلية

والفصل يشتمل على مبحثين

المبحث الأول

المدائح النبوية للإمام البوصيري دراسة تحليلية

المبحث الثاني

المدائح النبوية للإمام أحمد رضا خان البريلوي دراسة تحليلية

المبحث الأول

المدائح النبوية للإمام البوصيري دراسة تحليلية

تمهيد

لا شك أن الإمام شرف الدين البوصيري كان رجلا دينيا وكان قلبه مملوءا بحب النبي ﷺ ، فقد قال عدة قصائد في المدح النبوي ، وهي كلها مزينة بثروة الحكمة والذكاء ، وعند ما نطالع وندرس هذه القصائد برز فيها أنّ حبه العميق وصلته الوثيقة بالنبي ﷺ وشخصيته. وبالتالي نحن ندرس قصائده الشهيرة في هذا المجال دراسة تحليلية.

المطلب الأول
دراسة تحليلية لقصيدة البردة

أولا: التعريف بقصيدة البردة:

تسمى هذه القصيدة بـ "القصيدة البردة" أو "قصيدة البُرأة" أو "الكواكب الدريَّة في مدح خير البرية"[1]، وهي تعدّ من أشهر القصائد في مدح النبي محمد ﷺ، وقد أجمع الباحثون والنقاد على أن هذه القصيدة من أفضل القصائد التي نظمت في المديح النبوي وأعجبها حتى قيل: "إنها أشهر مديح في الشعر العربي بين العامة والخاصة[2]".وقد انتشرت هذه القصيدة انتشارًا واسعًا في البلاد الإسلامية، يقرأها بعض المسلمين في معظم بلاد الإسلام كل ليلة جمعة. وأقاموا لها مجالس عرفت بـ "مجالس البردة الشريفة"، أو "مجالس الصلاة على النبي". يقول الدكتور زكي مبارك:

"البوصيري بهذه البردة هو الأستاذ الأعظم لجماهير المسلمين، ولقصيدته أثر في تعليمهم الأدب والتاريخ والأخلاق، فعن البردة تلّقى الناس طوائف من الألفاظ والتعابير غنيت بها لغة التخاطب، وعن البردة عرفوا أبوابًا من السيرة النبوية، وعن البردة تلّقوا أبلغ درس في كرم الشمائل والخلال. وليس من القليل أن تنفذ هذه القصيدة بسحرها الأخاذ إلى مختلف الأقطار الإسلامية، وأن يكون الحرص على تلاوتها وحفظها من وسائل التقرب إلى الله والرسول." [3].

أما سبب نظم هذه القصيدة فيقول الدكتور زكي مبارك في هذا الخصوص:

---

(١) انظر عصيدة الشهدة في شرح البردة ص١٣

(٢) صحيفة حصاد الإلكترونية: المدائح النبوية تاريخ الوصول ٤ يوليو ٢٠١١.

(٣) المدائح النبوية في الأدب العربى، زكي مبارك ص٢١٥.

"إن البوصيري ضربه الفالج الذي أبطل نصفه فقام في نفسه أن ينظم قصيدة في مدح النبي ﷺ فاستشفع بها إلى الله تعالى رجاء أن يمسح ما به من وجع، وكرر إنشاد تلك القصيدة. ورأى فيما يرى النائم كأن سيد الخلق ﷺ مسح بيده الشريفة على وجهه، وألقى عليه برده وانتبه فرأى أنه عوفي من الفالج فاستطاع أن ينهض من فراشه ويخرج من داره فلقيه أحد الفقراء وطلب إليه أن يعطيه القصيدة التي مدح بها سيد الخلق، فقال له: أي قصيدة، فقال: التي قلتها وأنت طريح فراش المرض وذكر استهلالها، وقال له: إنه سمعها وهي تنشد بين يدي رسول الله ﷺ وقد أعجبته، وألقى على من أنشده إياها برده، ثم تابع البوصيري قوله: فذكر أنه أعطاه تلك القصيدة وشاع خبر الرؤيا التي رآها في الناس." (١)

ثانياً:عناصر القصيدة

لقد قسم الإمام البوصيري قصيدته البردة إلى عشرة أجزاء، كل جزء منها يمثل وحدة قائمة بذاتها، والقصيدة تتوافر لها وحدة الموضوع ووحدة المضمون.

بدأ البوصيري قصيدته كغيره من الشعراء بمطلع غزلي جميل على عادة شعراء العرب، فهو يبدؤها بالنسيب ويتحدث عن معالم ذي سلم في الحجاز وشوقه وحنينه وتلهفه إلى الديار المقدسة، لكنه لم ينغمس في الغزل المادي انغماسا تاما كما ينغمس غيره من الشعراء، وإنما يلتزم البوصيري العفة والاحتشام لمدح النبي صلى الله عليه وسلم فهذا هو الجزء الأول للقصيدة يقول:

أمن تذكر جيران بذي سلم ... مزجت دمعا جرى من مقلة بدم
أم هبت الريح من تلقاء كاظمة ... أومض البرق في الظلماء من أضم
فما لعينك إن قلت اكففا هتما ... وما لقلبك إن قلت استفق يهم

---

(١) المدائح النبوية في الأدب العربي ، لزكي مبارك ص ١٤٧-١٤٨.

أيـحسب الصب أن الحب منكتم ما بـيـن مـنـسجـم منه ومضطرم
لـولا الهوى لم ترق دمعا على طلل ولا أرقـت لـذكـر الـبـان والـعـلم
فكـيف تنكر حـبا بعد ما شهدت بــه عـلـيـك عدول الدمع والسقم
وأثبـت الـوجد خطـى عبرة وضنى مـثـل الـبـهـار على خديك والعنم
نـعم سرى طيف من أهـوى فأرقني والـحـب يـعـتـرض اللـذات بـالألم
يا لائـمـي في الـهوى العذرى معذرة مـنى إلـيـك ولــو أنـصفت لم تلم
عدتـك حـالي لا سـرى بـمـسـتـتـر عـن الـوشــاة ولا دائــي بـمـنحسم
محضتني النصح لكن لست أسمعه أن الـمحـب عن العذال في صمم
إني اتهمت نصيح الشيب في عذل والشيب أبعد في نصح عن التهم[(١)]

وفــي الجـزء الثــاني يتحـدث الإمـام البوصـيري عـن الـنفس الإنسـانية والتحـذير مـن هواهـا، فنتبـين مـن خــلال هـذه الأبيـات والتـي بلغـت أربعـة عشـر بيتـا أنــه عبـر فيهـا عـن معاناة الشاعر من النفس الأمارة فقال:

فـإن أمــارتي بـالسوء مـا اتـعـظت مـن جـهـلـها بنذير الشيب والـهرم
ولا أعـدت مـن الـفعل الجميل قرى ضـيــف ألـم بـرأسي غـير محتشم
لــو كـنـت أعــلـم أني مـا أوقـره كـتـمت سـرا بـدا لي مـنه بـالـكتم
مـن لي بـرد جـمـاح من غـوايتها كـمـا يــرد جـمــاح الـخيل باللجم
فلا تـرم بـالـمـعاصي كسر شهوتها إن الـطـعـام يقـوى شـهـوة الـتـهم
والنفس كالطفل ان تهمله شب على حـب الرضـاع وإن تـفـطـمه ينفطم
فـاصرف هـواهـا وحـاذر أن تـوليه إن الـهوى مـا تـولى يصم أو يصم

(١) ديوان البوصيري ص ١٧٩

وراعـهـا وهـي في الأعمال سائمة　　وإن هي استحلت المرعى فلا تسم
كـم حـسنـت لـذة للـمرء قـاتـلة　　من حيث لم يدر أن السم في الدسم
واخش الدسائس من جوع ومن شبع　　فـرب مـخـصـة شـر مـن الـتخم
واستفرغ الدمع من عين قد امتلأت　　مـن الـمـحـارم والـزم حمية الندم
وخالف النفس والشيطان واعصهما　　وإن همـا محضـاك النصح فاتهم
ولا تـطـع منهما خصما ولا حكما　　فـأنت تعرف كيد الخصم والحكم
استـغفـر الله من قول بلا عمل　　لـقـد نسبت لـه نسلا لـذي عقم
أمرتـك الـخير لكن ما ائتمرت بـه　　وما استقمت فما قولي لك استقم
ولا تـزودت قـبل الـمـوت نـافـلـة　　ولم أصل سوى فرض ولم أصم(١)

وينتقـل الإمـام البوصـيري بعـد أن تحـدث عـن الـنفس وأمرهـا بـالطهر والابتعـاد عـن غوايـة الشـيطان وملـذات الـدنيا وبعـد أن جعـل نفسـه طـاهرة واسـتعد اسـتعدادا نفسـيا للمـدح والحـديث عـن الرسـول الكـريم ﷺ فـي الجـزء الثالـث مـن القصـيدة، فيعـد النـاظم خصـائل النبـي ﷺ وصـفاته مـن أنـه سـيّد الجـن والإنـس وسـيّد العـرب والعجـم وهـو الـذي يشـفع عنـد الله يـوم القيامـة، وأنـه ﷺ يفـوق علـى جميـع الأنبيـاء والرسـل علـيهم الصـلوة والسـلام فـي المحاسـن الظـاهرة والباطنـة ولـم يقـاربوه فـي العلـم ولا فـي الكـرم، وهـو الـذي كمـل باطنـه فـي الكمـالات وظـاهره فـي الصـفات ثـم اختـاره الله حبيبـا لـيس لـه شـريك فـي محاسـنه مـن الخلـق، ثـم أشـار إلـى نهـي مـا هـو الشـرك مـن العقيـدة الفاسـدة التـي تشـبه اعتقـاد النصـارى واليهـود فـي نبـيهم وبعـد ذلـك أجـاز للمـؤمنين بـأن لهـم أن ينسـبوا إلـى ذات النبـي ﷺ مـا يشـاءون مـن عـز وتعظـيم ورفعـة، لأن فضـل رسـول الله ﷺ لـيس لـه

(١) المصدر نفسه ص ١٨٠

غايــة يوقــف عنــدها فيبينهــا نــاطق بلســان فمــه إذ أوصــافه لا تحصــى وفضــائله لا تستقصــى. وأنّ حقيقتــه ﷺ لا يعرفهــا أحــد ســوى الله عــز وجــل فمنتهــى العلــم فيــه ﷺ أنــه بشـر وأنــه أفضـل المخلوقـات وسـيّد الكائنـات. وأنـه ﷺ شـمس سـماء العلـوم والكمالـت كلهـا والرسـل الكـرام كواكبهـا، وأنــه لا شـيئ مـن أنـواع الطيـب يسـاوي طيـب التـراب الـذي ضـم جسده ﷺ. وتلاحظ هذه الموضوعات في الأبيات التالية:

ظلمت سنة من أحيى الظلام إلى | أن اشتكت قدماه الضر من ورم
وشـد من سـغب أحشاءه وطـوى | تحت الحجارة كشحا مترف الادم
وراودتـه الـجبال الـشم من ذهب | عن نفسه فـأراهـا أيـمـا شـمم
وأكـدت زهـده فـيـهـا ضـرورتـه | إن الضرورة لا تعدو على العصم
وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من | لـولاه لـم تـخـرج الدنيا من العدم
محمد سيد الـكونـين والـثقلين | والفريقين من عرب ومن عجـم
نبينا الآمـر النـاهي فـلا أحـد | أبـرّ في قـول لا مـنـه ولا نـعـم
هو الحبيب الذي ترجى شفاعته | لكل هـول من الأهوال مـقتحم
دعـا إلى الله فـالـمستمسكون به | مستمسكون بحبل غير منفصـم
فـاق النبيين في خلـق وفي خلق | ولـم يـدانـوه فـي علـم ولا كـرم
وكلـهـم من رسـول الله ملـتمس | غرفا من البحر أو رشفا من الديم
ووافـقـون لـديـه عـنـد حـدهـم | من نقطة العلم أو من شكلة الحكم
فـهـو الـذي تم معناه وصورته | ثم اصطفاه حبيبا باريء النسم
مـنـزه عـن شـريـك في محاسنه | فجوهر الحسن فيه غير منفسم
دع مـا ادعته النصاري في نبيهم | واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف وانسب إلى قدرة ما شئت من عظم
فـإن فـضـل رسـول الله لـيس لــه حدٌ فـيـعـرب عـنــه نـاطق بـفم
لـو نـاسـبت قـدره أبياته عظاما أحيى اسمه حين يدعو دارس الرمم
لم يمـتحنا بـما تـعي العقول به حرصا علينا فلن نرتب ولم نهم
أعيى الورى فهم معناه فليس يرى في الـقرب والـبعد فـيه غير منفحم
كالشمس تظهر للعينين من بعد صـغـيـرة ونـكل الطرف من أمم
وكـيـف يـدرك في الـدنيا حفيقته قـوم نـيـام تـسـلـوا مـنه بالحلم
فـمبلــغ الـعـلـم فيه أنـه بـشر وأنــه خـيـر خـلــق الله كلـهـم
وكل آي أتـى الـرسـل الكرام بـها فــإنــمــا اتـصلت من نوره بهم
فـإنـه شـمس فضل هم كواكبها يظهرون أنوارها للناس في الظلم
أكـرم بـخـلـق نـبي زانــه خلق بــالـحسن مشتمل بالبشر متسم
كالزهر في ترف والبدر في شرف والـبحـر في كرم والدهر في همم
كأنــه، وهـو فـرد مـن جـلالته في عسكر حين تلقاه وفي حشم
كأنـما اللؤلؤ المكنون في صدف من مـعـدني منطق منه ومبتسم
لا طـيـب يعدل تربا ضم أعظمه طـوبى لـمـنـتـشـق منه وملتثم(١)

ثم ينتقل بعد ذلك في الجزء الرابع من بردته ليتحدث عن مولد الرسول صلى الله عليه وسلم وعن المعجزات التي حدثت أثناء الولادة من أن النار التي كان الفرس يعبدونها قد انطفأت ، وكذلك بحيرة ساوة العظيمة خسفت بها الأرض وجف ماؤها، والجن صاحت والأنوار ارتفعت في الآفاق وأن الكفار عموا فلم ينظروا نظر اعتبار

(١) المصدر نفسه ص ١٨١-١٨٢

إلـى لامعـة الإنـذار وصـموا فلـم يسـمعوا بشـائر الهواتـف سـماع قبـول مـن بعـد إخبـار الكـاهن لهـم وبعـد مـا شـاهدوه فـي الأفـق مـن الشـهب السـاقطة علـى الشـياطين وتلـك أحـداث ذكرهـا الإمـام البوصـيري عنـد حديثـه عـن مولـد النبـي الكـريم ﷺ، ويمكـن لنـا أن نقـول إن الإمـام البوصـيري اسـتعاد مـن خـلال هـذا الجـزء اللحظـات التـي سـبقت مولـد النبي ﷺ ؛ ليكون هذا مقدمة للحديث عن معجزات الرسول بعد البعثه.يقول:

أبـان مـولـده عـن طيب عنصره   يـا طـيـب مـبـتـدأ مـنه ومـختتم
يـوم تـفـرس فـيـه الـفرس أنـهم   قـد أنـذروا بـحـلـول البؤس والنقم
وبـات ايـوان كسرى وهـو منصدع   كشمـل أصـحـاب كسرى غير ملتئم
والنار خامدة الأنفاس من أسف   عـليه والـنهر ساهي العين من سدم
وسـاء ساوة ان غـاضـت بحيرتها   ورد واردهـا بـالـغـيـظ حين ظمى
كأن بـالـنـار مـا بـالماء من بلل   حـزنـا وبـالـماء ما بالنار من ضرم
والـجن تهتـف والأنـوار ساطـعة   والـحـق يـظهر من معنى ومن كلم
عموا وصموا فإعلان البشائر لم   تـسـمـع وبـارقـة الانذار لـم تشم
مـن بعد ما اخبر الأقوام كاهنهم   بـأن ديـنـهـم الـمـعـوج لـم يقم
وبعد ما عاينوا في الأفق من شهب   منقضة وفق ما في الأرض من صنم
حتى غدا عن طريق الوحي منهزم   مـن الـشـياطـين يـقفوا إثـر منهزم
كأنـهم هـربـا أبطـال أبـرهـة   أو عسكر بالحصى من راحتـيه رمى
نـبـذا بـه بـعـد تسبيح ببطنهما   نـبـذا لـمـسـبح مـن أحشاء ملتقم(١)

(١) المصدر نفسه ص ١٨٣

وأما الجزء الخامس فيطرح الإمام البوصيري فيه معجزات النبي ﷺ في ستة عشر بيتا وتلك المعجزات مؤيدة بما وردت في الأحاديث ومما روي عن أصحاب الرسول الكريم رضوان الله عليهم، فهي معجزات واقعية لا مكان للشك فيها وأول هذه المعجزات سجود الشجرة ومعرفة الراهب سمات النبوة في الرسول ﷺ وهو طفل صغير، ويطلب من أبي طالب أن يعود بابن أخيه، وكذلك الغمامة التي تظلله، وانشقاق القمر، وكذلك ما حدث في غار ثور من عمي أبصار الكفار وحوم الحمام حول الغار ونسج العنكبوت على فمه وغيرها من المعجزات، ويظل الإمام البوصيري ينتقل خلال هذا الجزء من معجزة إلى أخرى حتى يختتمه بتوسلاته ودعائه. يقول:

جاءت لدعوته الأشجار ساجدة   تمشيء إليه على ساق بلا قدم
كأنما سطرت سطرا لما كتبت   فروعها من بديع الخط في اللقم
مثل الغمامة أنى سار سائرة   تقيه حر وطيس للهجير حمى
أقسمت بالقمر المنشق أن له   من قلبه نسبة مبرورة القسم
وما حوى الغار من خير ومن كرم   وكل طرف من الكفار عنه عمى
فالصدق في الغار والصديق لم يرما   وهم يقولون ما بالغار من ارم
ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على   خير البرية لم تنسج ولم تحم
وقاية الله أغنت عن مضاعفة   من الدروع وعن عال من الأطم
ما سامني الدهر ضيما واستجرت به   إلا ونلت جوارا منه لم يضم
ولا التمست غنى الدارين من يده   إلا استلمت الندى من خير مستلم
لا تنكر الوحي من رؤياه ان له   قلبا إذا نامت العينان لم ينم
وذاك حين بلوغ من نبوته   فليس ينكر فيه حال محتلم

تبارك الله ما وحي بمكتسب ولا نبي على غيب بمتهم

كم أبرأت وصبا باللمس راحته وأطلقت أربا من ريقه اللمم

وأحييت السنة الشهباء دعوته حتى حكت غرة في الأعصر الدهم

بعارض جاد أو خلت البطا بها سيب من اليم أو سيل من العرم[١]

وفي الجزء السادس يتحدث الإمام البوصيري عن معجزة أخرى أعظم مكانة في الرسالة المحمدية وهي معجزة القران الكريم يتحدث عنها في سبعة عشر بيتا ولعل الإمام البوصيري ظل يتحدث حول معجزات الرسول ﷺ وهو يدرك كأن هناك هاتفا يسأله: ما بالك تعدد هذه المعجزات؟ فيطلب منه أن يدعه في تلك اللحظات الروحانية ليتلذذ بها وتطيب خلالها نفسه وليستمد من نورها نورا لقلبه وعقله وروحه، ثم يتعرض لمعجزه القران الكريم بما فيها من شفاء ورحمة وما بها من ملائمة، ويقف أمام المعارضين الذين تصدوا لبلاغة القران أمثال مسيلمة الكذاب، وطليحة، وسجاح، والمثنى، ويبين بأنهم فشلوا فيما سعوا إليه، ثم يورد بعد ذلك قصص السابقين، ويعظم مكانة القران الكريم بما فيه من الخير والعظة والإرشاد والعدل وأن القران قد حفظه الله فلم يمسه تغيير أو تبديل. يقول:

دعني ووصفي آيات له ظهرت ظهور نار القرى ليلى على علم

فالدر يزداد حسنا وهو منتظم وليس نيقص قدرا غير منتظم

فما تطاول آمال المديح إلى ما فيه من كرم الأخلاق والشيم

آيات حق من الرحمن محدثة قديمة صفة الموصوف بالقدم

لم تقترن بزمان وهي تخبرنا عن المعاد وعن عاد وعن إرم

---

(١)المصدر نفسه ص ١٨٤

دامت لدينا ففاقت كل معجزة   من النبين إذ جاءت ولم تدم
محكمات فما تبقين من شبه   لذي شقاق وما تبغين من حكم
ما حوربت قط إلا عاد من حرب   أعدى الأعادي إليها ملقى السلم
ردت بلاغتها دعوى معارضها   رد الغيور يد الجاني عن الحرم
لها معان كموج البحر في مدد   وفوق جوهرة في الحسن والقيم
فما تعد ولا تحصى عجائبها   ولا تسام على الإكثار بالسام
قرت بها عين قاريها فقلت له   لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم
إن تتلها خيفة من حر نار لظى   أطفأت نار لظى من وردها الشبم
كأنها الحوض تبيض الوجوه به   من العصاة وقد جاؤا كالحمم
وكالصراط وكالميزان معدله   فالقسط من غيرها في الناس لم يقم
لا تعجبن لحسود راح ينكرها   تجاهلا وهو عين الحاذق الفهم
قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد   وينكر الفم طعم الماء من سقم
يا خير من يمم العافون ساحته   سعيا وفوق متون الاينق الرسم(١)

ويخصص الإمام البوصيري الجزء السابع من قصيدته للحديث عن الإسراء والمعراج ومن خلال ثلاثة عشر بيتا يتناول فيها الإمام البوصيري قصة الإسراء والمعراج في تسلسل منطقي مستمدا من القران الكريم مادار حول هذا الحدث التاريخي العظيم والأبيات كالتالي:

ومن هو الآية الكبرى لمعتبر   ومن هو النعمة العظمى لمغتنم
سريت من حرم ليلا إلى حرم   كما سرى البدر في داج من الظلم

---
(١) المصدر نفسه ص ١٨٥-١٨٦

وبت ترقى إلى أن نلت منزلة من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم
وقد متك جميع الأنبياء بها والرسل تقديم مخدوم على خدم
وأنت تخترق السبع الطباق بهم في موكب كنت فيه صاحب العلم
حتى إذا لم تدع شأوا لمستبق من الدنو ولا مرقى لمستنم
خفضت كل مقام بالإضافة إذ نوديت بالرفع مثل المفرد العلم
كيما تفوز بوصل أي مستتر عن العيون وسر أي مكتتم
فحزت كل فخار غير مشترك وحزت كل مقام غير مزدحم
وجل مقدار ما وليت من رتب وعز إدراك ما أوليت من نعم
بشرى لنا معشر الإسلام أن لنا من العناية ركنا غير منهدم
لما دعا الله داعينا لطاعته يا أكرم الرسل كنا أكرم الأمم(١)

أما الجزء الثامن من القصيدة فيصف فيه الإمام البوصيري بعثة الرسول ﷺ، وكيف فزعت منها قلوب الكفار، ثم يتحدث عن الغزوات وشجاعة الرسول وشجاعة المسلمين خلال اثنين وعشرين بيتا. يقول:

راعت قلوب العدا أنباء بعثته كنبأة أجفلت غفلا من الغنم
ما زال يلقاهم في كل معترك حتى حكوا بالقنا لحما على وضم
ودوا الفرار فكادوا يغبطون به أشلاء شالت مع العقبان والرخم
تمضي الليالي ولا يدرون عدتها ما لم تكن من ليالي الأشهر الحرم
كأنما الدين ضيف حل ساحتهم بكل قرم إلى لحم العدا قرم
يجر بحر خميس فوق سابحة يرمى بموج من الأبطال ملتطم

(١) المصدر نفسه ص

مـن كل مـنـتـدب لله مـحـتـسـب ... يسطـو بمستأصل للكفر مصطلم

حتى غـدت ملة الإسلام وهي بهم ... مـن بـعد غـربتها موصولة الـرحم

مـكـفـولـة أبـدا مـنـهم بخير أب ... وخـيـر بـعـل فـلـم تيتم ولـم تئم

هـم الـجـبال فسل عنهم مصادمهم ... مـاذا رأى مـنـهـم في كل مصـطدم

وسـل حـنـينا وسـل بـدرا وسل أحدا ... فـصـول حتف لهم أدهى من الوخم

المصدري البيض حمرا بعد ما رودت ... مـن الـعـدا كل مـسـود من اللمم

والكاتـبـيـن بسمر الـخط ما تركت ... أقـلامـهم حـرف جسم غير منعجم

شاكي السلاح لـهم سيمـا تـمـيزهم ... والـورد يـمـتاز بـالسيمـا مـن السلم

تـهدى إلـيك ريـاح النـصـر نـشرهم ... فتحسب الزهر في الأكمام كل كمى

كأنـهم في ظـهور الـخيل نبـتت ربا ... مـن شـدة الحزم لا من شدة الحزم

طارت قلوب العدا من بأسهم فرقا ... فـمـا تـفـرق بـيـن الـبـهم والبهم

ومـن تـكـن بـرسول الله نـصـرتـه ... إن تـلـقـه الأسـد في آجامها تجم

ولـن تـرى من ولى غير منـتـصـر ... بـه ولا مـن عـدو غـيـر منقصم

أحـل أمـتـه فـي حـرز مـلـتـه ... كالليث حل مع الأشبال في أجم

كم جـدلـت كلمات الله مـن جدل ... فيه وكم خصم البرهان من خصم

كـفاك بـالـعلم في الأمى مـعـجـزة ... في الـجـاهـليـة والتأديب في الـيتم[١]

ثـم يـأتي الجزء التـاسـع وعدد أبياتـه إثنـا عشـر بيتـا يتحدث فيهـا عـن أسـفه لمـا قـام فـي سـابق عهـده مـن نظـم الشـعر والمـدح لمـن لا يسـتحق هـذا المـديح تقربـا إلـى ذوى الشـأن ويتحـدث عمـا فعلـه فـي أيـام صـباه ويقـر بذنوبـه ولكنـه يأمـل الخيـر والمغفـرة بمدحـه

(١) المصدر نفسه ص ١٨٧- ١٨٨

رسـول الله ﷺ ، ويقـوم بمقارنـة بـين مدحـه لرسـول الله ﷺ ومـا سـيناله لهـذا المـدح وبـين مـا قـام بـه زهيـر بـن أبـي سـلمى حينمـا مـدح هـرم بـن سـنان وأجـزل لـه هـرم العطـاء، ويشـير إلـى أن عطـاء الرسـول لا يـنقص، فهـو عطـاء مسـتمر فـي الـدنيا والآخـرة، أمـا عطـاء هـرم فهـو عطـاء دنيـوي فحسـب، وينهـى هـذا الجـزء بـرفض ملـذات الـدنيا، وقـد تبـين أن اتجـاه الإمـام إلـى مـدح النبـي ﷺ كـان للاطمئنـان بأنـه سـينال خيـر الجـزاء، بـل سـينال المغفـرة لتلك الذنوب التي اقترفها خلال أيامه الماضية. يقول:

خـدمـتـه بـمـديـح أستقيـل بـه ذنوب عمر مضى في الشعر والخدم
إذ قلـداني مـا تـخـشـى عواقبه كأنـنـي بـهـمـا هـدى مـن الـنعم
أطعمت غي الصبا في الحالتين وما حصلـت إلا عـلى الآثـام والـندم
فـيا خسـارة نـفـس فـي تـجارتها لـم تشتر الـديـن بـالدنيا ولم تسم
ومـن يـبـيـع آجـلا مـنـه بعـاجلة يبـن لـه الـغبن في بيع وفي سلم
إن آت ذنـبا فما عهدي بمنتقض مـن الـنبي ولا حبلي بـمـنـصـرم
فـإن لي ذمـة مـنـه بتـسميـتي محمدا وهـو أوفـى الـخلق بالذمم
إن لم يكن في معادي اخذا بـيدي فـضـلا وإلا فقـل يـا زلـة الـقدم
حـاشـاه أن يحرم الراجي مـكارمـه أو يرجى الجار منه غير محترم
ومـنـذ ألـزمـت أفـكاري مـدائحـه وجـدتـه لـخـلاصـي خـير ملتزم
ولـن يفوت الغنى منه يدا تربـت إن الحيا ينبت كالأزهار في الأكم
ولم أرد زهرة الدنيا التي اقـتطفت يـدا زهـيـر بـمـا أثـنى عـلى هرم(١)

---

(١) المصدر نفسه ص ١٨٩

وفي الجزء العاشر والأخير ينتهي الشاعر بقصيدته متوسلا ومناجيا رسول الله ﷺ، وهو بيت القصيد ويعطي لنفسه الأمل والثقة ثم يتوجه بالدعاء إلى ربه عز وجل، بأن يا رب اجعل ما أملته فيك غير مخالف له بأن يحصل المأمول من عفوك عن ذنوبي كبائرها وصغائرها وارفق بعبدك العاصي في الدنيا والآخرة ويا مفيض الخير والجود صلّ وسلم دائما على حبيبك المصطفى ما بقيت الدنيا. وفي هذا الجزء ثلاثة نداءات للإمام البوصيري، نداء لنفسه المخطئة، ونداء لشفاعة الرسول له، ونداء إلى الله ليغفر له الذنوب والخطايا. يقول:

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به   سواك عند حلول الحادث العمم
ولن يضيق رسول الله جاهك بي   إذ الكريم تجلى باسم منتقم
فإن من جودك الدنيا وضرتها   ومن علومك علم اللوح والقلم
يا نفس لا تقنطي من زلة عظمت   إن الكبائر في الغفران كاللمم
لعل رحمة ربي حين يقسمها   تأتي على حسب العصيان في القسم
يا رب واجعل رجائي غير منعكس   لديك واجعل حسابي غير منخرم
والطف بعبدك في الدارين أن له   صبرا متى تدعه الأهوال ينهزم
واذن لسحب صلاة منك دائمة   على النبي بمنهل ومنسجم
ما رنحت عذابات البان ريح صبا   واطرب العيس حادي العيس بالنغم(١)

هذه هي قصيدة البردة للإمام شرف الدين البوصيري والتي تشتمل على ستين ومائة بيت(١)، وقد نسج الإمام البوصيري بردته هذه على منوال قصيدة لسلطان العاشقين الشاعر الصوفي ابن الفارض(٢) ومطلع قصيدتها:

---

(١) المصدر نفسه ص ١٩٠

هل نار ليلى بدت بذى سلم   أم بارق لاح في الزوراء فالعلم

أرواح نعمان هلا نسمة سحرا   وماء وجرة هلا نهلة بفم[٣]

ولعلنا في ضوء دراستنا لقصيدة الإمام البوصيري ندرك التأثير الديني في أسلوبه بما استمده من السيرة النبوية العطرة كما انعكست ثقافته على بنائها، فقد اعتمد الإمام فيها على كثير من الصور البلاغية واختار الكلمات السهلة السلسة والاستعارات الواضحة واهتم في القصيدة بالمحسنات اللفظية والمعنوية، وسنتحدث عنها من هذه الناحية في الفصل الثاني من نفس الباب إن شاء الله تعالى.

****

---

(١) وهذا وفق ما وجد في النسخة الشهيرة للبردة وديوان الإمام البوصيري وهناك أبيات في نفس البحر والقافية قد عدّها بعض الرواة من بردة الإمام البوصيري تحت الجزء العاشر للقصيدة يبلغ بها عدد الأبيات إلى سبع وستين ومائة بيت وهذه الأبيات كما يلي:

ثم الرضا عن أبي بكر وعن عمر   وعن علي وعن عثمان ذي الكرم

والآل والصحب ثم التابعين فهم   أهل التقى والنقى والحلم والكرم

يا رب بالمصطفى بلغ مقاصدنا   واغفر لنا ما مضى يا واسع الكرم

واغفر الهي لكل المسلمين بما   يتلوه في المسجد الأقصى وفي الحرم

بجاه من بيته في طيبة حرم   واسمه قسم من أعصم القسم

وهذه بردة المختار قد ختمت   والحمد لله في بدء وفي ختم

أبياتها قد أتت ستين مع مائة   فرج بها كربنا يا واسع الكرم

(٢) وقد مر ترجمته في الباب الأول مفصلا.

(٣) ديوان ابن الفارض ص ١٤٣

المطلب الثاني
دراسة تحليلية للقصيدة الهمزية النبوية

أولاً : التعريف بقصيدة الهمزية النبوية

القصيدة الهمزية في المدائح النبوية والتي تُسمى بـ "أُم القرى"،هي من أهم قصائد المديح النبوي وأشهرها ، طبعت القصيدة من دار الرشاد الحديثة بعنوان "قصيدة الهمزية في مدح خير البرية" في مجلد واحد. وقد نالت هذه القصيدة الشريفة قد نالت اهتمامَ الشعراء والأدباء والباحثين، فأثنوا على قائلها، وقد عبّر عن عظمة الهمزيّة شارحُها الشيخ سُليمان بن عمر بن منصور المعروف بالجَمَل ت ١٢٤٠ هـ/ ١٧٨٩م، بقوله:" قصيدته الهمزيّة المشهورة، العذبة الألفاظ، الجزلة المعاني، النجيبة الأوضاع، العديمة النظير، البديعة التحرير، إذْ لم يُنسجْ على مِنْوالها، ولا وَصَلَ إلى حُسنها وكمالها أَحَدٌ." (١)

ولقد أصبحت الهمزيّة من عُمُدِ التراث الإسلامي في تأريخ السيرة النبويةالشريفة، ولذلك نجد العلماء والباحثين يستشهدون بأبيات منها، كما هو الحال عند الكتّاني في التراتيب الإداريّة ٤٧٨/١ و ٣٦٤/٢ و٣٦٦ و٤٠٣. والحلبي في السيرة الحلبية "إنسان العُيُون" والآلوسي في تفسيره روح المعاني١٤١/١٩ و١٨٠، و٧٥/٢٦.

لقد قسم الإمام البوصيري قصيدته الهمزية التي مدح بها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى ثمانية عشر جزءاً، كل جزء من القصيدة يمثل وحدة قائمة بذاتها، والقصيدة تتوافر لها وحدة الموضوع ووحدة المضمون. ونحن نعبر كل جزء بعنوان

---

(١)انظر: مقدمة الفتوحات الأحمديّة بالمنح المحمديّة منشورات القاهرة سنة ١٢٧٤ هـ/ ١٨٥٧م.

"فصل". والجدير بالذكر أن الإمام البوصيري لم يسر في هذه القصيدة على درب غيره من الشعراء ، حيث لم يتعرض للنسيب وغيره مما التزموا به، بل بدأ بمديح الرسول فحسب ،وإنما التزم العفة والاحتشام خلال أبياته.وقد أكد بعض الأدباء أن على الشعراء الذين يمتدحون النبي صلّى الله عليه وسلّم أن يلتزموا الاحتشام والتأدب. فهو يبدأ بالمديح ويختار للمطلع البيت الذي يستحق لأن تكون الأبيات كلها شرحا وتوضيحا له وهو :

كَيْفَ تَرْقَى رُقِيَّكَ الأَنْبِيَاءُ   يَا سَمَاءً مَا طَاوَلَتْهَا سَمَاءُ

لَمْ يُسَاوُوكَ فِي عُلاَكَ وَقَدْ حَا   لَ سَناً مِنْكَ دُونَهُمْ وَسَنَاءُ[(١)]

قال الإمام ابن حجر الهيتمي في هذا السياق:

"لما كان غرضه ذكر الفتح والتحريض على الحرب، وما افتتح به الناظم هذه القصيدة فيه جميع تلك الشروط وزيادة ، كما لا يخفى على متأمل لغرضه، وهو ذكر أوصافه ﷺ التي ارتقى فيها إلى غاية لم يبلغها غيره ، ولذلك كان جميع ما بعده من المدح إلى آخر القصيدة كالشرح والبيان لما تضمنه هذا المطلع ، فلله دره من مطلع جامع بديع لم يسبق ناظمه لمثله"[(٢)]

وهذا هو بداية الفصل الأول الذي يتحدث عن فضل رسول الله ﷺ على سائر الأنبياء وعجائب ولادته ، والفصل يحتوي على سبع وعشرين بيتاً.

وفي الفصل الثاني يتحدث الإمام البوصيري عن رضاعه وشق صدره ﷺ فأتى بذكر وصول النساء إلى بيت آمنة وتركهن إياه لليتم وتناول حليمة السعدية إياه وما حدث

---

(١) قصيدة الهمزية في مدح خير البرية ص ١

(٢) المنح المكية ص ٧٣

فـي بيتهـا مـن المعجـزات العظيمـة مـن سـقيها اللـبن مـن الشـياه العجـاف وانقـلاب عيشـها الفقر رغدا وغيرها فيقول:

وَبَــدَتْ فِي رَضَــاعِهِ مُعْجِزَاتٌ   لَيْسَ فِيــهَا عَنِ الْعُيُونِ خَفَاءُ
إِذْ أَبَتْــهُ لِيُتْــمِـهِ مُـرْضِعَاتٌ   قُلْنَ مَــا فِي الْيَتِيمِ عَنَّا غَنَاءُ
فَأَتَتْهُ مِــنْ آلِ سَــعْـدٍ فَتَـاةٌ   قَــدْ أَبَـتْهَــا لِفَقْرِهَا الرُّضَعَاءُ
أَرْضَــعَتـْهُ لِبَانَـهَـا فَسَقَتْـهَا   وَبَنَيــهَا أَلْبَانَــهُـنَّ الشَّــاءُ
أَصْبَــحَتْ شُوَّلاً عِـجَافَاً وَأَمْسَتْ   مَــا بِـهَــا شَائِلٌ وَلاَ عَجفَاءُ
أَخْصَبَ الْعَيْشُ عِنْدَهَا بَعْدَ مَحْلٍ   إِذْ غَـدَا لِلنَّبِـيِّ مِـنْـهَا غِـذَاءُ
يا لَهَا مِنَّةٌ لَقَدْ ضُوعِـفَ الأَجْــ   ـرُ عَـلَيْهَا مِـنْ جِنْسِهَا وَالْجَزَاءُ
وَإِذَا سَــخَّـرَ الإِلَــهُ أُنَـاساً   لِسَــعِيدٍ فَــإِنَّهُــمْ سُـعَـدَاءُ
حَبَّــةٌ أَنْبَتَتْ سَنَــابِـلَ وَالْـعَصْـ   ـفُ لَدَيْهِ يَسْتَشْرِفُ الضُّعَـفأَاءُ[١]

وقـد يـذكر إثـر هـذه المعجـزات فـي الفصـل نفسـه معجـزة "شـق الصـدر" وأجـاد البوصيري قائلا:

شُقَّ عَنْ قَلْبِهِ وَأُخْـرِجَ مِـنْهُ   مُضْغَةٌ عِنْـدَ غَسْـلِـهِ سَوْدَاءُ
خَتَمَتْهُ يُمْنَى الأَمِينِ وَقَدْ أُو   دِعَ مَــا لَــمْ تُـذَعْ لَهُ أَنْـبَاءُ
صَانَ أَسْرَارَهُ الْخِتَامُ فَلاَ الْفَ   ضُّ مُــلِمٌ بِــهِ وَلاَ الإِفـْضَاءُ
أَلِفَ النُّسْكَ وَالْعِبَادَةَ وَالـْخُلْـ   ـوَةَ طِــفْلاً وَهَــكذَا النـُّجَبَاءُ
وَإِذَا حَلَّـتِ الْهِــدَايَةُ قَلْبَاً   نَشِطَتْ فِي الْعِبَادَةِ الأَعْـضَـاءُ[٢]

---

(١) قصيدة الهمزية في مدح خير البرية ص١

(٢) المصدر نفسه ص ٢

وينتقل الإمام البوصيري بعد أن تحدث عن رضاه و صباه صلّى الله عليه وسلّم إلى عجائب مبعث النبي ﷺ وهجرته. وهذا هو الفصل الثالث من القصيدة، وقد استغل الإمام البوصيري في هذا الفصل كثيرا من الموضوعات التي قرأها في السيرة النبوية ، فيأتيه جبريل بالوحي أول مرة وقامت أمام الرسول زوجته خديجة كإمرأة عظيمة ثم قام النبي ﷺ يدع الناس إلى الله الواحد القهار وهو يتكلم بكلام فصيح قد بهت الكفار أمامه والأحجار تهلل في يده والسحائب تظلل عليه ، ولكن الناس أخرجوه من مكة وهاجر النبي ﷺ إلى المدينة ، فصادفه سراقة في الطريق فحدث الخسف. وتلك أحداث ذكرها الإمام البوصيري عند حديثه عن مبعث النبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم، ونستطيع أن نقول أن الإمام البوصيري استعاد من خلال هذا الفصل اللحظات التي سبقت هجرة النبي صلّى الله عليه وسلّم ليكون هذا مقدمة للحديث عن معجزات الرسول بعد الهجرة.وأهم الأبيات في الفصل هذه:

بَعَثَ اللّهُ عِنْدَ مَبْعَثِهِ الشُّهْـ بَ حِرَاسَاً وَضَاقَ عَنْهَا الْفَضَاءُ
تَطْرُدُ الْـجِنَّ عَنْ مَقَاعِدَ لِلسَّمْـ عِ كَمَا تَطْرُدُ الذِّئَابَ الرِّعَاءُ
فَمَحَتْ آيـةَ الْكَهَانَةِ آيَا تٌ مِنَ الْوَحْيِّ مَا لَهُنَّ انْمحَاءُ
وَرَأَتْهُ خَدِيجَةٌ وَالْتُّقَى وَالـزَّهْـ دُ فِيهِ سَجِيَةٌ وَالْـحَيَاءُ
وَأَتَاهَا أَنَّ الْغَمَامَةَ وَالسَّرْ حَ أَظَلَّتْهُ مِنْهُمَا أَوْفْيَاءُ
وَرَأَيْنَا آيَاتِهِ فَاهْتَدَيْنَا وَإِذَا الْحَقُّ جَاءَ زَالَ الْـمِرَاءُ
ويْحـَ قَوْمٍ جَفَوْا نَبِيَّاً بِأَرْضٍ أَلِفَتْهُ ضِبَابُهَا وَالظِّبَاءُ
وَسَلَوْهُ وَحَنَّ جِذْعٌ إِلَيْهِ وَقَلَوْهُ وَوَدَّهُ الْـغُرَبَاءُ
أَخْرَجُوهُ مِنْهَا وَآوَاهُ غَارٌ وَحَمَتْهُ حَمَامَةٌ وَرْقَاءُ

وَكَفَتْهُ بِنَسْجِــهَــا عَنْـكَبُــوتٌ   مَـــا كَفَتْهُ الْحَـمَامَةُ الْحَـصْدَاءُ
وَاخْتَفَى مِنْـهُمُ عَلَى قُـرْبِ مَــرْآ   هُ وَمِـنْ شِدَّةِ الظُّهُورِ الْـخَـفَاءُ
وَنَـحـا الْمُـصْطَفَى الْمَدِينَةَ وَاشْتَا   قَتْ إِلَيْــهِ مِنْ مَكَّةَ الأَنْـحَـاءُ[١]

ويخصـص الإمـام البوصـيري الفصـل الرابـع مـن قصـيدته للحـديث عـن الإسـراء والمعـراج ومـن خـلال ثمـان وعشـرين بيتـا يتنـاول فيهـا الإمـام البوصـيري قصـة الإسـراء والمعـراج فـي تسلسـل منطقـي مسـتمدا مـن القـران الكـريم مـادار حـول هـذا الحـدث التاريخي العظيم.فيقول:

فَـصِـفِ اللَّيْلَةَ الَّتِي كَانَ لِلْمُـخْ   تَارِ فِيهَا عَلَى الْبُرَاقِ اسْتِوَاءُ
وَتَـرَقَّى بِهِ إِلَى قَــابِ قَوْسَيْـ   ـنِ وَتِـلْكَ السِّيَـادَةُ الْقَعْسَاءُ
رُتَبٌ تَسقُطُ الأَمَــانِيُّ حَـسـرَى   دُونَـــهَا مَــا وَرَاءَهُنَّ وَرَاءُ
ثُمَّ وَافَى يُـحَدِّثُ النَّـاسَ شُـكْرَاً   إِذْ أَتَتْهُ مِــنْ رَبِّــهِ النَّعْمَـاءُ
وَتَحــدَّى فَـارْتَابَ كُلُّ مُـرِيبٍ   أَوَ يَبْقَى مَــعَ السُّيُولِ الْغُثَاءُ
وَهـوَ يَـدعُو إِلَى الإِلَهِ وَإِنْ شَـ   ـقَّ عَلَيْهِ كُـفْرٌ بِــهِ وَازْدِرَاءُ
وَيَــدُلُّ الْـوَرَى عَـلَى اللَّهِ بِالتَّوْ   حِيدِ وَهْوَ الْمَحَجَّةُ الْبَيْضـاءُ
فَبِـــمَا رَحْـمَةٍ مِنَ اللَّهِ لاَنَتْ   صَـخْرَةٌ مِنْ أَبَائِهِمْ صَــمَّاءُ
وَاسْتَجَابَتْ لَهُ بِنَصْرٍ وَفَتْـــحٍ   بَعدَ ذَاكَ الْخَـضْرَاءُ والْغَبْرَاءُ
وَأَطَاعَتْ لأَمْرِهِ الْعَــرَبُ الْـعَرْ   بَــاءُ وَالْــجَاهِلِيَّةُ الْـجُـهَلاَءُ
وَتَوَالَتْ لِلْمُصْطَفَى الآيَةُ الْكبْـ   ـرَى عَلَيْهِمْ وَالْغَـارَةُ الـشَّعْوَاءُ
وَإِذْا مَا تَلاَ كِتَابَــاً مِــنَ اللَّـ   ـهِ تَلَتْـــهُ كَتِيبَةٌ خَـضْــرَاءُ[١]

(١)المصدر نفسه ص ٣

ثم يلتفت الإمام البوصيري إلى أوصاف النبي الكريم ﷺ ومحاسنه التي لم يساويه فيها أحد وذلك في ثلاثة فصول متوالية فالفصل الخامس في صبره وعفوه ، حيث يقول :

لاَ تَخَلْ جَانِبَ النَّبِيِّ مُضَاماً   حِينَ مَسَّتْهُ مِنْهُمُ الأَسْوَاءُ
كُلُّ أَمْرٍ نَابَ النَّبِيِّينَ فَالشِّـ   ـدَّةُ فِيهِ مَحْمُودَةٌ وَالرَّخَاءُ
لَوْ يَمَسُّ النُّضَّارَ هَوْنٌ مِنَ النَّا   رِ لَمَا اُخْتِيرَ لِلنُّضَارِ الصِّلاَءُ
كَمْ يَدٍ عَنْ نَبِيِّهِ كَفَّهَا اللَّـ   ـهُ وَفِي الْخَلْقِ كَثْرَةٌ وَاجْتِرَاءُ
إِذْ دَعَا وَحْدَهُ الْعِبَادَ وَأَمْسَتْ   مِنْهُ فِي كُلِّ مُقْلَةٍ أَقذَاءُ
هَمَّ قَوْمٌ بِقَتْلِهِ فَأَبَى السَّيْـ   ـفُ وَفَاءً وَفَاءَتْ الصَّفْوَاءُ
وَأَبُو جَهْلٍ إِذْ رَأَى عُنُقَ الْفَحْـ   ـلِ إِلَيْهِ كَأَنَّهُ الْعَنْقَاءُ
وَاقْتَضَاهُ النَّبِيُّ دَيْنَ الإِرَا   شِيِّ وَقَدْ سَاءَ بَيعُهُ وَالشِّرَاءُ
وَرَأَى الْمُصْطَفَى أَتَاهُ بِمَا لَمْ   يَنجُ مِنهُ دُونَ الوَفَاءِ النَّجَاءُ(٢)

ويتحدث في الفصل السادس عن أخلاقه الكريمة وبعض معجزاته وإليكم بعض الأبيات:

فَتَنَزَّهْ فِي ذَاتِهِ وَمَعَانِيـ   ـهِ اسْتِمَاعَاً إِنْ عَزَّ مِنْهُ اجْتِلاَءُ
وَامْلإِ السَّمْعَ مِنْ مَحَاسِنَ يُمْلِيـ   ـهَا عَلَيْكَ الإِنْشَادُ وَالإِنْشَاءُ
كُلُّ وَصْفٍ لَهُ إِبْتَدَأْتَ بِهِ اسْتَوْ   عَبَ أَخْبَارَ الْفَضْلِ مِنْهُ ابْتِدَاءُ
سَيِّدٌ ضِحْكُهُ التَّبَسُّمُ وَالْمَشْـ   ـيُ الْهُوَيْنَا وَنَوْمُهُ الإِغْفَاءُ

---

(١)المصدر نفسه ص ٤

(٢)المصدر نفسه ص ٥

مَا سِوَى خُلْقِــهِ النَّسِيمُ وَلاَ غَيْـ ـرُ مُـــحَيَّـــاهُ الرَّوْضَـةُ الْغَنَّاءُ

رَحْـمَةٌ كُلُّـــهُ وَحَــزْمٌ وَعَـزْمٌ وَوَقَـــارٌ وَعِــصْمَــةٌ وَحَـيَاءُ(١)

أما الفصل السابع فهو في أوصاف ذاته الكريمة يقول:

لَيْتَـــهُ خَصَّنِـــي بِرُؤْيَــةِ وَجْـهٍ زَالَ عَنْ كُلِّ مَـــنْ رَآهُ الشَّقَاءُ

مُسْفِـــرٌ يَـلْتَقِي الْـكَتِيبَةَ بَسَّـــا مًا إِذَا أَسْهَمَ الْوُجُــوهَ اللِّقَـــاءُ

جُعِلَتْ مَسْجِداً لَـــهُ الأَرْضُ فَاهْتَـ زَّ بِهِ لِلصَّــلاَةِ فِيهَـــا حِرَاءُ

مُظْهِرٌ شَجَّةَ الْجَبِينِ عَـــلَى الْبُرْ ءِ كَمَا أَظْـــهَرَ الْهِـلاَلَ الْبَـرَاءُ

سُتِرَ الْحُسْنَ مِنْهُ بِالْحُسْنِ فَاعْجَبْ لِــجَمَالٍ لَـــهُ الْـجَمَالُ وِقَاءُ

فَهْوَ كَالزَّهْرِ لاَحَ مِنْ سَجَفِ الأَكْـ مَـامِ وَالْـعُودِ شُقَّ عَنْهُ اللِّحَاءُ(٢)

ويــأتي الفصــل الثــامن ليطــرح الإمــام البوصــيري فيــه وصــف القــرآن الكــريم وتنديد الضالين عنه في ستة عشر بيتا معظممها هكذا:

عَجَباً لِلْكُفَّـارِ زَادُوا ضَـــلاَلاً بِالَّذِي فِيهِ لِلْعُــقُولِ اهْتِــدَاءُ

وَالَّذِي يَسْأَلُونَ مِنْـهُ كِتَـــابٌ مُنْزَلٌ قَـــدْ أَتَـــاهُـمُ وَارْتِقَـاءُ

أَوَ لَـمْ يَكْفِـهِمْ مِــنَ اللَّهِ ذِكْرٌ فِيهِ لِلنَّاسِ رَحْــمَـةٌ وَشِفَـــاءُ

أَعْجَـزَ الإِنْسَ آيَةٌ مِنـهُ وَالْـجِـ ـنَّ فَـهَـلاَّ تَأْتِي بِهَـــا الْبُلَغَاءُ

كُلَّ يَوْمٍ يُـــهدَى إِلَى سَامِعِيهِ مُعْجِزَاتٍ مِـــنْ لَفظِـهِ القُرَّاءُ

تَتَــحَلَّى بِـــهِ الـمَسَامِعُ وَالأَفْـ وَاهُ فَــهْوَ الْحــُلِيُّ وَالْحَـلْـوَاءُ

رَقَّ لَفْظَاً وَرَاقَ مَـعْنَىً فَـجَاءَتْ فِي حُــلاَهَا وَحَلْيِهَا الْـخَنْسَاءُ(١)

---

(١)المصدر نفسه ص ٧

(٢)المصدر نفسه

أمـا الفصـل التاسـع و العاشـر ففيهمـا رد علـى النصـارى وأهـل الكتـاب تنديـد بعقائد اليهود وتسفيه عقولهم ، فيقول في الرد على النصارى وأهل الكتاب:

قَوْمَ عِيْسَى عَامَلَتْمُ قَوْمَ مُوسَى بِـــالَّـــذِي عَـــامَلَتْكُمُ الْحُنَفَاءُ
صَـدَّقُوا كُتْبَـكُمْ وَكَذَّبْتُـمُ كُتْـ بَـهُمُ إِنْ ذَا لَـبِئْسَ الـبْـوَاءُ
لَـوْ جَـحَدْنَا جُحُودَكَمْ لاَسْتَوَيْنَا أَوَ لِلْـحَقِّ بِـالضَّـلاَلِ اسْتِوَاءُ
مَـالَكُـمْ إِخْـوَةَ الْكِتَـابِ أُنَاسَاً لَيـسَ يَـرعَى لِلحَقِّ مِنْكُمْ إِخَاءُ
يَحْـسُدُ الأَوَّلُ الأَخِـيرَ وَمَـازَا لَ كَـذَا الـمُـحْدَثُونَ والْقُدَمَاءُ
قَـدْ عَلِـمْتُمْ بِظُلْمِ قَابِيلَ هَابِيـ لَ وَمَـظلُـومُ الإِخـوَةِ الأَتْقِيَاءُ
وَسَمِعـتُمْ بِـكَيْـدِ أَبْنَاءِ يَعْقُو بَ أَخَـاهُـمْ وَكُلُّـهُم صُلَحَاءُ
حِينَ أَلْقَوْهُ فِـي غَيَابَـةِ جُـبٍ وَرَمَـوْهُ بِـالإِفْـكِ وَهـوَ بَرَاءُ
فَتَأَسَّوْا بِمَنْ مَـضَـى إِذْ ظُلِمتُمْ فَـالتَّأَسِّي لِلـنـفسِ فِيهِ عَزَاءُ[٢]

ويتوجه إلى اليهود فيقول:

خَبِّرُونَا أَهـلَ الْكِتَابَينِ مِـن أَيْـ ـنَ أَتَاكُـمْ تَثْلِيثُكُـمْ وَالْبَـدَاءُ
مَا أَتَى بِـالْـعَقِيدَتَيْنِ كِتَـابٌ وَاعْتِقَادٌ لاَ نَصَّ فِيـهِ ادَّعَـاءُ
والـدَّعَاوِي مَـا لَـم تُقِيمُوا عَلَيْهَا بَيِّنَـاتٍ أَبنَاؤُهَـا أَدْعِيَـاءُ
لَيْتَ شِعْرِي ذِكـرُ الثَّلاَثَةِ وَالـوَا حِدِ نَقْصٌ فِي عَدِّكُم أَم نَمَاءُ
كَيْفَ وَحَّدْتُـمُ إِلَـهاً نَفَى التَّوْ حِيدَ عَنْـهُ الآبَـاءُ وَالأَبْنَـاءُ
أَإِلَهٌ مُـرَكَّـبٌ مَـا سَمِـعَنَا بِـإِلَـهٍ لِـذَاتِـهِ أَجْـزَاءُ[١]

---

(١)المصدر نفسه ص ٨

(٢)المصدر نفسه ص ٩

يتفـرد الإمـام البوصـيري بـذكر غـزوة الأحـزاب فـي الفصـل الحـادي عشـر خـلال سـتة عشـر بيتـا فيصـف فيـه النـاظم إخـاء أصـحاب الرسـول صـلّى الله عليـه وسلّم، وكيـف فزعـت منهـا قلـوب الكفـار، ثـم يتحـدث عـن شـجاعة الرسـول وشـجاعة المسلمين. يقول:

وَاطـمَـأَنُّـوا بِـقَوْلِ الأَحْزَابِ إِخْوَا ... نِـهِـمُ إِنَّنَـا لَـكُـمْ أَوْلِـيَـاءُ
حَـالَفُوهُـم وَخَـالَفُـوهُمْ وَلَـمْ أَدْ ... رِ لِـمَـا ذَا تَخـالَـفَ الـحُلَفَاءُ
أَسـلَـمُـوهُـم لأَوَّلِ الْحَشْـرِ لاَ مِيـ ... ـعَـادُهُـم صَـادِقٌ وَلاَ الإِيـلاَءُ
سَـكَـنَ الـرُّعْبُ وَالْخَرَابُ قُلُـوباً ... وَبُـيُـوتاً مـنِـهُمْ نَـعَـاهَا الْجَلاَءُ
وَبِـيَـمِ الأَحـزَابِ إِذ زَاغَـتْ الأَبْـ ... ـصَـارُ فِـيهِ وَضـلَّـتِ الآرَاءُ
وَتَـعَدَّوْا إِلَـى الـنَّبِـيِّ حُـدُوداً ... كَانَ فِـيـهَا عَـلَيهِـمُ الْعدوَاءُ
وَنَهَتْهُمْ وَمَـا انْتَهَـتْ عَنْـهُ قَـوْمٌ ... فَـأُبِيـدَ الأَمَّـارُ وَالنَّـهَّاءُ
وَتَعَـاطَـوْا فِي أَحْـمَدٍ مُنْكَرَ الْقَوْ ... لِ وَنُـطْـقُ الأَرَاذِلِ الْـعَوْرَاءُ
كُلُّ رِجْـسٍ يَزِيـدُهُ الْـخُلُـقُ السُّو ... ءُ سَفَـاهَـاً وَالْمِـلَّةُ الـعَـوجَاءُ
فَانْـظُـرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْقَوْ ... مِ وَمَـا سَـاقَ لِلْبـذِيّ الـبَذَاءُ
وَجَـدَ السَّـبَّ فِيـهِ سَمَّاً وَلَمْ يَدْ ... رِ إِذِ الـمِـيمُ فِي مَـوَاضِعَ بَاءُ
كَـانَ مِـنْ فِيـهِ قَتْلُـهُ بِيَدَيْـهِ ... فَهـوَ فِي سُـوءِ فـعِلِهِ الزَّبَّاءُ
أَوْ هُوَ النَّحْلُ قَرْصُهَا يَجْلِبُ الْحَتْـ ... ـفَ إِلَيْـهَـا وَمَـالَـهُ إِنـكَاءُ
صَرَعَتْ قَوْمَـهُ حَـبَـائِـلُ بَغْـيٍ ... مَـدَّهَـا الْمَكْرُ مِنـهُمُ وَالـدَّهَاءُ
فَأَتَتْهُمْ خَيْلٌ إِلَى الْـحَـرْبِ تَختَا ... لُ وَلِلْخَيْلِ فِي الـوَغَى خَـيـلاَءُ

(١)المصدر نفسه ص ١٠

قَصَــدَتْ فِيهِـمُ الْقَنَـا فَقَــوَافِي   الطَّعْنِ مِنْهَا مَا شَأْنَـهَا الإِيطَـاءُ(١)

أمـا الفصـل الثـاني عشـر ففـي فـتح مكـة المشـرفة وزيـارة المدينـة المنـورة ،فيـذكر مـن خـلال هـذا الفصـل وقعـة الفـتح ومـا ظهـر يومئـذ مـن عفـو النبـي ﷺ المشـركين وكرمهم عليهم، وكذلك يذكر رحلة النبي ﷺ إلى المدينة مع الأنصار. يقول:

وَأَثَارَتْ بِأَرْضِ مَــكَّــةَ نَقْـعَـاً   ظُنَّ أَنَّ الْغُــدُوَّ مِنْهَا عِشَاءُ

أَحـجَـمَتْ عِنْدَهُ الْحَجُونُ وَأَكْدَى   عِنْــدَ إِعْــطَائِهِ الْقَلِيلَ كَدَاءُ

وَدَهَتْ أَوْجُـــهَــاً بِهَـا وَبُيُوتَاً   مُـــلَّ مِنْهَا الإِكْفَاءُ وَالإِقْوَاءُ

فَـــدَعَــوْا أَحلَـمَ الْبَرِيَّةِ وَالْعَفْـ   ـوُ جَوَابُ الْحَلِيمِ وَالإِغْـضَـاءُ

نَـاشَدُوهُ الْقُرْبَى الَّتِي مِنْ قُرَيْـشٍ   قَطَـعَتْهَــا التِّرَاثُ وَالشَّحنَاءُ

فَـعَـفَا عَفْوَ قَادِرٍ لَــمْ يُنَغِّصْـ   ـهُ عَلَيْهِــمْ بِمَا مَضَى إِغْرَاءُ

وَإِذَا كَانَ الـقَـطْـعُ وَالـوَصْلُ لِلَّـ   ـهِ تَسَاوَى التَّقْرِيبُ وَالإِقصَاءُ

وَسَـوَاءٌ عَــلَيْــهِ فِيمَـا أَتَـاهُ   مِنْ سِــوَاهُ الْمَــلامُ وَالإِطرَاءُ

وَلَـو أَنَّ انـتِـقَـامَــهُ لِهَوَى النَّفْـ   ـسِ لَدَامَـتْ قَطِيعَـــةٌ وَجَفَاءُ

قَـامَ لِلَّهِ فِـي الأُمُـورِ فَـأَرْضَى   اللَّهَ مِنْهُ تَبَـــايُــنٌ وَوَفَـــاءُ

فِعلُهُ كُلُّهُ جَـمِيــلٌ وَهَــلْ يَنْـ   ـضَحُ إِلاَّ بِمَــا حَــوَاهُ الإِنَاءُ

قَـرَّبَ الـزَّاهِرُ الـمَسَاجِدَ مِنْـهَا   بِخُطَاهَا فَالْبُطْءُ مِنْهَـا وَحَـاءُ

هَـذِهِ عِـدَّةُ المنَــازِلِ لاَ مَــا   عُدَّ فِيهِ السِّمَـاكُ وَالْـعَــوَّاءُ

فَـكَأَنِّي بِـهَـا أُرَحِّـلُ مِــنْ مَـ   ـكَّةَ شَمْسَاً سَمَـــاؤُهَا الْبَيْدَاءُ(٢)

(١)المصدر نفسه ص ١٢

(٢)المصدر نفسه ص ١٣

الفصل الثالث عشر في مدح البيت الحرام وأعمال الحج والزيارة، يتحدث الإمام البوصيري عن بلدة مكة بأنها مهبط للوحي وعدّ في فضلها جميع أعمال الحج والعمرة بأنه هناك الطواف والسعي والحل والحلق ورمي الجمار والإهداءوغيرها ، فيقول:

مَوْضَعُ الْبَيْتِ مَهْبِطُ الْوَحْيِ مَــأْوَى   الرُّسْلِ حَيْثُ الأَنْوَارُ حَيْثُ الْبَهَاءُ

حَيْثُ فَرْضُ الطَّوَافِ وَالسَّعْيُ وَالْحَلْ   وَالْحَلْقُ وَرَميُ الْجِمَـارِ وَالإِهْدَاءُ

حَبَّـذَا حَبَّـذَا مَـعَـاهِـدُ مِنْـهَا   لَـمْ يُغَيِّـرْ آيَـاتِـهُنَّ الْبَلاَءُ

حَـرَمٌ آمِـنٌ وَبَيـتٌ حَـرَامٌ   وَمَـقَـامٌ فِيـهِ الْمَقَامُ تَلاَءُ

فَقَضَينَا بِـهَـا مَنَاسِكَ لاَ يُحْ   ـمَدُ إِلاَّ فِي فِعْلِـهِـنَّ الْقـضَاءُ

وَرَمَـيـنَـا بِهَا الْفِجَـاجَ إِلَـى طَيْ   بَةَ وَالسَّيْرُ بِالْـمَـطَايَـا رِمَـاءُ

فَـأَصبـنَا عَن قوسِهَا غَرَضَ الْقُرْ   بِ وَنِعمَ الـخَبِيئَةُ الْكَوْمَـاءُ(١)

الفصل الرابع عشر في التوسل بآل البيت رضي الله عنهم أجمعين، ففي هذا الفصل عشرون بيتا لقد توسل فيها الإمام البوصيري بآل النبي ﷺ ، فذكر الإمام الحسن و الإمام الحسين رضي الله عنهما على وجه الخصوص ، و أظهر حزنه وهمه بوقعة كربلاء مخاطبا للحسين فما أحسن ما يقول:

وَبِرَيْحَانَتَيْـنِ طِـيبُهُمُـا مِنْ   ـكَ الَّـذِي أَوْدَعَتْهُمَـا الزَّهْرَاءُ

كُنْتَ تُؤْوِيهِمَـا إِلَيْـكَ كَـمَـا آ   وَتْ مِـنَ الْخَـطِّ نُقْطَتَيْهَا الْيَاءُ

مِن شَهِيدَيْنِ لَيسَ يُنْسِينِيَ الـطَّ   فُّ مُصَابَيْهِمَـا وَلاَ كَـرْبِـلاَءُ

مَا رَعَى فِيهِمَا ذِمَـامَكَ مَرْءُو   سٌ وَقَدْ خَانَ عَهْدَكَ الرُّؤَسَـاءُ

---

(١)المصدر نفسه ص ١٤

أَبْدَلُوا الْوِدَّ وَالْحَفِيظَةَ فِي القُـرْ بَى وَأَبـدَتْ ضِبَابَـهَا النَّافِقَـاءُ
وَقَسَتْ مِنْهُمْ قُلُوبٌ عَلَى مَـنْ بَكَـتِ الأَرْضُ فَقْدَهُمْ وَالـسَّمَاءُ
فَابْكِهِمْ مَا اسْتَطَعْتَ إِنَّ قَلِيـلاً فِي عَظِيمٍ مِنْ الْمُصـابِ الْبكَاءُ
كُلُّ يَوْمٍ وَكُلُّ أَرْضٍ لَكَـرْبِي مِنْهُـمُ كَـرَبَلاَ وَعَـاشُورَاءُ
آلَ بَيْـتِ النَّبِيِّ إِنَّ فُـؤَادِي لَيْسَ يُسْلِيهِ عَنْكُـمُ التَّأْسَـاءُ
غَيْرَإِنِّي فوَّضـتُ أَمرِي إِلَى اللَّـ ـهِ وَتَفْوِيـضِيَ الأُمُـورَ بَرَاءُ
رُبَّ يَـوْمٍ بِـكَـرْبِلاَءُ مُسِيءٍ خَفَّفَتْ بَعْـضَ وِزْرِهِ الـزَّوْرَاءُ
وَالأَعَـادِي كَأَنَّ كُلَّ طَـرِيحٍ مِنْهُـمُ الـزِّقُّ حُلَّ عَنْهُ الْوِكَاءُ
آلَ بَيْتِ النَّبِيِّ طِبـتُمْ فَطَابَ الْـ ـمَدْحُ لِي فِيكُمُ وَطَابَ الرِّثَاءُ
أَنَـا حَسَّـانُ مَـدْحِكُمْ فَإِذَا نُحْـ ـتُ عَـلَيْكُمْ فِإِنَّنِي الْخَنسَاءُ
سِـدْتُمُ النَّاسَ بِـالتُّقَى وَسِوَاكُمْ سَـوَّدَتـهُ الْبَيْضَـاءُ وَالصَّفـرَاءُ[١]

الفصل الخامس عشر في التوسل بالصحابة الكرام رضي الله عنهم، نجد في هذا الفصل خمسة وثلاثين بيتا ، يتعرض فيها الإمام البوصيري لذكر أصحاب النبي ﷺ، ويورد خلال ذلك ما يؤيد مذهب أهل السنة والجماعة من أفضلية أبي بكر الصديق على غيره واستحقاقه للخلافة ، ثم عمر بن الخطاب وبعده عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب على ترتيب " الأقدم فالأقدم" فأولا أثنى على جميعهم ، فقال :

وَبِأَصْحَابِـكَ الَّذِينِ هُـمُ بَعْـ ـدَكَ فِينَا الْهُدَاةُ وَالأَوْصِيَـاءُ
أَحْسَنُوا بَعْدَكَ الْخِلاَفَةَ فِي الـدِّيـ ـنِ وَكُـلٌّ لِـمَا تَوَلَّـى إِزَاءُ
أَغْنِيَـاءُ نَـزَاهَـةً فُـقَـرَاءٌ عُلَمَاءٌ أَئِمَّـةٌ أُمَـرَاءُ

(١) المصدر نفسه ص ١٥

زَهِدُوا فِي الدُّنَا فَمَـا عَرَفَ الْمَيْـ ـلُ إِلَيْهَا مِنْهُـمْ وَلاَ الرَّغْبَـاءُ
أَرْخَصُوا فِي الْوَغَى نُفُوسَ مُلُوكٍ حَارَبُوهَا أَسـلاَبُـهَـا إِغـلاَءُ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمُ وَرَضَوا عَـنْـ ـهُ فَـأَنَّى يَخْطُو إِلَيْهِمْ خَـطَاءُ
كُلُّهُمْ فِي أَحْكَامِـهِ ذُو اجتِهَـادٍ وَصَوَابٍ وَكُلُّهُـمْ أَكْـفَـاءُ(١)

ثم يأتي بفضائل أبي بكر ومن جاء بعده متربعا على عرش الخلافة ومن بُشِّر بالجنة على لسان الرسول ﷺ، فقال:

جَـاءَ قَـومٌ مِـن بَـعدِ قَـومٍ بَحقٍ وَعَـلَى الْمَنـهَجِ الْـحَنـيفِيِّ جَـاؤُا
مَـا لِمُـوسَى وَلاَ لِـعِيسَى حَوَارِ يُّـونَ فِـي عَـدِّهِـمْ وَلاَ نُقَبَاءُ
بِأَبِي بَكْـرٍ الَّـذِي صَـحَّ لِلنَّـا سِ بِـهِ فِي حَيَـاتِـكَ الإِقْتِدَاءُ
وَالْمُهَدِّي يَـوْمَ السَّقِـيفَـةِ لَـمَّا أَرْجَـفَ النَّـاسَ إِنَّـهُ الدَّأْدَاءُ
وَأَبِـي حَـفـصٍ الّـَذِي أَظْـهَرَ اللَّـ ـهُ بِـهِ الدِّينَ فَارْعَوَى الـرُّقَبَاءُ
وَالَّـذِي تَـقـرُبُ الأَبَاعِدُ فِي اللَّـ ـهِ إِلَيْـهِ وَتَبْـعُدُ الْقُـرَبَاءُ
عُمَرَ بنَ الْخَطَّابِ مَن قَوْلُهُ الفَصـ ـلُ وَمَـنْ حُكْمُهُ السَّوِيُّ السَّوَاءُ
فَرَّ مِنْهُ الشَّيـطَانُ إِذْ كَانَ فَـارُو قاً فَلِلنَّـارِ مِـنْ سَنَـاهُ انْـبِرَاءُ
وَابنِ عَفَّانَ ذِي الأَيَادِي الَّتِي طَا لَ إِلَى الْمُصْطَفَى بِـهَا الإِسـدَاءُ
حَفَرَ الْبِئْرَ جَهَّز الجَيشَ أَهدَى الـ ـهَدْيَ لَـمَّا أَنْ صـدَّهُ الأَعْدَاءُ
وَأَبَى أَنْ يَطُـوفَ بِالْبَيـتِ إِذ لَـم يَـدْنُ مِنْـهُ إِلَى النَّبِيِّ فِنَاءُ
وَعَلِيٍّ صِنْـوِ النَّبِـيِّ وَمَـنْ دِيـ ـنُ فُـؤَادِي وِدَادُهُ وَالـوَلاَءُ
وَوَزِيرِ ابْنِ عَـمِّـهِ فِي الْمَعَالِي وَمِـنَ الأَهْـلَ تَسْـعَدُ الْوُزَرَاءُ(١)

---

(١)المصدر نفسه

أما الفصل السادس عشر ففي الاستغاثة به .وهو أيضا يحتوي على خمسة وثلاثين بيتا يستغيث فيها الإمام البوصيري بالنبي ﷺ ويعد حبه الصادق للرسول سببا للشفاعة ، ويشتكي إليه حاجات النفس وشهواتها، ويقر بذنوبه ولكنه يأمل الخير والمغفرة بمدحه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فيقول:

الأَمَانَ الأَمَانَ إِنَّ فُؤَادِي   مِن ذُنُوبٍ أَتَيتُهُنَّ هَوَاءُ
قَد تَمَسَّكتُ مِنْ وِدَادِكَ بِالحَبـ   ـلِ الَّذِي اسْتَمْسَكَتْ بِهِ الشُّفَعَاءُ
وَأَبَى اللَّهُ أَن يَمَسَنِيَ السُّو   ءُ بِحَالٍ وَلِي إِلَيكَ التِجَاءُ
قَد رَجَونَاكَ لِلأُمُورِ الَّتِي أَبـ   ـرَدُهَا فِي قُلُوبِنَا رَمضَاءُ
وَأَتَيْنَا إِلَيْكَ أَنْضَاءَ فَقرٍ   حَمَلَتنَا إِلَى الْغِنَى أَنْضَاءُ
وَانطَوَت فِي الصُّدورِ حَاجَاتُ نَفسٍ   مَا لَهَا عَنْ نَدَى يَدَيْكَ انْطِوَاءُ
فَأَغِثنَا يَامَنْ هُوَ الْغَوْثُ وَالْغَيْـ   ـثُ إِذَا أَجهَدَ الوَرَى الَّلأْوَاءُ
وَالجَوَادُ الَّذِي بِهِ تفْرَجُ الْغُـ   ـمَّةُ عَنَّا وَتُكشَفُ الْحَوْبَاءُ
يَا رَحِيمَاً بِالمُؤْمِنِينَ إِذَا مَا   ذَهِلَت عَن أَبْنَائِهَا الرُّضَعَاءُ
يَا شَفِيعاً لِلمُذنِبِينَ إِذَا أَشْـ   ـفَقَ مِن خَوفِ ذَنْبِهِ الْبُرَأَءُ
جُد لِعَاصٍ وَمَا سِوَايَ هُوَ الْعَا   صِي وَلَكِن تَنكُّرِي استِحْيَاءُ(٢)

والفصل السابع عشر في النصيحة وتكرير الاستغاثة به وعدة من أبياته كما يلي:

صَاحِ لاَتَأْسَ إِنْ ضَعُفْتَ عَنِ الطَّا   عَةِ وَاسْتَأْثَرَتْ بِهَا الأَقْوِيَاءُ
إِنَّ لِلّهِ رَحمَةً وَأَحَقُّ   النَّاسَ مِنْهُ بِالرَّحْمَةِ الضُّعَفَاءُ

---

(١)المصدر نفسه ص ١٦

(٢)المصدر نفسه ص ١٧

فَابـقِ فِي الـعُرجِ عِندَ مُنْقَلَبِ الذَّو   دِ فَفِي الْعَوْدِ تَسْبِــقُ الْعَــرْجَاءُ
وَأتِ بِـالـمُسـتَـطَاعِ مِـن عَمَلِ الْبِ   ــرِّ فَقَـدْ يُسْـــقِطُ الثِّمَارَ الإِتَاءُ
وَبِـحُـبِّ النَّبِيّ فَـابــغِ رِضَــا اللَّ   ــهِ فَفِــــي حُبِّهِ الرِّضَا وَالـحِبَاءُ
يَــا نَبِيَّ الــهُدَى استِغَاثَةَ مَــلـهُو   فٍ أَضَرَّتْ بِحَالِـــهِ الْحَـــوبَاءُ
يَـدَّعِي الـحُبَّ وَهـوَ يَأْمُرُ بِالسُّو   ءِ وَمَـن لِي أَن تَـصدُقَ الرَّغْبَاءُ
أَيُّ حُـبٍّ يَـصَـحُّ مِنــهُ وَطَــرْفِي   وَاصْلٌ لِلْكَـــرَى وَطَيفُـــكَ رَاءُ
لَيتَ شِعـرِي أَذَاكَ مِن عُظْمِ ذَنْبٍ   أَم حُظُـــوظُ المُتَيَّمِينَ حُظَاءُ
إِن يَكُـن عُظمُ زَلَّتِي حُجـبَ رُؤيَا   كَ فَـقَـد عَـزَّ دَاءَ قَـلبِي الدَّوَاءُ[1]

ثـم يـأتي الإمـام البوصـيري بالفصـل الثـامن عشـر الـذي هـو الفصـل الأخيـر لهـذه القصـيدة ، وهـو فـي الاعتـذار إلــى النبــي الكـريم ﷺ.وينهــى الشــاعر قصـيدته متوســلا ومناجيـا رسـول الله ﷺ ويعطـي لنفسـه الأمـل والثقـة ثـم يتوجـه بالـدعاء إلـى ربـه عـز وجـل، وفــي هـذا الفصـل يصـلى علـى النبـي ويسـلم عليـه مخاطبـا لـه وبهـذه الصـلوة والسـلام تصل القصيدة إلى النهاية وبعض الأبيات هكذا:

فَسَلاَمٌ عَلَيْكَ تَتْــرَى مِــنَ اللَّ   ـهِ وَتَـبقَى بِـــهِ لَكَ البَــأوَاءُ
وَسَلاَمٌ عَلَيــكَ مِنْــكَ فَمَا غَيْ   ـرُكَ مِنـهُ لَكَ السَّـــلاَمُ كَفَاءُ
وَسَلاَمٌ مِــنْ كُلِّ مَا خَلَقَ اللَّ   ـهُ لِتَحيَا بِـذِكــرِكَ الإِمـلاَءُ
وَصَـــلاَةٌ كَالـمِسكِ تَحْمِلُهُ مِـ   ـنِي شَمَـالٌ إِلَيـكَ أَو نَكبَاءُ
وَسَـلاَمٌ عَلَى ضَرِيحِكَ تَخْضَـ   ـلُّ بِـهِ مِنــــهُ تُـربَةٌ وَعسَاءُ
وَثَنَـــاءٌ قَدَّمـتُ بِينَ يَدَيْ نَجـ   ـوَايَ إِذَ لَـم يَكُـن لَدَيَّ ثَـرَاءُ
مَــا أَقَـامَ الصَّلاَةَ مَن عَبَدَ اللَّ   ـهَ وَقَـامَـت بِـرَبِّـهَا الأَشْيَاءُ[2]

****

(١)المصدر نفسه ص ٢٠
(٢)المصدر نفسه

المطلب الثالث

دراسة تحليلية للقصيدة المضرية في الصلاة على خير البرية

أولا: التعريف بالقصيدة

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[١] تقتضي هذه الآية أن الصلوة على النبي ﷺ واجب.

وقال النبي ﷺ: « صلوا على أنبياء الله ورسله ، فإن الله بعثهم كما بعثني، صلوات الله وسلامه عليهم » [٢].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة ». [٣]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: « رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليّ » [٤].

وعن أوس بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فأكثروا عليّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة عليّ »، قالوا: يا رسول الله! وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ قال: يقول بليت، قال: « إن الله حرم على الأرض أجساد الأنبياء » [٥].

---

(١) الأحزاب : ٥٦

(٢) دلائل النبوة للبيهقي ٩٠/٣

(٣) الجامع الترمذي ١٣٤/٢، وصحيح ابن حبان ٣٥/١٢

(٤) المصدر نفسه

(٥) سنن أبي داؤد ٢٣١/٢

والروايات في الصلاة على النبي ﷺ لا تعد لا تحصى، ونظرا إلى هذه الروايات قد أصبحت الصلاة عليه جزءا للمديح النبوي الشريف، والشعراء المادحون لايزالون يصلون عليه في شعرهم حسب ما يقتضيه حبهم للرسول ﷺ، فمنهم من صلى عليه في بيت أو بيتين أو أكثر من أبيات القصيدة المدحية، ومنهم من خصّ القصيدة بكاملها للصلاة على النبي ﷺ. فإذا فكرنا في شعر الإمام البوصيري من هذه الناحية وجدنا أنه تارة يصلي على النبي ﷺ في ضمن أيّ قصيدة كما لاحظنا أواخر الأبيات من همزيته في المطلب الثاني من نفس المبحث، وأخرى يخصّ القصيدة كلها لهذا الغرض.

والقصيدة المضرية للإمام البوصيري والتي تدعى بـ"القصيدة المضرية في الصلاة على خير البرية" من هذاالقسم ، وتسميته بـ" مضر" من قبيل تسمية الكل باسم الجزء، وهذا نزرا إلى ما ورد هذا الاسم في المصرع الأول من مطلعها، وقد كانت مضر هي الفرع الأكبر مقارنة بربيعة، حتى إنه يستعاض أحيانا عن اسم عدنان باسم المضرية بمقابل القبائل المسماة باليمانية أو القحطانية، ويطلق ابن خلدون على اللغة العربية اسم "لغة مضر". وينتمي إلى مضر النبي محمّد ﷺ،[١] وإلى هذا يشير الشاعر في القصيدة.

ثانيا: عناصر القصيدة

لقد نظم الإمام البوصيري هذه القصيدة للصلاة على رسول الله ﷺ، تحتوي القصيدة على إثنين وأربعين بيتا، صلى على النبي ﷺ ويذكر أوصافه الحميدة ويدخل تحت هذه الصلاة أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار والذين شهدوا معه في غزوات عديدة، ثم يصف تلك الصلاة بأزكى وأنمى وأشرف وما إلى ذلك. يدعو

---

(١) انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٣/٤٣٠

الله تعالى أن يصلي على رسوله دواما كما يحب ويرضى ويأمرنا بأن نصلي عليه،يقول:

يا رب صل على المختار من مضر   والأنبياء وجميع الرسل ما ذكروا
وصل رب على الهادي وشيعته   وصحبه من لطي الدين قد نشروا
وجاهدوا معه في الله واجتهدوا   وهاجروا وله آووا وقد نصروا
وبينوا الفرض والمسنون واعتصبوا   لله واعتصموا بالله فانتصروا
أزكى صلاة وأنماها وأشرفها   يعطر الكون ريًّا نشرها العطرُ
مفتوقة بعبير المسك زاكيةً   من طيبها أرج الرضوان ينتشر
عدَّ الحصى والثرى والرمل يتعبها   نجمُ السما ونبت الأرض والمدر
وعدّ وزن مثاقيل الجبال كذا   يليه قطر جميع الماء والمطرُ
وعد ما حوت الأشجار من ورقٍ   وكُلِّ حرفٍ غدا يُتلى ويستطر
والوحش والطير والأسماك مع نعم   يتلوهم الجنُّ والأملاكُ والبشرُ
والذر والنمل مع جمع الحبوب كذا   والشعروالصوفُ والأرياشُ والوبرُ
وما أحاط به العلمُ المُحيط   وما جرى به القلمُ المأمورُ والقدرُ
وعدَّ نعمائك اللاتي مننت بها   على الخلائقِ مذ كانوا ومذ حُشروا
وعدَّ مقدارِهِ السامي الذي شرُفت   به النبيون والأملاك وافتخروا
وعدَّ ما كان في الأكوانِ يا سندي   وما يكون إلى أن تُبعثَ الصورُ
في كل طرفةَ عينٍ يطرفون بها   أهل السماوات والأرضين أو يذروا
ملء السماوات والأرضين مع جبل   الفرش والعرش والكرسي وما حصروا
ما أعدم الله موجوداً وأوجد معـ   ـدوماً صلاةً دواماً ليس تنحصر

تستغرق العد مع جمع الدهور كما   تُحيطُ بالحد لا تبقي ولا تذرُ
لا غايةً وانتهاءً يا عظيمُ لها   ولا لها أمدٌ يُقضى فيُعتبرُ
وعدَّ أضعاف ما قد مر من عدد   مع ضعف أضعافه يامن له القدرُ
كما تُحبُّ وترضى سيدي وكما   أمرتنا أن نُصلِّي أنت مقتدرُ[1]

ويضيف الشاعر السلام إلى الصلاة كما تقضيه الآية المذكورة أعلاه بقوله:

مع السلام كما قد مر من عدد   ربي وضاعفهما والفضل منتشرُ
وكل ذلك مضروبٌ بحقك في   أنفاسِ خلقك إن قلوا وإن كثروا[2]

ويستغفر للقراء والسامعين والمسلمين وكذا لوالديه ولأهله ويعترف الذنوب ويعجز أمام ربه ولن يأمل العفو والغفران ويدعوه أن يعطيه حسن الأخلاق ويفرج عنه جميع الكربات، فيقول:

يا رب واغفر لقاريها وسامعها   والمسلمين جميعاً أينما حضرُوا
ووالدينا وأهلينا وجيرتنا   وكلنا سيدي للعفو مفتقر
وقد أتيت ذنوباً لا عداد لها   لكن عفوك لا يُبقي ولا يَذرُ
والهم عن كل ما أبغيه أشغلني   وقد أتى خاضعاً والقلبُ منكسرُ
أرجوك يارب في الدارين ترحمنا   بجاه من في يديه سبح الحجرُ
يا رب أعظم لنا أجراً ومغفرةً   فإن جودك بحر ليس ينحصرُ
واقضِ ديوناً لها الأخلاق ضائقةٌ   وفرج الكرب عنا أنت مقتدرُ

---

(١) ديوان البوصيري ص ٢٢٦
(٢) المصدر نفسه ص٢٢٧

وكن لـطيفاً بنـا في كـل نازلـةً   لُطفاً جميلاً بـه الأهـوال تنحسـرُ [1]

ويسـأل الإمـام البوصـيري مـن يسـتجيب دعـاء عبـده أن يتلقـى دعائـه القبـول بوسيلتة رسول الله ﷺ ، فيقول:

بالمصطفى المجتبى خير الأنام   ومن جلالةً نزلـت في مـدحه السورُ [2]

وأخيـراً يـدعو الله بـأن يصـلى علـى حبيبـه ويحصـل لصـحابته رضـوان الله ، ويـذكر فـي هـذا الخصـوص الخلفـاء الأربعـة والإمـام الحسـن والحسـين وصـفة خاصـة وكـذا البـواقي مـن العشـرة المبشـرة وعميـه الشـريفين حمـزة والعبـاس رضـي الله عـنهم أجمعين.إليكم الأبيات التالية:

ثم الصلاةُ على المختار ما طلعت   شمس النهار وما قد شعشـع القمرُ

ثم الرضـا عـن أبي بكـر خليفتـه   مـن قـامَ من بعدِهِ للديـن ينتصـرُ

وعن أبي حفصٍ الفاروقِ صاحِبِـهِ   من قـولُهُ الفصلُ في أحكامـِهِ عُمَرُ

وجُد لعثمان ذي النورين من كمُلت   لـه الـمـحاسنُ في الـدارين والظَّفرُ

كـذا عـليٌّ مع ابنيـه وأُمـهمـا   أهـلُ الـعباءِ كما قد جاءنا الخبـرُ

سعدٌ سعيدُ بن عـوفٍ طلحـةٌ وأبُو   عـبيـدةٍ وزُبـيـرٌ سـادةٌ غُـرَرُ

وحـمـزةٌ وكـذا الـعبـاسُ سيدُنـا   ونجلـُهُ الحبرُ من زالـت بـه الـغيرُ

والآلُ والصحبُ والأتباعُ قـاطبـةً   مـاجن ليلُ الدياجي أو بدا السـحـرُ [3]

****

(١) المصدر نفسه ص ٢٢٧-٢٢٨

(٢) المصدر نفسه ص ٢٢٨

(٣) المصدر نفسه

المطلب الرابع

دراسة تحليلية لقصيدة "الصبح بدا من طلعته"

أولا : تعريف القصيدة

هذه القصيدة من أشهر القصائد التي تعد من أجمل ما قيل في مدح الرسول ﷺ مع أن القصيدة لا تشتمل على مآت من الأبيات، بل فيها ثمانية أبيات فقط، ولكنها اشتهرت في حلقات المادحين وفاقت على قصائد طويلة وتنشد هذه القصيدة بشوق وولع في المجالس الدينية التي تنعقد لاصلاح المسلمين وموعظتهم باسم "جلسات السيرة النبوية" في شبه القارة الهندية كما تنشد القصيدة في العالم العربي، ونظرا إلى عدد أبياته وسهولتها وجودتها تحفظها الصبيان بأحسن وجه وتترنمها في مجالات الفرح في حياتهم.

ثانيا: عناصر القصيدة

هذه القصيدة من أقصر القصائد في المديح النبوي للإمام البوصيري كما سبق، قد بين الشاعر فيها صفات النبي ﷺ وفضائله ومحاسنه، فبدأها بأن بياض الصبح ليس له ضوء إلا من جمال وجه الرسول ﷺ ، وكذا الليل لم يستطع أن يكون سكنا ولباسا للناس لو لم يكن سواد شعره ﷺ، وهو أفضل الرسل كلهم ويهدي الخلق إلى الصراط المستقيم، وقد يتصف بالجود والكرم على حد كأنه هو الكنز للجود والسخا، ثم يتوجه إلى حسبه ونسبه فيقول إنه من أعلى النسب من العرب كلهم وهو كالخادمين له، وبما أن فضائل النبي ﷺ لا يتمّ إلا بذكر معجزاته فيذكر الشاعر عديدا من معجزاته من سعي الشجر ونطق الحجر وشق القمر ومعراجه الذي يعد من أعظم معجزاته، وأخيرا يبين أن الله تعالى يعفو عن أمته ما سلف منهم من المعاصي

بوسـيلته وشـفاعته ويخـتم القصـيدة مفتخـرا بـأن سـيدنا محمد رسـول الله ﷺ فلنـا مـن هـذه النسبة عز وشرف وإليكم نص القصيدة بكاملها:

الصُّبحُ بـدَا مِـن طَـلعَتِـهِ والليـلُ دجـا مـن وفـرتِـهِ[1]

فـاقَ الـرُّسـلا فـضلاً وعـلا أَهـدَى الـسُّبُـلاَ لِـدَلالَـتِـهِ

كنَـزُ الـكَرَمِ مـولِي النِّـعمِ هــادي الأمـمِ لـشـريـعـتهِ

أزكى الـنسبِ أعلى الحسبِ كُلُّ الـعـرَبِ فـي خِـدمَتِه[2]

سَعَتِ الشَّجَرُ نَطَقَ الحَجَرُ شُـقّ الـقَمَـرُ بِـإشـَارتِـهِ[3]

جِـبـرِيلُ أَتَـى لَيـلَـةَ أَسـرَى والــرَّبُ دعــاهُ لـحضرتهِ

نــالَ الـشـرَّفَـا والله عَـفَـا عـمـا سـلـفـا مـن أمتهِ

فـمحـمـدنـا هـوَ سيدنا فــالـعـزُّ لَـنـا لإجَـابـتِـهِ[4]

****

(١) فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾(الضحى:١-٢)

(٢) فيه إشارة إلى ما رواه الإمام مسلم عن واثلة ابن الأسقع قال قال النبي ﷺ: « إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم».(الصحيح لمسلم ، كتاب الفضائل برقم ٢٢٧٦)، وفي حديث رواه الطبراني عن ابن عمر قال:«إن الله اختار خلقه فاختار منهم بني آدم، ثم اختار بني آدم فاختار منهم العرب، ثم اختارني من العرب ، فلم أزل خيارا من خيار »، الحديث.(المعجم الكبير للطبراني ٢/٢٣٤)

(٣) تلميح إلى دلائل نبوته من أن الشجر قد سعى إلى النبي ﷺ بإشارته ، وكذا الحجر قد نطق وسبح والقمر قد انشق. انطر للتفصيل إلى: الصحيح للإمام البخاري كتاب الفضائل ، والصحيح للإمام مسلم كتاب الفضائل والسيرة لابن هشام باب معجزات النبي .

(٤) ديوان البوصيري ص ٢٣٠-٢٣١

المطلب الخامس
دراسة تحليلية لقصيدة "المحمّدية في مدح خير البرية"

أولا : التعريف بالقصيدة

هـي قصـيدة ذات شـهرة عظيمـة للإمـام شـرف الـدين البوصـيري، تشـتمل علـى ستة عشـر بيتـا ، قـد وصـف فيهـا الإمـام البوصـيري رسـول الله ﷺ بأوصـاف عظيمـة، ومـن خصـائص هـذه القصـيدة أن كـل بيـت بـل كـل مصـرع مـن أبياتهـا يبتـدئ بــ "محمد" فكـأن الشـاعر المـادح يـأتي أولا بموصـوف ثـم يـذكر صـفاته تتابعـا وتواصـلا، واسـتمر الشـاعر علـى هـذا المنـوال إلـى آخـر بيـت القصـيدة. قـد نالـت هـذه القصـيدة شـهرة واسـعة لـدى عشـاق النبـي ﷺ فـي العـالم العربـي وتعـد هنـاك مـن الأناشـيد الشـهيرة فـي مـدح الرسول ﷺ .

ثانيا: عناصر القصيدة

تأخـذ هـذه القصـيدة فـي ثناياهـا سـتة عشـر بيتـا كمـا قلنـا، وفـي كـل بيـت يـأتي اسـم "محمد" مـرتين أي فـي بدايـة المصـرعين، ولـذ سـميت القصـيدة بــ" المحمّديـة"، ثـم تتـوالي أوصـاف النبـي ﷺ التـي هـي منثـورة فـي أوراق كتـب السـيرة ومعظـم تلـك الصـفات هكـذا، أنــه سـيد العـرب والعجـم ويبسـط المعـروف ويحسـن الإنسـانية جمعـاء ويكرمهـا، هـو سـيد الأنبيـاء والرسـل كلهـم ، ويثبـت الميثـاق وهـو ذو أخـلاق عظيمـة وشـيم كريمـة وأنـه مـن نـور الله ويحـنم بالعـدل، قـد أرسـله الله بالـدين الحـق وبـذكره تطمـئن أرواحنـا وأنفسـنا ولـذا وجـب علينـا أن نشـكره، وقـد زيّـن الله بـه الـدنيا ومـا فيهـا وهـو يكشـف عنـا الغمـات والظلـم وقـد اصـطفاه الله تعـالى مـن بـين الأنبيـاء والرسـل، حيـث لـم يُـتّهم بتهمـة قـط وهـو يقـري الضـيوف ويكـرمهم وكـذا يحسـن إلـى جيرانـه ، وقـد أطـاب الله ببعثتـه الـدنيا حيـث أعطـاه

الآيـات البـاهرة والحكـم العاليـة، ومـا إلـى ذلـك مـن خصـائله النبيلـة وأخلاقـه الطـاهرة. وإليكم نص القصيدة بكاملها:

مُحَمَّدٌ أَشرَفُ الأعرَابِ والـعَجَمِ ... مُحَمَّدٌ خَيْرُ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمِ
محمدٌ باسطُ المَعرُوف جَامَـعَـةً ... محمدٌ صاحبُ الإحسانِ والكرمِ
محـمدٌ تـاجُ رُسـلِ الله قـاطِـبَةً ... محمدٌ صـادقُ الأقـوالِ والكلمِ
مـحـمـدٌ ثـابِتُ المِيثاقِ حافِظُـهُ ... محـمدٌ طـيبُ الأخـلاقِ والـشيمِ
محمدٌ خـبِيَت بـالـنُّـورِ طِـينَتُهُ ... محـمدٌ لـم يـزل نـوراً من القدمِ
محمدٌ حـاكِـمٌ بالْعَدْلِ ذُو شَرَفٍ ... مـحـمـدٌ مـعـدنُ الإنـعـامِ والحكمِ
محمدٌ خَيرُ خَلقِ اللهِ مِن مُضَـرٍ ... محمَّـدٌ خَـيـرُ رُسـلِ الله كُلّـهِـمِ
محمدٌ دِينُـهُ حَـقَّ النّـذِيـرُ بِـهِ ... محمدٌ مجمـلٌ حقاً على علمِ
مـحـمدٌ ذكـرهُ روحٌ لأنـفـسـنـا ... محمدٌ شكـرهُ فرضٌ على الأممِ
مـحـمـدٌ زيـنـةُ الدنيا وبهجـتها ... محمدٌ كاشفُ الغُمَّاتِ والظلمِ
مـحـمـدٌ سـيدٌ طـابـت مناقـبهُ ... محمدٌ صـاغـهُ الرحمنُ بالنعمِ
مـحـمدٌ صفوةُ الباري وخيرتهُ ... محمد طـاهـرٌ من سائر التهمِ
محمد ضاحكٌ للضيفِ مكرمةً ... محمَّدٌ جـارُهُ والله لَـم يُـضَـمِ
محمدٌ طـابــتِ الـدنيا ببعثتهِ ... مـحمَّـدٌ جـاء بـالآياتِ والـحِكَمِ
محمدٌ يومَ بعثِ الناسِ شافعنا ... محمدٌ نـورهُ الهادي من الظلمِ
محمدٌ قـائــمٌ للهِ ذو هــمــمٍ ... مـحـمَّـدٌ خــاتِـمٌ لِلرُّسُلِ كُلّهِمِ(١)

****

(١) ديوان البوصيري ص ٢٣٠-٢٣١

المبحث الثاني

المدائح النبوية للإمام الإمام أحمد رضا خان دراسة تحليلية

تمهيد

كان الإمام أحمد رضا خان البريلوي محباً للرسول من طفولته وصباه، وقد قال عدة أبيات في مدح الرسول ﷺ ، بل وجدنا قصائده وأبياته كلها مختصة بمدح النبي ﷺ وكان قلب الشاعر يخفق بذكر النبي . وحب النبي كان يجري كالدم في روحه وجسده، ولهذا كان كل شعره مملوءا بحب النبي ومدحه وقد قرض قصائد المديح النبوي في اللغات الثلاث: العربية والفارسية والأردية ، ونحن بصدد القصائد الأردية في هذا المقال، وله في هذا المجال ديوان كبير يدعى بـ "حدائق بخشش" أي حدائق الغفران، يتألف من ثلاثة أجزاء، طبع جزءان منه في حياته، والثالث بعد أن استأثرت به رحمة الله، وقد أعيد طبعه عشرات المرات في أحجام متفاوتة في شبه القارة.

وأول ما يلفتنا إلى هذا الديوان أن معظم ما انطوى عليه في مدح الرسول ﷺ وآل بيته وأصحابه والأولياء رضوان الله عليهم أجمعين.

وأهل العلم في شبه القارة الهندية يجعلون لهذا الديوان منزلة لا تسامى، ويعدونه بحق أفضل ما قيل في مدح النبي ﷺ وقد قام كثير منهم بدراسته وشرحه وتفسيره ويعدون شعر هذا الديوان أفضل ما فاضت به قرائح شعراء الأردية في مدح خير البرية، فهنا نحن نورد منه الشواهد لتوكيد ما نذهب إليه.

تاب مرآت سحر گردِ بیابانِ عرب غازہء روئے قمر دودِ چراغانِ عرب

اللہ اللہ بہارِ چمنستانِ عرب پاک ہیں لوثِ خزاں سے گل وریحانِ عرب

حسنِ یوسف پہ کٹیں مصر میں انگشتِ زناں　　سر کٹاتے ہیں ترے نام پہ مردانِ عرب

کوچہ کوچہ میں مہکتی ہے یہاں بوئے قمیص　　یوسفستاں ہے ہر اک گوشۂ کنعانِ عرب

کرمِ نعت کے نزدیک تو کچھ دور نہیں　　کہ رضائے عجمی ہو سگِ حسانِ عرب[١]

برمـال صـحراء العـرب تشـرق مـرآة الصـبح إذا أسـفر،أما مـا تصـاعد مـن دخـان سـرجهم فتطريـة لجبـين القمـر. للربيـع حلـول فـي كـل بسـتان، ولكـن سـرعان مـا يـدب فيـه الـذبول، ومـن عجـب أن ربيـع بسـتان العـرب لـيس لـه مـن خريـف ولا مـن ذبـول. عنـد مـا خـرج يوسـف الصـديق بحسـنه فـي مصـر علـى بعـض النسـاء قطعـن أصـابعهن ، ولكـن العشـاق العـرب وفرسـانهم جعلـوا الـروح لـك يـا رسـول الله الفـداء . لرسـول الله عبيـر فـواح فـي كـل النـواحي، فـي طيبـة حيثمـا كـان المسـير تتسـمت الجمـال مـن هـذا العبيـر. أنـا العجمـي رضـا يـا رسـول الله حسـبي مـن كرمـك وتوسـلا بمـا قلـت فـي مـدحك أن أكـون خادما لحسان شاعرك.

هـذه طائفـة مـن ألأبيـات التـي تـدل علـى أن الإمـام أحمـد رضـا خـان كـان متـأثرا كـل التـأثير بـالتراث الإسـلامي بصـفة عامـة وبجانبـه الـديني بصـفة خاصـة، إنـه يعشـق رسـول الله ﷺ مـن قلـب مـوقن مـؤمن، وبالتـالي يميـل كـل الميـل إلـى إخوتـه فـي الـدين، وهم العرب.

فـنحن الآن نـدرس أشـهر قصـائده فـي هـذا الخصـوص دراسـة تحليليـة، ويكـون ذلك على النهج الذي قد سبق منا في المبحث الأول من هذا الفصل.

****

(١) حدائق بخشش ص ٣٤-٣٥

المطلب الأول
دراسة تحليلية للمنظومة السلامية

أولا: التعريف بالمنظومة السلامية:

المنظومة السلامية هي قصيدة شهيرة للإمام أحمد رضا خان البريلوي، وعنوانها السلامية نسبة إلى تكرار كلمة "السلام"، وهذا التكرار له وقعة في المبنى، لأنه يحيط المنظومة بهالة روحية ونشوة تطيب بها العقول المتدبرة والنفوس المؤمنة العامرة بمحبته عليه الصلاة والسلام. وأهل شبه القارة الهندية قد يسمونها "بردة المديح النبوي في اللغة الأردية"؛ لأن المنظومة السلامية لها شهرة وسيرورة في شبه القارة تشبه للبردة، والقصيدة تشتمل على ١٧٠ بيتا وكل بيت ينتهي بـ"لاكهوں سلام" معناه مئات آلاف التسليمات، تناول الإمام في القصيدة مدح النبي ﷺ وجوانب سيرته العطرة ومدح أهل البيت والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، يقول الأستاذ كوثر نيازي عن هذه القصيدة:

"ولا أبالغ إذا قلت أن قصيدته الشهيرة هذه هي قصيدة البردة في الأردية، إنها قصيدة عميقة ذات أبعاد وأنوار، تلك اللغة والبيان والحرقة والغناء ومعارف السيرة وحقائقها والأسرار القرآنية والحدثية، وقوة الكلام ورشاقة الأسلوب التي تجدها في هذه القصيدة السلامية لا تجدها في أية نماذج شعرية في أية لغة أخرى, ومن المؤسف أن هذه القصيدة السلامية لم تلق ما يجب أن تلقى من اهتمام الباحثين، وإلا فمن الممكن إنجاز بحوث كثيرة في شرح كل بيت من أبيات الإمام أحمد رضا، وأتحدى أنكم لم تقرؤابيتا أحسن وأعمق من هذا البيت في مدح اللحية المباركة للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، تصوّروا نهرا تحيط به حضرة يزداد بها النهر حسنا وبهاء فالذي

شبهه بالنهر هو الفم المبارك للرسول ﷺ، فإذا شبه هذا الفم المبارك بالنهر فماذا شبه اللحية المباركة؟ إنما شبهت بالحضرة الممتدة المحيطة بذاك النهر، والبيت هو هذا:

خط کی گرد دہن وہ دل آرا پھبن   سبزہ نہرِ رحمت پہ لاکھوں

ما أحسن اللحية إلى القلب حول فمه المبارك مئات آلاف التسليمات على خضرة نهر الرحمة." (١)

لقد اعتنى بهذه القصيدة كثير من الأدباء والعلماء والباحثين، حيث قاموا بشرحها وتضمينها وترجمتها إلى اللغات الأخرى ، فقد ترجمها في اللغة العربية الأستاذ الدكتور حسين مجيب المصري، ونحن نكتفي في ترجمة أبيات هذه السلامية بما نظم الدكتور المصري في ترجمة السلامية ، إن شاء الله تعالى.

ثانيا: عناصر القصيدة السلامية

لقد قسم الإمام الإمام أحمد رضا خان قصيدته السلامية إلى عشرة أجزاء، كل جزء منها يمثل وحدة قائمة بذاتها، والقصيدة تتوافر لها وحدة الموضوع ووحدة المضمون .

ففي الجزء الأول من هذه السلامية يذكر الشاعر خصائص النبي ﷺ وفضائله ومعجزاته الباهرة، ويدعي أن ذاته ﷺ نعمة عظيمة من نعم الله تعالى في الأرض وهذا الجزء يحتوي على ستة وثلاثين بيتا من السلامية يقول الإمام أحمد رضا:

مصطفیٰ جانِ رحمت پہ لاکھوں سلام   شمعِ بزمِ ہدایت پہ لاکھوں سلام

مِہرِ چرخِ نبوت پہ روشن دُرود   گلِ باغِ رسالت پہ لاکھوں سلام

شہرِ یارِ ارم تاجِ دارِ حرم   نوبہارِ شفاعت پہ لاکھوں سلام

---

(١) الإمام أحمد رضا الحنفي، ص ٢٥-٢٦

شبِ اسرا کے دولہا پہ دائم دُرود   نوشۂ بزمِ جنّت پہ لاکھوں سلام

عرش کی زیب و زینت پہ عرشی دُرود   فرش کی طیب و نُزہت پہ لاکھوں سلام

نورِ عینِ لطافت پہ اَلطف دُرود   زیب وزینِ نظافت پہ لاکھوں سلام

سروِ نازِ قِدَم مغزِ رازِ حِکَم   یکّہ تازِ فضیلت پہ لاکھوں سلام

نقطۂ سِرّ وحدت پہ یکتا دُرود   مرکزِ دورِ کثرت پہ لاکھوں سلام

صاحبِ رَجعتِ شمس و شقُ القمر   نائبِ دستِ قدرت پہ لاکھوں سلام

جس کے زیرِ لِوا آدم و من سِوا   اس سزائے سیادت پہ لاکھوں سلام

عرش تا فرش ہے جس کے زیرِ نگیں   اُس کی قاہر ریاست پہ لاکھوں سلام

اصل ہر بُود و بہبود تُخمِ وجود   قاسمِ کنزِ نعمت پہ لاکھوں سلام

فتحِ بابِ نبوت پہ بے حد دُرود   ختمِ دورِ رسالت پہ لاکھوں سلام

شرقِ انوارِ قدرت پہ نوری دُرود   فتقِ اَزہارِ قدرت پہ لاکھوں سلام

بے سہیم و قسیم و عدیل و مثیل   جوہرِ فردِ عزت پہ لاکھوں سلام

سِرّ غیبِ ہدایت پہ غیبی دُرود   عطر جیبِ نہایت پہ لاکھوں سلام

ماہِ لاہوتِ خَلوت پہ لاکھوں دُرود   شاہِ ناسوتِ جَلوت پہ لاکھوں سلام

کنزِ ہر بے کس و بے نوا پر دُرود   حرزِ ہر رفتہ طاقت پہ لاکھوں سلام

پرتوِ اسمِ ذاتِ اَحد پر دُرود   نُسخۂ جامعیت پہ لاکھوں سلام

مطلعِ ہر سعادت پہ اسعد دُرود   مقطعِ ہر سیادت پہ لاکھوں سلام

خلق کے داد رس سب کے فریاد رس　　کہفِ روزِ مصیبت پہ لاکھوں سلام

مجھ سے بے کس کی دولت پہ لاکھوں دُرود　　مجھ سے بے بس کی قوت پہ لاکھوں سلام

شمعِ بزمِ دنیٰ ہُوَ میں گم کُن اَنَا　　شرحِ متنِ ہُوِیَّت پہ لاکھوں سلام

انتہائے دوئی ابتدائے یکی　　جمع تفریق و کثرت پہ لاکھوں سلام

کثرتِ بعدِ قلّت پہ اکثر دُرود　　عزتِ بعدِ ذلّت پہ لاکھوں سلام

ربِّ اعلا کی نعمت پہ اعلا دُرود　　حق تعالیٰ کی منّت پہ لاکھوں سلام

ہم غریبوں کے آقا پہ بے حد دُرود　　ہم فقیروں کی ثروت پہ لاکھوں سلام

فرحتِ جانِ مومن پہ بے حد دُرود　　غیظِ قلبِ ضلالت پہ لاکھوں سلام

سببِ ہر سبب منتہائے طلب　　علّتِ جملہ علّت پہ لاکھوں سلام

مصدرِ مظہریت پہ اظہر دُرود　　مظہرِ مصدریت پہ لاکھوں سلام

جس کے جلوے سے مرجھائی کلیاں کھلیں　　اُس گلِ پاک مَنبت پہ لاکھوں سلام(١)

ترجمة الأبيات:

سلام على صفوة الأنبياء　　نبي الهدى رحمة للسماء

عليه الصلاة عليه السلام

سلام ينير على بدره　　وينفح عظرا على زهره

عليه الصلاة عليه السلام

مليك إرم وهذا الحرم　　شفاعته تلك من ذا حرم

---

(١) حدائق بخشش ص٢٠٢-٢٠٥

علـيــه الـصــلاة عـليــه الســلام

سلام على من سرى في الظلاملـه فــي الجنان رفيع الـمقام

علـيــه الـصــلاة عـليــه الســلام

صلاة على من له العرش زان   ومن طيب الأرض كالمسك كان

علـيــه الـصــلاة عـليــه الســلام

صلاة على نور عين الكمال   سـلام علـى الطـهر بل والجمال

علـيــه الـصــلاة عـليــه الســلام

سلام على السرو في حـكمته ومـن جـاهد الكفر في منته

علـيــه الـصــلاة عـليــه الســلام

صلاة على الـسـر في وحـدته ومن كان كالقطب في كثرته

علـيــه الـصــلاة عـليــه الســلام

لـه انشق بدر ووردت ذكاء   ومــن قـدرة الله مـنه رمــاء

علـيــه الـصــلاة عـليــه الســلام

يــلوذ به الناس يوم الجزاء   فـطــوبى لـه إن هذا سناء

علـيــه الـصــلاة عـليــه الســلام

من العرش والفرش ما قد ملك   كذا الإنس والجن من غير شـك

علـيــه الـصــلاة عـليــه الســلام

هـو الأصل حـقا لكل الـبشر   وكـنـزا عـليهم جميعا نـثر

علـيــه الـصــلاة عـليــه الســلام

وبــاب الـنبوة من قد فتح   ومـن بـعـد بـابها ما فتح

علـيــه الـصــلاة عـليــه الســلام

صلاة ونور على نوره ويبدو التقرب في زهره

عليه الصلاة عليه السلام

عديم النظير عديم القرين وجوهر فرد كما يستبين

عليه الصلاة عليه السلام

صلاة على سر غيب الهدى سلام على من انتهى أو بدى

عليه الصلاة عليه السلام

ولاهوته قمر المنتدى وكان لناسوته سيدا

عليه الصلاة عليه السلام

صلاة على كنز كل فقير وكل به دائما يستجير

عليه الصلاة عليه السلام

ومن أظهر اسما لهذا الأحد سلام عليه بغير عدد

عليه الصلاة عليه السلام

لكل سعاداتنا مطلع لكل سياداتنا منبع

عليه الصلاة عليه السلام

ألا إنه من يغيث البشر ويوم الجزاء بعدل أمر

عليه الصلاة عليه السلام

ألا إنه للفقير الشراء شديد القوى كان للضعفاء

عليه الصلاة عليه السلام

ولي مجلس إنه في دنى أنا في الهوية دعني أنا

عليه الصلاة عليه السلام

وما كان فرق وجمع معا وفي وحدة كثرة جمعا

عليــه الصــلاة عـليــه الســلام

عـلــى كـثـرة قبلها قلة   وعــز بـعـدت عـنـه ذلـة

عليــه الصــلاة عـليــه الســلام

من الرب حامل طيب الكلام   عـلـى منة الله ألف السـلام

عليــه الصــلاة عـليــه الســلام

صـلاة عـليه من البائسين   سـلام على نشب المـعسرين

عليــه الصــلاة عـليــه الســلام

وللـمؤمن الموقن القلب سر   وحـقـد عـليه لمن قد كفر

عليــه الصــلاة عـليــه الســلام

ألا إنـــه كان كل سـبـب   ومـنـي الـسـلام عليه وجب

عليــه الصــلاة عـليــه الســلام

ألا إنــه مـظـهـر للظهور   كـمـا أنـه مظـهر للصدور

عليــه الصــلاة عـليــه الســلام

تـفـتــح زهـر لـدى رؤيته   هـو الورد طهرا وفي نبتته

عليــه الصــلاة عـليــه الســلام (١)

أمـــا الجـــزء الثـــاني فيشـــتمل علـــى شـــمائل النبـــي ﷺ فيـــذكر الشـــاعر فـــي هـــذا الخصـوص حسـن جسـد النبـي ﷺ وجمالـه فيعـدد عضـوا عضـوا منـه مـن رأسـه إلـى قدميـه مفصـلا، وهـذا الجـزء يمتـد إلـى أحـد و ثمـانين بيتـا مـن القصـيدة، يقـول عـن قامـة النبـي ﷺ:

قدِّ بے سایہ کے سایۂ مرحمت   ظلِ ممدود رافت پہ لاکھوں سلام

(١) المنظومة السلامية ص ١٠٩-١١٣

طائرانِ قُدُس جس کی ہیں قُمریاں　　اُس سہی سرو قامت پہ لاکھوں سلام
وصف جس کا ہے آئینۂ حق نما　　اُس خدا ساز طلعت پہ لاکھوں سلام(١)

ترجمة الأبيات:

وظل لـه مـرة مـا ظـهـر　　لـرحمته الظل مـلء البصر
عليـه الصـلاة عـليـه السـلام
يحوم عـليه حمام الغمام　　يحيى ويمضى عليه السلام
عليـه الصـلاة عـليـه السـلام
على وجهه لاح حسن الإله　　بـهـذا تـمـيـز مـنـه بهاء
عليـه الصـلاة عـليـه السـلام (٢)

يصف الشاعر رأس رسول الله ﷺ وجمته وكاهله وأذنيه فيقول: وفي الأبيات التالية يأتي ببيان أعضاء سيدنا رسول الله ﷺ ، وبدأ بذكر رأسه الشريف الذي له مكانة عليا في المجد والكرامة، ولا لأحد مثله، وهذا هو الرأس المثيل البريق له فكرة ناشئة بديعة يفكر إلى حد ما لا حد بعده ويعطي نظام الحياة الدائم ينفع الناس في الدار هذه وفي الأخرة. وله أذن يسمع كلام الله سبحانه وتعالى ويعيه، والآن نرى ما يقول شاعرنا:

جس کے آگے سرِ سروراں خم رہیں　　اُس سرِ تاجِ رفعت پہ لاکھوں سلام
وہ کرم کی گھٹا گیسوے مُشک سا　　لکّۂ ابرِ رافت پہ لاکھوں سلام

---

(١) حدائق بخشش ص ٢٠٥
(٢) المنظومة السلامية ص ١١٣-١١٤

لَیۡلَۃ القدر میں مطلعِ الفجر حق   مانگ کی استقامت پہ لاکھوں سلام
لخت لختِ دلِ ہر جگر چاک سے   شانہ کرنے کی عادت پہ لاکھوں سلام
دُور و نزدیک کے سُننے والے وہ کان   کانِ لعلِ کرامت پہ لاکھوں سلام
چشمۂ مِہر میں موجِ نورِ جلال   اُس رگِ ہاشمیت پہ لاکھوں سلام(١)

ترجمة الأبيات:

لكل الملوك انحناء لهام   لرأس النبي عليه السلام
عليه الصلاة عليه السلام
ومن شعره غمة للكرم   ومن شعره المسك دوما فغم
عليه الصلاة عليه السلام
وليلة قدر بدا فجرها   ومن مفرق ساطع نورها
عليه الصلاة عليه السلام
وكم من قلوب كواها الأسى   أساها ألا نعم من قد أسى
عليه الصلاة عليه السلام
قريب بعيد به المخبر   فيا حبذا ذلك الجوهر
عليه الصلاة عليه السلام
سلام على الرائف الراحم   سلام على أصله الهاشمي
عليه الصلاة عليه السلام (٢)

---

(١) حدائق بخشش ص ٢٠٥-٢٠٦

(٢) المنظومة السلامية ص ١١٤

ويذكر حسن وجهه حسب ما رواه الصحابة من أنه أحسن من القمر ليلة البدر ، فيتوجه إلى ما رواه أصحاب السير[١] من حسنه وجماله فيخص الإمام أحمد رضا لكل عضو من حاجبيه وناصيته وعينه وأنفه ولسانه وشفتيه وما إلى ذلك بيتا أو بيتين أو أكثر، ويأتي ببيان بديع أن حاجبيه حجاب كل بلية وناصيته كذلك، وله عين ترى الخلف كما ترى الأمام. وقَال النبي ﷺ: واللهِ، إني لَأرى من خلْفي، كما أرى من بين يدي"[٢].

وصحابته يصفون حاجبيه صلى الله تعالى عليه وسلم: يقول هند بن أبي هالة رضي الله تعالى عنه: كان رسول الله ﷺ أزج الحواجب، سوابغ في غير قرن، بينهما عرق يدره الغضب[٣]. ويقول علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه واصفا عينه: كان رسول الله ﷺ عظيم العينين، هدب الأشفار، مشرب العينين بحمرة. [٤] يقول:

---

(١) هذا كما روي عن أم معبد عاتكة ببت خالد الخزاعية حينما رات النبي ﷺ أثناء هجرته إلى المدينة ، حيث قام عندها وحدث ما حدث من حلب النبي ﷺ الشاة التي خلفها الجهد عن الغنم وشبع القوم ، فلما رأى زوجها من البركة في بيته سألها عما وقع من انه مرّ بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا فقال: صفيه يا أم معبد! فقالت:" رأيت رجلا ظاهر الوضائة ، مليح الوجه حسن الخلق، لم تعبه ثجلة ولم تزر به صعلة، وسيم قسيم، في عينيه دعج، وفي أشفاره وطف، وفي صوته صحل، أحور أكحل، أزج أقرن، شديد سواد الشعر، في عنقه سطع، وفي لحته كثاثة، إذا صمت فعليه الوقار، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء، وكأن منطقه خرزات نظم يتحدرن، حلو المنطق، فصل لا نزر ولا هذر ، أجهر الناس وأجمله من بعيد، وأحلاه وأحسنه من قريب، ربعة لا تشنؤه من طول، ولا تقتحمه عين من قصر ، غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة وأحسنهم قدرا، له رفقاء يحفون به ، إذا قال استمعوا لقوله وإذا أمر تبادروا إلى أمره ، محفود محشود، لا عابس ولا مفند. فقال: هذا والله صاحب قريش، لو رأيته لاتبعته." (المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ٣٠١/٢)

(٢) المعجم الكبير للطبراني ١٥٥/٢٢، ودلائل النبوة للبيهقي ٣٨٨/١

(٣) صحيح ابن خزيمة ٣٣٢/١

(٤) المعجم الكبير للطبراني ١٥٥/١

جس کے ماتھے شفاعت کا سہرا رہا　　اُس جبینِ سعادت پہ لاکھوں سلام

جن کے سجدے کو محرابِ کعبہ جھکی　　اُن بھووں کی لطافت پہ لاکھوں سلام

اُن کی آنکھوں پہ وہ سایہ افگن مژہ　　ظلۂ قصرِ رحمت پہ لاکھوں سلام

اشک بارئِ مژگاں پہ برسے دُرود　　سلکِ دُرِّ شفاعت پہ لاکھوں سلام

معنیِ قَد رَأیٰ مقصدِ مَا طَغیٰ　　نرگسِ باغِ قدرت پہ لاکھوں سلام

جس طرف اٹھ گئی دم میں دم آگیا　　اُس نگاہِ عنایت پہ لاکھوں سلام

نیچی آنکھوں کی شرم و حیا پر دُرود　　اونچی بینی کی رفعت پہ لاکھوں سلام

جن کے آگے چراغِ قمر جھلملائے　　اُن عِذاروں کی طلعت پہ لاکھوں سلام(١)

ترجمة الأبيات:

وتتاج الشفاعة زين الجبين　　سلام على سيد الشافعين

عليه الصلاة عليه السلام

لحاجبه قبلة تنحني　　فمحرابها دائما ينثني

عليه الصلاة عليه السلام

ظلال لجفن على عينه　　لرحمته تلك أو منه

عليه الصلاة عليه السلام

سلام على عينه الباكية　　بدمع الشفيع هي الجارية

عليه الصلاة عليه السلام

---

(١) حدائق بخشش ص ٢٠٦-٢٠٧

وفـيـما رأى كل صـدق نطق وحـول عـظـيم لـديه انبثق

علـيــه الـصــلاة عـلـيــه السـلام

وفــي كل أرض بـعـين نظر فـلـطف الإله عليها انهمر

علـيــه الـصــلاة عـلـيــه السـلام

حيـاء به غـض طرفا حياء وفي الأنف معنى لكل الإباء

علـيــه الـصــلاة عـلـيــه السـلام

وكــم حـجـة هي بهر القمر لهـا النور في الخافقين انتشر

علـيــه الـصــلاة عـلـيــه السـلام [١]

لاحظـوا فـي الأبيـات التاليـة مـا يـنظم الإمـام البريلـوي مـن وصـف خـد رسـول الله ﷺ وبهائه ولحيته وفمه وأسنانه وشفتيه وبلاغته وتبسمه :

اُن کے خد کی سُہُولت پہ بے حد دُرود اُن کے قد کی رشاقت پہ لاکھوں سلام

جس سے تاریک دل جگمگانے لگے اُس چمک والی رنگت پہ لاکھوں سلام

چاند سے منہ پہ تاباں درخشاں دُرود نمک آگیں صباحت پہ لاکھوں سلام

شبنمِ باغِ حق یعنی رُخ کا عَرَق اُس کی سچی بَراقت پہ لاکھوں سلام

خط کی گردِ دہن وہ دل آرا پھبن سبزۂ نہرِ رحمت پہ لاکھوں سلام

رِیشِ خوش معتدل مرہمِ رَیشِ دل ہالۂ ماہِ نُدرت پہ لاکھوں سلام

پتلی پتلی گلِ قُدس کی پتّیاں ان لبوں کی نزاکت پہ لاکھوں سلام

---

(١)المنظومة السلامية ص ١١٥-١١٦

وہ دہن جس کی ہر بات وحیِ خدا چشمۂ علم و حکمت پہ لاکھوں سلام[1]

ترجمة الأبيات:

وخـد أسـيـل عـليه السلام سـلام عـلـى روعـة للقـوام

عليـه الصـلاة عليـه السـلام

بـبشـرته كـم أنـارت قـلـوب ومـنا الـسلام عـليها وجوب

عليـه الصـلاة عليـه السـلام

مـن الـوجه أيـن جمال القمر سـلام عـلـيـه لـكل الـبشـر

عليـه الصـلاة عليـه السـلام

ندى روضة الحق هذا النضيح سلام على حسن هذا المليح

عليـه الصـلاة عليـه السـلام

سلام على الخط حول الجبين لـخـضـرة عـشب لماء معين

عليـه الصـلاة عليـه السـلام

ألا يـا لـهـا لـحـية تـرسم لـجــرح الـقلوب هي البلسم

عليـه الصـلاة عليـه السـلام

وفـي شـفـة ذاك ورد رقـيق هـو الـطـهـر بالطهر هذا يليق

عليـه الصـلاة عليـه السـلام

بـوحي الإلـه فـم نـاطـق بـقـول نـبي الـهـدى لائـق

عليـه الصـلاة عليـه السـلام [2]

---

(١)حدائق بخشش ص ٢٠٧-٢٠٨

(٢)المنظومة السلامية ص ١١٦-١١٧

وعن وائل ابن حجر أنه أتي بدلو من ماء، فشرب ثم صبّ في البئر أو قال: مج في البئر ففاح منها مثل رائحة المسك(١).

وعن أنس أنه بزق في بئر في داره، فلم يكن بالمدينة بئرأعذب منها(٢).

وفي الصحيحين عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: « لأعطينّ الرأية غدا رجلا يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله»، فلما أصبح الناس غدوا إلى رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، قال : «أين علي بن أبي طالب؟ » فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: « فأرسلوا إليه »، فأتي به، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع(٣).الحديث.

هذا من صفة ريق النبي ﷺ وهناك روايات كثيرة تدل على أن هذا الريق فيه شفاء وبركة، يقول الإمام أحمد رضا:

جس کے پانی سے شاداب جان و جناں اُس دہن کی طراوت پہ لاکھوں سلام

جس سے کھاری کنویں شیرۂ جاں بنے اُس زُلالِ حلاوت پہ لاکھوں سلام(٤)

ترجمة الأبيات:

وروح به إنها تسعد صلاة على حسنه تحمد

عليه الصلاة عليه السلام

أجاج من الماء يحوى قليب سلام على الماء حلوا يطيب

---

(١) سنن ابن ماجة ٢/٢٣٣، ومسند أحمد بن حنبل ٧/٣٢٢

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم ٢/١٦٥

(٣) الصحيح للإمام البخاري ٢/١٦٧، والصحيح للإمام مسلم ٢/٢١٣

(٤)حدائق بخشش ص ٢٠٨

عليــه الصــلاة عـليـه الســلام [1]

يقول عن لسانه وبلاغته وتبسمه ﷺ:

وہ زباں جس کو سب کُن کی کنجی کہیں اُس کی نافذ حکومت پہ لاکھوں سلام

اُس کی پیاری فصاحت پہ بے حد دُرود اُس کی دلکش بلاغت پہ لاکھوں سلام

اُس کی باتوں کی لذّت پہ بے حد دُرود اُس کے خطبے کی ہیبت پہ لاکھوں سلام

وہ دُعا جس کا جوبن قبولِ بہار اُس نسیمِ اجابت پہ لاکھوں سلام

جن کے گچھّے سے لچھّے جھڑیں نور کے اُن ستاروں کی نُزہت پہ لاکھوں سلام

جس کی تسکیں سے روتے ہوئے ہنس پڑیں اُس تبسم کی عادت پہ لاکھوں سلام[2]

ترجمة الأبيات:

لســان لــه كان مـفـتـاح "كـن" وغـيـر الـذي قاله لم يكن

عليــه الصــلاة عـليـه الســلام

سـلام عـلى فـصيـح فصيح ومـا قـال قول مليح مليح

عليــه الصــلاة عـليـه الســلام

حديـث يـقـول عـليه السلام عــلى خـطـبـة قالها للأنام

عليــه الصــلاة عـليـه الســلام

ويـدعـو دعـاء وشيك القبول سـلام سـلام عـلى ما يقول

عليــه الصــلاة عـليـه الســلام

---

(١)المنظومة السلامية ص ١١٧

(٢)حدائق بخشش ص ٢٠٨-٢٠٩

سلام على الثغر فيه الدرر   لـها الـنور نور إذا ما غمر

عليــه الـصــلاة عـليــه الســلام

ومـا مـن بـكاء إذا مـا ابـتسم   لـمـن قـلـبه رازح تـحـت غـم

عليــه الـصــلاة عـليــه الســلام [١]

يصف الإمام أحمد رضا كتفي رسول الله ﷺ وساعديه وكفيه كما قال علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه الكريم واصفا كفه ﷺ: كان رسول الله ﷺ ششن الكفين[٢].

يقول شداد بن أوس رضي الله عنه: أتيت رسول الله ﷺ، فأخذت بيده فإذا هي ألين من الحرير وأبرد من الثلج[٣].

ويقول أبو هريرة رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ عظيم الساعدين[٤].

جس میں نہریں ہیں شیر شکر کی رواں   اُس گلے کی نضارت پہ لاکھوں سلام

دوش بر دوش ہے جن سے شانِ شَرَف   ایسے شانوں کی شوکت پہ لاکھوں سلام

حَجَرِ اسودِ کعبۂ جان و دل   یعنی مُہرِ نبوت پہ لاکھوں سلام

روئے آئینۂ علم پُشتِ حضور   پُشتیِ قصرِ ملّت پہ لاکھوں سلام

ہاتھ جس سمت اُٹھّا غنی کر دیا   موجِ بحرِ سماحت پہ لاکھوں سلام

جس کو بارِ دو عالم کی پروا نہیں   ایسے بازو کی قوّت پہ لاکھوں سلام

---

(١) المنظومة السلامية ص ١١٧-١١٨

(٢) دلائل النبوة للبيهقي ٣/٣٤٤

(٣) مسند البزار ٢/٢١٨

(٤) المعجم الكبير للطبراني ٢٧٢/٧

کعبۂ دین و ایماں کے دونوں ستوں ساعدینِ رسالت پہ لاکھوں سلام
جس کے ہر خط میں ہے موجِ نورِ کرم اُس کفِ بحرِ ہمّت پہ لاکھوں سلام
نُور کے چشمے لہرائیں دریا بہیں انگلیوں کی کرامت پہ لاکھوں سلام
عیدِ مشکل کُشائی کے چمکے ہِلال ناخنوں کی بشارت پہ لاکھوں سلام(١)

ترجمة الأبيات:

حــلاوة شـهـد لـه فـي لـهـاء فـيا عـجـبا ذاك صـنـع الإلـه
عليــه الصــلاة عليــه الســلام
عـلى كـتـف سمـة لـلـشـرف سـلام عـلـيـها وكل عـرف
عليــه الصــلاة عليــه الســلام
لـــه خـاتـم إنـــه قـد ظـهـر لـكـعـبـة روح كـذاك الحـجر
عليــه الصــلاة عليــه الســلام
بـــلا رؤيـــة كل شـيـــئ درى سـلام عـلى مـنـقـذ للـورى
عليــه الصــلاة عليــه الســلام
جـواد جـواد جـزيـل العـطـاء سـلام عــلى أكـرم الكرماء
عليــه الصــلاة عليــه الســلام
بـداريــن يـنـصـب لـلأمـة يـذكـرها قـائـلا أمـتـي
عليــه الصــلاة عليــه الســلام
عـمـــاد لـديـن لـه ساعدان بـبيـت لـرب هـما قـائمان

(١) حدائق بخشش ص ٢٠٨-٢٠٩

عليـه الصـلاة عليـه السـلام

خطـوط بـكـف تـموج بنـور كـبحـر خضم بـنور يمور

عليـه الصـلاة عليـه السـلام

أصـابـع مـنـهـا عيون جـرت سـلام عـليهـا إذا مـا روت

عليـه الصـلاة عليـه السـلام

أنـامـل فـيـهـا هلال لـعيـد بـرؤيـتـه كل قـلـب سـعيد

عليـه الصـلاة عليـه السـلام (١)

تقـول عائشـة رضـي الله تعـالى عنهـا: كـان رسـول الله ﷺ عـريض الصـدر ممسـوحه كأنـه المرايـا فـي شـدتها واسـتوائها، ولا يعـدو بعـض لحمـه بعضـا، علـى بيـاض القمـر ليلـة البـدر، موصـول مـا بـين لبتـه إلـى سـرته شـعر منقـاد كالقضـيب لـم يكـن فـي صـدره ولا بطنـه شـعر غيـره(٢). وأنـوار كـل رشـد يتفجـر مـن قلبـه. يقـول الشـاعر عـن صدره وقلبه ﷺ :

رفعِ ذکرِ جلالت پہ اَرفع دُرود شرحِ صدرِ صدارت پہ لاکھوں سلام

دل سمجھ سے ورا ہے مگر یوں کہوں غنچۂ رازِ وحدت پہ لاکھوں سلام(٣)

ترجمة الأبيات:

ورب لـه ذكـره قـد رفـع وجـانـب صدر له قد قطع

عليـه الصـلاة عليـه السـلام

---

(١) المنظومة السلامية ص ١١٨-١٢٠

(٢) سنن النسائي ٥/٢٠٠، ومسند الحميدي ٢/٢١١

(٣) حدائق بخشش ص ٢٠٨-٢٠٩

هـو الـقلب لا العقل ما يرشد   وسـر الإلـه بـنـا يـوجد
عـليـه الـصـلاة عـليـه الـسـلام [1]

ويـروي لنـا أبـو هريـرة رضـي الله تعـالى عنـه عـن بطنـه الشـريف ويقـول: كـان رسـول الله ﷺ مفـاض الـبطن[2]. وعـن محـرش الكعبـي رضـي الله عنـه قـال: اعتمـر رسـول الله ﷺ من الجعرانة ليلا فنظرت إلى ظهره كأنه سبيكة فضة[3].

ويقـول الشـاعر عـن ظهـره و صـلبه ﷺ ، ويبـين فـي أبياتـه معـاني ومفـاهيم جديـدة، مـن أنـه شـمّر عـن سـاعده للشـفاعة ويقنـع علـى الطعـام القليـل مـع أنـه قـد ملـك الأفلاك والأرضين، يقول:

کُل جہاں مِلک اور جَو کی روٹی غذا   اُس شکم کی قناعت پہ لاکھوں سلام
جو کہ عزمِ شفاعت پہ کھنچ کر بندھی   اُس کمر کی حمایت پہ لاکھوں سلام[4]

ترجمة الأبيات:

قـنـوع فـمـا رغـبـة في نشـب   وتـلـك الـقـنـاعـة شيئ عجب
عـليـه الـصـلاة عـليـه الـسـلام
وأنـقـض ظـهـرا بـما قـد حـمـل   فـعـبء الـشـفـاعـة لا يحتمل
عـليـه الـصـلاة عـليـه الـسـلام [5]

وفي آخر هذا الجزء يأتي بذكر ركبتيه وساقيه وقدميه، لا هذه الأبيات:

---
(١) المنظومة السلامية ص ١٢٠
(٢) ابن عساكر ٣٦١/٣
(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٤١٥/١
(٤) حدائق بخشش ص ٢١٠
(٥) المنظومة السلامية ص ١٢٠

انبیا تہ کریں زانُو اُن کے حضور زانُوؤں کی وجاہت پہ لاکھوں سلام

ساق اصلِ قدم شاخِ نخلِ کرم شمعِ راہِ اِصابت پہ لاکھوں سلام

کھائی قرآں نے خاکِ گزر کی قسم اُس کفِ پا کی حُرمت پہ لاکھوں سلام(١)

ترجمة الأبيات:

وكــل نــبي جـثى عــنـده وفــي نــهــجه سائر بعده

علـيــه الـصــلاة عـليـه الســلام

وسـاق بـدت مثل أصل الكرم تـنير الـصراط كشمع الضرم

علـيــه الـصــلاة عـليـه الســلام

بما داسـه في الكـتاب القسم سلام على كعب تلك القـدم

علـيــه الـصــلاة عـليـه الســلام (٢)

أمـا الجـزء الثـاني مـن السـلامية الـذي تنـدرج تحتـه ثمانيـة أبيـات ففيـه ذكـر ولادتـه ورضـاعه ومـا حـدث فـي صـباه مـن الخـوارق وغيرهـا مـن العـادات الكريمـة فـي الصـبا، وها هي الأبيات:

جس سہانی گھڑی چمکا طیبہ کا چاند اُس دل افروز ساعت پہ لاکھوں سلام

پہلے سجدے پہ روزِ ازل سے دُرود یادگاریِ اُمّت پہ لاکھوں سلام

زرع شاداب و ہر ضرع پُر شیر سے برکاتِ رضاعت پہ لاکھوں سلام

بھائیوں کے لیے ترکِ پِستاں کریں دودھ پیتوں کی نِصفَت پہ لاکھوں سلام

---

(١) حدائق بخشش ص ٢١٠

(٢) المنظومة السلامية ص ٢١١

مہدِ والا کی قسمت پہ صدہا دُرود　　بُرجِ ماہِ رسالت پہ لاکھوں سلام

اللہ اللہ وہ بچپنے کی پھبَن!　　اُس خدا بھاتی صورت پہ لاکھوں سلام

اُٹھتے بوٹوں کی نشو و نَما پر دُرود　　کھلتے غنچوں کی نکہت پہ لاکھوں سلام

فضلِ پیدائشی پر ہمیشہ دُرود　　کھیلنے سے کراہت پہ لاکھوں سلام(١)

ترجمة الأبيات:

بليلة سعد أنار الظلام　　سلام عليها وألف سلام

عليه الصلاة عليه السلام

وسجدته تلك منذ الأزل　　على ذكر أمته لم يزل

عليه الصلاة عليه السلام

سلام على الضرع وهو الحلوب　　رضاع عليه السلام وجوب

عليه الصلاة عليه السلام

وعند الرضاع لمن يرضعون　　تنحى لمن مثله ينعمون

عليه الصلاة عليه السلام

ويا سعد حضن يضم الرسول　　سلام على النجم يأبى الأفول

عليه الصلاة عليه السلام

براءته شاءها الخالق　　على صورة رامها الوامق

عليه الصلاة عليه السلام

ربيع ويورق فيه الشجر　　ألا حبذا نفحة للزهر

---

(١) حدائق بخشش-١٢١

علـيــه الـصــلاة عـلـيــه الـســلام

وفـضـل لـه من لدن أن ولد وفــي مـلـعـب قطما إن وجـد

علـيــه الـصــلاة عـلـيــه الـســلام (١)

ثم يأتي بذكر سيرته المباركة وأخلاقه النبيلة، فيقول:

اعتلائے جبلّت پہ عالی دُرود اعتدالِ طَوِیّت پہ لاکھوں سلام

بے بناوٹ ادا پر ہزاروں دُرود بے تکلف ملاحت پہ لاکھوں سلام

بھینی بھینی مہک پر مہکتی دُرود پیاری پیاری نفاست پہ لاکھوں سلام

میٹھی میٹھی عبارت پہ شیریں دُرود اچھی اچھی اِشارت پہ لاکھوں سلام

سیدھی سیدھی رَوِش پر کروروں دُرود سادی سادی طبیعَت پہ لاکھوں سلام

روزِ گرم و شبِ تیرہ و تار میں کوہ و صحرا کی خَلوت پہ لاکھوں سلام

جس کے گھیرے میں ہیں انبیا و مَلک اس جہاں گیر بعثت پہ لاکھوں سلام

اندھے شیشے جھلاجھل دمکنے لگے جلوہ ریزیِ دعوت پہ لاکھوں سلام

لطفِ بیداریِ شب پہ بے حد دُرود عالمِ خوابِ راحت پہ لاکھوں سلام

خندۂ صبحِ عشرت پہ نُوری دُرود گریۂ ابرِ رحمت پہ لاکھوں سلام

نرمیِ خوئے لینت پہ دائم دُرود گرمیِ شانِ سطوت پہ لاکھوں سلام

جس کے آگے کھنچی گردنیں جھک گئیں اُس خداداد شوکت پہ لاکھوں سلام

کس کو دیکھا یہ موسیٰ سے پوچھے کوئی آنکھوں والوں کی ہمّت پہ لاکھوں سلام(١)

---

(١) المنظومة السلامية ص ١٢١-١٢٢

ترجمة الأبيات:

وما مال للهو فيه اللغط وفي كل شيئ لديه الوسط

عليه الصلاة عليه السلام

تدلل دوما بغير صرف ويحسن منه إباء السرف

عليه الصلاة عليه السلام

سلام على نفحة للشذا وتلك النفاسة يا حبذا

عليه الصلاة عليه السلام

سلام على خير قول يقول سلام على هدي هذا الرسول

عليه الصلاة عليه السلام

سلام على الحسن في سيرته سلام على القصد في حاجته

عليه الصلاة عليه السلام

وحار وقار به مشيته وفي جبل حبذا خلوته

عليه الصلاة عليه السلام

وللناس طرا لقد أرسلا سلام عليه لكل الملا

عليه الصلاة عليه السلام

لكل المرايا بدت دعوته تجلت بلألائها صورته

عليه الصلاة عليه السلام

سلام على ليلة قامها سلام على راحة رامها

عليه الصلاة عليه السلام

---

(١) حدائق بخشش ص ٢١٢- ٢١٣

سلام على بسمة في السحر ودمع بليل جرى وانهمر

عليه الصلاة عليه السلام

سلام سلام على رقته سلام سلام على هيبته

عليه الصلاة عليه السلام

لسادات قوم شموخ بهام وإحناؤها ذا لخير الأنام

عليه الصلاة عليه السلام

ومن قائل ما رآه اكليم؟ أ يذكر ما قد رآه العظيم

عليه الصلاة عليه السلام (١)

يبين شهوده ﷺ في الغزوات وتفيدة الصحابة أنفسهم عليه وجرأتهم وشجاعتهم، لاحظوا هذه الأبيات:

گردِ مہ دستِ انجم میں رَخشاں ہِلال بدر کی دفعِ ظلمت پہ لاکھوں سلام

شورِ تکبیر سے تھرتھراتی زمیں جنبشِ جیشِ نصرت پہ لاکھوں سلام

نعرہائے دلیراں سے بَن گونجتے غُرّشِ کوسِ جرأت پہ لاکھوں سلام

وہ چقا چاق خنجر سے آتی صدا مصطفی تیری صَولت پہ لاکھوں سلام

اُن کے آگے وہ حمزہ کی جاں بازیاں شیر غُرّانِ سطوت پہ لاکھوں سلام

الغرض اُن کے ہر موٗ پہ لاکھوں دُرود اُن کی ہر خُو و خصلت پہ لاکھوں سلام

اُن کے ہر نام و نسبت پہ نامی دُرود اُن کے ہر وقت و حالت پہ لاکھوں سلام

اُن کے مولا کی اُن پر کروروں دُرود اُن کے اصحاب و عترت پہ لاکھوں سلام(١)

---

(١) المنظومة السلامية ص ١٢٢-١٢٤

ترجمة الأبيات:

هــلال لــه فــي نــجــوم سطــع وتــلــك الــديــاجــر كــم قد رفع
عليــه الصــلاة عـليــه الســلام

وأرض تـمـيـد بـمـن كـبــروا بـنــصــرة رب لــهــم بــشروا
عليــه الصــلاة عـليــه الســلام

تـعـلـى هـتاف أتـى مـن بعيد ســلام عــلـى ذا الـبئيس النجيد
عليــه الصــلاة عـليــه الســلام

صـلـيـل وقــولا لـه شـنـفا ســلام عـلـيـك أيا مصطفى
عليــه الصــلاة عـليــه الســلام

وحمزة في الحرب ليـث هـصور لــه فــي الـبوادي مخيف الزئير
عليــه الصــلاة عـليــه الســلام

ســلام عـلـى كل تـلك الـسـمات ســلام عـلـى كل تلك الصفات
عليــه الصــلاة عـليــه الســلام

وأنـسـابـه بــل وأسـمـائـه ســلام عـلـيـه بـعـليائه
عليــه الصــلاة عـليــه الســلام (٢)

ثـم يــأتي بفضــيلة عتــرة النبــي ﷺ وأهــل بيتــه ويــذكر فــي هــذا الخصــوص بنــت الرسول فاطمة الزهراء وابنيه الإمام الحسن والإمام الحسين على وجهٍ خاصٍ، يقول:

پارہائے صُحف غنچہ ہائے قُدُس اہلِ بیتِ نبوت پہ لاکھوں سلام
آبِ تطہیر سے جس میں پودے جمے اُس ریاضِ نجابت پہ لاکھوں سلام

---

(١) حدائق بخشش ص ٢١٣-٢١٤

(٢) المنظومة السلامية ص ١٢٤-١٢٥

خونِ خیرُ الرُّسل سے ہے جن کا خمیر　　اُن کی بے لوث طینت پہ لاکھوں سلام

اُس بتولِ جگر پارۂ مصطفی　　حجلہ آرائے عِفّت پہ لاکھوں سلام

جس کا آنچل نہ دیکھا مہ و مہر نے　　اُس رِدائے نَزاہت پہ لاکھوں سلام

سیّدہ زاہرہ طیّبہ طاہرہ　　جانِ احمد کی راحت پہ لاکھوں سلام

حَسَنِ مجتبیٰ سیّدُ الاسخیا　　راکبِ دوشِ عزت پہ لاکھوں سلام

اَوجِ مِہرِ ہُدیٰ موجِ بحرِ نَدیٰ　　رَوحِ رُوحِ سخاوت پہ لاکھوں سلام

شہد خوارِ لُعابِ زبانِ نبی　　چاشنی گیرِ عصمت پہ لاکھوں سلام

اُس شہیدِ بلا شاہِ گلگوں قَبا　　بے کسِ دشتِ غربت پہ لاکھوں سلام

دُرِّ دُرجِ نجف مِہرِ بُرجِ شَرَف　　رنگِ رومی شہادت پہ لاکھوں سلام(١)

ترجمة الأبيات:

عليه من الرب كم من سلام　　وعترته بل وصحب كرام

عليه الصلاة عليه السلام

وبيت النبي وآل العبا　　ألا إنهم ذروة في السنا

عليه الصلاة عليه السلام

فهم دوحة بالطهور ارتوت　　وكل الفضائل قد أثمرت

عليه الصلاة عليه السلام

دم للرسول بأعراقهم　　وفاء "شعار" لأخلاقهم

(١) حدائق بخشش ص ٢١٤-٢١٥

عليه الصلاة عليه السلام

وفاطمة تلك بنت الرسول   سلام عليها فهذي البتول

عليه الصلاة عليه السلام

خمارا لها ما رأت شمسنا   ومثل لها ما رأت عيننا

عليه الصلاة عليه السلام

فريحانة إنها للرسول   سلام عليها يطول يطول

عليه الصلاة عليه السلام

وهذا السخي الحسن   بكل الحنان الرسول احتضن

عليه الصلاة عليه السلام

هو البدر لاح بأوج الهدى   كما أنه البحر بحر الندى

عليه الصلاة عليه السلام

تذوق شهدا بشهد الرضاب   فعصمته تلك شيئ عجاب

عليه الصلاة عليه السلام

وهذا الحسين شهيد البلاء   غريب له الورد لون القباء

عليه الصلاة عليه السلام

على درة حقها في النجف   سلام عليها بأوج الشرف

عليه الصلاة عليه السلام [١]

(١) المنظزمة السلامية ص ١٢٥-١٢٧

يصل الإمام أحمد رضا بسلامه إلى أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ويذكر فضائلهن بأحسن وجه ويذكر من بينهن خديجة بنت خويلد وعائشة بنت الصديق خاصّة، يقول:

اہلِ اسلام کی مادرانِ شفیق بانوانِ طہارت پہ لاکھوں سلام
جلوگیّانِ بیتُ الشَّرَف پر دُرود پردگیّانِ عفّت پہ لاکھوں سلام
سَیِّما پہلی ماں کہفِ امن و اماں حق گزارِ رفاقت پہ لاکھوں سلام
عرش سے جس پہ تسلیم نازل ہوئی اُس سرائے سلامت پہ لاکھوں سلام
منزلُ مَّن قَصَبْ لَا نَصَبْ لَاصَخَبْ ایسے کوشک کی زینت پہ لاکھوں سلام
بنتِ صدّیق آرامِ جانِ نبی اُس حریمِ براءت پہ لاکھوں سلام
یعنی ہے سورۂ نور جن کی گواہ اُن کی پُر نور صورت پہ لاکھوں سلام
جن میں رُوح القدُس بے اجازت نہ جائیں اُن سُرادِق کی عِصمت پہ لاکھوں سلام
شمعِ تابانِ کاشانۂ اجتہاد مفتیِ چار ملّت پہ لاکھوں سلام(١)

ترجمة الأبيات:

ويا حبذا رحمة الأمهات ويا حبذا طاهرات البنات
عليه الصلاة عليه السلام
سلام على علم بيت الرسول هو العلم فيه تنار العقول
عليه الصلاة عليه السلام

---

(١) حدائق بخشش ص ٢١٥-٢١٦

وكانـت خـديجة كـهف الأمان   ويـا طـالـما غمرت بالـحنان

علـيــه الـصـلاة عـلـيـه الســلام

مـن الـعرش جـاء إلـيها السلام   وفي موضـع طاب فيه المقام

علـيــه الـصـلاة عـلـيـه الســلام

لـها القصر في جنة من قصب   وفيه السكون فما من صخب

علـيــه الـصـلاة عـلـيـه الســلام

وراحــة قـلـب الـنـبي عائشة   عـلى قـلـبـه راحــة نـاقشة

علـيــه الـصـلاة عـلـيـه الســلام

وفي سـورة الـنـور عنها كلام   لـها الـوجه نور عليها السلام

علـيــه الـصـلاة عـلـيـه الســلام

وجـبـريـل بـالإذن لما دخل   لـهـا شـأنـها أنـه قـد أجل

علـيــه الـصـلاة عـلـيـه الســلام

بـها الـنور كان بفضل اجتهاد   فـكل فـقـيـه عـظـيم أفاد

علـيــه الـصـلاة عـلـيـه الســلام (١)

وبعـد ذكـر الأزواج المطهـرات يبـين مـن شـهدوا بـدرا وأحـدا مـن أصـحاب النبـي ﷺ والعشـر الـذين بشـرهم رسـول الله ﷺ بالجنــة، ويـذكر فضـائل أبـي بكـر وعمـر وعثمـان وعلي رضي الله عنهم على وجه خاص كما يظهر من الأبيات التالية:

جاں نثارانِ بدر و اُحد پر دُرود   حق گزارانِ بیعَت پہ لاکھوں سلام

وہ دسوں جن کو جنت کا مژدہ ملا   اُس مبارک جماعت پہ لاکھوں سلام

---

(١)المنظومة السلامية ص ١٢٧-١٢٨

خاص اُس سابقِ سیرِ قُربِ خدا اوحَدِ کاملیَّت پہ لاکھوں سلام

سایۂ مصطفٰی مایۂ اِصطَفٰی عِزّ و نازِ خلافت پہ لاکھوں سلام

یعنی اُس افضلُ الخلق بعدَ الرُّسُل ثانی اثنَینِ ہجرت پہ لاکھوں سلام

اصدقُ الصّادِقیں سیّدُ المتّقیں چشم و گوشِ وزارت پہ لاکھوں سلام

وہ عمر جس کے اعدا پہ شیدا سقر اُس خدا دوست حضرت پہ لاکھوں سلام

فارقِ حقّ و باطل امامِ الہُدیٰ تیغِ مسلول شدّت پہ لاکھوں سلام

ترجمانِ نبی ہم زبانِ نبی جانِ شانِ عدالت پہ لاکھوں سلام

زاہدِ مسجدِ احمدی پر دُرود دولتِ جیشِ عُسرت پہ لاکھوں سلام

دُرِّ منثور قرآں کی سلک بہی زوجِ دو نور عفّت پہ لاکھوں سلام

یعنی عثمان صاحب قمیصِ ہدیٰ حُلّہ پوشِ شہادت پہ لاکھوں سلام

مرتضیٰ شیر حق اشجع الاشجعیں ساقیِ شیر و شربت پہ لاکھوں سلام

اصل نسلِ صفا وجہِ وصلِ خدا بابِ فصلِ ولایت پہ لاکھوں سلام

اوّلیں دافعِ اہلِ رفض و خروج چارمی رکنِ ملّت پہ لاکھوں سلام

شیرِ شمشیر زن شاہِ خیبر شکن پرتوِ دستِ قدرت پہ لاکھوں سلام

ماحیِ رفض و تفضیل و نصب و خروج حامیِ دین و سنت پہ لاکھوں سلام

مومنیں پیشِ فتح و پسِ فتح سب اہلِ خیر و عدالت پہ لاکھوں سلام

جس مسلماں نے دیکھا اُنھیں اک نظر اُس نظر کی بصارت پہ لاکھوں سلام

جن کے دشمن پہ لعنت ہے اللہ کی اُن سب اہلِ محبت پہ لاکھوں سلام

باقیِ ساقیانِ شرابِ طہور زینِ اہلِ عبادت پہ لاکھوں سلام

اور جتنے ہیں شہزادے اُس شاہ کے اُن سب اہلِ مکانت پہ لاکھوں سلام

اُن کی بالا شرافت پہ اعلا دُردو اُن کی والا سیادت پہ لاکھوں سلام[1]

ترجمة الأبيات:

على من ببدر أذيقوا الحمام ومن آمنوا بالنبي السلام

عليه الصلاة عليه السلام

ومن بشروا عشرة بالجنان هنيئا لهم فوزهم بالأمان

عليه الصلاة عليه السلام

إلى الدين قبل الصحاب سبق وفي كل قول يقول صدق

عليه الصلاة عليه السلام

أظل بظل له المصطفى وعز الخلافة كل الوفى

عليه الصلاة عليه السلام

وخير البرية بعد الرسول وتلك المعية يوم الرحيل

عليه الصلاة عليه السلام

سلام على سيد المتقين على عمر أصدق الصادقين

عليه الصلاة عليه السلام

ولك عدو له في سقر سلام عليه وزيرا وزر

عليه الصلاة عليه السلام

وفي كل أمر هو الفيصل سلام على قوة المنصل

عليه الصلاة عليه السلام

له الرأي يشبه رأي النبي هو العدل فالحق لا يختبي

(١) حدائق بخشش ص ٢١٦-٢١٨

عليــه الصــلاة عليــه الســلام

سلام على زاهد في النعم   فعثمان هذا مثال الكرم

عليــه الصــلاة عليــه الســلام

له فضل جمع الكتاب المبين له   رفعة الذكر في العالمين

عليــه الصــلاة عليــه الســلام

قميص عليه هو المهتدي   ولابس ثوب لمستشهدي

عليــه الصــلاة عليــه الســلام

سلام على أشجع البؤساء   ومن في جنان يطوف بماء

عليــه الصــلاة عليــه الســلام

أنا المستغيث به في الدعاء   فنعم الوسيلة نحو السماء

عليــه الصــلاة عليــه الســلام

حيال الروافض كم قد وقف   خوارج عنهم يصد الجنف

عليــه الصــلاة عليــه الســلام

تفتح بابا له خيبر   لقدرة رب هـــو المظهر

عليــه الصــلاة عليــه الســلام

ومن فضلوه على الخلفاء   تصدى لهم كارها بالإباء

عليــه الصــلاة عليــه الســلام

ومن قبل أوبعد نيل المرام   على المؤمنين جميعا سلام

عليــه الصــلاة عليــه الســلام

ومن كان يوما إليه نظر   سلام على نور هذا البصر

عليــه الصــلاة عليـه الســلام

عـدو عـليهم أطـال اللعان   ورب حماهم بحصن الأمان

عليــه الصــلاة عليـه الســلام

بقـيه ساقي الشراب الطهور   وزيـن وتـفـديه منا الصدور

عليــه الصــلاة عليـه الســلام

سـلام عـلى ولد هذا الهمام   فهم في الذرى من رفيع المقام

عليــه الصــلاة عليـه الســلام

سـلام عـليهم سما شأنهم   وكـل الـسيادة دومـا لـهم

عليــه الصــلاة عليـه الســلام (١)

وفي البيتين التاليتين يذكر الأئمة الأربع المجتهدين:

شافعی مالک احمد امامِ حنیف   چار باغِ امامت پہ لاکھوں سلام

کاملانِ طریقت پہ کامل دُرود   حاملانِ شریعت پہ لاکھوں سلام(٢)

ترجمة الأبيات:

وأربـعـة كـرمـوا فـي الـورى   وحـكـمـا لـهم كلـنا كـم روى

عليــه الصــلاة عليـه الســلام

هــداة لـخـلـق شيوخ الطرق   جميل وفـصل لهم في العنق

عليــه الصــلاة عليـه الســلام (٣)

---

(١) المنظومة السلامية ص ١٢٨-١٣٢

(٢) حدائق بخشش ٢١٨-٢١٩

(٣) المنظومة السلامية ص ١٣٢

ثـم يـأتي فـي حضـرة الشـيخ السـيد عبـد القـادر الجيلانـي وغيـره مـن المشـايخ المتصوفين في الأبيات الآتية:

غوثِ اعظم امامُ التقیٰ و النقیٰ　　جلوۂ شانِ قدرت پہ لاکھوں سلام
قطبِ ابدال و ارشاد و رُشدالرشاد　　مُحیِیِ دین و ملّت پہ لاکھوں سلام
مردِ خیلِ طریقت پہ بے حد دُرود　　فردِ اہلِ حقیقت پہ لاکھوں سلام
جس کی منبر ہوئی گردنِ اولیا　　اُس قدم کی کرامت پہ لاکھوں سلام
شاہِ برکات و برکات پیشینیاں　　نو بہارِ طریقت پہ لاکھوں سلام
سید آلِ محمد امام الرشید　　گلِ روضِ ریاضت پہ لاکھوں سلام
حضرتِ حمزہ شیر خدا و رسول　　زینتِ قادریت پہ لاکھوں سلام
نام و کام و تن و جان و حال و مقال　　سب میں اچھے کی صورت پہ لاکھوں سلام
نورِ جاں عطر مجموعہ آلِ رسول　　میرے آقائے نعمت پہ لاکھوں سلام
زیبِ سجّادہ سجّاد نوری نہاد　　احمدِ نورِ طینت پہ لاکھوں سلام
بے عذاب و عتاب و حساب و کتاب　　تا ابد اہلِ سنّت پہ لاکھوں سلام(١)

ترجمة الأبيات:

إمـام الـتـقى ذلك الأعـظـم　　هـو الـغـوث للـناس والأعـلم
علـيــه الـصــلاة عـلـيـه الســلام
هو الفضل والدين بل والرشاد　　وبـصـر بـالـعلم كل الـعـباد

(١) حدائق بخشش ٢١٩-٢٢٠

عليــه الصــلاة عـليـه الســلام

على شيخ جيلان منا السلام   بـشعـر التصوف أحيا الكلام

عليــه الصــلاة عـليـه الســلام

وأحـنى رقـابـا لـحشد جمع   ومـنـها لـه مـنـبـرا قد صنع

عليــه الصــلاة عـليـه الســلام

أمـيـن على بـركات الـسلـف   وقطب الطريق وأوج الشرف

عليــه الصــلاة عـليـه الســلام

لآل الـنبي كان نـعـم الـسليل   ولـيل الـرياضـة ليل طويل

عليــه الصــلاة عـليـه الســلام

وحـمـزة شـيخ بـعـقـل ودين   ولـلـقـــادريــة زيــن يـزيـن

عليــه الصــلاة عـليـه الســلام

مـقـال وحـال وروح الـبدن   وذكـر لاسـم هـــذا الـحسن

عليــه الصــلاة عـليـه الســلام

وآل الـرسـول ولـى الـنـعـم   ونـور لـروح بخـوف الظلـم

عليــه الصــلاة عـليـه الســلام

حـفـيـد لــه واسـمـه أحمد   لـه الاسم من نـوره يحـمـد

عليــه الصــلاة عـليـه الســلام

فيا ربي لا كان فقط العذاب   لأهـل الجماعة يوم الـحساب

عليــه الصــلاة عـليــه الســلام [١]

وأخيـرا يــدعو الله تعــالى لجميــع الأمــة بصــفة عامــة ولأســاتذته ولوالديــه والإخــوة والأخوات بصفة عامة، فيقول:

تیرے ان دوستوں کے طفیل اے خدا بندۂ ننگِ خلقت پہ لاکھوں سلام
میرے اُستاد ماں باپ بھائی بہن اہلِ وُلد و عشیرت پہ لاکھوں سلام
ایک میرا ہی رحمت میں دعویٰ نہیں شاہ کی ساری اُمّت پہ لاکھوں سلام[٢]

ترجمة الأبيات:

إلـيـك الـتـوسـل يـا ربنا بمـن قد ذكرنا فذا حسبنا
عليــه الصــلاة عـليــه الســلام
سلام على كل من ذي نسب ومـن عـلموني، وأم وأب
عليــه الصــلاة عـليــه الســلام
ولي رحـمـة لـست بالمؤثر بـل الناس طرا ومن مخبر
عليــه الصــلاة عـليــه الســلام [٣]

وتختــتم هــذه الســلامية بــدعاء عظــيم وهــو أن الإمــام أحمــد رضــا حينمــا يصــلي ويسـلم علــى النبــي ﷺ يتمنــى بـأن سلسـلة السـلام هـذه لا تقـف ، بـل تسـتمرّ إلــى أن يحشـر النــاس يـوم القيامــة، وإذا جـاء النبــي ﷺ فــي حلقـة الملائكـة وأعطــي لواء الحمد يجري على لسان الشاعر هذه السلامية، يُلاحظ هذان البيتان:

---

(١)المنظومة السلامية ص ١٣٢-١٣٤
(٢)حدائق بخشش ص ٢٢٠
(٣)المنظومة السلامية ص ١٣٤

کاش محشر میں جب اُن کی آمد ہو اور
بھیجیں سب اُن کی شوکت پہ لاکھوں سلام
مجھ سے خدمت کے قُدسی کہیں ہاں رضاؔ
مصطفیٰ جانِ رحمت پہ لاکھوں سلام(١)

الترجمة:

ويوم الجزاء يجيئ الرسول فياليت كلا سلاما يقول
عليه الصلاة عليه السلام
ومني الرضا ليتهم يطلبون "سلاميتي" تلك من يسمعون
عليه الصلاة عليه السلام (٢)

****

(١) حدائق بخشش ص ٢٢٠
(٢) المنظومة السلامية ص ١٣٤

المطلب الثاني

القصيدة المرصعة للإمام أحمد رضا، دراسة تحليلية

أولا : التعريف بالقصيدة

القصيدة المرصعة هي القصيدة التي تشتمل على ثمانية وعشرين بيتاً على الأقل بعد مطلع القصيدة، وذلك بعدد الحروف الهجائية، ويأتي في آخر المصراع الأول من كل بيت حرف من الحروف الهجائية بالترتيب.

والقصيدة المرصعة من قصائد الإمام أحمد رضا البريلوي هي القصيدة التي أولها:

کعبہ کے بدر الدجی تم پہ کروڑوں درود　　طیبہ کے شمس الضحی تم پہ کروڑوں درود

يلاحظ أن الصدر لكل بيت من هذه القصيدة يختتم بحرف من الحروف الهجائية، بل يمكن لنا أن نقسم صدر كل بيت إلى جزئين وكل جزء منهما ينتهي على الحرف الذي قصده الشاعر وبنى عليه قصيدته، كما سترى فيما يأتي من الأبيات.

وموضوع القصيدة الصلاة على النبي ﷺ ، ويلاحظ أن معظم قصائد الإمام أحمد رضا خان تتحمل جانبا واحدا من جوانب سيرة النبي ﷺ كما أن القصيدة السلامية تختص بالسلام علي النبي ﷺ وهذه القصيدة خاصة بالصلاة عليه، فهناك تتكرر كلمة "سلام" وهنا ـ كما سنلاحظ ـ تتكرر كلمة "درود" معناه "الصلاة" ويصلي المادح على النبي ﷺ في آخر كل بيت مخاطبا له بـ " *تم پہ کروڑوں درود* " أي عليك عشرات ملايين صلاة يا رسول الله!

ثانيا: عناصر القصيدة:

تشتمل هذه القصيدة على تسعة وخمسين بيتا، ولما أن الشاعر المادح لم يكتف على بيت واحد في كل حرف ، بل نجد هناك أبيات تحت عدة أحرف، ولكننا نتركها خوفا من الإطالة ونأخذ تحت كل حرف بيتا فقط، ويذكر الشاعر في القصيدة جوانب مختلفة من سيرة النبي ﷺ وأخلاقه وصفاته، وإليكم نص القصيدة.

کعبہ کے بدر الدجی تم پہ کروڑوں درود　　طیبہ کے شمس الضحی تم پہ کروڑوں درود

شافع روز جزا تم پہ کروڑوں درود　　دافع جملہ بلا تم پہ کروڑوں درود(١)

الترجمة:

يارسول الله ﷺ أنت مثل القمر ليلة البدر لمكة، وأنت مثل الشمس في رابعة النهار للمدينة، تشفع يوم القيامة للأمة جمعاء وأنت تدفع المصائب والآلام، عليك عشرات ملايين صلاة.

ذات ہوئی انتخاب، وصف ہوئے لاجواب　　نام ہوا مصطفی تم پہ کروڑوں درود

تم سے جہاں کی حیات -تم سے جہاں کا ثبات　　اصل سے ہے ظل بندھا تم پہ کروڑوں درود

تم ہو حفیظ و مغیث کیا ہے وہ دشمن خبیث　　تم ہو تو پھر خوف کیا تم پہ کروڑوں درود(٢)

الترجمة:

قد انتخب الله تعالى ذاتك من بين الأنبياء والرسل وخصّك الله بخصائص عظيمة وأوصاف شتى فسمّاك بالمصطفى، بك الدنيا تحي وبك تثبت وأنت أصل كل شيئ وما سواك وهو ظل ذلك الأصل، أنت لي كالحفيظ والمغيث الذي يغيث من يدعوه فلا عبرة للأعداء، عليك عشرات ملايين صلاة.

---

(١) حدائق بخشش ص ١٨٢

(٢) المصدر نفسه ص ١٨٣

وہ شب معراج راج ،وہ صف محشر کا تاج   کوئی بھی ایسا ہوا تم پہ کروڑوں درود

لحت فلاح الفلاح، رحت فراح المراح   عد لیعود الھنا تم پہ کروڑوں درود

اف وہ رہ سنگلاخ ،آہ یہ پا شاخ شاخ   اےمرے مشکل کشا تم پہ کروڑوں درود(١)

الترجمة:

كنـت إمامـا وسـيدا فـي ليلـة المعـراج وسـتكون هكـذا سـيدا وشـافعا يـوم القيامـة، ومـن ذا الـذي يكـون مثلـك، قـد جئـت فبـورك كـل شـيئ وجعـل يلمـع العـالم كلـه، ولمـا سـافرت مـن هنـا ذهـب معـك الفـرح كلـه وإن عـدت يومـا يعـد الهنـاء بقدومـك، يـا أسـفا ! أنـا فـي وادٍ ذي حجـارة وحصـاة وقـد أصـابت الجـروح قـدمي فأنـت ملجـائي ومـولاي فـي هـذه المصائب.

تم سے کھلا باب جود ،تم سے ہے سب کا وجود

تم سے ہے سب کی بقا تم پہ کروڑوں درود

خستہ ہوں اور تم معاذ،بستہ ہوں اور تم ملاذ

آگے جو شہ کی رضا تم پہ کروڑوں درود

گرچہ ہیں بےحد قصور، تم ہو عفو و غفور

بخش دو جرم و خطا   تم پہ کروڑوں درود

بے ہنر و بے تمیز ،کس کو ہوئے ہیں عزیز

ایک تمہارے سوا   تم پہ کروڑوں درود (٢)

---

(١)المصدر نفسه ص ١٨٤

(٢)المصدر نفسه

الترجمة:

أنت فتحت باب الجود والكرم وبك يحي من يحي، و يبقى من يبقى، أما أنا فعاجز فقير ولذت بك في الحوادث والأهوال، فاصنع ما تشاء، ولا شك أنني ارتكبت المعاصي التي لا تعد ولا تحصى ولكن الله تعالى سمّاك عفوا غفورا فاستغفر لذنوبي، ونحن العاطلون فلا عبرة لنا فمن لنا سواك، عليك عشرات ملايين صلاة.

آس ہے کوئی نہ پاس، ایک تمہاری ہے آس

بس ہے یہی آسرا تم پہ کروڑوں درود

طارم اعلی کا عرش، جس کف پا کا ہے فرش

آنکھوں پہ رکھ دو ذرا تم پہ کروڑوں درود(١)

الترجمة:

وما لي من ألوذ به سواك فأنت لي كل شيئ فحسب، ولك أخمص القدم الذي مشيت به على العرش الأعظم وأردت أن أتبرك به بأن يكون هو على عيني، عليك عشرات ملايين صلاة.

کہنے کو ہیں عام و خاص، ایک تم ہی ہو خلاص

بند سے کر دو رہا تم پہ کروڑوں درود

تم ہو شفائے مرض، خلق خدا خود غرض

خلق کی حاجت بھی کیا تم پہ کروڑوں درود(٢)

الترجمة:

---

(١) المصدر نفسه ص ١٨٥

(٢) المصدر نفسه

هنـاك كثيـر مـن الخـواص والعـوام وهـم وإن كـانوا دعـاة للحريـة والاسـتقلال، والحقيقـة أنـك أنـت الـذي يعطـي النـاس الحريـة عـن المعاصـي كلهـا ونحـن نريـد منـك الحريـة عـن هـواء الـنفس وارتكـاب المعاصـي، ولا طبيـب لنـا سـواك فناتيـه عليـك عشـرات ملايين صلاة.

آه وہ راہ صراط ،بندوں کی کتنی بساط

المدد اے رہنما تم پہ کروڑوں درود

بے ادب و بد لحاظ، کر نہ سکا کچھ حفاظ

عفو پہ پھولا رہا تم پہ کروڑوں درود(١)

الترجمة:

ويـا أسـفا ! كيـف أمشـي علـى الصـراط ، فلـيس عنـدي شـيئ مـن الأعمـال فنسـتعين بـك هنـاك يـا رسـول الله ، لـم أتفكـر ولـم أعمـل بشـيئ مـن الصـالحات والحسـنات فكنت أتكيئ على العفو والغفران، عليك عشرات ملايين صلاة.

لو تہ دامن کہ شمع جھوکوں میں ہے روز جمع

آندھیوں سے حشر اٹھا تم پہ کروڑوں درود

سینہ کہ ہے داغ داغ کہہ دو کرے باغ باغ

طیبہ سے آکر صبا تم پہ کروڑوں درود(٢)

الترجمة:

(١) المصدر نفسه

(٢) المصدر نفسه ص١٨٦

إن ريح الحوادث والأهوال تهبّ وسراج حياتي يتضائل بينها، وله حاجة إلى فانوس يحفظه، ومن يحفظه سواك، وفي صدري حرقات ووصمات ومن يضمن لي أن يذهب إلى المدينة ويقول لصباها أن تمرّ بي وتكون فرحا وانبساطا لي، عليك عشرات ملايين صلاة.

گیسو و قد لام الف، کر دو بلا منصرف
لا کے تہ تیغ لا تم پہ کروڑوں درود
تم نے برنگ فلق ، جیب جہاں کر کے شق
نور کا تڑکا کیا تم پہ کروڑوں درود[1]

الترجمة:

إذا نظرنا إلى جمتك وقدك نراهما اللام والألف أي "لا" ومن أوصافك الكريمة أنك تردّ المصائب والآلام وتجعلها مثل "لا" أي تنفيها وهذا الوصف كالسيف المهند الذي تفرق الآلام والمشاكل كلها، وأنت وُلدت مثل بني آدم ولكنك في الحقيقة ظهرت في الدنيا ونورتها كلها، عليك عشرات ملايين صلاة.

نوبت در ہیں فلک، خادم در ہیں ملک   تم ہو جہاں بادشا تم پہ کروڑوں درود
خلق تمہاری جمیل ،خلق تمہارا جلیل   خلق تمہاری گدا تم پہ کروڑوں درود[2]

الترجمة:

أنت ملك الأفلاك والملائكة فالفلك يضرب الطبل أمامك (أي في النهار بالشمس وفي الليل بالقمر) والملائكة كلهم يخدمونك، أنت أجمل الناس صورة ومعنى

(١) المصدر نفسه
(٢) المصدر نفسه ص

وأنـت علـى خلـق عظـيم، وكـل الـورى فـداك يـا رسـول الله ﷺ عليـك عشـرات ملايـين صـلاة.

خلق کے حاکم ہو تم،رزق کے قاسم ہو تم
تم سے ملا جو ملا تم پہ کروڑوں درود
برسے کرم کی بھرن، پھولیں نعم کے چمن
ایسی چلا دو ہوا تم پہ کروڑوں درود(١)

الترجمة:

أنـت تحكـم علـى الـورى وتقسـم بيـنهم الـرزق الـذي يعطيـك الله، فمـا وجـد مـن وجـد فهـو مـن جـودك، نحـن نريـد مـن ذلـك الجـود المطـر الـذي ينبـت بـه كـل النبـات وتحضـر بـه حدائق النعمة والرحمة، عليك عشرات ملايين صلاة.

اپنے خطاواروں کو،اپنے ہی دامن میں لو
کون کرے یہ بھلا تم پہ کروڑوں درود
کر کے تمہارے گناہ، مانگیں تمہاری پناہ
تم کہو دامن میں آ تم پہ کروڑوں درود
کام وہ لے لیجئے ،تم کو جو راضی کرے
ٹھیک ہو نام "رضا" تم پہ کروڑوں درود(٢)

---

(١) المصدر نفسه ص ١٨٧

(٢) المصدر نفسه ص ١٨٨

الترجمة:

نحـن عاصـون ونرجـو منـك السـتر علـى المعاصـي فـلا يسـتر علـى المعاصـي أحـد سـواك، وإنـا نتعـود بـأن نعصـي أمـرك أولا ثـم نلـوذ بـك رجـاء أن تسـتغفرلنا ومـن عادتـك أن تشـير إلـى التمسـك بـه فـي كـل حـال، وأنـا "الرضـا" ألـتمس إليـك أن تنظـر إلـيّ بنظـر الرحمــة والبركــة فأعمــل عمــلا يكــون ســببا لرضــاك، ويعلــو اســمه وصــيته عليــك عشرات ملايين صلاة.

****

المطلب الثالث
قصيدة لم يأت نظيرك، دراسة تحليلية

أولا: التعريف بالقصيدة:

هذه القصيدة قد أتى بها الإمام أحمد رضا خان البريلوي، هي قصيدة فريدة لا نظير لها في اللغة الأردية ، فالإمام أظهر موهبته الشعرية في أبدع صورة، فإنه جمع أربع لغات من العربية والفارسية والأردية والهندية في كل بيت من أبيات هذه المنظومة، ويُعرف هذه الصنعة بالملمعات، والأصل في كلمة ملمع من التلميع، وهو أن يكون في جسم الفرس أجزاء سوداء، وفي الفرس الأسود أجزاء بيضاء، فأطلق هذا على الشعر على التشبيه[1]. و مطلع القصيدة هكذا:

لَم يَأتِ نَظيرُك فِى نَظَرٍ، مثل تونہ شد پیدا جانا

جگ راج کو تاج تورے سر، سو ہے تجھ کوشہ دوسرا جانا

يدهشنا هذا الأسلوب في المنظومة بأن كل بيت في القصيدة يحتوي على هذه اللغات الأربعة، فنجد صدر البيت مشتملا على اللغة العربية والفارسية وعجز البيت محتويا على اللغة الهندية الأردية، ولم تخرج هذه المنظومة من هذا المنهج حتى البيت الأخير وظل الشاعر في منظومته هذه دقيقا للغاية من ناحية براعة اللغة والبيان وفصاحة الأسلوب وسلاسته والحرقة والفناء في حب الرسول ﷺ، وهذا الأسلوب الفريد لم يحظ به أحد غير الإمام أحمد رضا خان فهو مبتكر لهذ النوع من الشعر.

ثانياً:عناصر القصيدة:

---

(١) انظر المنظومة السلامية ص ٢٨

هذه المنظومة الغراء الفريدة تحتوي عشرة أبيات، وتجتمع في كل بيت اللغات الأربعة كما بيّناه، ويبين الإمام في مطلع القصيدة جمال النبي ﷺ وسيادته العامة متأثراً من قول حسان بن ثابت رضي الله عنه:

وأحسن منك لم تر قط عيني   وأجمل منك لم تلد النساء

خلقت مبرأ من كل عيب   كأنك قد خلقت كما تشاء(١)

يقول الإمام أحمد رضا خان:

لَم يَأتِ نَظيرُك فِی نَظَرٍ، مثل تو نہ شد پیدا جانا

جگ راج کو تاج تورے سر،سو ہے تجھ کو شہ دوسرا جانا (٢)

يا رسول الله ! لم ير أحد من الناس مثلَك، بل ولم يولد في الدنيا أحد مثلُك لا في الصورة ولا في السيرة، قد اصطفى الله تعالى رأسك للتزيين بالتاج العظيم وأعطاك السيادة في الدنيا والآخرة للإنسانية جمعاء.

وفي البيت الثاني يشكو النبي ﷺ بثّه وحزنه، من أنه قد أحاطت به الفتن والمصائب وصارت سفينة أعماله مرمى للهواء الذي تجري من جانب آخر وأنا أنظر إليك يارسول الله للنجاة، يقول:

البحرُ عَلاَ والموَجُ طغیٰ، من بیکس وطوفاں ہو شربا

منجد ہار میں ہوں بگڑی ہے ہوا،موری نیا پار لگا جانا(٣)

---

(١) ديوان حسان بن ثابت ص ١٢

(٢) حدائق بخشش ص ٢١

(٣) المصدر نفسه

إن ماء البحر قد علا وطغت الأمواج وأنا مفلس ومعوز لا أسا س عندي وقد هاج بحر الشهوات هياجا شديدا، وأنا في بحر الهموم مغرق والرياح تجري مخالفةً، فلا أحد يظفّ سفينتي إلى ساحل البحر يا رسول الله ﷺ.

ويقول الإمام مخاطبا للشمس:

ياشمس نظرت إلى ليلي، چوں بطیبہ رسی عرضے بکنی
توری جوت کی جھل جھل جگ میں رچی مری شب نے نہ دن ہونا جانا(١)

يا شمس! قد رأيت الظلمات التي ظلّت عليّ وصار يومي كالليل المظلم، إذا وصلت إلى مدينة النبي ﷺ مساء قدمي إليه مني التماساً وهو أنك قد نورّت العالم كله، ولكن ليلي لم يتحوّل نهاراً بعدُ.

وبعد ما شكى حاله إلى رسول الله ﷺ يبين حسن وجهه وجماله ويقول:

لك بدر في الوجه الأجمل ،خط ہالہ مہ زلف ابر اجل
تورے چندن چندر پروکنڈل، رحمت کی بھرن برساجانا(٢)

يارسول الله! إن وجهك مثل القمر ليلة البدر، وكأن جمم شعرك حول الوجه هالة حول البدر، بل وكأن على وجهك المنير سحابة الجمة، فيا ليت تمطر تلك السحابة من الرحمة على حديقة حياتنا.

ويظهر كيفية عطشه لرؤية النبي ﷺ في البيت التالي:

أنا في عطش وسخاك أتم، اے گیسوئے پاک اے ابرِ کرم
برسن ہارے رم جھم رم جھم، دو بوند ادھر بھی گرا جانا(١)

---

(١) المصدر نفسه

(٢) المصدر نفسه

أنا في عطش شديد وأنت جواد كريم، يا صاحب ذوائب الرحمة ويا سحاب البركة نحن نحتاج إلى رحمتك الواسعة، فعلينا قطرتين من هذا المطر الذي لايبخل أحدا.

ثم يحضر حضرة النبي ﷺ ويلتمس إلى الركب الذي كان معه أن يطيل مدة قيامه بالمدينة، يُلاحظ هذا البيت:

يا قافلتي زيدي أجلك،رحمے برحسرت تشنہ لبک

مورا جیرا لرجے درک درک،طیبہ سے ابھی نہ سناجانا[٢]

أيها الرفقاء لكم أن تزيدوا في المدة لقيامكم بمدينة النبي ﷺ لم تنتهي حسرتي واشتياقي بعدُ، وحينما أسمع رحلتنا من هذه البلدة المباركة جعل القلب يخفق وينبض.

ويذكر الإمام الساعات التي قضاها بالمدينة المنورة ، فيقول:

واهاً لسويعات ذهبت، آں عہد حضور بار گہت

جب یاد آوت موہے کر نہ پرت،دردا وہ مدینہ کا جانا[٣]

يا أسفا قد مضت بسرعة سريعة تلك الأيام التي قضيناها في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، و قد يُخيّل إليّ ذلك الزمن الذي كنت أصل إلى حضرة النبي صلى الله عليه وسلم متحملا مشاقّ السفر.

---

(١) المصدر نفسه

(٢) المصدر نفسه

(٣) المصدر نفسه ص ٢٢

ويدعي الشاعر بأن لاملجأ له ولا مأوى سوى النبي ﷺ فيشكو إليه بجراحات القلب وآلام النفس وما هو من مشاعره وعواطفه لتفدية النفس على النبي صلى الله عليه وسلم بأحسن أسلوب وأجمل طراز لاحظوا البيتين التاليين:

القلب شج والهم شجوں، دل زار چناں جاں زیر چنوں

پت اپنی بپت میں کا سے کہوں، مورا کون ہے تیرے سوا جانا

اَلروح فداك فزد حرقا ،یک شعلہ دگر برزن عشقا

مورا تن من دھن سب پھونک دیا، یہ جان بھی پیارے جلا جانا[١]

قلبي مجروح وقد أحاطتني المصائب الشديدة ، فيستغيث القلب وتعجز النفس، فيا سيدي من ألوذ به وأشكو إليه سواك ، إنما أنت ملجاءي وملاذي في الحوادث والمصائب كلها، فداك روحي ونفسي يا رسول الله ﷺ قد اشتعلت في داخلي نار المحبة والعشق وأحرقت جسمي وقلبي ومالي فلم يبق إلا نفسي وأريد ان افديك نفسي ايضاً.

ويأتي الإمام بآخر بيت القصيدة والذي يدعى في مصطلح الشعراء الأردية بـ"مقطع" ويشير فيه إلى سبب نظم القصيدة على النمط الفريد من أنه ليس من عادته قرض القصائد في هذا الأسلوب الذي يمتاز بين معاصريه، وإنما نظم هذه القصيدة في اللغات الأربعة حسب ما أمره بعض من أصدقائه، فنظراً إلى أمره قرض هذه القصيدة،

يقول:

---

(١) المصدر نفسه

بس خامہ خام نوائے رضا، نہ یہ طرز میری نہ یہ رنگ مرا

ارشاد احبا ناطق تھا، ناچار اس راہ پڑھا جانا[1]

ليس للرضا خبرة عظيمة في نظم القصائد في أسلوب جيّد وليس هو شاعرا كبيرا، ليس له قلم سيال وفكر مصيب، وإنما نظم هذه القصيدة الفريدة فهو بامتثال أمر الأصدقاء والأصحاب الذين كانوا يحبون أن أنشد مثل هذه القصيدة في مدح سيدنا ومولانا محمّد رسول الله ﷺ.

****

(١) المصدر نفسه

المطلب الرابع
القصيدة "نبينا" دراسة تحليلية

أولا: تعريف القصيدة

هذه القصيدة أيضا من أشهر القصائد للإمام أحمد رضا خان في المديح النبوي، وقد نظم فيها خصائل النبي ﷺ وأوصافه ووصفه الشاعر بأنه أشرف الخلق كله وهو أفضل الأنبياء والرسل كلهم وقد أعطاه الله تعالى من الخصائص ما لم يعط أحد من الخلق وقد اعتنى بالقصيدة العلماء والباحثون والمداحون، حيث قاموا بشرح ما اشتمل عليه القصيدة من صفات الرسول ﷺ وكذلك ينشدونها بالإشادة والتغنية التي تسبب الوجد والفرح للمستمعين لأنها نظمت في البحر التي يمكن أن تقوم بلحن جيد، يعدّ الشاعر في كل بيت من صفات النبي ﷺ ويختم البيت بقوله "همارا نبي" معناه نبينا.

ثانيا: عناصر القصيدة.

هذه القصيدة تشتمل على سبعة وأربعين بيتا أولها قوله:

سب سے اولیٰ واعلیٰ ہمارا نبی　　سب سے بالا و والا ہمارا نبی

اپنے مولیٰ کا پیارا ہمارا نبی　　دونوں عالم کا دولہا ہمارا نبی(١)

ترجمة: أن نبينا محمّدا ﷺ في مكانة أولية قصوى وهو على أعلى الدرجات بين الخلق كافة، حبيب ربه وعريس كل من الكون وهو نبينا محمّد ﷺ .

بزمِ آخر کا شمع فروزاں ہوا　　نورِ اول کا جلوہ ہمارا نبی

جس کو شایاں ہے عرشِ خدا پر جلوس　　ہے وہ سلطانِ والا ہمارا نبی(١)

---

(١) المصدر نفسه ص ٨٦

ترجمة: وهو يكون كالشمع في يوم القيامة لأنه نُوّر من نور الله الذي هو الأول والآخر، ومن ذا الذي يليق بأن يجلس على العرش الأعظم وهو الملك الأكبر في خلق الله نبينا محمّد ﷺ.

بجھ گئیں جس کے آگے سبھی مشعلیں شمع وہ لے کر آیا ہمارا نبی

جس کے تلووں کا دھون ہے آبِ حیات ہے وہ جانِ مسیحا ہمارا نبی(٢)

ترجمة: وقد أتى نبينا محمّد ﷺ بسراج الهداية الذي اطفأت المشاعل كلها أمامه، والذي غسالة قدمه كماء الحياة هو نبينا محمّد ﷺ.

عرش و کرسی کی تھیں آئینہ بندیاں سوئے حق جب سدھارا ہمارا نبی

خلق سے اولیاء، اولیاء سے رسل اور رسولوں سے اعلیٰ ہمارا نبی

حسن کھاتا ہے جس کے نمک کی قسم ہے وہ ملیحِ دل آرا ہمارا نبی

ذکر سب پھیکے جب تک نہ مذکور ہو نمکین حسن والا ہمارا نبی

جس کی دو بوندھ ہیں کوثر و سلسبیل ہے وہ رحمت کا دریا ہمارا نبی(٣)

ترجمة: وفي ليلة أسري النبي ﷺ فيها أمر الله تعالى الملائكة بتزين العرش الأعظم والكرسيّ، وذلك لقدوم حبيبه إلى جنابه تعالى، وإن أولياء الله الصالحين في أعلى درجة من عامة الخلق، وفوقهم جماعة الأنبياء عليهم السلام، وأما نبينا ﷺ فهو أفضل من جميع الأنبياء والرسل صلوة الله عليهم وسلامه. وأن نفس الحسن والجمال يقسم بوجهه والذي قد أعطاه الله تعالى شيئا من الحسن فهو انعكاس من حسنه

---

(١) المصدر نفسه

(٢) المصدر نفسه

(٣) المصدر نفسه

وجمالـه ﷺ، ولا يحسـن ذكـر مـن الأذكـار مـالم يُـذكر حسـن النبـي ﷺ، وأن النبـي صـلى الله عليه وسلم بحر الرحمة والسخا الذي يعدّ الكوثر والسلسبيل من جوده وسخاه.

جیسے سب کا خدا ایک ہے ویسے ہی　　اِن کا اُن کا تمہارا ہمارا نبی

قرنوں بدلی رسولوں کی ہوتی رہی　　چاند بدلی کا نکلا ہمارا نبی

کون دیتا ہے دینے کو منہ چاہیے　　دینے والا ہے سچا ہمارا نبی

کیا خبر کتنے تارے کھلے چھپ گئے　　پر نہ ڈوبے نہ ڈوبا ہمارا نبی(١)

ترجمـة: وكمـا أن الله تبـارك وتعـالى هـو الأحـد الصـمد الـذي يليـق بـأن يُعبـد ويُسـجد لـه وربوبيتـه عامـة لجميـع الخلـق، هكـذا الحـال لرسـالة نبينـا محمّـد ﷺ فهـي أيضـا واسـعة للإنسـانية جمعـاء. وقـد كـان الرسـل والأنبيـاء لـم يزالـوا يتبـدلون ويـأتي أحـد مـنهم للرشـد والهدايـة إلـى مـدة ثـم يـأتي آخـر فـآخر إلـى أن بعـث الله نبينـا محمّـدا ﷺ فنسـخت جميـع الشـرائع فقام بشـريعته　　لهدايـة النـاس كافـة إلـى يـوم القيامـة، ولا يعطـي أحـد سـوى نبينـا ﷺ وهـو المعطـي الصـادق، وهنـاك كثيـر مـن النجـوم التـي أفلـت قبـل الرسـول ﷺ وأمـا هو فلم يغرب نجم رسالته ولا يغرب إلى يوم الجزاء.

ملکِ کونین میں انبیا تاجدار　　تاجداروں کا آقا ہمارا نبی

لا مکاں تک اجالا ہے جس کا وہ ہے　　ہر مکاں کا اجالا ہمارا نبی

سارے اچھوں میں اچھا سمجھیے جسے　　ہے اس اچھے سے اچھا ہمارا نبی

سارے اونچوں میں اونچا سمجھیے جسے　　ہے اس اونچے سے اونچا ہمارا نبی(٢)

---

(١) المصدر نفسه ص ٨٧

(٢) المصدر نفسه

ترجمة: وأن الأنبياء الكرام عليهم الصلوة والسلام وملوك في الكونين: الدنيا والآخرة، وأما ملك هؤلاء الملوك وسيدهم فهو نبينا محمّد ﷺ، وهو الضوء للأماكن كلها الذي اتسع ضوؤه إلى العرش الأعظم. والذي أفضل كل من له فضيلة وشرافة وأرفع كل من له مكانة مرموقة عالية هو نبينا محمّد ﷺ.

جس نے ٹکڑے کیے ہیں قمر کے وہ ہے نور وحدت کا ٹکڑا ہمارا نبی

سب چمک والے اجلوں میں چمکا کیے اندھے شیشوں میں چمکا ہمارا نبی

جس نے مردہ دلوں کو دی عمرِ ابد ہے وہ جانِ مسیحا ہمارا نبی(١)

ترجمة: ومن شقّ القمر بإشارته هو نبينا محمّد ﷺ، وكذلك قد برز وبصّ رسول الله ﷺ بين الأنبياء والمرسلين وأحيى قلوب الناس الميتة كما أن عيسى روح الله كان يحيي الموتى بإذن الله ولكن هذه الحياة هي التي لها دوام وبقاء.

ويقول في مقطع القصيدة:

غمزدوں کو رضا مژدہ دیجیے کہ ہے بیکسوں کا سہارا ہمارا نبی(٢)

ترجمة: يا رضا بشّر الذين حزنوا من مصائب الدنيا ومكابدها بأن نبينا محمّدا صلى الله عليه وسلم هو ملجا لمن لا ملجأ له وثمال لمن لا ملاذ له.

* * * * * * * * * * * * * * *

(١) المصدر نفسه ص ٨٨

(٢) المصدر نفسه

المطلب الخامس

القصيدة "كلامِ إلهي مين شمس وضحى" دراسة تحليلية

أولاً: التعريف للقصيدة

هي إحدى قصائد الإمام أحمد رضا خان التي لها قبول عام شهرة واسعة بين حلقات العلم والأدب وعامة الناس على السواء، تحتوي القصيدة على ثمانية أبيات فحسب، والأبيات الأربعة الأولى تتضمن معظم فضائل النبي ﷺ وشمائله وخصائله كما سيظهر فيما يأتي، والأبيات الأربعة الأخيرة في الدعاء واستظهار العجز في جنابه تعالى.

ثانياً: عناصر القصيدة.

يلاحظ أن هذه القصيدة كما أشرنا يمكن لنا أن نقسمها إلى جزئين ففي الجزء الأول نلاحظ المديح النبوي، وقد نظم الناظم فضائل النبي ﷺ ولم يقل من نفسه في شانه ﷺ شيئاً ولم ينسب إليه وصفا، بل نجد هناك تلميحا إلى آية من آيات القرآن أو حديث من الأحاديث النبوية، وأما الجزء فنلاحظ فيه أن الشاعر يدعو الله تعالى أن يقدر له الجلوس في رياض الجنة وزيارة حبيبه ويغفرله الذنوب وما إلى ذلك من الأدعية. يقول في مطلع القصيدة:

ہے کلامِ الٰہی میں شمس و ضُحیٰ، ترے چہرۂ نور فزا کی قسم

قسمِ شبِ تار میں راز یہ تھا، کہ حبیب کی زلفِ دو تا کی قسم (١)

---

(١) حدائق بخشش ص ٤٧

الترجمة: إن الله تعالى قد أقسم في القرآن بالشمس[١] والضحى[٢] وليس هذا القسم في الحقيقة بالشمس ولا بالضحى، بل المراد منهما وجه الرسول ﷺ وعارضه ، وكذلك أقسم بالليل[٣] والمراد منه جمم حبيبه وذوائبه ﷺ.

تِرے خُلق کو حق نے عظیم کہا، تِری خلق کو حق نے جمیل کیا

کوئی تجھ سا ہوا ہے نہ ہو گا شہا، تِرے خالقِ حُسن و ادا کی قسم[٤]

الترجمة: قد عبر الله تعالى خُلقك بالخلق العظيم[٥] وأجمل صورتك، فأقسم بالله بأن يكن أحد ولا يكون مثلك لا فالصورة ولا في السيرة.

وہ خدا نے ہے مرتبہ تجھ کو دیا، نہ کسی کو ملے نہ کسی کو ملا

کہ کلامِ مجید نے کھائی شہا، تِرے شہر و کلام و بقا کی قسم[٦]

الترجمة: لقد أعطاك الله تعالى مرتبة عظيمة لم يدانك فيها أحد ولا يساويك، حيث أقسم الله تعالى في القرآن ببلدك[٧] وكلامك[٨] وعمرك[٩].

---

(١) تلميح إلى قوله تعالى: ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴾ الشمس : ١

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَالضُّحَى ﴾ الضحى :١

(٣) المراد منه قوله تعالى: ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴾ الضحى : ٢

(٤) حدائق بخشش ص ٤٧

(٥) تلميح إلى قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ القلم:٤

(٦) حدائق بخشش ص ٤٧

(٧) تلميح إلى قوله تعالى: ﴿ لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ البلد: ١-٢

(٨) تلميح إلى قوله تعالى: ﴿ وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ الزخرف :٨٨

(٩) تلميح إلى قوله تعالى: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ الحجر:٧٢ ٨٨

ترا مسندِ ناز ہے عرشِ بریں، ترا محرمِ راز ہے رُوحِ امیں
توہی سرورِ ہر دو جہاں ہے شہا، ترا مثل نہیں ہے خدا کی قسم(١)

الترجمة: يارسول الله ! أنت تجلس على العرش الأعظم وجبريل هو مباطنك وأنت سيد الكونين، فوالله لا مثيل لك ولا سهيم.

یہی عرض ہے خالقِ ارض وسما، وہ رسول ہیں تیرے میں بندہ ترا
مجھے ان کے جوار میں دے وہ جگہ، کہ ہے خلد کو جس کی صفا کی قسم(٢)

الترجمة: يا خالق الأرض والسموات لا شك أنه هو رسولك الأرفع والأعلى وأنا عبدك العاجز العاصي، فأنا ألتمس منك بأن تعطيني في جواره قطعة من الأرض التي تفتخر الجنة بصفائها.

توہی بندوں پہ کرتا ہے لطف وعطا، ہے تجھی پہ بھروسا تجھی سے دُعا
مجھے جلوۂ پاکِ رسول دکھا، تجھے اپنی ہی عزّو عُلا کی قسم(٣)

الترجمة: ياربّ أنت لطيف بعبادك ومعطيهم فعليك نعتمد وبك نثق ومنك ندعو أن تكشف عن أعيينا الحجاب لننظر إلى نور نبيك محمد ﷺ ونتوسل إلى ذلك بجلالك وعزك وعلاك يا أرحم الراحمين.

مِرے گرچہ گناہ ہیں حد سے سوا، مگر اُن سے امید ہے تجھ سے رَجا
تو رحیم ہے اُن کا کرم ہے گوا، وہ کریم ہیں تیری عطا کی قسم(٤)

---

(١) حدائق بخشش ص ٤٧
(٢) المصدر نفسه
(٣) المصدر نفسه ص ٤٨
(٤) المصدر نفسه

الترجمـة: لا شـك أن لـي معاصـي لا تعـد ولا تحصـى، ولكنّـي أتوقـع مـن النبـي صـلى الله عليـه وسـلم الشـفاعة وأرجـو منـك الغفـران، فأنـت رحـيم كمـا أخبرنـا رسـولك عليـه الصـلاة والسلام وهو كريم بعطاك يارب العالمين.

یہی کہتی ہے بلبلِ باغِ جناں، کہ رضا کی طرح کوئی سحر بیاں
نہیں ہند میں واصف شاہِ ہدیٰ مجھے شوخیِ طبعِ رضا کی قسم (١)

* * * * * * * * * * * * *

(١) المصدر نفسه

الفصل الثاني

قصائد المدائح النبوية للبوصيري والبريلوي دراسة فنية مقارنة

يحتوي هذا الفصل على مبحثين

المبحث الأول

المصطلحات اللغوية والبلاغية في شعرهما

يحتوي هذ المبحث على مطلبين

المطلب الأول

الصور البلاغية في شعر الإمام البوصيري والإمام أحمد رضا خان

المطلب الثاني

المحسنات اللفظية والمعنوية في شعر الإمام البوصيري والإمام أحمد رضا

المطلب الأول

الصور البيانية في شعر الإمام البوصيري والإمام أحمد رضا خان

تمهيد

سنتحدث في هذا المطلب عن بعض الصور البلاغية التي استخدمها كل من الإمام البوصيري والإمام أحمد رضا خان البريلوي في شعرهما، خاصة ما يتعلق بالتشبيه والاستعارة، وبالنظر إلى التشبيهات والاستعارات التي استخدمها كل من الشاعرين يتضح جلياً أنهما برعا براعة فائقة فنية في استخدامهما مما زاد شعرهما رونقاً وجمالاً جعل شعرهما في المديح النبوي يفوق الشعراء الآخرين في هذا المجال، وبالتالي سننظر على بعض الأسباب التي تحتوي على هذه الصور البلاغية:

أولاً : التشبيه

التشبيه هو بيان أنّ شيئاً أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر، بأداة ملفوظة أو ملحوظة(١). كقول المعري:

أنت كالشمس في الضياء وإن جا وزت كيوان في علوّ المكان(٢)

نجد تشبيهات كثيرة في شعر الإمام البوصيري والإمام أحمد رضا خان البريلوي، أما تشبيهاتهما فجيدة رائعة، لأنهما أقاماها على تشابه المشبه والمشبه به في وقعهما على النفس وأثرهما في النفس. وإليكم أمثلة لاستخدام التشبيه في شعرهما:

يقول الإمام البوصيري في صفات النبي ﷺ:

كالزهر في ترف والبدر في شرف والبحر في كرم والدهر في همم(٣)

---

(١) البلاغة الواضحة ص١٩

(٢) سقط الزند ص ١٣٤

(٣) ديوان البوصيري ص ١٨٣

ويشبه معاني الآيات القرآنية بموج البحر في المدد وبالجواهر في الحسن والجمال، يقول:

لها معان كموج البحر في مدد   وفوق جوهره في الحسن والقيم[١]

ويشبهها بالصراط والميزان في العدل، فيقول:

وكالصراط وكالميزان معدلة   فالقسط من غيرها في الناس لم يقم[٢]

ويقول مشبها النفس الإنساني بالطفل:

والنفس كالطفل إن تهمله شبّ على   حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم[٣]

ويقول عن حقيقة النبي ﷺ في صورة التشبيه:

أعيى الورى فهم معناه فليس يرى   للقرب والبعد فيه غير منفحم

كالشمس تظهر للعينين من بعد   صغيرة وتكل الطرف من أمم[٤]

ويصف البوصيريُ رسول الله ﷺ بأن الأنبياء والرسل عليهم السلام كلهم قد أتوا بمعجزات عظيمة، والحقيقة أن تلك المعجزات كلها من معجزات نبينا ﷺ ويلاحظ هذا الموضوع في البيتين التاليين في صورة التشبيه المؤكد[٥]:

وكل آي أتى الرسل الكرام بها   فإنما اتصلت من نوره بهم

فإنه شمس فضل هم كواكبها   يظهرن أنوارها للناس في الظلم[٦]

ويصف الشاعر علم النبي ﷺ في صورة التشبيه، يقول:

(١) المصدر نفسه ص ١٨٢
(٢) المصدر نفسه ص ١٨٣
(٣) المصدر نفسه
(٤) المصدر نفسه ص ١٩٠
(٥) وهو ما حذفت أداته انظر : دروس البلاغة ص ٣٣
(٦) المصدر نفسه ص ١٨٧

لم يخف عن علمه في الأرض خافية   كأنـه للـوجـود الـسمع والبصر

فـلا يـظـن مـريـب مـن جـهالته بأن في الأرض شيئا عنه يستتر[1]

وهكـذا نجـد فـي شـعر الإمـام أحمـد رضـا خـان أيضـا التشـبيهات، يشـبه خفقان القلب بحركة ورق الشجرة في البيت التالي:

دل عبث خوف سے پتہ سا اڑا جاتا ہے   پلہ ہلکا سہی بھاری ہے بھروسا تیرا[2]

الترجمـــة: لا يـزال قلبـي يتحـرك مثـل ورق الشـجر مـن خـوف يـوم الـدين وهـذا الخـوف عبـث لأن عملـي وإن لا يكفـي لنجـاتي ولا أعتمـد عليـه أيضـا، وإنمـا اعتمـادي على شفاعتك فحسب، وشفاعتك عظيمة كبيرة.

ويقول مشيرا إلى حديثين مشهورين[3]:

اہلِ سنت کا ہے بیڑا پار اصحابِ حضور   نجم ہیں اور ناؤ ہے عترت رسول اللہ کی[4]

الترجمـة: إن أهـل السـنة والجماعـة ينجـون مـن طوفـان العصـيان، فـإنّ أهـل البيـت كالسفينة لهم والصحابة كالنجوم التي يهدي إليها كل من ركب البحر.

(١) المصدر نفسه ص ٩٣

(٢) حدائق بخشش ص ٨

(٣) الأول من الحديثين ما رواه الإمام الحاكم النيسابوري في مستدركه عن أبي ذر يقول وهو آخذ بباب الكعبة أيها الناس من عرفني فأنا من عرفتم ومن أنكرني فأنا أبو ذر سمعت رسول الله ﷺ يقول: « مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق »، المستدرك للحاكم ٢/ ٣٤٣، و مجمع الزوائد للهيثمي ٩/ ١٦٨، والمعجم الأوسط للطبراني ٩/٤، والمعجم الكبير للطبراني ٣/ ٤٥ . أما الحديث الثاني وهو ما رواه ابن عساكر في "تاريخه" (٣٨٣/١٩) والديلمي في " مسنده " (١٩٠/٢) عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله ﷺ : « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم ». تاريخ ابن عساكر ٣٨٣/١٩، ومسند الديلمي٢/ ١٩٠، و ميزان الاعتدال ٢٢٢/٢، والتهذيب ٢/ ١٠٦.

(٤) حدائق بخشش ص ٨

وكان النبي ﷺ يتعرق الشعر بكثرة وربما يتقاطر الدهن من الشعر إلى خديه، يشبه الإمام أحمد رضا الخدين بالصبح وقطرات الدهن بالنجوم ويقول:

تیل کی بوندیں ٹپکتی نہیں بالوں سے رضا　　صبحِ عارض پہ لٹاتے ہیں ستارے گیسو(١)

الترجمة: يا رضا ! إنما مثل قطرات الدهن التي تتقاطر من ذوائب النبي ﷺ إلى خديه كمثل نجوم السماء التي تتلألأ طول الليل وتفني أنفسها وضياءها في ضوء الصبح حينما يطلع.

ويذكر القبة الحضراء من أنه دفن فيها النبي ﷺ وأبو بكر وعمر ثم يأتي في البيت التالي بالتشبيه البليغ بأن شبه رسول الله ﷺ بالقمر وصاحبيه بالسعدين والملائكة الزوار الذين يأتون لزيارة الضريح النبوي صباحا مساء سبعون ألفا بالنجوم التي تستنير من القمر، يقول:

محبوبِ رب عرش ہے اس سبز قبہ میں　　پہلو میں جلوہ گاہ عتیق وعمر کی ہے

سعدین کا قران ہے پہلوئے ماہ میں　　جھرمٹ کیے ہیں تارے تجلی قمر کی ہے(٢)

الترجمة : هذه هي القبة الحضراء لها ميزة عظيمة، حيث دفن فيها النبي ﷺ وفي تنبه أبو بكر وعمر أيضاً، وأن السعدين يلتقيان لدى القمر ليلة البدر وحوله حشد النجوم التي تستفيد النور من نوره.

ثانياً: الاستعارة.

(١) المصدر نفسه ص ٧٥

(٢) حدائق بخشش ص ١٤٦

وهي ادعاء معنى الحقيقة في الشيئ للمبالغة في التشبيه مع طرح ذكر المشبه من البين، كقولك: "لقيت أسدا"، وأنت تعني به الرجل الشجاع، ثم إذا ذكر المشبه به مع ذكر القرينة يسمى استعارة تصريحية وتحقيقية(١).

أما الاستعارة في قصائد البوصيري والبريلوي فهي كثيرة كقول الإمام البوصيري في وصف علم النبي ﷺ:

وكلهم من رسول الله ملتمس غرفا من البحر أو رشفا من الديم(٢)

قد شبه الشاعر في هذا البيت علم رسول الله ﷺ ومعرفته بالبحر والديم وصرح بالمشبه به، فصارت الاستعارة تصريحية وقد أتى بذكر الغرف والرشف ترشيحا.

ومن دلائل نبوة النبي ﷺ وعجائب معجزاته ما رواه الترمذي والحاكم وابن أبي شيبة وأبونعيم أن رسول الله ﷺ كانت تظله غمامة في سفره إلى الشام مع عمه أبي طالب. كما ذكره أهل السيرة كابن هشام(٣) وغيره، وأشار إليه الإمام البوصيري بطريق الاستعارة التصريحية، حيث يقول:

مثل الغمامة أنى سار سائرة تقيه حرّ وطيس للهجير حمي(٤)

شبه البوصيري في هذا البيت بالوطيس.

وفي البيت التالي نلاحظ مثالا للاستعارة التصريحية خلال فضائل القرآن الكريم، حيث شبه القرآن الكريم بالحبل وصرح بالمشبه به فقال:

---

(١) انظر الكشاف ٩٦٣/٤

(٢) ديوان البوصيري ص ١٨٦

(٣) انظر السيرة لابن هشام ١٣٤/٢، والطبقات لابن سعد ٢٦٢/١.

(٤) ديوان البوصيري ص ١٨٧

قـرت بـهـا عين قاريها فقلت لـه   لـقـد ظفرت بحبل الله فاعتصم(١)

أمـا الإمـام أحمـد رضـا خـان فهـو أيضـا يسـتخدم فـي شـعره الاسـتعارة بكثـرة وإلـيكم نموذجا في الأبيات التالية.

واللہ جو مل جائے میرے گل کا پسینہ   مانگے نہ کبھی عطر نہ پھر چاہے دلہن پھول(٢)

الترجمـة: والله إن تيسـر للعـروس عـرق زهـري فلـم يبـق لـه حاجـة إلـى عطـر قـط ولا إلى زهر ذي نكهة وطيب.

والمـراد بــ "گـل" أي الزهـر هـو رسـول الله ﷺ بطريـق الاسـتعارة، لأن رائحـة عرقـه كانـت أطيـب مـن طيـب المسـك وكـان الصـحابة يشـمون هـذه الرائحـة الطيبـة مـن طريـق يمشي به رسول الله ﷺ كما سيأتي في المبحث الثاني إن شاء الله.

يقول في مدح أهل البيت:

کیا بات رضا اس چمنستانِ کرم کی   زہرا ہے کلی جس میں حسین اور حسن پھول(٣)

الترجمـة: يـا رضـا! مـا أعجبـت تلـك الحديقـة العظيمـة التـي فيهـا فاطمـة الزهـراء كالنَور والحسن والحسين كالزهر.

والمـراد بــ "چمنسـتانِ كـرم" الحديقـة الكريمـة فـي البيـت، وهـم أهـل بيـت رسـول الله ﷺ استعارةً.

ويذكر شفاعة النبي ﷺ، ويقول:

لے طوقِ الم سے اب آزاد ہو اے قمری   چٹھی لیے بخشش کی وہ سرِ رواں آیا(٤)

---

(١) المصدر نفسه ص ١٩٠

(٢) حدائق بخشش ص ٥١

(٣) المصدر نفسه ص ٥٢

(٤) المصدر نفسه ص ٣٠

الترجمة: يا أيها القُمريّ لا تحزن من المصائب والآلام واترك الهم والحزن، لأنّ سيدنا محمدا قد يأتي بإذن الشفاعة والغفران.

والمراد بالقُمري العبد العاصي الذي يكون حزينا يوم القيامة خوفا من معاصيه وذنوبه، وكذلك يُراد بـ "سروِ رواں" أي صاحب الشفاعة رسول الله ﷺ، وذلك بطريق الاستعارة.

****

المطلب الثاني

المحسنات اللفظية والمعنوية في شعر البوصيري والبريلوي

أولاً : حسنِ التعليل

وهو أن ينكر الأديب صراحة أو ضمنا علّة الشيء المعروفة، ويأتي بعلة أدبية طريفة تناسب المعنى الذي يريده الشاعر(١)، كقوله:

لولم تكن نية الجوزاء خدمته لما رأيت عليها عقد منتطق

فقد جعل علة الانتطاق نية خدمة الممدوح وهي ليست علة حقيقية بل ادعائية محضة ومع ذلك فيها من الغرابة ما لا يخفى(٢).

ومن عجائب ولا دته أن نار فارس خمدت ليلة مولده ﷺ وكان لها ألف عام لم تخمد ، وغاضت بحيرة ساوة، وهذه من العجائب التي ظهرت عند مولد النبي ﷺ ولكن الإمام البوصويري يدّعي لهذه الخوارق علةً أخرى، وهي أن نار فارس كانت تُعبد وقد لحقها الحزن بأن النبي ﷺ قد ولن يبق أحد يعبدني فلن أُعبد أبدا، فهذا الحزن قد أخمدتها، وكذلك يعلل لغيض بحيرة ساوة بأنه كانت بحيرة كبيرة تسقي بمائها من كانوا يسكنون حولها، فهم يعبدون الأصنام فغاضت خوفا بأن الكنائس والمعابد التي كانت حولها ستنهدم، يقول:

والنار خامدة الأنفاس من أسف عليه والنهر ساهي العين من سدم
وساء ساوة أن أن غاضت بُحيرتها ورُدّ واردها بالغيظ حين ظمي
كأنّ بالنار ما بالماء من بلل حزنا وبالماء ما بالنار من ضرم(٣)

---

(١) انظر مختصر المعاني ٢/٤٠٧

(٢) انظر شموس البراعة شرح دروس البلاغة ص ١٥٦

(٣) ديوان البوصيري ص ١٨٧

هـذا نمـوذج لحسـن التعليـل فـي شـعر البوصـيري فكـذا نجـد الإمـام أحمـد رضـا خان أيضا أنه يستخدم هذه الصنعة في شعره فندرس مثالا فيما يلي:

إن السـماء يُـرى مثـل القبـة حيثمـا كـان النـاظر والعلـة الحقيقيـة لـذلك مهمـا تكـن، أمـا الإمـام البريلـوي فيخيـل أن هنـاك علـة فيهـا غرابـة, وهـو أن النبـي ﷺ لمـا ارتفـع إلـى السـماء راكبـا علـى البـراق ليلـة الإسـراء انخنـت السـماء لتقبيـل قـدم البـراق فلـم يسـتطع أن يقوم إلى الآن، يقول:

سبزہ گردوں جھکا تھا بہرِ پابوسِ براق   پھر نہ سیدھا ہوسکا کھایا وہ کوڑا نور کا(١)

الترجمـة: إن السـماء كانـت انحـازت إلـى بـراق النبـي ﷺ لتقبـل قدمـه، فـألقى البـراق عليهـا قدمه فلم تتمكن من القيام مذ يومئذ إلى يومنا هذا.

وكـذلك يُبحـث فـي الهيئـة والنجـوم بـأن القمـر اسـتنار مـن نـور الشـمس فـإذا اسـتهل فـي اليـوم الأول مـن الشـهر لا ترسـل الشـمس الأشـعّة إلا إلـى طـرف منـه فيلمـع ذلـك الطـرف فحسـب حتـى يُـرى مـن الأرض منحنـا، ولكـن الإمـام أحمـد رضـا خـان يـرى لهـذا الانحناء علة أخرى ادعاء لحسن التعليل، فيقول:

ہلال کیسے نہ بنتا کہ ماہِ کامل کو   سلامِ ابروے شہ میں خمیدہ ہونا تھا(٢)

الترجمـة: لابـد للقمـر أن يكـون هـلالا ويظهـر منحنيـا فـي البدايـة، لأنـه يسـلم علـى حاجب النبي ﷺ في صورته وهيئته.

ثانياً : الطباق

الطبــاق بالكســر عنــد أهــل البــديع مــن المحســنات المعنويــة، ويســمى أيضــا بالمطابقـة والتطبيـق والتضـاد والتكـافؤ، وهـو الجمـع بـين المعنيـين المتقـابلين، نحـو قولـه

---

(١) حدائقِ بخشش ص ١٧٣

(٢) المصدر نفسه ص ٢٩

تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾(١) وقوله تعالى:﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ، يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾(٢). ويمكن لنا أن نلاحظ صنعة الطباق في الألفاظ التي تحتها خط خلال دراستنا الأبيات التالية للإمام البوصيري في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم :

بادي السكينة في سخط له ورضاً　　فلم يزل وهو مرهوب ومأمول(٣)

إن يسألوا كرما وعلما أعجزوا　　ببديع أجوبة لتلك الأسئله(٤)

وإذا كان القطع والوصل للّـ　　ـه تساوى التقريب والإقصاء(٥)

يطوي النهار صياماً وهو مضطرم　　والليل يطوي قياماً وهو معتكر(٦)

يقول في مدح أصحاب النبي ﷺ:

حكت ظواهرهم حسنا بواطنهم　　فهم سواء أسرّوا القول أو جهروا(٧)

ويقول في بردته:

واخش الدسائس من جوع ومن شِبع　　فرب مخمصة شرّ من التخم(٨)

واستفرغ الدمع من عين قد امتلأت　　من المحارم والزم حمية الندم(٩)

---

(١) الكهف : ١٨

(٢) الروم : ٦-٧

(٣) ديوان البوصيري ص ١٦٧

(٤) المصدر نفسه ص ١٧٥

(٥) قصيدة الهمزية النبوية في مدح خير البرية ص ٢١

(٦) ديوان البوصيري ص ٩٣

(٧) المصدر نفسه ص ٩١

(٨) المصدر نفسه ص ١٨١

(٩) المصدر نفسه

ولا تطع منهما خصما ولا حكما   فأنت تعرف كيد الخصم والحكم(١)

كأن بالنار ما بالماء من بلل   حزنا وبالماء ما بالنار من ضرم(٢)

آيات حق من الرحمن محدثة   قديمة صفة الموصوف بالقدم(٣)

ومن يبع آجلا منه بعاجله   يبن له الغبن في بيع وفي سلم(٤)

وهكذا نجد في أبيات الإمام أحمد رضا هذه الصنعة كثيرا، فلنلاحظ ما يأتي من الأبيات:

سرِ فلک نہ کبھی تابہ آستاں پہنچا   کہ ابتدائے بلندی تھی انتہائے فلک(٥)

****

ہوں مسلماں گرچہ ناقص ہی اے کاملو!   ماہیت پانی کی آخر نم میں یم سے کم نہیں(٦)

****

دشمنوں کی آنکھ میں بھی پھول تم   دوستوں کی بھی نظر میں خار ہم(٧)

****

عقل ہوتی تو خدا سے نہ لڑائی لیتے   یہ گھٹائیں اسے منظور بڑھانا تیرا(٨)

****

(١) المصدر نفسه ص١٨٢

(٢) المصدر نفسه ص١٨٤

(٣) المصدر نفسه ص١٨٣

(٤) المصدر نفسه ص ١٨٦

(٥) حدائق بخشش ص ٤١

(٦) المصدر نفسه ص ٧٠

(٧) المصدر نفسه ص ٥٤

(٨) المصدر نفسه ص ١٨

دل عبث خوف سے پتہ سااڑا جاتا ہے　　　پلہ ہلکہ سہی بھاری ہے بھروسا تیرا[1]

الترجمة: إنّ لك رفعة عظيمة والسماء أيضا رفيعة، وبين هذين الرفعتين بون بعيد، لأن السماء تنتهي دون ما تبتدي منه رفعتك فلا تصل السماء إلى عتبتك.

أيها الكاملون أنا مسلم وإن لم أكمل بأعمالي مثلكم، فكنت من الناقصين ولكني سواءكم في الحقيقة ، لأن الماء سواء في الرطوبة والندى سواء كان ماء يم كبير وماء بحيرة صغيرة.

إنك يا رسول الله! كالزهر في نظر الأعداء ، ونحن كالشوك في أعين الأصدقاء.

لو كان للأعاء عقل وفهم لما حربوا من الله ، فهؤلاء ينقصونك وهو لا يرضي إلا بأن تعطيك وترفعك إلى ما شاء.

لا يزال قلبي يتحرك مثل ورق الشجر من خوف يوم الدين وهذا الخوف عبث لأن عملي وإن لا يكفي لنجاتي وكفة ميزان عملي خفيفة، وإنما اعتمادي على شفاعتك فهو كبير،

ثالثاً : المقابلة.

قسم من الطباق، وهو أن يؤتى بمعنيين المتقابلين أو أكثر ثم يؤتى بما يقابل ذلك[2] نحو قوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[3]

ومن هذه الصنعة نلاحظ البيت الآتي من بردة البوصيري، يقول:

ولن ترى من ولي غير منتصر　　　به ولا من عدو غير منقسم[1]

---

(١) المصدر نفسه ص ٨

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة ص ٢٥٩

(٣) التوبة : ٨١

فقد أتى البوصيري في المصرع الأول "ولي" و "غير منتصر" ثم أتي بـ "عدو" وهو يقابل الولي، وكذا "غير منقسم" وهو يقابل غير منتصر.

أما الإمام أحمد رضا فهو أيضا يستخدم هذه الصنعة في شعره، يقول وهو يخاطب الزوار الذين قد فرغوا من طواف الكعبة ويرتحلو إلى زيارة زاوية النبي صلى الله عليه وسلم :

اولیں خانہ حق کی توضیائیں دیکھیں   آخریں بیتِ نبی کا بھی تجلا دیکھو(٢)

الترجمة: قد رأيتم بيت الله تعالى وهذا هو بداية سفركم، والآن اقصدوا إلى المدينة وانظروا إلى روضة النبي ﷺ لتكون هذه الزيارة نهاية لسفركم. ففي المصرع الأول أتى بثلاثة أشياء وهي: الأول وبيت الله ونظرتم، ثم ذكر على الترتيب ثلاثة أشياء وهي: الآخر وبيت النبي وانظروا.

ويقول فيما يقابل حسن الرسول ﷺ حسن يوسف:

حسنِ یوسف پہ کٹیں مصر میں انگشتِ زناں   سر کٹاتے ہیں ترے نام پہ مردانِ عرب(٣)

الترجمة: عند ما خرج يوسف الصديق بحسنه في مصر على بعض النساء قطعن أصابعهن ، ولكن العشاق العرب وفرسانهم جعلوا الروح لك يا رسول الله الفداء.

رابعاً : التدبيج.

وهذا نوعٌ من الطباق وهو التقابل بين ألفاظ الألوان كقوله:

تردى ثياب الموت حمرا فما أتى   لها الليل إلا وهي من سندس خضر(٤)

---

(١) ديوان البوصيري ص ١٩٠

(٢) حدائق بخشش ص ٨٥

(٣) المصدر نفسه ص ٣٤

(٤) انظر ديوان أبي تمام ١٨٢/٢

يصف الإمام البوصيري شجاعة صحابة النبي ﷺ ويقول:

المصدري البيض حمراً بعد ما وردت   من العدى كل مسودّ من اللمم[١]

فقد جمع البوصيري في البيت بين البيض والحمر والمسود وهي ألفاظ الألوان.

ومن هذا النوع نرى لدى الإمام أحمد رضا خان هذا البيت:

سرسبز وصل یہ ہے، سیاہ پوش ہجر وہ   چمکی دوپٹوں سے ہے جو حالت جگر کی ہے[٢]

الترجمة: قد لبس هذا لباسا حضرا وهو علامة الوصل واللقاء، أما ذلك فلبس لباساً أسود هو علامة الحزن والفراق، فقد ظهر من هذا حالة قلبه ومن ذلك حالة قلبه.

فقد جمع فيه بين الحضراء والسوداء.

خامساً : الطيئ والنشر.

وهو ذكر متعدد على التفصيل أو الإجمال ثم ذكر ما لكل واحد من المتعدد من غير تعيين اعتمادا على فهم السامع كقوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٣] فالسكون راجع إلى الليل والابتغاء راجع إلى النهار[٤].

وقد قسم النقاد الطيئ والنشر إلى قسمين: المرتب وهو ما روعي فيه الترتيب، وغير المرتب وهو ما ليس بكذلك، ونحن نورد أبياتا لكلا المادين التي تمثل لنا الطيئ والنشر مرتبا وغير مرتب، فيقول الإمام البوصيري:

---

(١) ديوان البوصيري ص ١٨٨

(٢) حدائق بخشش ص ١٤٩

(٣) القصص : ٧٣

(٤) انظروا دروس البلاغة ص ٤٢

مكفولة أبدا منهم بخير أب   وبخير بعل فلم تيتم ولم تئم[1]

فقد ذكر أولا الأب والبعل ثم أتى بناسبة الأب تيتم ، وبمناسبة البعل تئم على الترتيب.

ويقول الإمام أحمد رضا خان :

دندان ولب زلف ورخ شہ کے فدائی   ہیں درعدن لعل یمن مشکِ ختن پھول[2]

الترجمة: إنّ درر عدن تفدي على أسنان النبي ﷺ، ولعل يمن يفدي على شفتيه، ومسك خوتان تفدي على ذوائبه والأزهار والأوراد كلها تفدي على رونق وجهه.

فقد أتي في المصرع الأول بالأسنان والشفتين والذوائب والوجه ثم أتى في المصرع الثاني بما يناسب لكل واحد منها على الترتيب المذكور.

أما الطيئ والنشر الذي لم يراع فيه الترتيب فينظر في البيتين الآتيين للإمام البوصيري وهو يبين فيهما حسن سيرة الرسول ﷺ وجمال صورته، يقول:

فاق النبين في خَلق وفي خُلق   ولم يدانوه في علم ولا كرم

هو الذي تم معناه وصورته   ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم[3]

فلننظر بيتا من شعر الإمام أحمد رضا أيضا، يقول :

دیکھو قرآں میں شبِ قدر سے تا مطلعِ فجر   یعنی نزدیک ہیں عارض کے وہ پیارے گیسو[4]

---

(١) ديوان البوصيري ص ١٨١

(٢) حدائق بخشش ٤٥

(٣) ديوان البوصيري ص ١٨٥

(٤) حدائق بخشش ص ٨٠

الترجمة: إذا قرأنا سورة الفجر رأينا أن الله تعالى ينزل الرحمة والسلامة إلى الدنيا من أول الليل إلى طلوع الفجر والمراد من الليل هنا ذوائب النبي ﷺ وكذا المراد بمطلع الفجر عارضه.

ففي صدر البيت أتى بـ"ليلة القدر" و "مطلع الفجر" وفي العجز ذكر بمناسبة الفجر"عارض النبي" ﷺ وبمناسبة الليل "ذوائبه".

سادساً : مراعاة النظير

وتسمى التناسب والتوفيق والائتلاف والتلفيق، وهي عند البلاغيين: أن يجمع المتكلم بين أمرين متناسبين أو أمور متناسبة لا على جهة التضاد[1]، كقوله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾[2]

ونلاحظ في الأبيات التالية لكلا المادحين قد استخدما فيها مراعاة النظير، فيقول الإمام البوصيري:

بدت للناس منه شموس علم   طوالع ما تزول ولا تغيب[3]

وقد أخذت منه البسيطة زينة   ففضّض الزهر حليا وذهبا[4]

فإنه شمس فضل هم كواكبها   يظهرن أنوارها للناس في الظلم[5]

وكيف يدرك في الدنيا حقيقته   قوم نيام تسلّوا عنه بالحلم[6]

وأذن لسحب صلوة منك دائمة   على النبي بمنهلّ و منسجم

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة ص ٢٥٦

(٢) الرحمن : ٥-٦

(٣) ديوان البوصيري ص ١٦

(٤) المصدر نفسه ص٣٤

(٥) المصدر نفسه ص ١٨٩

(٦) المصدر نفسه ١٩١

ما رنحت عذبات البان ريح صبا   وأطرب العيس حادي العيس بالنغم[1]

وكذا نلاحظ مراعاة النظير لدى الإمام أحمد رضا خان كثيرا كما يظهر من الأبيات التالية:

شمع دل مشکٰوۃ تن سینہ زجاجہ نور کا   تیری صورت کے لیے آیا ہے سورہ نور کا[2]

گلزارِ قدس کا گلِ رنگیں ادا کہوں   درمانِ دردِ بلبلِ شیدا کہوں تجھے[3]

****

محیط و مرکز میں فرق مشکل، رہے نہ فاصل خطوط واصل

کمانیں حیرت میں سر جھکائے، عجیب چکر میں دائرے تھے[4]

سراغِ این و متی کہاں تھا، نشانِ کیف والی کہاں تھا

نہ کوئی راہی نہ کوئی ساتھی، نہ سنگِ منزل نہ مرحلے تھے[5]

الترجمة: إنّ قلبك مثل المصباح، وجسدك مثل المشكوة، وصدرك مثل الزجاجة اللامعة، وهذه الأوصاف التي وردت في سورة النور فلم يأت إلا ليصف صورتك.

يا رسول الله! ما أقول فيك؟ وما الذي أصفك به؟ أنت كالوردة في الجنة وأنت كالدواء لوجع البلبل العاشق المفتون.

---

(١) المصدر نفسه ص ١٩١

(٢) حائق بخشش ص ١٧٠

(٣) المصدر نفسه ص ١١٤

(٤) المصدرنفسه ص ١٥٨

(٥) المصدر نفسه ص ١٥٩

قد أشكل الفرق بين المحيط والمركز وكان الخطوط الواصلة لم تكن تفصل وكانت الأقواس أطرقت رؤوسها متحيّرةً وكانت الدوائر وقعت في ورطة عجيبة.

لم يكن هناك أثر لـ "أين" و "متى" ولاعلامة لـ "كيف" و"إلى" ، ولم يكن له رفيق ولاصاحب، وكذا لم يكن معلم طريق ولا مراحل.

إذا درسنا هذه الأبيات وجدنا أن الشاعر قد ذكر في البيت الأول "شمع" و"مشكوة" و"زجاجة" وأردف هذه سورة النور وهذه كلها متناسبة، وفي البيت الثاني ذكر " گلزار" أي الحديقة، و" گل" أي الزهر، وبلبل والمناسبة بينها ظاهرة، وفي البيت الثالث نرى "المحيط" و" المركز" و"الفاصل" و"الخطوط" و"الأقواس" و"الدوائر"، وهذه كلها من مصطلحات الهيئة والهندسة.وأما البيت الرابع فجمع فيه "أين" و"إلى" و"متى" و"كيف" والمناسبة بين هؤلاء لا تخفى على من له إلمام بالعلوم اللغوية، وفي العجز من نفس البيت نجد "راهي" أي الصاحب في الطريق، و"ساتهي" أي الرفيق في السفر و"سنگ ميل"أي المعلم، وهذه من مناسبات السفر والرحلة.

سابعاً : التلميح.

هو أن يشير الناظم في بيت أو قرينة سجع إلى قصةٍ معلومةٍ، أو شعرٍ مشهورٍ أو مثلٍ سائرٍ، من غير ذكرهِ(١)، كما قال الشاعر:

لعمر مع الرمضاء والنار تلتظي   أرق وأحفى منك في ساعة الكرب

وقد أشار الشاعر في هذا البيت إلى بيت آخر له ولم يصرح وهو قوله:

المستجير بعمرو عند كربته   كالمستجير من الرمضاء بالنار

نحن نجد في شعر الإمام البوصيري هذه الصنعة كثيرا وإليكم عدة أمثال:

---

(١) انظر نهاية الأرب في فنون الأدب ٢ / ٣٠٤، والإيضاح في علوم البلاغة ١ / ١٣١، ومعاهد التنصيص على شواهد التلخيص ١ / ٤٣١، وكتاب الكليات ، لأبى البقاء الكفومى ١ / ٤٦٣.

ظلمت سنة من أحيى الظلام إلى   أن اشتكت قدماه الضرّ من ورم[١]

وفي هذا البيت أشار المادح إلى حديث النبي ﷺ الذي رواه الإمام البخاري في صحيحه، عن مغيرة ابن شعبة رضي الله عنه، ان كان النبي ﷺ ليقوم أو ليصلّي حتى ترم قدماه أو ساقاه، فيقال له، فيقول: « أفلا أكون عبدا شكورا »[٢].

وشدّ من سغب أحشاءه وطوى   تحت الحجارة كشحا مترف الأدم[٣]

وفي هذا البيت تلميح إلى الرواية التي رواها الإمام مسلم عن أنس رضي الله عنه، قال: جئت رسول الله ﷺ يوما فوجدته جالسا مع أصحابه يحدّثهم وقد عصب بطنه بعصابتهم فقالوا: من الجوع[٤].

دعا إلى الله فالمستمسكون به   مستمسكون بحبل غير منفصم[٥]

فيه تلميح إلى قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٦]

جعلت مسجدا له الأرض فاهتـ   ـزّ به للصلاة فيها حراء[٧]

وفي البيت تلميح إلى ما رواه الإمام البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، أنّ رسول الله ﷺ قال: أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا وأيما رجل من أمتي أدركته

---

(١) ديوان البوصيري ص ١٨٤

(٢) الصحيح للبخاري، كتاب التجهد ١٥٢/١

(٣) ديوان البوصيري ص ١٨٥

(٤) المصدر نفسه ص ١٨٦

(٥) المصدر نفسه

(٦) البقرة : ١٥٦

(٧) قصيدة الهمزية في مدح خير البرية ص ٨

الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة وأعطيت الشفاعة(١).

أما الإمام أحمد رضا خان فقد استخدم أيضا هذه الصنعة كثيرا كما نرى نموذجا فيما يأتي من الأبيات.

حسنِ یوسف پہ کٹیں مصر میں انگشتِ زناں

سر کٹاتے ہیں ترے نام پہ مردانِ عرب(٢)

الترجمة: عند ما خرج يوسف الصديق بحسنه في مصر على بعض النساء قطعن أصابعهن ، ولكن العشاق العرب وفرسانهم جعلوا الروح لك يا رسول الله الفداء.

في البيت إشارة إلى قصة نسوة مصر مع يوسف من قطعهن الأصابع، وقد وردت القصة مفصلا في سورة يوسف في القرآن المجيد.

اشارے سے چاند چیر دیا ، چھپے ہوئے خور کو پھیر لیا

گئے ہوئے دن کو عصر کیا، یہ تاب وتواں تمھارے لیے(٣)

الترجمة: أشار النبي ﷺ بأصابعه إلى الشمس والقمر ، فطلعت هذه بعد ما غربت وشقّ هذا، وهذه المعجزات لم تظهر إلا على يديك يا رسول الله!

وقد أشار المادح في هذا البيت إلى معجزتين للنبي ﷺ : معجزة رد الشمس(٤) ومعجزة شق القمر(١).

---

(١) الصحيح للبخاري ، كتاب الصلاة ٤٢٧/٢

(٢) حدائق بخشش ص ٣٤

(٣) المصدر نفسه ص ٢٤٧

(٤) رواه الطبراني في معجمه الكبير بإسناد حسن عن أسماء بنت عميس : أن رسول الله ﷺ صلى الظهر بالصهباء ثم أرسل علياً في حاجة فرجع فقد صلى النبي ﷺ العصر، فوضع ﷺ رأسه في حجر علي

بھینی خوشبو میں مہک جاتی ہیں گلیاں واللہ

کیسے پھولوں میں بسائے ہیں تمہارے گیسو[٢]

الترجمة: والله كانت أزقة المدينة تعطر وتطيب حينما مرّ بها النبي ﷺ، فلم يُعلم ما هي الأزهار التي تُستخدم لتطيب ذوائبك يا رسول الله!

وفي البيت تلميح إلى ما قال جابر بن عبد الله : كان في رسول الله صلى الله عليه وسلم خصال: لم يكن في طريق فيتبعه أحد إلا عرف من طيب عرقه وعرفه، ولم يكن يمرّ بحجر إلا سجد له[٣]. وعن أنس قال : كان رسول الله ﷺ إذا مرّ في طريق من طرق المدينة وجدوا منه رائحة الطيب، وقالوا: مرّ رسول الله ﷺ من هذا الطريق[٤].

ونام، فلم يحركه حتى غابت الشمس، فقال ﷺ « اللهم إن عبدك علياً احتبس بنفسه على نبيه فرد عليه الشمس »، قالت أسماء: فطلعت عليه الشمس حتى وقعت على الجبال وعلى الأرض، وقام علي فتوضأ وصلى العصر ثم غابت وذلك بالصهباء. (المعجم الكبير، للطبراني ٤٣٥/٣).

(١) روي عن عبد الله بن مسعود في صحيح البخاري: انشق القمر ونحن مع النبي، فصار فرقتين، فقال لنا: « اشهدوا اشهدوا ».(الجامع الصحيح للبخاري ٢٣٣/٢، وروي عن عبد الله بن عباس في البداية والنهاية: اجتمع المشركون إلى رسول الله منهم الوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام والعاص بن وائل والعاص بن هشام والأسود بن عبد يغوث والأسود بن المطلب وزمعة بن الأسود والنضر بن الحارث ونظراؤهم فقالوا للنبي إن كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين نصفا على أبي قبيس ونصفا على قعيقعان، فقال لهم النبي ﷺ : « إن فعلت تؤمنوا » قالوا نعم وكانت ليلة بدر فسأل الله عز وجل أن يعطيه ما سألوا، فأمسى القمر وقد سلب نصفا على أبي قبيس ونصفا على قعيقعان ورسول الله ينادي، « يا أبا سلمة بن عبد الأسد والأرقم بن الأرقم اشهدوا ».(البداية والنهاية، لابن كثير ١١٧/٣).

(٢) حدائق بخشش ص ٧٤

(٣) دلائل النبوة، للبيهقي ٣٢٤/٢، وسنن الدارمي ٧٥/٣، حلية الأولياء، لأبي نعيم ٤٥/٥، مواهب اللدنية للقسطلاني ٣١١/٢

(٤) مسند أبي يعلى ٢٤٣/٤، ومسند البزار ٩٨/١، مواهب اللدنية ٣١١/٢

مومن ہوں مومنوں پہ روف ورحیم ہو   سائل ہوں سائلوں کو خوشی لانہر کی ہے[١]

الترجمة: أنا مؤمن وأنت بالمؤمنين رؤف رحيم، وأنا سائل والسائلون لا يرجعون من بابك منهورا وأنك لا تنهر أي سائل.

ففي صدر البيت نجد تلميحا إلى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[٢] وفي العجز كذلك نرى تلميحا إلى ما قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾[٣]

یہ پیاری پیاری کیاری ترے خانہ باغ کی

سرد اس کی آب وتاب سے آتش سقر کی ہے[٤]

الترجمة: هناك مربعة حبيبة وروضة طيبة في بيتك وقد بردت نار جهنم بزخرفها ورونقها.

في البيت تلميح إلى ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي »"[٥].

ان پر کتاب اتری تبیاناً لکل شیٔ   تفصیل جس میں ماعبر وماغبر کی ہے[١]

---

(١) حدائق بخشش ص ١٤٠

(٢) التوبة : ١٢٨

(٣) الضحي :١٠

(٤) حدائق بخشش ص ١٤١

(٥) الصحيح الجامع للبخاري ٣٩٩/١، وصحيح مسلم ١٠١١/٢، وموطأ مالك١٩٧/١، ومسند أحمد ٢٣٦/٢، ومصنف عبد الرزاق ١٨٢/٣، وصحيح ابن حبان٦٥/٩، والمعجم الصغير للطبراني٢٤٩/٢ ،السنن الكبرى للبيهقي ٢٤٦/٥.

الترجمة: قد أنزل الله عليه كتابا فيه بيان لكل ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة مفصلا.

قد أشار الإمام أحمد رضا خان في هذا البيت إلى قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (٢)

ثامناً: التصدير أو رد العجز على الصدر.

هو في النثر أن يجعل أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما بأن جمعهما اشتقاق أو شبهه في أول الفقرة والثاني في آخرها(٣) نحو قوله تعالى: ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾(٤) وقولك: "ساءل اللئيم يرجع ودمعه سائل" الأول من السؤال والثاني من السيلان . ونحو: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾(٥)

وفي النظم: أن يكون أحدهما في آخر البيت، والآخر في صدر المصراع الأول، أو حشوه، أو آخره، أوصدر الثاني(٦). كقوله:

سريع إلى ابن عم يلطم وجهه   وليس إلى داعي الندى بسريع(٧)

وقوله:

تمتع من شميم عرار نجد   فما بعد العشية من عرار (١)

---

(١) حدائق بخشش ص١٤٢

(٢) النحل :٨٩

(٣) انظر الإيضاح في علوم البلاغة ص ٢٩٤، ودروس البلاغة ص٤٥

(٤) الأحزاب : ٣٧

(٥) نوح : ١٠

(٦) الإيضاح في علوم البلاغة ص ٣١١

(٧) هو للأقيشر الأسدي في تحرير التحبير ١١٦/١

ونلاحظ فيما يأتي أن الإمام البوصيري كيف يستخدم هذه الصنعة في شعره وإليكم أبياتا له:

هو الغيث السكوب ندىً وعلما   جهلت وما هو الغيث السكوب[2]

وجاءك ما تختار من كل رفعة   كأنك في أمر المعالي مخير[3]

هم بجّلوه بباطلٍ فابتزّه   أعداؤه بالباطل التبجيلا[4]

خدمته بمديح أستقلّ به   نوب عمر مضى في الشعر والخدم

فإنّ لي ذمّة منه بتسميتي   محمدا وهو أوفى الخلق بالذمم

فما لعينيك إن قلت اكففا همتا   وما لقلبك إن قلت استفق يهم

حتى غدا عن طريق الوحي منهزم   من الشياطين يقفوا إثر منهزم

أقسمت بالقمر المنشق إنّ له   من قلبه نسبة مبرورة القسم

ماسامني الدهر ضيما واستجرت به   إلا ونلت جوارا منه لم يضم

محكمات فما يبقين من شبهٍ   لذي شقاق ولا يبغين من حكم[5]

وهذا عند الإمام البوصيري أما عند الإمام أحمد رضا خان فنجد التصدير بكثير كما نراه فيما يلي من الأمثلة:

ہے کلامِ الٰہی میں شمس و ضحیٰ، ترے چہرہ نورِ فزا کی قسم

قسمِ شبِ تار میں راز یہ تھا، کہ حبیب کی زلفِ دوتا کی قسم[1]

---

(١) وهو للصمة بن عبد الله القشيري في التنبيه والإيضاح ١٦٧/٢ ، ومجمل اللغة ٣٧٨/٣

(٢) ديوان البوصيري ص ٢٣

(٣) المصدر نفسه ص ١٢١

(٤) المصدر نفسه ١٣٧

(٥) المصدر نفسه ١٧٩

الترجمة: إن الله تعالى قد أقسم في القرآن بالشمس والضحى وليس هذا القسم في الحقيقة بالشمس ولا بالضحى، بل المراد منهما وجه الرسول ﷺ وعارضه ، وكذلك أقسم بالليل والمراد منه جمم حبيبه وذوائبه ﷺ.

شاخِ قامت شہ میں، زلف و چشم ورخسار ولب میں

سنبل، نرگس، گل، پنکھڑیاں، قدرت کی کیا پھولی شاخ(٢)

الترجمة: إنّ قامة النبي ﷺ مثل الغصن، وذوائبه مثل السنبل، وعيناه مثل نرجس، وعارضه مثل الورد، وشفتاه مثل وريقات الزهر، وقد أكمل الله تعالى هذا الغصن وما أحسنه.

نہیں اس کے رنگ کا کوئی دوسرا، نہ تو ہو کوئی نہ کوئی ہوا

کہو اس کو گل کہے کیا کوئی، کہ گلوں کا ڈھیر کہاں نہیں (٣)

الترجمة: لا يعدله أحد لم يكن ولا يكون مثله أحد، فما ذا يتصف به أيقال فيه إنه زهر، لا، لأن الأزهار كثيرة وحسن النبي ﷺ لا زهر مثله.

رقصِ بسمل کی بہاریں تو منٰی میں دیکھیں دلِ خونناب ہ فشاں کا بھی تڑپنا دیکھو (٤)

الترجمة: أيها الحجاج إنكم رأيتم بمنى الدماء التي تسيل من نحور الأنعام، فلكم أن تأتوا إلى مدينة الرسول ﷺ وتنظروا إلى اضطراب قلوب العشاق وتشوقها في حب النبي ﷺ.

---

(١) حدائق بخشش ص ٥٣

(٢) المصدر نفسه ص ٣٩

(٣) المصدر نفسه ص ٦٧

(٤) المصدر نفسه ٨١

کیجیے چرچا انہیں کا صبح وشام   جانِ کافر پر قیامت کیجیے[١]

الترجمة: لكم أيها العشاق أن تذكروا النبي ﷺ بكرة وأصيلا وأن تحدثوا بهذا الذكر فتنة وضجة على منكري النبي ﷺ وماجنيه.

تاسعاً : الجناس

هو تشابه اللفظين في النطق لا في المعنى، ويكون تاما وغير تام، والتام منه أن يتفقا في أنواع الحروف، وأعدادها، وهيئاتها، وترتيبها، كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾[٢] وكقول الشاعر (عيسى بن خالد المخزومي):

حدقُ الآجال آجال   والهوى للمرء قتّال[٣]

الأول جمع إجلٍ بالكسر، وهو القطيع من بقر الوحش، والثاني جمع أجلٍ، والمراد به منتهى الأعمار.

وأما غير التام فهو ما اختلف في واحد من الأربعة المتقدمة[٤].

وقد كثر الجناس في شعر الإمام البوصيري والإمام أحمد رضا خان البريلوي، حيث لا يمكن لنا حصر ولا عد لتلك المواضع التي تصلح لأن تكون برهانا على ما ادّعينا، ولننظر أبياتا على سبيل المثال لا الحصر، يقول الإمام البوصيري:

فاق النبيين في خَلق وفي خُلق   ولم يدانوه في علم ولاكرم[٥]

---

(١) المصدر نفسه ١٢٥

(٢) الروم : ٥٥

(٣) التبيان في علم البيان ص ١٦٨

(٤) انظر الإيضاح في علوم البلاغة ص ٢٩٠

(٥) ديوان البوصيري ص ١٨٤

كأنـمـا الـدين ضيف حلّ ساحتهم   بكل قـرمٍ إلى لـحـم العدى قرمٍ[1]

كأنـهم في ظـهـور الـخيل نبتُ ربا   من شِدّةِ الحَزم لا من شَدّةِ الحُزُم[2]

طارت قلوب العدى من بأسهم فرقا   فـمـا تُـفـرّق بيـن البهم والبُهَم[3]

ويقول الإمام أحمد رضا خان البريلوي:

بحرِ سائل کا ہوں سائل نہ کوئیں کا پیاسا

خود بجھا جائے گا کلیجا مرا چھینٹا تیرا[4]

الترجمـة: إنـي لا أحتـاج إلـى بحـر يسـيل ولا إلـى بئـر تنجمـد لتبريـد غلتـي وتسـكين ظمأي، وبل أسألك غرفا من بحر جودك وهو يكفي لي.

"سائل" الأول من"السيلان" والثاني من "السؤال" وفيه الجناس التام.

جو گدا دیکھو لیے جاتا ہے توڑا نور کا

نور کی سرکار ہے کیا اس میں توڑا نور کا[5]

الترجمــة: كــل فقيــر يــأتي إلــى النبــي ﷺ يرجــع وحقيبتــه مملــؤة، لأنــه يقســم مــا أعطاه الله من العلم والحكمة التي من نور الله ولا نقص هناك ولا خسران.

فهنـاك"تـوڑا" فــي صــدر البيــت معنــاه الحقيبــة والمحفظــة التــي تحملــه الفقــراء السائلون، واللفظ نفسه في عجز البيت معناه النقص والقلة .

انبیا کو بھی اجل آنی ہے   مگر ایسی کہ فقط آنی ہے[1]

---

(١) المصدر نفسه

(٢) المصدر نفسه ص ١٨٥

(٣) المصدر نفسه ١٨٦

(٤) حدائق بخشش ص ٨

(٥) المصدر نفسه ص ١٧١

الترجمة: لا شك أن الموت يأتي إلى الأنبياء الكرام أيضاً، إلا أن موتهم موت آنيّ لا زمانيّ.

فقد يتكرر لفظة "آني" وهو في المصراع الأول في معنى الإتيان والمجيئة وفي المصراع الثاني في معنى الآن و حين.

غایت وعلت سبب ، بجرِ جہاں تم ہو سب

تم سے بَنَا تم بِنَا، تم پہ کروڑوں درود[٢]

الترجمة: أنت سبب وعلة وغاية للكون كله يا رسول الله! فقد خلق الله لك جميع ما سواك، فعليك ألوف من صلوات الله تعالى.

ففي البيت يأتي الشاعر بـ " بَنا" بفتح الباء معناه الصناعة والتكون، ويأتي بـ " بِنا" بكسر الباء وهو من كلمات الإستثناء.

عاشراً: الاقتباس

هو أن يضمن الكلام، نثراً كان أونظماً، شيئا من القرآن أو الحديث لا على أنه منه[٣]، كقول أبي القاسم بن حسن:

إن كنتِ أزمعتِ على هجرنا   من غير ما جرم فصبر جميل

وإن تبدّلتِ بنا غيرنا   فحسبنا الله ونعم الوكيل[٤]

في البيت اقتباس من قوله تعالى: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾[١] وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[٢]

---

(١) المصدر نفسه ص ٢٥٨

(٢) المصدر نفسه ص ١٨٣

(٣) انظر الكشاف ١١٨٧/٥، والتعريفات للججاني ص ٣٩

(٤) انظر الإيضاح في علوم البلاغة ص ٣١٤

وقوله:

لا تـعاد النـاس في أوطـانـهم قـلّـما يُـرعى غـريب الـوطن
وإذا مـا شـئـت عـيشاً بينهم خـالِـق الـناس بـخـلق حسن[٣]

اقتـبس فيـه الشـاعر مـن الحـديث الـذي رواه أحمـد والـدارمي والترمـذي عَـنْ مُعَـاذٍ رضـي الله عنـه ، أَنَّـهُ قَـالَ : يَـا رَسُـولَ اللهِ ، أَوْصِـنِي ، قَـالَ : « اتَّـقِ اللهَ حَيْثُمَـا كُنْـتَ » ، أَوْ أَيْنَمَـا كُنْـتَ ، قَـالَ : زِدْنِـي ، قَـالَ : « أَتْبِـعِ السَّـيِّئَةَ الْحَسَـنَةَ تَمْحُهَـا » ، قَـالَ : زِدْنِـي ، قَالَ : « خَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ » [٤].

ولا بـأس بتغييـر يسـير فـي اللفـظ المقتـبس لأجـل الـوزن أو غيـره كقـول بعـض المغاربة عند وفاة بعض أصحابه[٥]:

قد كان ما خفت أن يكونا إنــا إلــى الله راجـعـونا[٦]

وفي القرآن: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[٧].

يقول الإمام البوصيري في أصحاب النبي ﷺ :

وبـأصــحاب الذين هم بعـ ـدك فينا الـهداة والأوصياء
رضـي الله عنهم ورضـوا عنـ ـه فأنّى يخطو إليهم خطـاء[٨]

---

(١) يوسف : ١٨
(٢) آل عمران : ١٧٣
(٣) انطر الإيصاح في علوم البلاغة ص ٣١٤
(٤) مسند الإمام أحمد ٢٢٨/٥، وسنن الدارِمِي٧٩١/١، وجامع التِّرمِذي ١٨٧/٢.
(٥) الإيضاح في علوم البلاغة ص ٣١٥
(٦) المصدر نفسه
(٧) البقرة : ١٥٦
(٨) قصيدة الهمزية في مدح خير البرية ص ١٥

اقتبس فيه البوصيري قوله تعالى: ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١)

وقد اهتمّ الإمام أحمد رضا خان بالاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف بكثير كما يتجلّى فيما يأتي من الأبيات:

وَرَفَعنَا لَكَ ذِكرَكَ کاہے سایہ تجھ پر　　　بول بالا ہے ترا ذکر ہے اونچا تیرا (٢)

الترجمة : يارسول الله ! قد أصبحت في كنف قوله تعالى : ورفعنا لك ذكرك، فذاعت سمعتك وعلت كلمتك وارتفع ذكرك.

اقتبس في البيت من قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾(٣)

ك گیسو، ہٰ دہن، يٰ ابرو، آنکھیں عٓ صٓ　　　كهيٰعٓصٓ ان کا ہے چہرہ نور کا

الترجمة: إذا فكرنا في الحروف المقطعات التي في أول سورة مريم وجدنا أنها تمثل وجه رسول الله ﷺ، فـ "ك" بيان لذوائبه، و"ه" مثال لفمه، و"ي" تمثيل لحاجبيه، و"ع" و"ص" خير مثال لعينيه.

فيه اقتباس من قوله تعالى: ﴿كهيعص﴾(٤)

لأملئنّ جهنم تھا وعدہ ازلی　　　نہ منکروں کا عبث بد عقیدہ ہونا تھا

الترجمة: إن الله تعالى قد وعد بأنه ليملأ جهنم من الكفار والمشركين، فلم يعبث إنكارهم وكفرانهم وضلالتهم عن العقيدة الصحيحة، بل هذا الجحد والإنكار سبب لإيفاء ما وعده الله في القرآن الكريم.

---

(١) المجادلة : ٢٢

(٢) حدائق بخشش ص ١٢

(٣) سورة الشرح : ٤

(٤) مريم :١

اقتبس فيه البريلوي من قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[1]

من زار تربتي وجبت له شفاعتي

ان پر درود جن سے نوید ان بشر کی ہے[2]

الترجمة: فقد بشر النبي ﷺ بأنّ من زار تربتي وجبت له شفاعتي، فمن بشّر بهذه البشرى العظيمة عليه ألوف من صلوات الله تعالى.

اقتبس فيه الإمام أحمد رضا خان من الحديث النبوي الذي روى الدارقطني في "السنن"، والبيهقي في " الشعب " من طريق مُوسَى بْن هِلَالٍ الْعَبْدِيّ ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ زَارَ قَبْرِي وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي »[3].

منزل من قصب لا نصب لا صخب ایسے کوشک کی زینت پہ لاکھوں سلام[4]

الترجمة: لخديجة الكبرى رضي الله عنها قصر في الجنة من قصب وفيه السكون فما من مصيبة واضطراب فيه فعلى صاحبها ألوف التحية والسلام.

اقتبس في البيت من حديث رواه البخاري ومسلم وغيرهما ونص البخاري هكذا: حدثنا إسحاق بن إبراهيم عن جرير عن إسماعيل عن عبد الله بن أبي أوفى قال اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتمرنا معه فلما دخل مكة طاف وطفنا معه وأتى الصفا والمروة وأتيناها معه وكنا نستره من أهل مكة أن يرميه أحد فقال له

---

(١) السجدة : ١٣

(٢) حدائق بخشش ص ١٢٧

(٣) سنن الدار قطني ٦٩٥/٢، وشعب الإيمان للبيهقي ٣٨٦/٢.

(٤) حدائق بخشش ص ٢١٥

صـاحب لـي أكـان دخـل الكعبـة قـال لا قـال فحـدثنا مـا قـال لخديجـة قـال: « بشـروا خديجـة ببيت من الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب » [1]

****

(١) الصحيح للبخاري، كتاب الحج ٦٣٦/٢، صحيح مسلم، فضائل الصحابة ٨٨٨/٢، ومسند الإمام أحمد بن حنبل ٢٤٣/٢٨.

المبحث الثاني

الموضوعات التي تناولها الإمام البوصيري والإمام البريلوي في قصائدهما

دراسة مقارنة

يحتوي هذا المبحث على تسعة مطالب

المطلب الأول: الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم

المطلب الثاني: خلق النبي صلى الله عليه وسلم

المطلب الثالث: حسن وجه النبي صلى الله عليه وسلم

المطلب الرابع: الخوارق والمعجزات

المطلب الخامس: مكانة النبي صلى الله عليه وسلم بين

المطلب السادس : شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم

المطلب السابع: ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم

المطلب الثامن: المدح والثناء على النبي صلى الله عليه وسلم

المطلب التاسع: الحنين إلى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم

المطلب الأول

الصلوة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[١]

قال القرطبي تحت هذه الآية :

" قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما أمر الله تعالى عباده بالصلاة على نبيه محمد ﷺ دون أنبيائه تشريفا له ، ولا خلاف في أن الصلاة عليه فرض في العمر مرة، وفي كل حين من الواجبات وجوب السنن المؤكدة التي لا يسع تركها ولا يغفلها إلا من لا خير فيه." [٢]

وقد جاءت الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ بالأمر بالصلاة والسلام عليه، وكيفية الصلاة عليه، ونحن نذكر منها إن شاء الله تعالى ما تيسر، والله المستعان.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ، يقول:

« إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلّوا عليّ، فإنه من صلّى عليّ صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة ». [٣]

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

« من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحطت عنه عشر خطيئات ورفعت له عشر درجات »[١].

---

(١) الأحزاب :٥٦

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٤٢٦/١٥

(٣) الجامع الصحيح لمسلم ٢/ ٢٤٨

عن مكحول عن أبي أمامة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « أكثروا علي من الصلاة في كل يوم جمعة فإن صلاة أمتي تعرض علي في كل يوم جمعة فمن كان أكثرهم علي صلاة كان أقربهم مني منزلة ». (٢)

عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة »- قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب - رواه الترمذي (٤٨٤) بإسناد ضعيف.

عن أبي الدرداء رضي الله عنه: قال قال رسول الله ﷺ : « من صلى علي حين يصبح عشرا وحين يمسي عشرا أدركته شفاعتي ». (٣)

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: « قال النبي صلى الله عليه وسلم: إن أقربكم مني يوم القيامة في كل موطن أكثركم علي صلاة في الدنيا من صلى علي في يوم الجمعة وليلة الجمعة مرة قضى الله له مائة حاجة سبعين من حوائج الآخرة وثلاثين من حوائج الدنيا ثم يوكل الله بذلك ملكا يدخله في قبري كما يدخل عليكم الهدايا يخبرني من صلى علي باسمه ونسبه إلى مائة عشيرته فأثبته عندي في صحيفة بيضاء »(٤).

عن أوس بن أوس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: « إن من أفضل أيّامكم يوم الجمعة، فأكثروا عليّ من الصلاة فيه، فإنّ صلاتكم معروضة عليّ»، قالوا: يارسول الله! وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ قال: يقول بليت، قال : « إنّ الله حرّم على الأرض أجساد الأنبياء » (٥).

---

(١) سنن النسائي ١٣٤/٢، المسند للإمام أحمد بن حنبل ٩٨/١٨،الصحيح لابن حبان ٤٣٢/١٣

(٢) السنن الكبرى للبيهقي ٢٤٩/٣

(٣) المعجم الكبير للطبراني ٣٤٢/٣

(٤) شعب الإيمان للبيهقي ٢٧٨/٤

(٥) سنن أبي داؤد ١٤٣/٢، وسنن ابن ماجة ٣٢٢/١

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « ما من أحد يسلّم عليّ إلا ردّ الله عليّ روحي حتى أردّ عليه السلام »[١].

عن أبي بكر رضي الله تعالى عنه قال: « الصلاة على رسول الله ﷺ أمحق للخطايا من الماء للنار، والسلام على النبي ﷺ أفضل من عتق الرقاب، وحبّ رسول الله ﷺ أفضل من مهج الأنفس، أو قال: من ضرب السيف في سبيل الله تعالى » [٢].

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال النَّبيِّ ﷺ: « أيُّما قومٍ جَلَسُوا، فَأَطَالوا الجُلوسَ، ثُمَّ تَفَرَّقُوا قبلَ أنْ يَذْكُرُوا اللهَ تعالى، أوْ يُصلُّوا على نبيِّهِ كانَتْ عليهم تِرَةٌ مِنَ اللهِ، و إنْ شاءَ عَذَّبَهُمْ، و إنْ شاءَ غفرَ لهُمْ»[٣].

وندرك مما أوردنا من آية كريمة وأحاديث شريفة أن الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم من أعظم القربات وأفضل العبادات، يفتح الله به أبواب الخير، فالصلاة عليه تشرح الصدور، وتزيل الهموم، وترفع مقام العبد، فيسمو بها إلى الدرجات العلى والمنازل الشريفة.

ولا شك أن هذه العبادة سبب لدوام محبة العشاق للرسول ﷺ وزيادتها وتضاعفها، وذلك عقد من عقود الإيمان الذي لا يتم إلا به، لأن العبد كلما أكثر من ذكر المحبوب، واستحضاره في قلبه، واستحضار محاسنه ومعانيه الجالبة لحبه، تضاعف حبه له وتزايد شوقه إليه، واستولى على جميع قلبه، وإذا أعرض عن ذكره وإحضار محاسنه بقلبه، نقص حبه من قلبه، ولا شيء أقر لعين المحب من رؤية محبوبه، ولا أقر لقلبه من ذكره وإحضار محاسنه، فإذا قوي

---

(١) المصدر نفسه

(٢) كنز العمال، للهندي ١١٧/٢

(٣) المسند للإمام أحمد بن حنبل ١٨م ٣٢٥

هذا في قلبه جرى لسانه بمدحه و الثناء عليه، و ذكر محاسنه وتكون زيادة ذلك ونقصانه بحسب زيادة الحب ونقصانه في قلبه، والحس شاهد بذلك.

يلاحظ أن شعراء المدائح النبوية لم يزالوا يهتمون بالصلاة والسلام على رسول الله ﷺ بلغات شتى وفي أقطار مختلفة والكل يصلي عليه ويسلم بلغته وأسلوبه ونسقه، إلا أنّ هناك فرقاً بين المادح في الصوفية والمادح في عامة الناس ،لأن الصلاة على النبي ومدحه بشكل عام جزء من ثقافتنا وعاداتنا وتقاليدنا، وحتى في الأغاني ورقصاتنا الشعبية يبدؤونها بالصلاة على النبي، ويختمونها كذلك، ولذلك أستطيع القول إن المادح في الصوفية يتمتع بهيبة ووقار وشأن، وينظر الناس إليه بكل احترام وتقدير، أما في عامة الناس بما أن بعضهم لا يدركون المغزى أو معنى كلمات مدح النبي ﷺ فينظرون إلى المنشد نظرة طبيعية عادية.

وفي هذا الخصوص نجد الإمام البوصيري والإمام أحمد رضا خان بأنهما قد اهتما بالموضوع نفسه في قصائدهما، حيث يقول الإمام البوصيري في ختام بردته الشهيرة:

يارب واجعل رجائي غير منعكس　　لديك واجعل حسابي غير منخزم

والطف بعبدك في الدارين بأنّ له　　صبراً متى تدعه الأهوال ينهزم

وأذن لسحب صلاة منك دائمة　　على النبيّ بمنهلٍ ومنسجم(١)

ولم يكتف البوصيري بهذا البيت في خصوص الصلاة على النبيّ ﷺ فحسب، بل له قصيدة كاملة اختصّها بالصلاة على رسول الله ﷺ ، حيث عدّ جوانب مهمة من سيرة النبيّ ﷺ وصلّى عليه وعلى آله وصحبه حسب ما اقتضاه الأحاديث الواردة في كيفية الصلاة عليه، وتسمى هذه القصيدة بـ "القصيدة المضرية في الصلاة على خير البرية" وقد تحدّثنا عن القصيدة مفصّلاً في الفصل الأول من نفس الباب ونورد هنا أبياتاً :

يا رب صل على المختار من مضر　　والأنبياء وجميع الرسل ما ذكروا

---

(١) ديوان البوصيري ص ١٩١

وصل رب على الهادي وشيعته وصحبه من لطي الدين قد نشروا
وجاهدوا معه في الله واجتهدوا وهاجروا وله آووا وقد نصروا
وبينوا الفرض والمسنون واعتصبوا لله واعتصموا بالله فانتصروا
أزكى صلاة وأنماها وأشرفها يعطر الكون ريًّا نشرها العطرُ
مفتوقة بعبير المسك زاكيةً من طيبها أرج الرضوان ينتشر
كما تُحبُّ وترضى سيدي وكما أمرتنا أن نُصلِّي أنت مقتدرُ(١)

وبما أنّ الله تعالى أمر بأن يقترن السلام بالصلاة عليه كما يتجلى من قوله تعالى﴿ويسلموا تسليما﴾، فامتثل البوصيري بهذا الأمر فقال:

مع السلام كما قد مر من عدد ربي وضاعفهما والفضل منتشرُ
وكل ذلك مضروبٌ بحقك في أنفاسِ خلقك إن قلوا وإن كثروا(٢)

أما الإمام أحمد رضا خان البريلوي فنجد في ديوانه قصيدتين طويلتين، إحدىهما في موضوع الصلاة على النبيّ ﷺ وثانيهما في السلام عليه، وقد سبق منا القول فيهما بالتفصيل في الفصل الأول من الباب نفسه وإليكم أبياتا منهما للمثال:

أما وصف الصلاة على النبيّ ﷺ فهو عنده في القصيدة المرصعة التي تشتمل على تسعة وخمسين بيتاً يبيّن فيها جوانب مختلفة من سيرة النبيّ ﷺ، يقول:

کعبہ کے بدر الدجی تم پہ کروڑوں درود طیبہ کے شمس الضحی تم پہ کروڑوں درود
شافع روز جزا تم پہ کروڑوں درود دافع جملہ بلا تم پہ کروڑوں درود(٣)

---

(١) المصدر نفسه ص ٢٢٦
(٢) المصدر نفسه ص٢٢٧
(٣) حدائق بخشش ص ١٨٢

يارسول الله ﷺ أنت مثل القمر ليلة البدر لمكة، وأنت مثل الشمس في رابعة النهار للمدينة، تشفع يوم القيامة للأمة جمعاء وأنت تدفع المصائب والآلام، عليك عشرات ملايين صلاة.

ذات ہوئی انتخاب وصف ہوئے لاجواب نام ہوا مصطفے تم پہ کروڑوں درود

تم سے جہاں کی حیات تم سے جہاں کا ثبات اصل سے ہے ظل بندھا تم پہ کروڑوں درود

تم ہو حفیظ و مغیث کیا ہے وہ دشمن خبیث تم ہو تو پھر خوف کیا تم پہ کروڑوں درود(١)

قد انتخب الله تعالى ذاتك من بين الأنبياء والرسل وخصّك الله بخصائص عظيمة وأوصاف شتى فسمّاك بالمصطفى، بك الدنيا تحي وبك تثبت وأنت أصل كل شيئ وما سواك وهو ظل ذلك الأصل، أنت لي كالحفيظ والمغيث الذي يغيث من يدعوه فلا عبرة للأعداء، عليك عشرات ملايين صلاة.

وہ شب معراج راج وہ صف محشر کا تاج

کوئی بھی ایسا ہوا تم پہ کروڑوں درود

لحت فلاح الفلاح رحت فراح المراح

عدلیعود الھنا تم پہ کروڑوں درود

اف وہ رہ سنگلاخ آہ یہ پا شاخ شاخ

اے مرے مشکل کشا تم پہ کروڑوں درود(٢)

---

(١) المصدر نفسه ص ١٨٣

(٢)المصدر نفسه ص ١٨٤

كنت إماما وسيدا في ليلة المعراج وستكون هكذا سيدا وشافعا يوم القيامة، ومن ذا الذي يكون مثلك، قد جئت فبورك كل شيئ وجعل يلمع العالم كله، ولما سافرت من هنا ذهب معك الفرح كله وإن عدت يوما يعد الهناء بقدومك، يا أسفا ! أنا في وادٍ ذي حجارة وحصاة وقد أصابت الجروح قدمي فأنت ملجائي ومولاي في هذه المصائب.

تم سے کھلا باب جود تم سے ہے سب کا وجود
تم سے ہے سب کی بقا تم پہ کروڑوں درود
خستہ ہوں اور تم معاذ بستہ ہوں اور تم ملاذ
آگے جو شہ کی رضا تم پہ کروڑوں درود
گرچہ ہیں بے حد قصور تم ہو عفو و غفور
بخش دو جرم و خطا تم پہ کروڑوں درود
بے ہنر و بے تمیز کس کو ہوئے ہیں عزیز
ایک تمہارے سوا تم پہ کروڑوں درود(١)

أنت فتحت باب الجود والكرم وبك يحي من يحي، و يبقى من يبقى، أما أنا فعاجز فقير ولذت بك في الحوادث والأهوال، فاصنع ما تشاء، ولا شك أنني ارتكبت المعاصي التي لا تعد ولا تحصى ولكن الله تعالى سمّاك عفوا غفورا فاستغفر لذنوبي، ونحن العاطلون فلا عبرة لنا فمن لنا سواك، عليك عشرات ملايين صلاة.

وأما وصف السلام على رسول الله ﷺ لدى الإمام أحمد رضا خان البريلوي فهو قصيدته الشهيرة التي تعتبر كبردة المديح في الأردية، يقول:

---

(١) المصدر نفسه

مصطفٰی جانِ رحمت پہ لاکھوں سلام　　شمعِ بزمِ ہدایت پہ لاکھوں سلام
مِہرِ چرخِ نبوت پہ روشن دُرود　　گلِ باغِ رسالت پہ لاکھوں سلام
شہرِ یارِ ارم تاج دارِ حرم　　نوبہارِ شفاعت پہ لاکھوں سلام
شبِ اسرا کے دولہا پہ دائم دُرود　　نوشۂ بزمِ جنّت پہ لاکھوں سلام
عرش کی زیب و زینت پہ عرشی دُرود　　فرش کی طیب ونُزہت پہ لاکھوں سلام
نورِ عینِ لطافت پہ اَلطف دُرود　　زیب وزینِ نظافت پہ لاکھوں سلام
سروِ نازِ قِدَم مغزِ رازِ حِکَم　　یکّہ تازِ فضیلت پہ لاکھوں سلام
نقطۂ سِرّ وحدت پہ یکتا دُرود　　مرکزِ دورِ کثرت پہ لاکھوں سلام
صاحبِ رَجعتِ شمس و شقُ القمر　　نائبِ دستِ قدرت پہ لاکھوں سلام
جس کے زیرِ لِوا آدم و من سِوا　　اس سزائے سیادت پہ لاکھوں سلام
عرش تا فرش ہے جس کے زیرِ نگیں　　اُس کی قاہر ریاست پہ لاکھوں سلام(١)

ترجمة الأبيات:

سلام على صفوة الأنبياء　　نبي الهدى رحمة للسماء
عليه الصلاة عليه السلام
سلام ينير على بدره　　وينفح عطرا على زهره
عليه الصلاة عليه السلام
مليك إرم وهذا الحرم　　شفاعته تلك من ذا حرم

---

(١) حدائق بخشش ص٢٠٢-٢٠٥

علـيــه الـصــلاة عـليـه الســلام

سلام على من سرى في الظلام   لـه فـي الجنان رفيع الـمقام

علـيــه الـصــلاة عـليـه الســلام

صلاة على من له العرش زان   ومن طيب الأرض كالمسك كان

علـيــه الـصــلاة عـليـه الســلام

صلاة على نور عين الكمال   سـلام علـى الطهر بل والجمال

علـيــه الـصــلاة عـليـه الســلام

سلام على السرو في حـكمته   ومـن جـاهد الكفر في منته

علـيــه الـصــلاة عـليـه الســلام

صلاة على الـسـر في وحـدته   ومن كان كالقطب في كثرته

علـيــه الـصــلاة عـليـه الســلام

لـه انشق بدر ووردت ذكاء   ومــن قـدرة الله مـنه رمــاء

علـيــه الـصــلاة عـليـه الســلام

يــلوذ به الناس يوم الجزاء   فـطـــوبى لـه إن هذا سناء

علـيــه الـصــلاة عـليـه الســلام

من العرش والفرش ما قد ملك كذا الإنس والجن من غير شك

علـيــه الـصــلاة عـليـه الســلام(١)

---

(١) المنظومة السلامية ص ١٠٩-١١٣

وما درسنا من القصائد والأبيات التي نظمها الإمامان في الصلاة والسلام على النبيّ ﷺ ، يتجلى منه الفرق بين نسقهما وأسلوبهما من أن لفظة "الصلاة" لا تتكرر عند الإمام البوصيري، بل يأتي بهذه مرة في مطلع القصيدة وهو قوله:

يارِبّ صلّ على المختار من مضر

ثم يذكر تحته كثيراً من أوصاف الرسول ﷺ وكذا أردف بتلك الأوصاف ذكر أصحابه وأهله ثم يأتي بلفظ "السلام" ولم يتكرر هذا أيضاً كما سبق، أما الإمام أحمد رضا خان فيتكرر عنده كلا اللفظين، أما لفظ "الصلاة" فينتهي به كلّ بيت من القصيدة الأولى، حيث يأتي في نهاية كل بيت بـ " *تم پہ کروڑوں درود*" أي صلى الله عليك عشرات ملايين صلاة يا رسول الله ! أما "السلام" فنراه في آخر كل بيت من منظومته السلامية الشهيرة من قوله : "*لاكھوں سلام*" أي عليه مائة آلاف سلام من الله تعالى.

والفرق الثاني بينهما هو أن الإمام البوصيري يأتي بقصيدة فقط للصلاة والسلام على النبي ﷺ ، حيث يختصّ من القصيدة إثنين وعشرين بيتا بالصلاة ثم قفّاها بالسلام في القصيدة نفسها، أما الإمام أحمد رضا خان فله قصيدة على حدة لكل من الصلاة والسلاة كما سبق آنفاً.

أما القدر المشترك بينهما في مضمار الصلاة على النبي ﷺ فهو أن كلاً منهما يدعو الله أن يصلي عليه بعدد ما في السماوات والأرض من النجوم والأشجار، بل يصلي بحيث لا تعدّ ولا تحصى.

****

المطلب الثاني

خُلُق النبي صلى الله عليه وسلم

لا ريب أن حياة النبي ﷺ أسوة حسنة للأمة الإسلامية والإنسانية كلها في جميع مجالات الحياة إلى يوم القيامة.

كما قال الله تعالى في القرآن الحكيم:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا.﴾(١)

ويذكر يوسف الكاندهلوي أخلاق النبي ﷺ في كتابه قائلاً:

"وكان خلقه القرآن. هذه كلمات عائشة زوجة الرسول، وكلمة "الخلق" هنا، إنما تعني حياته كلها، ولقد كانت حياته كلها قرآناً، يرضى برضاه ويسخط لسخطه، وأخرجه البيهقي عن زيد بن بابنوس قال: قلنا لعائشة: يا أم المؤمنين، كيف كان خلق رسول الله ؟ فذكروه، وفي حديثه، ثم قالت : أتقرأ سورة المؤمنون؟

اقرأ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ.﴾(٢) إلى العشر، قالت : هكذا كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم." (٣)

فنجد حياة النبي ﷺ، قد خلصت لله كاملة، في ليله ونهاره، في صمته ونطقه، في حركته وسكونه، لله سبحانه وتعالى، ولم تكن حياته وحدها هي التي خلصت لله، وبل كان مماته أيضاً(٤)، ويتخلص من كتب التفسير والحديث أن النبي ﷺ كان أعظم الناس خَلقاً وخُلقاً.

---

(١) الأحزاب : ٢١

(٢) المؤمنون : ١

(٣) حياة الصحابة، لمحمد يوسف ١٢٢/٣

(٤) انظر محمد رسول الله في القرآن ، للملطاوي ص ٩-١٠

يقول أبو حامد الغزالي رحمه الله في "إحياء علوم الدين":

"كان ﷺ أحلم الناس، وأشجع الناس، وأعدل الناس، وأعف الناس، لم تمسَّ يده قط يد امرأة لا يملك رقها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم منه، وكان أسخى الناس، لا يبيت عنده دينار ولا درهم، وإن فضل شيء ولم يجد من يعطيه وفَجَأَهُ الليلُ لم يأو إلى منزله حتى يتبرَّأَ منه إلى من يحتاج إليه، لا يأخذ مما آتاه الله إلا قوت عامه فقط من أيسر ما يجد من التمر والشعير، ويضع سائر ذلك في سبيل الله، لا يُسأَلُ شيئا إلا أعطاه، ثم يعود على قوت عامه فيؤثِرُ منه حتى إنه ربما احتاج قبل انقضاء العام إن لم يأته شيء، وكان يخصف النعل، ويرقع الثوب، ويخدم في مهنة أهله، ويقطع اللحم معهن، وكان أشد الناس حياء، لا يثبت بصره في وجه أحد، ويجيب دعوة العبد والحر، ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن ويكافئ عليها، ولا يأكل الصدقة، ولا يستكبر عن إجابة الأمة والمسكين، يغضب لربه ولا يغضب لنفسه، وينفذ الحق وإن عاد ذلك عليه بالضرر أو على أصحابه، وَجَدَ مِن فُضَلاء أصحابه وخيارهم قتيلا بين اليهود فلم يَحِفْ عليهم ولا زاد على مُرِّ الحق، بل وداه بمائة ناقة وإنَّ بأصحابه لحاجة إلى بعير واحد يتقوون به، وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع، ولا يتورع عن مطعم حلال، لا يأكل متكئا ولا على خِوان، لم يشبع من خبزٍ ثلاثةَ أيام متوالية حتى لقي الله تعالى، إيثارا على نفسه لا فقرا ولا بخلا، يجيب الوليمة، ويعود المرضى، ويشهد الجنائز، ويمشي وحده بين أعدائه بلا حارس، أشد الناس تواضعا، وأسكنهم في غير كبر، وأبلغهم من غير تطويل، وأحسنهم بِشْرًا، لا يهوله شيء من أمور الدنيا، ويلبس ما وجد، يردف خلفه عبده أو غيره، يركب ما أمكنه، مرة فرسا، ومرة بعيرا، ومرة بغلة، ومرة حمارا، ومرة يمشي حافيا بلا رداء ولا عمامة ولا قلنسوة، يعود المرضى في أقصى المدينة، يحب الطيب، ويكره الرائحة الرديئة، يجالس الفقراء، ويؤاكل المساكين، ويكرم أهل الفضل في أخلاقهم، ويتألف أهل الشرف بالبر لهم، يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم، لا يجفو على أحد، يقبل معذرة من اعتذر إليه، يمزح

ولا يقول إلا حقا، يضحك من غير قهقهة، يرى اللعب المباح فلا ينكره، يسابق أهله، وترفع الأصوات عليه فيصبر، وكان له عبيد وإماء لا يرتفع عليهم في مأكل ولا ملبس، ولا يمضي له وقت في غير عمل لله تعالى أو فيما لا بد منه من صلاح نفسه، لا يحتقر مسكينا لفقره وزمانته [الزمانة : المرض المزمن] ، ولا يهاب ملكا لملكه، يدعو هذا وهذا إلى الله دعاء مستويا." (١)

وبعد الإشارة إلى أخلاق النبي ﷺ من كتب الحديث والسير والتفاسير والتصوف، نجد أن أخلاقه كان أحب الموضوع لمادحي الرسول ﷺ .

والشعراء من العرب والعجم كلهم اختاروا هذا الموضوع بكل سرور ومحبة، وعرضوا أزهاراً معطرة في صورة شعر في خدمة سيدنا محمد ﷺ، لأنه المثل الأعلى للبشر كله، في سلمه وحربه ورضائه وغضبه وفي فرحه وحزنه، وفي يسره وعسره، وفي رخائه وشدته وفي سره وجهره.

وشخصية النبي ﷺ متصف بكل الأوصاف الحميدة، ولهذا قال الله سبحانه وتعالى في عظمة النبي ﷺ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ.﴾(٢)

وقد أجاد الإمام البوصيري بأخلاق النبي ﷺ في عدة من قصائده:

ونجد ذكر أخلاق الرسول ﷺ في همزيته ، فوصفه بالكرم والعلاء والضحك والتبسم والبأس والبطل والرحمة والعزم والحزم والوقار والحياء والصبر والحلم والإغضاء مع الظلم عليه من قومه وجهلهم منه، ووصف نفسه بالكرامة والشرف عن كل رذيلة ونقيصة، وقلبه بالحفاظة عن السوء والفحشاء، ووصف أنه كان يعرض عن الدنيا ولم يلتفت إلى إمساكها وإخراجها ولو لمستحقها، احتقاراً لشأنها وتعليماً للأمة عدم الاعتداد بها(٣)، وأن الله تعالى امتنّ عليه بجوامع

(١) إحياء علوم الدين ، للغزالي ٢/٤٤٢-٤٤٣

(٢) القلم : ٤

(٣) ودليل إعراضه ﷺ عنها أشدّ الإعراض خبر الترمذي: أنه ﷺ قال: عرض عليّ ربي أن يجعل لي بطحاء مكة ذهباً، فقلت : لا يا ربّ، ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً ، فإذا جعت تضرّعت إليك وذكرتك ، وإذا شبعت شكرتك وحمدتك. الترمذي ٢/٤٥٥.

الكلم التي أوتيها دون غيره، وكذا لا يقدر مخلوق أن يوجد فعلا مطابقاً لسائر المصالح الظاهرة والباطنة في ذلك الوقت الذي أوجد فيه ذلك الفعل غيره ﷺ فهو معجز القول والفعل، فيقول:

فَتَنَزَّهْ فِــي ذَاتِـــهِ وَمَـــعَانِيـ ... ـهِ اسْتِمَاعَاً إِنْ عَـزَّ مِنْهُ اجْتِلاَءُ
وَامْلإِ السَّمْعَ مِنْ مَحَاسِنَ يُمْلِيـ ... ـهَــا عَلَيْــكَ الإِنْشَادُ وَالإِنْشَاءُ
كُلُّ وَصْفٍ لَـهُ إِبْتَدَأْتَ بِهِ اسْتَوْ ... عَبَ أَخْبَارَ الْفَضْلِ مِنْــهُ ابْتِدَاءُ
سَيِّدٌ ضِــحْكُــهُ التَّبَسُّمُ وَالْمَشْـ ... ـيُ الْهُــوَيْنَــا وَنَوْمُهُ الإِغْفَاءُ
مَا سِوَى خُلْقِــهِ النَّسِيمُ وَلاَ غَيْـ ... ـرُ مُــحَيَّـــاهُ الرَّوْضَةُ الْغَنَّاءُ
رَحْـمَةٌ كُلُّــــهُ وَحَــزْمٌ وَعَـزْمٌ ... وَوَقَـــارٌ وَعِــصْمَــةٌ وَحَــيَاءُ
لاَتَحُلُّ الْبَأْسَاءُ مِنْهُ عُرَى الصَّبْـ ... ـرِ وَلاَ تَـستَــخِفُّـهُ الـسَّـــرَّاءُ
كَرُمَتْ نَفْسُهُ فَمَا يَخطُرُ السُّو ... ءُ عَــلَى قَـلـبِـهِ وَلاَ الْفَحْشَاءُ
عَـظُـمَـت نِـعمَةُ الإِلَـهِ عَلَيْهِ ... فَـاستُـقـلَّـت لِـذِكرِهِ الْعُظَـمَاءُ
جَـهِلَت قَـومُـهُ عَـلَيْهِ فَأَغْضَـى ... وَأَخُــو الـحِلمِ دَأْبُهُ الإِغْضَاءُ
وَسِـعَ الْـعَالـمِينَ عِلـماً وَحِلماَ ... فَـهوَ بَـحـرٌ لَـم تُعْيِهِ الأَعْبَاءُ
مُستَقِلٌ دُنيَاكَ أَنْ يُنْسَبَ الإِمْـ ... ـسَـاكُ مِـنـهَا إِلَـيـهِ والإِعـطَاءُ
شَمسُ فَضْلٍ تَحَقَّقَ الظَّنُّ فِيهِ ... أَنَّـهُ الـشَّمسُ رِفـعَـةً وَالضِّـيَاءُ
مُعـجِزُ الـقَتتولِ وَالْفِعَالِ كَرِيمُ ... الْخَلـقِ وَاخُـلقِ مُقْسِطٌ مِعْطَاءُ
لاَ تَقِسْ بِالنَّبِيِّ فِي الْفَضْلِ خَلْقاً ... فَـهُـوَ الـبَحـرُ وَالأَنَـامُ إِضَاءُ
كُلُّ فَضْلٍ فِي الْعَالَمِينَ فَمِنْ فَضْـ ... ـلِ الـنَّبِيِّ استَـعَـارَهُ الْفُضَلاَءُ(١)

(١) المنح المكية بشرح الهمزية النبية، لابن حجر المكي ص ٤٧

ويصفه في بردته بأن الله زيّنه بالخَلق والخُلُق ، وهو أجود الخلق كلهم، وهو الآمر والناهي وهو الصادق في قوله ولا أصدق منه ، يقول:

أكرم بخلق نبي زانه خلق   بالحسن مشتمل بالبشر متسم

كالزهر في ترف والبدر في شرف   والبحر في كرم والدهر في همم

نبينا الآمر الناهي فلا أحد   أبرّ في قول لا منه ولا نعم(١)

وكذا نجد عند الإمام أحمد رضا خان كثيراً من الأبيات التي تصوّر لنا أخلاق النبي ﷺ وشمائله، بل قد لاحظنا خلال دراستنا قصائده دراسةً تحليليةً في الفصل الأول من الباب نفسه، انه خصّ فصلاً مستقلاً من منظومته السلامية ليذكر فيه خصائل الرسول ﷺ فذكر تحته قناعة النبي ﷺ ومرونته ولطفه وفصاحته وما إلى ذلك من عاداته الشريفة، وهنا نورد منها أبياتاً:

جس کی تسکیں سے روتے ہوئے ہنس پڑیں   اُس تبسم کی عادت پہ لاکھوں سلام

کُل جہاں مِلک اور جَو کی روٹی غذا   اُس شکم کی قناعت پہ لاکھوں سلام

جو کہ عزمِ شفاعت پہ کھنچ کر بندھی   اُس کمر کی حمایت پہ لاکھوں سلام

بھائیوں کے لیے ترکِ پِستاں کریں   دودھ پیتوں کی نِصفَت پہ لاکھوں سلام

اعتلائے جبلّت پہ عالی دُرود   اعتدالِ طَوِیّت پہ لاکھوں سلام

بے بناوٹ ادا پر ہزاروں دُرود   بے تکلف ملاحت پہ لاکھوں سلام

بھینی بھینی مہک پر مہکتی دُرود   پیاری پیاری نفاست پہ لاکھوں سلام

میٹھی میٹھی عبارت پہ شیریں دُرود   اچھی اچھی اِشارت پہ لاکھوں سلام

---

(١) ديوان البوصيري ص ١٨٣

سیدھی سیدھی رَوِش پر کروروں دُرود   سادی سادی طبیعَت پہ لاکھوں سلام
نرمیِ خوئے لینت پہ دائم دُرود   گرمیِ شانِ سطوت پہ لاکھوں سلام[1]

ترجمة الأبيات:

ومـا مـن بـكاء إذا مـا ابـتسم   لمن قلبـه رازح تـحت غم
عـليـه الـصـلاة عـليـه الســلام

قنـوع فـمـا رغبـة في نـشب   وتلك الـقناعة شيئ عـجب
عـليـه الـصـلاة عـليـه الســلام

وأنـقـض ظـهـرا بمـا قد حمل   فعـبء الشفاعة لا يـحتمل
عـليـه الـصـلاة عـليـه الســلام

وعند الـرضاع لمن يرضعون   تنحى لـمـن مـثله ينعمون
عـليـه الـصـلاة عـليـه الســلام

ومـا مـال للهـو فيــه اللغط   وفي كل شيئ لديه الوسط
عـليـه الـصـلاة عـليـه الســلام

تـدلل دومـا بغـيـر صـرف   ويــحــسن مـنه إباء السرف
عـليـه الـصـلاة عـليـه الســلام

سـلام عـلـى نـفـحـة للشذا   وتـلك الـنـفـاســـة يا حبذا
عـليـه الـصـلاة عـليـه الســلام

سلام على خير قول يـقـول   سلام على هدي هذا الرسول

---

(١) حدائق بخشش ص ٢٠٥-٢١١

عـليـه الـصـلاة عـليـه الســلام

سلام على الحسن في سيرته　　سلام على القصد في حاجته

عـليـه الـصـلاة عـليـه الســلام

ســلام ســلام عــلى رقـتـه　　ســلام ســلام عــلى هـيبته

عـليـه الـصـلاة عـليـه الســلام [1]

وهو يدّعي أن النبي ﷺ ليس له مثيل ولا نظير لا في خَلقه ولا في خُلُقه، يقول:

تِرے خُلق کو حق نے عظیم کہا تِری خلق کو حق نے جمیل کیا

کوئی تجھ سا ہوا ہے نہ ہو گا شہا تِرے خالقِ حُسن و ادا کی قسم [2]

الترجمة: قد عبر الله تعالى خُلقك بالخلق العظيم، وأجمل صورتك، فأقسم بالله بأن لم يكن أحد ولا يكون مثلك لا فالصورة ولا في السيرة.

وبما أن النبي ﷺ كان أجود الناس وأسخاهم، وه رحمة للناس كلهم بصفة عامة وللمؤمنين بصفة خاصة، ولم يرجع سائل من بابه محروما، وقد قال الله تعالى:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ.﴾[3]

وقال أيضاً :

﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ.﴾[4]

ويقول الفرزدق عن وصف النبي ﷺ بالجود والإعطاء:

ما قال لا قـط إلّا في تشهده　　لـولا التشهّد كانت لاءه نعمُ[5]

---

(١)المنظومة السلامية ص ١١٠-١٢٠

(٢) حدائق بخشش ص ٤٧

(٣) التوبة : ١٢٨

(٤) الضحى : ١٠

(٥) ديوان الفرزدق ص ٢٥٦

فقد وصفه ﷺ الإمام أحمد رضا خان، بالجود والكرم والسخاء على وجهٍ خاصٍ، لاحظوا هذه الأبيات:

واہ کیا جود وکرم ہے شہِ بطحا تیرا   نہیں سنتا ہی نہیں مانگنے والا تیرا[١]

مانگیں مانگے جائیں گے منہ مانگی پائیں گے   سرکار میں نہ لا ہے نہ حاجت اگر کی ہے[٢]

مومن ہوں مومنوں پہ رؤف ورحیم ہو   سائل ہوں سائلوں کو خوشی لانہر کی ہے[٣]

میرے کریم سے گر قطرہ کسی نے مانگا   دریا بہا دیے ہیں در، بے بہا دیے ہیں[٤]

کون دیتا ہے دینے کو منہ چاہیے   دینے والا ہے سچا ہمارا نبی[٥]

الترجمة:

- إنك يا سيّد البطحاء خُصِصتَ بمنتهى الجود والكرم، حيث لا يسمع سائلك "لا".
- سألناه ونسأله حتى نجد آمالنا، لأنه لا يقول لأحد "لا" ولا يحتاج إلى كلمة الشرط، (بأن يقول إن استطعت إعطاء سؤلك أعطيتك، وإن لم أتمكن منه فلا)
- أنا مؤمن وأنت بالمؤمنين رؤف رحيم، وأنا سائل وللسائلين البشرى العظيمة بأن قيل لك أن لا تنهرهم.
- هو سخيّ كريم إن سأله أحد قطرةً أعطاه بحراً ودررا كثيرةً.
- ومن يعطي سوى نبينا ﷺ ؟ لأن الإعطاء لا يكون إلا بصفة الجود والسخاء، وهو المعطي الصادق.

****

(١) حدائق بخشش ص ٧
(٢) المصدر نفسه ص ١٥٠
(٣) المصدر نفسه ص ١٤٠
(٤) المصدر نفسه ص ٦٧
(٥) المصدر نفسه ص ٩٣

المطلب الثالث
حسن وجه النبي صلى الله عليه وسلم

وإذا تحدثنا عن حسن النبي ﷺ في ضوء قول من زاره وجدنا أن من كان يصف النبي ﷺ كما ورد في كتب الصحاح نفر قليل من الصحابة المباركين، ونحن نعلم أن الصحابة عندما ارتقى النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى مائة وعشرون ألف صحابي، لم يستطع أن ينعته أو يصفه منهم إلا حوالي خمسة عشر صحابي فقط، والباقي لم يقو على ذلك حتى قال الإمام القرطبي رضي الله عنه في كتاب الصلاة:

"لم يظهر الله عز وجل لنا تمام حسن حبيبه ومصطفاه ﷺ ، لأنه لو ظهر لنا تمام حسنه لما طاقت أعيننا رؤيته ﷺ"(١)

وقال صاحب المواهب :

"اعلم أن من تمام الإيمان به ﷺ الإيمان بأن الله تعالى جعل خلق بدنه الشريف على وجه لم يظهر قبله ولا يظهر بعده خلق آدمي مثله"(٢)

فإذا كان الله تعالى قال لنا: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾(٣)، فإن أكمل صورة كمّلها الله وجمّلها وصوّرها وسوّاها من البدء إلى النهايات هي صورة نبينا ﷺ ، وقال النبي ﷺ في يوسف عليه السلام: « أعطي يوسف شطر الحسن»(٤)

أما النبي ﷺ فقد أعطي الحسن كله ، فالذي أعطي شطر الحسن عندما هامت به امرأة العزيز، وعلمت أن نساء الوجهاء يتحدثن عنها ويخضن في عرضها

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١/١٨٧.

(٢) المواهب اللدنية ٢/١٦٧

(٣) التغابن : ٣

(٤) الصحيح لمسلم باب إسراء النبي ﷺ ١/٩٨

جمعتهن في بيتها ، وأحضرت لكل واحدة منهن طبقا ووضعت فيه تفاحا وسكينا تقطع بها التفاح وتأكله، وبعد أن وزعت عليهن الأطباق والسكاكين والتفاح وبدأن يقطعن أذنت ليوسف أن دخل عليهن ، قد وصف الله هذا المشهد العجيب الغريب بقوله: ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾(١).

فإذا كانت النسوة لما رأين جمال يوسف قطعن أيديهن ولم يشعرن ،وسال الدم منهن ولم يلاحظن ذلك، ويوسف أعطي شطر الحسن ، فما بالك بصاحب الحسن كله.

كان الرسول ﷺ أسيَل الوجه، مسنون الخدين ولم يكن مستديرًا غاية التدوير، بل كان بين الاستدارة والإسالة، وهو أجمل عند كل ذي ذوق سليم. وكان وجهه مثل الشمس والقمر في الإشراق والصفاء، مليحًا كأنما صيغ من فضة لا أوضأ ولا أضوأ منه(٢).

وعن كعب بن مالك رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ إذا سُرّ استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر. رواه البخاري ومسلم. وعن أبي إسحاق قال: سُئل البراء أكان وجه النبي ﷺ مثل السيف؟ قال: لا، بل مثل القمر. رواه البخاري، وقال أبو هريرة: ما رأيت شيئًا أحسن من رسول الله ﷺ، كأن الشمس تجري في وجهه. وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ في ليلة إضحيان(مقمرة)، وعليه حُلَّة

(١) يوسف : ٣١

(٢) انظر المواهب اللدنية ، للقسطلاني ٢/٤٥٥

حمـراء، فجعلـتُ أنظـر إلـى رسـول الله ﷺ وإلـى القمـر، فـإذا هـو عنـدي أحسـنُ مـن القمر[1].

أمـا شـعراء المـدائح النبويـة فقـد اهتمـوا فـي قصـائدهم بهـذا الموضـوع أشـدّ اهتمامـاً، سـواء كـانوا مـن الصـحابة وأو ممـن بعـدهم، كمـا درسـنا فـي البـاب الأول بشـيئ مـن التفصـيل، ومـن أفضـل الأبيـات فـي حسـن النبـي ﷺ قـول حسـان بـن ثابـت رضـي الله عنه:

وأحسـن مـنك لم تر قط عيني   وأجـمل مـنك لـم تلد النساء
خـلقت مبـرأ مــن كل عيب   كأنك قـد خـلقت كما تشاء[2]

ونجـد هنـاك بيتـين لأم المـؤمنين عائشـة رضـي الله عنهـا، فقـد أجـادت فيهمـا، تقول:

فلو سمعوا في مصر أوصاف خده   لما بذلوا في سوم يوسف من نقد
لـواحـي زلـيـخا لـو رأيـن جبينه   لأثرن بالقطع القلوب على الأيدي[3]

قال شاعرنا الإمام البوصيري عن حسن النبي ﷺ :

فـهو الـذي تـم مـعناه وصـورته   ثم اصطفاه حبيبا باريء النسم
مـنـزه عـن شـريك في محـاسنه   فـجوهر الحسن فيه غير منفسم
أعيى الـورى فهم معناه فليس يـرى   فيالقرب والبعد فيه غير منفحم
كالشـمس تـظهر للعينين مـن بـعد   صـغيرة ونـكل الطرف من أمم[4]

---

(١) ينظر للتفصيل: دلائل النبوة للبيهقي ٣٥٤/٤
(٢) ديوان حسان بن ثابت ص ١٢
(٣) شرح الزرقاني على المواهب ٢٣٤/٣
(٤) ديوان البوصيري ص ١٨٦

أمـا الإمـام أحمـد رضـا خـان فهـو أيضـاً يصـور حسـن رسـول الله ﷺ وجمالـه بأحسـن صـورة، ونجـد فـي ديوانـه أبياتـاً عديـدة بهـذا الموضـوع، فتـارة يقـول أنـه لـم يُنظـر بعـد نظيـر النبـي ﷺ ومثيلـه فـي الحسـن، وتـارة يـدعي أنـه أحسـن وأنـور مـن الشـمس والقمر، وتارة يقول: إنّ رسول الله ﷺ لا نقص في صورته، انظروا هذه الأبيات:

لم يـأت نـظـيرك في نظر، مثل تو نہ شد پیدا جانا
جگ راج کو تاج تورے سر سو ہے تجھ کو شہ دوسرا جانا[1]

وہ کمالِ حسنِ حضور ہے، کہ گمانِ نقص جہاں نہیں
یہی پھول خار سے دور ہے، یہی شمع ہے کہ دھواں نہیں[2]

خورشید تھا کس زور پر، کیا بڑھ کے چمکا تھا قمر
بے پردہ جب وہ رخ ہوا، یہ بھی نہیں وہ بھی نہیں[3]

ترے خُلق کو حق نے عظیم کہا تِری خلق کو حق نے جمیل کیا
کوئی تجھ سا ہوا ہے نہ ہو گا شہا ترے خالقِ حُسن و ادا کی قسم[4]

الترجمة:

- يا رسول الله ! لـم يـر أحـد مـن النـاس مثلَـك، بـل ولـم يولـد فـي الـدنيا أحـد مثلُـك لا فـي الصـورة ولا فـي السـيرة، قـد اصـطفى الله تعـالى رأسـك للتـزيين بالتـاج العظـيم وأعطاك السيادة في الدنيا والآخرة للإنسانية جمعاء.

---

(١) حدائق بخشش ص ٢١
(٢) المصدر نفسه ص ٧١
(٣) المصدر نفسه ص ٧٣
(٤) المصدر نفسه ص ٤٧

- إنّ حسـن النبـي ﷺ فـي أعلـى درجـة، حيـث لا غبـار عليـه ولا نقـص فيـه، فوجهـه كالزهر الذي لا شوكة فيه، وهو كالشمع الذي لا يصاعد عنه دخان.
- كانـت الشـمس تظهـر برّاقـةً وضّـاءةً مـتلألأةً، وكـان القمـر يلمـع أشـدّ لمعانـاً، ولمّـا كشـف الله الحجـاب عـن وجـه النبـي ﷺ لـم تكـن هـذه ولا ذاك، أي بهتـت الشـمس وخمد القمر أمام حسن النبي ﷺ.
- قـد عبـر الله تعـالى خُلقـك بـالخلق العظـيم وأجمـل صـورتك، فأقسـم بـالله بـأن لـم يكن أحد ولا يكون مثلك لا فالصورة ولا في السيرة.

ولقـد درس الإمـام أحمـد رضـا خـان دراسـة مقارنـة بـين حسـن النبـي ﷺ وبـين جمـال نبي الله يوسف عليه السلام، فيقول:

حسنِ یوسف پہ کٹیں مصر میں انگشتِ زناں

سر کٹاتے ہیں ترے نام پہ مردانِ عرب(١)

ومعنـى البيـت : أن هنـاك جمـال يوسـف الـذي لمـا رأتـه النسـوة قُطِعـت أيـديهنّ ولـم يشـعرن هـذه القطعـة ، وهنـا حسـنك وجمالـك يارسـول الله عليـك الصـلاة والسـلام الـذي فـداه كثيـر مـن الرجـال الـذين لا يفـدون بكـل مـا يرونـه مثـل النسـاء، وصـواحب يوسـف مـن بـلاد مصـر التـي سـكانها يمثلـون فـي رقـة القلـب، أمـا أصـحابك ومفـدوك فهـم العـرب الـذين قاسية قلوبهم، على أنهم يفدونك ولم يفقدوا شعورهم .

****

(١) المصدر نفسه

المطلب الرابع

الخوارق والمعجزات

قبل أن ننظر الخوارق والمعجزات في شعر الإمام البوصيري والإمام أحمد رضا خان، ننظر ما هي المعجزات وماهيته: المعجزة عند جمهور العلماء من الأصول، هي خرق العادة التي تظهر على يد النبي ﷺ كدليل وحجة لتحقيق نبوته، لأنّ الأدلة العقلية لا تكاد تؤثر في الأفراد الذين يعتقدون في الظواهر فقط، فظهور الخوارق والمعجزات تكون عوناً كبيراً في سبيل إثبات النبوة والاستسلام لها، ولذلك كثير من الأنبياء والرسل قد أوتوا المعجزات حتى تتحقق عظمة نبتهم ، ومثل الأنبياء الآخرين قصص الله نبيّنا ﷺ بالمعجزات والخوارق، وهذه الخوارق تسمى بالمعجزات في المصطاح الديني، وله معجزات لا تدخل تحت حد ولا حصر ونجد ذكرها في كتب الحديث كلها.

وكان رسول الله ﷺ المعجزة الكبرى بنفسه، ومن قبله أرسل الله تعالى أنبيائه رحمة لقومهم وزمانهم، وأرسله الله تعالى رحمة للعالمين، جاء رحمة مطلقة لقومه وزمانه، ولمن يجيئ بعده من الأقوام والأزمنة على تعاقب الأيام وتتالى الدهور، كما جاء في القرآن الحكيم: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[1]

يقول أحمد بهجت في هذا الصدد:

"ولقد كان جوهر دعوات الأنبياء السابقين عليه هو الإسلام، وكان عنوان رسالته هو الإسلام، فتأمل أنت أيّ إعجاز أن يكون العنوان جوهراً، ذلك هو محمد

---

(١) الأنبياء : ١٠٧

بن عبد الله بن عبد المطلب، ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد. وسيد أبناء آدم، وعبد الله ورسوله، ورحمة الله المهداة المبشر"[1].

والحكمة في ذلك أن يؤيّد الله تعالى كل رسول بمعجزة أو معجزات تصدق دعواه وتثبت لقومه أنه مبعوث من الله، فقد بعث موسى عليه السلام إلى قوم برعوا في الكيمياء والسحر، فأبطلت معجزاته سحرهم.

قال الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ . وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ . فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ . وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ . قَالُوا آَمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ . رَبِّ مُوسَى وَهَارُون﴾[2]

وبعث عيسى عليه السلام إلى قومه بالخوارق والمعجزات، يذكر الله معجزاته في الآيات التالية بلسانه:

﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآَيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[3]

فلما بعث الله نبينا محمداً ﷺ رسولاً أعطاه كثيرا من المعجزات الباهرة، وفي ذكر هذه المعجزات يقول البيهقي في كتابه:

---

(١) أنبياء الله ، لأحمد بهجت ص ٣٧١
(٢) الأعراف : ١١٦-١٢٢
(٣) آل عمران : ٤٩

"وأنت إذا تأملت معجزاته وباهر آياته وكراماته عليه الصلاة والسلام وجدتها شاملة للعلوي والسفلي والصامت والناطق والساكن والمتحرك والغائب والحاضر والباطن والظاهر والعاجل والآجل إلى غير ذلك مما لو عدّ لطال كالرّمي بالشهب الثواقب، ومنع الشياطين من استراق السمع، وتسليم الحجر والشجر عليه صلى الله عليه وسلم. وشهادتها له بالرسالة ومخاطبتها له بالسيادة وحنين الجذع، ونبع الماء من كفيه، وانشقاق القمر، وردِ العين بعد العور، ونطق البعير والذئب، وكالنور المتوارث من آدم إلى جبهة أبيه وما سوى ذلك من المعجزات التي تداولتها الرواة مما لو أعملنا أنفسنا في حصر في حصرها نفسي المدي في ذكرها، ولو بالغ الأولون والآخرون في إحصاء مناقبه لعجزوا عن استقصاء ما حباه الكريم من مواهبه صلى الله عليه وسلم." [١]

ويلتزم الشعراء في شعرهم ذكر النبي ﷺ ومعجزاته، ونجد عديدا من الشعر في هذا الموضوع، أما صاحبانا الإمام البوصيري والإمام أحمد رضا خان فذكرا أيضا معجزات النبي ﷺ في شعرهما.

فأشاد الإمام البوصيري في بردته معجزات النبي ﷺ، تحدث عن مجيئ الأشجار لدعوة النبي ﷺ[٢]، وعن تظليل السحابة له[١]، وعن شق القمر[٢] وعن نسج

(١) دلائل النبوة ٢/ ٢٦٩-٢٧٠

(٢) فقد أخرج الدارمي في سننه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فأقبل أعرابي فلما دنا منه، قال له رسول الله ﷺ : « أين تريد؟» قال: إلى أهلي قال: « هل لك في خير؟» قال: وما هو؟ قال: « تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله»، فقال: ومن يشهد على ما تقول؟ قال: «هذه السلمة»، فدعاها رسول الله ﷺ وهي بشاطئ الوادي فأقبلت تخد الأرض خدا حتى قامت بين يديه، فاستشهدها ثلاثا، فشهدت ثلاثا أنه كما قال، ثم رجعت إلى منبتها، ورجع

العنكبوت على فتحة غار ثور وتعيش الحمام على بابه لما اختبأ النبي صلى الله عليه وسلم بالغار هو وصديقه أبوبكر رضي الله عنه في هجرتهما من مكة إلى المدينة[٣] ، وتعقبتها قريش ، لكنها ضلت مكانهما، وكتب الله لهما النجاة، كما يذكر الله سبحانه في القرآن الكريم:

الأعرابي إلى قومه، وقال: إن اتبعوني أتيتك بهم، وإلا رجعت، فكنت معك. سنن الدارمي ١٣٣/٣، وصحيح ابن حبان ٥٣٣/١١.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ، فقال: بم أعرف أنك نبي؟ قال: «إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة تشهد أني رسول الله؟» فدعاه رسول الله ﷺ، فجعل ينزل من النخلة حتى سقط إلى النبي ﷺ، ثم قال: «ارجع»، فعاد، فأسلم الأعرابي. سنن الترمذي ٣٢٢/٢، ومسند الإمام أحمد بن حنبل ٢١٣/٣٤، والمستدرك للحاكم ١٣٢/٤.

(١) وهو أنه لما بلغ النبي ﷺ اثني عشرة سنة خرج مع أبي طالب إلى الشام في ركب فأبصر بحيرا الراهب غمامة بيضاء تظلل واحدا بذلك الركب، ثم أقبل حتى نزلوا بظل شجرة قريبة منه فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة، وتهصرت أغصان الشجرة على رسول الله ﷺ حتى استظل تحتها فقار بحيرا وسأله عن أشياء مِن حاله كنومه وهيأته وأموره، ويخبره رسول الله فيوافق ذلك ما عند بحيرا في كتبه ورأى خاتم النبوة فقال وهو آخذ بيده: هذا سيد العالمين، فقيل له: وما علمك بذلك؟ فقال: إنكم حين أشرفتم به من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجدا، ولا يسجد إلا لنبي، وإني أعرفه بخاتم النبوة في أسفل غضروف كتفه مثل التفاحة، وإنا نجده في كتبنا، وسأل أبا طالب أن يرده خوفا عليه من اليهود. انظر السيرة النبوية لابن اسحاق ٢٣٣/٣

(٢) وهو كما رواه البخاري ومسلم من أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية ، فأراهم القمر شقين حتى رأوا حراء بينهما. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين، فرقة فوق الجبل وفرقة دونه، فقال رسول الله ﷺ اشهدوا متفق عليه.

(٣) هو كما ذكر ابن سعد في الطبقات أخبرنا محمد بن عمر قال : حدثني معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة قال : وحدثنى ابن أبى حبيبة عن داود بن الحصين بن أبى غطفان عن ابن عباس قال : وحدثنى قدامة بن موسى عن عائشة بنت قدامة قال : وحدثنى عبد الله بن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب عن أبيه عن عبيد الله بن أبى رافع عن على قال : وحدثنى معمر عن الزهرى عن عبد الرحمن بن مالك بن جعشم عن سراقة بن جعشم ، دخل حديث بعضهم فى حديث بعض ، قالوا : لما رأى المشركون

﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(1)

وكذلك تحدث عن حصول الشفاء على يديه للكثير من أصحابه ببركته ودعائه(2)، وعن إحياء السنة الشهباء بدعوته(1) وما إلى ذلك. يقول:

أصحاب رسول الله ﷺ قد حملوا الذراري والأطفال إلى الاوس والخزرج عرفوا أنها دار منعه وقوم أهل حلقه وباس ، فخافوا خروج رسول الله ﷺ فاجتمعوا فى دار الندوة ، . وذكر تربص المشركين بالنبي ﷺ ومحاولة قتله عند الخروج من بيته ومبيت عليّ بفراشه .... وسار رسول الله ﷺ إلى منزل أبى بكر ، فكان فيه إلى الليل ، ثم خرج هو وأبى بكر فمضيا إلى غار ثور فدخلاه ، وضربت العنكبوت على بابه بعشاش بعضها على بعض ، وطلبت قريش رسول الله ﷺ ، أشد الطلب حتى انتهوا إلى باب الغار ، فقال بعضهم: إن عليه العنكبوت قبل ميلاد محمد ، فانصرفوا .

وذكر أيضا فى الطبقات أخبرنا مسلم بن إبراهيم ، أخبرنا عون بن عمرو القيسى أخو رياح القيسى ، أخبرنا أبو مصعب المكى قال : أدركت زيد بن أرقم ، وأنس بن مالك ، والمغيرة بن شعبة فسمعتهم يتحدثون أن النبى ﷺ . ليلة الغار أمر الله شجرة فنبتت فى وجه النبى ﷺ فسترته وأمر الله العنكبوت فنسجت على وجهه فسترته ، وأمر الله حمامتين وحشيتين فوقعتا بفم الغار .

طبقات ابن سعد ١/٢٢٧-٢٢٨، وينظر أيضا: الدر المنثور للسيوطي٣/٣٢٥، ومسند الإمام أحمد بن حنبل ١/٣٤٨، ومصنف عبد الرزاق ٥/٣٨٧، وفتح الباري للحافظ ٧/٢٩٠.

(١) التوبة : ٤٠

(٢) فمن تلك المواقف ما حصل مع الصحابي الجليل علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم خيبر، حين قال النبي ﷺ : «لأعطين هذه الراية رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله»، فبات الناس تلك الليلة يتساءلون عن صاحب الراية، وفي الصباح انطلقوا إلى رسول الله ﷺ لمعرفة الفائز بهذا الفضل، فإذا بالنبي ﷺ يسأل عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فذكروا له أنه مصاب بالرَّمد، فأرسل ﷺ في طلبه، ولما حضر عنده بصق في عينيه ودعا له، فشفاه الله ببركة النبي ﷺ، واستلم الراية، ثم قاتل حتى فتح الله على يديه، وينظر الحديث بتمامه في البخاري كتاب الغزوات ومسلم كتاب الجهاد.

والأعجب من ذلك ما رواه الإمام الطبراني عن قتادة بن النعمان رضي الله عنه أنه قاتل يوم أحد، فأصابه سهمٌ أخرج إحدى عينيه من مكانها، فسعى إلى النبي ﷺ وهو يحملها في يده، فأخذها ﷺ وأعادها

جاءت لدعوته الأشجار ساجدة   تمشيء إليه على ساق بلا قدم
كأنما سطرت سطرا لما كتبت   فروعها من بديع الخط في اللقم
مثل الغمامة أني سار سائرة   تقيه حر وطيس للهجير حمى
أقسمت بالقمر المنشق أن له   من قلبه نسبة مبرورة القسم
وما حوى الغار من خير ومن كرم   وكل طرف من الكفار عنه عمى
فالصدق في الغار والصديق لم يرما   وهم يقولون ما بالغار من إرم
ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على   خير البرية لم تنسج ولم تحم
وقاية الله أغنت عن مضاعفة   من الدروع وعن عال من الأطم
كم أبرأت وصبا باللمس راحته   وأطلقت أربا من ريقه اللمم
وأحييت السنة الشهباء دعوته   حتى حكت غرة في الأعصر الدهم
بعارض جاد أو خلت البطا بها   سيب من اليم أو سيل من العرم(٢)

إلى موضعها ودعا له، فعادت إلى طبيعتها، وكانت أجمل عينيه وأقواهما إبصاراً. المعجم الكبير للطبراني ٢٣٣/٣

(١) عن أنس بن مالك قال أصابت الناس سنة على عهد النبي ﷺ فبينا النبي ﷺ يخطب في يوم جمعة قام أعرابي، فقال: يا رسول الله هلك الماء وجاع العيال فادع الله لنا فرفع يديه وما نرى في السماء قزعة فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته ﷺ فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد وبعد الغد والذي يليه حتى الجمعة الأخرى وقام ذلك الأعرابي أو قال غيره، فقال: يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا فرفع يديه، فقال «اللهم حوالينا ولا علينا» فما يشير بيده إلى ناحية من السحاب إلا انفرجت وصارت المدينة مثل الجوبة وسال الوادي قناة شهرا ولم يجئ أحد من ناحية إلا حدث بالجود. الصحيح البخاري، كتاب الجمعة باب الاستسقاء في الخطبة يوم الجمعة ١٨٩/١.

(٢) ديوان البوصيري ص ١٨٦.

أمـا الإمـام أحمـد رضـا خـان فقـد نظـم فـي قصـائده كثيـرا مـن معجـزات الرسـول ﷺ، فتحـدث عـن نبـع المـاء مـن بنانـه[١]، وعـن انشـقاق القمـر[٢]، وعـن رد الشـمس بعـد الغـروب[٣]، وعـن تسـبيح الحصـاة[٤]، وعـن وضـع التـراب علـى رؤوس الكفـار وتخييـبهم

(١) قال العلامة القرطبي: قصة نبع الماء من بين أصابعه قد تكررت منه ﷺ في عدة مواطن في مشاهد عظيمة، ووردت من طرق كثيرة، يفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنوي، كما ورد حديث أنس بن مالك في الصحيحين قال: رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر، والتمس الناس الوضوء فلم يجدوه، فأتي رسول الله ﷺ بوضوء فوضع يده في ذلك الإناء، فأمر الناس أن يتوضؤوا منه، فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه، فتوضأ الناس حتى توضؤوا من عند آخرهم. وفي لفظ البخاري : كانوا ثمانين رجلا، وفي لفظ له: فجعل الماء ينبع من بين أصابعه وأطراف أصابعه حتى توضأ القوم، قال: فقلنا لأنس كم كنتم ؟ قال : كنا ثلاثمائة. انظر الصحيح للبخاري ٢٧١/١، والصحيح لمسلم ٥٥/٢.

(٢) قد مر الحديث بتمامه عن ذلك آنفاً.

(٣) فهو كما روي عن أسماء بنت عميس أن النبي ﷺ كان يوحى إليه ورأسه في حجر علي رضي الله عنه، فلم يصلّ العصر حتى غربت الشمس، فقال رسول الله ﷺ : «أصليت يا علي؟»، فقال: لا، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك، فاردد الشمس»، قالت أسماء: فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت ووقعت على الجبال والأرض ، وذلك في الصهباء في خيبر. انظر: الشفاء للقاضي عياض ١٣٢/٢، ومشكل الحديث للطحاوي ١٢١/٢، والمواهب اللدنية للقسطلاني ٥٢٨/٢.

(٤) وهو كما روي عن أبي ذر قال: "إني انطلقتُ ألتَمِس رسول الله ﷺ ، في بعض حوائط المدينة، فإذا رسول الله ﷺ قاعد، فأقبلتُ إليه حتى سلمتُ عليه، وحصيات موضوعة بين يديه فأخذهنَّ في يده فسبَّحنَ في يده، ثم وضعهنَّ في الأرض فسكتنَ، ثم أخذهنَّ فوضعهنَّ في يد أبي بكر فسبَّحنَ في يده، ثم أخذهنَّ فوضعهنَّ في الأرض فخَرِسنَ – أي: سكتْنَ – ثم أخذهنَّ فوضعهنَّ في يد عمر فسبَّحنَ في يده، ثم أخذهنَّ فوضعهن في الأرض فخَرِسنَ، ثمَّ أخذهنَّ فوضعهنَّ في يد عثمان فسبَّحنَ، ثم أخذهنَّ فوضعهنَّ في الأرض فخرسن". مسند البزار ١٣٢/٣، المعجم الأوسط للطبراني ، وصححه الألباني في ظلال الجنة (١١٤٦)

الله وخـروج النبـي ﷺ بـين أيـديهم ليلـة الهجـرة[١] ، وعـن تكثيـر الطعـام[٢]، ومـا إلـى ذلـك من المعجزات. فليلاحظ هذه الأبيات:

---

(١) وهو كما ذكر أصحاب السير من أن النبي ﷺ خرج وقد أخذ الله على أبصارهم، فلم يره أحد منهم، ونثر على رؤوسهم كلهم ترابا كان في يده ، وهو يتلو قوله تعالى: ﴿يس﴾ إلى قوله تعالى : ﴿فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾. ثم انصرف عليه السلام حيث أراد. فأتاهم آت ممن لم يكن معهم، فقال: ما تنتظرون ها هنا؟ قالوا : محمداً، قال : قد خيّبكم الله ، قد والله خرج محمد عليكم، ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وضع على رأسه تراباً وانطلق لحاجته، أفما ترون ما بكم؟ فوضع كل رجل يده على رأسه، فإذا عليه تراب. انظر المواهب اللدنية ١/٢٨٦-٢٨٧.

(٢) وقد تكرّرت هذه المعجزة لرسول الله ﷺ، في أماكن مختلفة، ومناسبات متعددة ، كان منها يوم الخندق ؛ حينما أطعم ألف نفر من شاة صغيرة وصاع من شعير، فقد جاء في الحديث المتفق عليه أن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما رأى جوعاً شديداً بالنبي ﷺ، فانطلق إلى بيته، وأخرج جراباً فيه صاع من شعير، وذبح شاة، وجهز هو وزوجته طعاماً، ثم دعا رسولَ الله ﷺ إليه، فلما رأى جابرٌ النبي ﷺ وبصحبته أهل الخندق فزع من ذلك المشهد ، وذهبت به الظنون كل مذهب ، وقال في نفسه : كيف يمكن لهذا الطعام أن يكفي كل هذا الحشد ، فعلم النبي ﷺ ما يدور في نفس جابر رضي الله عنه فأخبره بألا ينزل القدر، وألا يخبز الخبز، حتى يأتيه ويبارك فيه، ثم أكلوا جميعاً وشبعوا، والطعام كما هو.

وفي غزوة تبوك أخذ الجوع من الصحابة كل مأخذ ، فاستأذنوا النبي ﷺ في نحر رواحلهم ، فطلب منهم أن يأتوه بفضل أزوادهم – أي ما بقي من أطعمتهم- ، فدعا فيه بالبركة، ثم قال: «خذوا في أوعيتكم» ، فأخذوا في أوعيتهم ، حتى ما تركوا في العسكر وعاءً إلا ملؤوه، فأكلوا حتى شبعوا ، وحملوا ما بقي ، متفق عليه، وهذا لفظ مسلم.

وكان لأبي هريرة رضي الله عنه مع هذه المعجزة قصّة ، فقد اشتدّ به الجوع ذات يومٍ حتى اضطرّ إلى أن يربط على بطنه حجراً ، فقام يسأل أبابكر وعمر رضي الله عنهما ويحادثهما عسى أن يظفر منهما بدعوةٍ إلى طعام ، لكنّهما لم يدركا مقصوده ، فلما رآه النبي ﷺ عرف ما به من جوعٍ ، فدعاه إلى وعاءٍ من لبنٍ ، لكنّ فرحة أبي هريرة رضي الله عنه لم تكتمل ، فقد أمره رسول الله ﷺ أن يدعوا أهل الصفّة كلّهم ، فامتثل أبو هريرة رضي الله عنه للأمر النبوي وهو يظنّ أن مراده لن يتحقّق ، ولم يدر أنه سيكون شاهداً على إحدى معجزات النبي ﷺ ، فقد شرب جميع من جاء من أهل الصفّة والوعاء على حاله لم ينقص ، ثم شرب منه أبو هريرة رضي الله عنه حتى لم يعد قادراً على الزيادة منه ، وكان النبي

اشارے سے چاند چیر دیا، چھپے ہوئے خور کو پھیر دیا
گئے ہوئے دن کو عصر کیا، یہ تاب وتواں تمہارے لیے[١]

تیری مرضی پاگیا سورج پھرا الٹے قدم
تیری انگلی اٹھ گئی مہ کا کلیجہ چر گیا

میں ترے ہاتھوں کے صدقے کیسی کنکریاں تھیں وہ
جن سے اتنے کافروں کا دفعتاً منہ پھر گیا[٢]

ہے لبِ عیسٰی سے جاں بخشی نرالی ہاتھ میں
سنگریزے پاتے ہیں شیریں مقالی ہاتھ میں[٣]

انگلیاں ہیں فیض پر ٹوٹے ہیں پیاسے جھوم کر
ندیاں پنجۂ آبِ رحمت کی ہیں جاری واہ واہ[٤]

کیوں جنابِ بوہریرہ ، تھا وہ کیسا جامِ شیر
جس سے ستر صاحبوں کا دودھ سے منہ پھر گیا[٥]

الترجمة:

ﷺ آخرهم شرباً ، رواه البخاري. ينظر: دلائل النبوة ، للبيهقي ٢٧٦/٣، والخصائص الكبرى، للسيوطي ص٤٨٧.

(١) حدائق بخشش ص ٢٤٧

(٢) المصدر نفسه ص ٣٢

(٣) المصدر نفسه ص ٦٨

(٤) المصدر نفسه ٨٩

(٥) المصدر نفسه ٣٢

- لقد شقّ القمر حينما أشار إليه النبي ﷺ ، ورجعت الشمس بعد ما غربت، وحان وقت العصر، ولم يثبت مثل هذا لأحد سواك يارسول الله!
- لقد نكصت الشمس على عقبيها لرضاك، وشقّ القمر بإشارة إصبعك.
- نفسي الفداء ليديك، ما تلك الحصى التي وقعت على رؤوس الكفار، فلم يتمكنوا من النظر إليه.
- لقد أعطى الله عيسى عليه السلام معجزة إحياء الموتى وكان يأمر الموتى أن يقوموا بإذن الله ، فيقومون، أما نبينا محمد ﷺ فأعطاه الله أكبر من ذلك، حيث أن الحصيات التي لم تكن له حياة تأتي في كفك فتتكلم بكلام عذب معسول.
- أن الأصابع تفيض من الماء ويتهافت عليه العطاش، كأنها أنهار خمسة من ماء الرحمة والبركة.
- يا أبا هريرة ! كيف كان تلك القصعة التي شرب منها سبعون صحابياً فأشبعوا حتى أعرضوا عن شرب اللبن.

****

المطلب الخامس

مكانة النبي صلى الله عليه وسلم بين الأنبياء والمرسلين

لا شك أن الأنبياء والرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام أعلى منازل الفضل عند ربهم، فهم عليهم السلام أفضل الخلق أجمعين، وكل واحد منهم أفضل من كل فرد، بل هم على الصحيح أفضل حتى من الملائكة الكرام عليهم السلام.

وكما أنهم في العموم مفضلون على غيرهم من الخلائق، فإن بينهم تفاوتاً في المنازل: فالرسل أعظم من الأنبياء منزلة، وأولوا العزم أفضل مكانة بين الرسل، ونبينا محمد ﷺ أفضل من جميعهم[1].

فقد جعل الله سبحانه و تعالى له ﷺ مكانة بين آنبيائه لم يعطها لأحد منهم فقد أخذ الله تعالى الميثاق على جميع الأنبياء وهم في علم الذرات أنهم متى ما آتاهم رسول اسمه محمد فعليهم أن يؤمنوا به وينصروه فأقروا على ذلك فشهد الله عليهم بهذا كما يتجلى من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ . فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ.﴾[2]

ومن هنا كان كل نبي يأتي يبشر بالنبي صلى الله عليه وسلم في استعداد منه أنه لو جاء الرسول في زمانه سيؤمن به وينصره، لأن الله أخذ العهد والميثاق عليه لئن بعث محمد صلى الله عليه وسلم في حياته ليؤمنن به ويترك شرعه لشرعه، وعلى ذلك فإن ذكره موجود عند كل الأنبياء السابقين.

---

(١) انظر : شرح عقائد النسفي ص ١٧٨

(٢) آل عمران : ٨١-٨٢

فهذا نبي الله تعالى إبراهيم وهو أبو الأنبياء يدعو لأمة النبي صلى الله عليه وسلم، كما جاء في الآيات التالية:

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آَيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(١)

ويحكي القرآن عن موسى عليه السلام بقوله تعالى:

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آَمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ.﴾(٢)

وقال الله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام:

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾(٣)

وقد ذكره الله تعالى في التوراة والإنجيل نعته لأهل الكتاب في كتبهم، فقد روى الحاكم في المستدرك من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: أوحى الله تعالى إلى عيسى: آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم، وأمر أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد

---

(١) البقرة : ١٢٩

(٢) الأعراف : ١٥٧

(٣) الصف :٦

ما خلقت آدم ولا الجنة ولا النار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه "لا إله إلا الله محمد رسول الله" فسكن(١).

ولقد أخبر النبي ﷺ عن اصطفاء الله تعالى له، فقد روى الإمام أحمد بسنده عن وائلة بن الأسقع رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال : «إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيلَ، واصطفى من بني إسماعيل بني كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشا، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»(٢).

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «بعثت من خير قرون بني آدم قرنا قرنا حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه»(٣).

وعند الإمام أحمد : «إن الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقه وجعلهم فريقين فجعلني في خير فرقة وخلق القبائل فجعلني في خير قبيلة وجعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم بيتا فأنا خيركم بيتا وخيركم نفسا صدق صلوات الله وسلامه عليه».(٤)

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله : «قال لي جبريل قلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد رجلا أفضل من محمد، وقلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد بني أب أفضل من بني هاشم» (٥).

---

(١) المستدرك، للحاكم ٣٨٧/٤.

(٢) المسند للإمام أحمد بن حنبل ٤٣٢/٢٨

(٣) الصحيح للبخاري، كتاب الفضائل ٢٤٣/٢

(٤) المسند للإمام أحمد بن حنبل ٨٧/٢٣

(٥) المستدرك للحاكم ٣٤٤/٣، ودلائل النبوة ٢٧٦/٤

وعـن أبـي هريـرة قـال ك قـال رسـول الله ﷺ: «أنـا سـيد ولـد آدم يـوم القيامـة، وأولمن ينشق عنه القبر، وأول من شافع وأول مشفّع ». [١]

وعـن أبـي سـعيد قـال : قـال رسـول الله ﷺ : « أنـا سـيد ولـد آدم ولا فخـر، وبيـدي لـواء الحمـد ولا فخـر، ومـا مـن نبـي يومئـذ آدم فمـن سـواه إلا تحـت لـوائي، وأنـا أول مـن تنشق عنه الأرض ولا فخر»[٢].

والحاصـل أن الله تعـالى فضّـل نبيـه ﷺ علـى جميـع الأنبيـاء والمرسـلين وخصّـه بعديـد مـن الخصـائص والميـزات التـي لـم تعـط أحـدا سـواه، فقـد قـام كثيـر مـن العلمـاء والباحثين بجمع تلك الخصائص، كما قال العلامة جلال الدين السيوطي:

"قلـت: وقـد دعـاني ذلـك لمّـا ألفـت التعليـق الـذي علـى البخـاري فـي سـنة بضـع وسـبعين وثمـان مائـة، إلـى تتبعهـا، فوجـدت فـي ذلـك شـيئاً كثيـراً فـي الأحاديـث والآثـار وكتـب التفسـير وشـروح الحـديث والفقـه والأصـول والتصـوف، فأفردتهـا فـي مؤلـف سـميته "أنمـوذج اللبيـب فـي خصـائص الحبيـب" وقسّـمتها قسـمين مـا خـصّ بـه عـن الأمـة وزادت عدة القسمين على ألف خصيصة"[٣].

وقال القاضي عياض:

"لا خـلاف أنـه ﷺ أكـرم البشـر، وسـيد ولـد آدم، وأفضـل النـاس منزلـة عنـد الله، وأعلاهم درجة ، وأقربهم زلفى، واعلم أن الأحاديث الواردة في ذلك كثيرة جدا"[٤].

وحينمـا يقابـل الإمـام البوصـيري أوصـاف النبـي ﷺ بأوصـاف مـن سـواه مـن الأنبيـاء والمرسـلين علـيهم السـلام، جعلـه ذا مرتبـة عاليـة حيـث لـم يسـاوه أحـد فكأنـه سـماء

---

(١) الصحيح لمسلم ٢/ ٣٤٣

(٢) سنن الترمذي ٢/ ٥٤٣

(٣) حاشية السيوطي على النسائي ١/ ٢١٠

(٤) الشفا ١/١٦٥

فوق كل السماوات، وهو مصباح فجميعهم تستفيد من نوره ويعطي لكل أحد منهم علوما من علمه حتى آدم، وهو ذو نسب عال حيث يتقلب بين الطاهرين والطاهرات[١]، يقول في همزيته:

كيف ترقى رقيّك الأنبياء   يا سماءً ما طاولتها سماء
لم يساوك في علاك وقد حا   ل سناً منك دونهم وسناء
إنما مثّلوا صفاتك للنّا   س كما مثّل النجوم الماء
أنت مصباح كلّ فضل فما تصـ   ـدر إلا عن ضوئك الأضواء
لك ذات العلوم من عالم الغيـ   ـب ومنها لآدم الأسماء
لم تزل في ضمائر الكون تختـ   ـر لك الأمهات والآباء[٢]

ويصف الرسول ﷺ بأنه يفوق الأنبياء والمرسلين في الصورة والسيرة، وما أعطى الله العلوم لأنبيائه فهي من علم النبي ﷺ [١]، يقول في القصيدة البردة:

---

(١) وهو كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن قريشا كانت نورا بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم بألفي عام يسبح ذلك النور .. فقال رسول الله ﷺ: «فأهبطني الله .... في صلب آدم .... ثم لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الكريمة والأرحام الطاهرة ، حتى أخرجني من بين أبوي لم يلتقيا علي سفاح قط». انظر كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض ١/١٦٥، السيرة النبوية لابن كثير ١/١٩٥-١٩٦.

وروى الحافظ أبو القاسم بن عساكر من طريق أبى الحسن بن أبي الحديد، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال : سألت رسول الله ﷺ ، فقلت : فداك أبي وأمي ، أين كنت وآدم في الجنة؟ قال : فتبسم حتى بدت نواجذه ، ثم قال : «كنت في صلبه ، وركب بي السفينة في صلب أبي نوح ، وقذف بي في صلب أبي إبراهيم ، لم يلتق أبواي على سفاح قط ، لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الحسيبة إلى الأرحام الطاهرة صفيا مهذبا ، لا تتشعب شعبتان الا كنت في خيرهما». انظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي٤/٣٢٨.

(٢) القصيدة الهمزية في مدح خير البرية ص ٢٣

فاق النبيين في خَلق وفي خُلُق　　ولـم يـدانـوه في علم ولا كـرم
وكلهـم مـن رسول الله مـلتمس　　غرفاً من البحر أو رشفاً من الديم
ووافقـون لــديــه عـند حدهم　　من نقطة العلم أو من شكلة الحكم
فـهـو الذي تم معناه وصورته　　ثم اصطفاه حبيباً باريء النسم
مـنـزه عن شريك في مـحاسنه　　فـجوهر الحسن فيه غير منفسم[٢]

أمـا الإمـام أحمـد رضـا خـان فقـد نظـم أيضـاً فـي الموضـوع نفسـه أبياتـا عديـدة، فهـو يصـف النبـي ﷺ بأنـه أعلـى وأفضـل مـن جميـع الخلـق حتـى الأنبيـاء والرسـل[٣]، وهـو صـاحب السـر مـع الله تعـالى ولا يشـركه أحـد فـي هـذا الوصـف لا نبـي مـن الأنبيـاء ولا ملك من الملائكة[٤]، وأنّ كل نبي قد مدحه في زمانه بأعلى الصفات والخصائل[٥].

يقول:

سب سے اولیٰ واعلیٰ ہمارا نبی　　سب سے بالا و والا ہمارا نبی

---

(١) وفي روح البيان: قال شيخنا العلامة أبقاه الله بالسلامة في "الرسالة الرحمانية فى بيان الكلمة العرفانية" علم الأولياء من علم الأنبياء بمنزلة قطرة من سبعة أبحر، وعلم الأنبياء من علم نبينا محمد عليه الصلاة والسلام بهذه المنزلة، وعلم نبينا من علم الحق سبحانه بهذه المنزلة، انتهى..... حاصله أن علوم الكائنات وإن كثرت بالنسبة إلى علم الله عز وجل بمنزلة نقطة أو شكلة ومشربها بحر روحانية محمد صلى الله عليه وسلم فكل رسول ونبي وولي آخذون بقدر القابلية والاستعداد مما لديه وليس لأحد أن يعدوه أو يتقدم عليه. تفسير روح البيان، للحقي ٤٠١/١.

(٢) ديوان البوصيري ص ١٨١

(٣) وهو كما سبق من الآيات والأحاديث .

(٤) هو إشارة إلى ما قاله النبي ﷺ «لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل». الرسالة القشيرية ص ١٥٦

(٥) وهو كما سبق من الآيات والأحاديث.

اپنے مولیٰ کا پیارا ہمارا نبی　　دونوں عالم کا دولہا ہمارا نبی

خلق سے اولیاء، اولیاء سے رسل　　اور رسولوں سے اعلیٰ ہمارا نبی

ملکِ کونین میں انبیا تاجدار　　تاجداروں کا آقا ہمارا نبی(١)

نبی سرورِ ہر رسول وولی ہے　　نبی رازدارِ مع اللہ لی ہے

ترے در کا درباں ہے جبریل اعظم　　ترا مدح خواں ہر رسول وولی ہے(٢)

وہ خدا نے ہے مرتبہ تجھ کو دیا نہ کسی کو ملے نہ کسی کو ملا

کہ کلامِ مجید نے کھائی شہا ترے شہر وکلام وبقا کی قسم(٣)

الترجمة:

- أن نبينا محمّدا ﷺ في مكانة أولية قصوى، وهو على أعلى الدرجات بين الخلق كافة، حبيب ربه وعريس كل من الكون، وهو نبينا محمّد ﷺ .
- وإن أولياء الله الصالحين افضل من عامة الخلق، وفوقهم جماعة الأنبياء عليهم السلام ، وأما نبينا ﷺ فهو أفضل من جميع الأنبياء والرسل صلوة الله عليهم وسلامه.
- وأن الأنبياء الكرام عليهم الصلوة والسلام لهم السيادة والملوكية في الكونين: الدنيا والآخرة، وأما ملك هؤلاء الملوك وسيد السادات، فهو نبينا محمّد ﷺ.
- إنّ النبي ﷺ سيد الأنبياء والأولياء، وهو صاحب السرّ مع الله تعالى، حيث قال: لي مع الله وقت.

---

(١) حدائق بخشش ص ٨٦

(٢) المصدر نفسه ص ١٢٣

(٣) المصدر نفسه ص ٤٧

- وأنت يا رسول الله! كالملك وجبريل كالحرّاس على عتبة بابك، وكل نبي وولي مدّاحُك.
- لقد أعطاك الله تعالى مرتبة عظيمة لم يدانك فيها أحد ولا يساويك، حيث أقسم الله تعالى في القرآن ببلدك، وكلامك، وعمرك.

****

المطلب السادس

شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة

قال الله تعالى مخاطباً النبي ﷺ : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾[(١)]

يعني أنه سبحانه وتعالى سيعطي عبده ورسوله محمدا ﷺ من فضله وكرمه ما يحصل له به تمام الرضا في الدنيا والآخرة.

قال الشوكاني:

"والظاهر أنه سبحانه يعطيه ما يرضى به من خيري الدنيا والآخرة، ومن أهم ذلك عنده وأقدمه لديه قبول شفاعته لأمته"[(٢)].

وقال تعالى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾[(٣)]

يقول العلامة محمد بن جرير الطبري في تفسير هذه الآية الكريمة:

" وتأويل الكلام : أقم الصلاة المفروضة يا محمد في هذه الأوقات التي أمرتك بإقامتها فيها، ومن الليل فتهجد فرضا فرضته عليك، لعل ربك أن يبعثك يوم القيامة مقاماً تقوم فيه محمودا تحمده، وتغبط فيه.

واختلف أهل التأويل في معنى ذلك المقام المحمود، فقال أكثر أهل العلم : ذلك هو المقام الذي هو يقومه ﷺ، يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم." [(٤)]

---

(١) الضحى : ٥

(٢) تفسير فتح القدير، للشوكاني ٦٤٩/٥

(٣) الإسراء :

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢٥٦/١٣

لقد يعطي الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ يوم القيامة عطايا عديدة، منها أنه أول من يكشف باب الشفاعة، كما وردت به آثار كثيرة بعضها كما يأتي:

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : «وأنا أول شافع، وأول مشفّعٍ يوم القيامة، ولا فخر»(١).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ : «خُيّرت بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة، لأنها أعمّ، أترونها للمتقين؟ لا، ولكنها للمذنبين الخطائين»(٢).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كنا مع النبي ﷺ في دعوة فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة، وقال: «أنا سيد القوم يوم القيامة، هل تدرون بم يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فيبصرهم الناظر، ويسمعهم الداعي وتدنو منهم الشمس، فيقول بعض الناس: ألا ترون إلى ما أنتم فيه؟ إلى ما بلغكم؟ ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس: أبوكم آدم فيأتونه، فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة، فسجدوا لك وأسكنك الجنة، ألا تشفع لنا إلى ربك؟ ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا؟ فيقول: ربي غضب غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله، ونهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحا، فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وسماك الله عبدا شكورا، أما ترى إلى ما نحن فيه ألا ترى إلى ما بلغنا؟ ألا تشفع لنا إلى ربك؟ فيقول: ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله نفسي نفسي ائتوا النبي ﷺ ، فيأتوني فأسجد تحت العرش فيقال: يا محمد ارفع رأسك واشفع تشفع وسل تعطه»(٣).

---

(١) سنن الترمذي ٤٣٣/٢

(٢) سنن ابن ماجة ١٣٢/٢

(٣) الصحيح للبخاري، كتاب حديث الأنبياء ٤٥٦/٢

وقد ورد في شفاة النبي ﷺ آثار عديدة وأخبار شتى وقام بجمعها كثير من العماء والباحثين، واعتنى بهذه الصفة شعراء الإسلام في شعرهم عبر العصور، ولم يتنحَّ جانباً منها الإمام البوصيري والإمام أحمد رضا خان، فنجد لديهما أبياتا في ذكر شفاعة النبي ﷺ كما يقول الإمام البوصيري في بردته:

هو الحبيب الذي ترجى شفاعته لكل هول من الأهوال مقتحم
إن لم يكن في معادي اخذا بيدي فضلا وإلا فقل يا زلة القدم
حاشاه أن يحرم الراجي مكارمه أو يرجى الجار منه غير محترم[١]

ويقول :

محمد طابت الدنيا ببعثته محمد جاء بالآيات والحكم
محمد يوم بعث الناس شافعنا محمد نوره الهادي من الظلم[٢]

ويقول:

وغدا من سوء ما قد جناه نادماً يقرع سنّاً ونابا
أفلا أرجوك لذنبي شفيعاً ما رجاه قط راجٍ فخابا[٣]
شفاعته لنا ولكل عاص بقدر ذنوبه منها ذنوب[٤]
وقفت بجاه المصطفى آماله فكأنه بذنوبه يتقرّب
وبدا له أنّ الوقوف ببابه باب لغفران الذنوب مجرب[٥]

---

(١) ديوان البوصيري ص ١٨٨
(٢) المصدر نفسه ص٢٣٠
(٣) المصدر نفسه ص ١٣
(٤) المصدر نفسه ص٢٣
(٥) المصدر نفسه ص٢٤

أما الإمام أحمد رضا خان فقد ذكر شفاعة النبي ﷺ في عدة قصائد، فبعض الأبيات هكذا:

پیشِ حق مژدہ شفاعت کا سناتے جائیں گے — آپ روتے جائیں گے ہم کو ہنساتے جائیں گے

وسعتیں دی ہیں خدا نے دامنِ محبوب کو — جرم کھلتے جائیں گے اور وہ چھپاتے جائیں گے(١)

ایک میں کیا مرے عصیاں کی حقیقت کتنی — مجھ سے سو لاکھ کو کافی ہے اشارہ تیرا

خوار و بیمار وخطا وار وگنہ گار ہوں میں — رافع ونافع وشافع لقب آقا تیرا(٢)

کیا ہی ذوق افزا شفاعت ہے تمہاری واہ واہ — قرض لیتی ہے گنہ پرہیز گاری واہ واہ(٣)

خلیل ونجی، مسیح وصفی، سبھی سے کہی، کہیں بھی بنی

یہ بے خبری کہ خلق پھری، کہاں سے کہاں تمہارے لیے(٤)

الترجمة:

- إنّ نبينا ﷺ يُبشّرنا يوم القيامة بالشفاعة، فيبعث في قلوب المذنبين بهذه البشارة الارتياح والسرور وهو يبكي في أمته.
- قد وسّع الله ذيل حبيبه ﷺ فمهما تكشف ذنوبهم يحجبها بذيله الواسع
- ما أنا وما حقيقة ذنوبي أمام رحمته الواسعة، إنما تكفي الإشارة منك للغفران ولو كان العصاة مآت آلاف مثلي.
- أنا محتقر ومريض ومخطئ وعاص، وأنت لُقّبت ياسيّدي بالرافع والنافع والشافع.

---

(١) حدائق بخشش ص ١٠٤

(٢) المصدر نفسه ٩

(٣) المصدر نفسه ص ٨٩

(٤) المصدر نفسه ص ٢٤٦، وفي هذا البيت تلميح إلى الحديث الذي أوردناه من الصحيحين

- إنّ شفاعة النبي ﷺ لطيف جداً والناس يحسون يوم الجزاء في شفاعته ارتياحاوفرحاً وهي تعجبهم، حيث يريد العصيان أهل الزهد والتقوى ليكون لهم الشفاعة.
- إن الخلق يدور يوم القيامة إلى جميع الأنبياء والمرسلين يطلب منهم الشفاعة حتى يأتون آدم صفي الله، ونوح نجي الله، وإبراهيم خليل الله، وعيسى المسيح عليهم السلام ولكنهم لا ينالون طلبهم إلى أن جاءوك، فتشفع لهم، والمقصود منه ليس إلا أن يعلم أصحاب الحشر مكانته ومنزلته عند الله.

****

المطلب السابع

ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم

لقد أنعم الله علينا إذ بعث فينا محمد ﷺ، وكانت ولادته سعيدة ومباركة، وهو سيد الكونين والثقلين ، نبي الحرمين وهو رحمة للعالمين، كما جاء في القرآن الحكيم: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾(١)

ولد النبي ﷺ بمكة أكرم البلاد وأعظمها، واختلف في عام ولادته ﷺ واتفق كثير من علماء الإسلام على أنه ولد في عام الفيل ، وحكي الاتفاق عليه، والمشهور أنه بعده بخمسين يوماً وقيل: بأربعين وقيل: بعشر سنين وقيل: غير ذلك.

ثم لدى الجمهور أنه ولد في شهر ربيع الأول، فقيل: ثانية، وقيل: ثامنة، وانتصر له كثيرون، قيل: وهو اختيار أكثر المحدثين، و قيل: عاشرة، وقيل: ثاني عشرة، وهو المشهور، وقيل: غير ذلك(٢).

وقال الدكتور أكرم ضياء العمري:

"والحق : أن الروايات المخالفة كلها معلولة الأسانيد ، وهي تفيد أن مولده بعد الفيل بعشر سنوات ، أو ثلاث وعشرين سنة ، أو أربعين سنة ، وقد ذهب معظم العلماء إلى القول بمولده عام الفيل ، وأيدتهم الدراسة الحديثة التي قام بها باحثون مسلمون ومستشرقون اعتبروا عام الفيل موافقاً للعام ٥٧٠م ، أو ٥٧١م." (٣)

---

(١) الأنبياء : ١٠٧

(٢) انظر: السيرة لابن هشام ١٧١/١، وطبقات ابن سعد ١٠٠/١، وتاريخ الطبري١٥٥/٢، السيرة لابن اسحاق ١٩٧/١، والبداية والنهاية ٢٥٩/٢، وزاد المعاد٧٦/١.

(٣) السيرة النبوية الصحيحة، للدكتور أكرم ضيا العمري ٩٧/١

وفـي روايـة مسـلم أنـه ولـد يـوم الإثنـين كمـا رواه أبـو قتـادة الأنصـاري رضـي الله عنـه قـال : سُـئِلَ النبـي ﷺ عَـنْ صَـوْمِ يَـوْمِ الاِثْنَـيْنِ ؟ قَـالَ : «ذَاكَ يَـوْمٌ وُلِـدْتُ فِيـهِ ، وَيَـوْمٌ بُعِثْتُ – أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ» [١].

صـور الإمـام البوصـيري مولـد الرسـول ﷺ بمـا يسـتحقه مـن تعظـيم وتبجيـل وجمـال وجـلال، لأنـه خيـر بشـرى للإنسـانية الـذين مـا زالـوا علـى الصـراط المسـتقيم نبـذوا الحـق والعـدل والخيـر، فالكائنـات كانـت مسـرورة بمولـده، وهـو يـذكر مـا وقـع عنـد ولادتـه مـن ارتجـاج إيـوان كسـرى وسـقوط أربـع عشـرة شـرافة مـن شـرفاته، وغـيض بحيـرة طبريـة، وخمـود نـار فـارس ومـا إلـى ذلـك، وهـو يفتخـر بنصـيب آمنـة أم النبـي ﷺ حيـث أنهـا ولدتـه وبولادتـه هـي تفـوق الحـواء ومـريم، فيهنـي لهـا علـى هـذه النعمـة الكبـرى، فيقـول فـي قصيدته الشهيرة "الهمزية النبوية في مدح خير البرية":

ومـحيّاً كالشّمس مـنك مضيئ   أسـفـرت عنـه لـيلة غرّاء
لَيـلـةُ الـمَولِدِ الذِي كَانَ لِلدِّي   نِ سُـرُورٌ بِـيَوْمِـهِ وَازْدِهَاءُ
وَتَوَالَتْ بُشْرَى الْهَوَاتِفِ أَنْ قد   وُلِدَالْمُصْطَفَى وَحَقَّ الْهَنَاءُ
وَتَـدَاعَـى إِيـوَانُ كِسرَى وَلَـولاَ   آيَـةٌ مِنـكَ مَا تَدَاعَى الْبِنَاءُ
وَغَـدَا كُلُّ بَيـتِ نَـارٍ وَفِـيـهِ   كـربَةٌ مِـنْ خُمُودِهَا وَبَلاَءُ
وَعُيُونٌ لِلْفُرْسِ غَارَت فَهَلْ كَا   نَ لِنِـيرَانِـهِـمْ بِـهَا إِطْفَاءُ
مَوْلِدٌ كَانَ مِنْهُ فِي طَالِعِ الْكُفْـ   ـرِ وَبَـالٌ عَـلَيـهِمُ وَوَبَـاءُ
فَـهَـنِـيئاً بِـــهِ لآمِـنَـةَ الْفَضْـ   ـلُ الذِي شُرِّفَتْ بِهِ حوَّاءُ
مَـن لِـحوَّاءَ أَنَّهَاحَمَلَـت أَحْـ   ـمَـدَ أَو أَنَّـهَا بِـهِ نُـفَسَـاءُ

---

(١) الصحيح لمسلم كتاب الصوم ١٦٦/٣

يَوْمَ نَالَتْ بِوَضْعِهِ ابنَةُ وَهْبٍ مِنْ فَخَار مَالَمْ تَنَلْهُ النِّسَاءُ
وَأَتَت قَومَهَا بِأَفضَلَ مِمَّا حَمَلَتْ قَبْلُ مَرْيَمُ الْعَذْرَاءُ
شَمَّتَتْهُ الأَملاَكُ إِذْ وَضَعَتْهُ وَشَفَتنَا بِقَولِهَا الشَّفَّاءُ(١)

ويقول في بردته:

أبان مولده عن طيب عنصره يا طيب مبتدأ منه ومختتم
يومٌ تفرَّس فيه الفرس أنهم قد أنذروا بحلول البؤس والنقم
وبات إيوان كسرى وهو منصدعٌ كشمل أصحاب كسرى غير ملتئم
والنار خامدة الأنفاس من أسفٍ عليه والنهر ساهي العين من سدم
وساءَ ساوة أن غاضت بحيرتها ورُد واردها بالغيظ حين ظمي
كأن بالنار ما بالماء من بلل حزناً وبالماء ما بالنار من ضرمِ
والجن تهتف والأنوار ساطعةٌ والحق يظهر من معنى ومن كلم
عموا وصموا فإعلان البشائر لم تسمع وبارقة الإنذار لم تشَمَ
من بعد ما أخبره الأقوام كاهِنُهُمْ بأن دينهم المعوجَّ لم يقمِ
وبعد ما عاينوا في الأفق من شهب منقضةٍ وفق ما في الأرض من صنم
حتى غدا عن طريق الوحى منهزمٌ من الشياطين يقفو إثر منهزم
كأنهم هرباً أبطال أبرهةٍ أو عسكرٌ بالحصى من راحتيه رمى
نبذاً به بعد تسبيحٍ ببطنهما نبذ المسبِّح من أحشاءِ ملتقم(٢)

---

(١) الهمزية النبوية في مدح خير البرية ص ١٢
(٢) ديوان البوصيري ص ١٨٤

أما الإمام أحمد رضا خان فيذكر مولد النبي ﷺ في منظومته السلامية، فهو يسلم على السويعات التي ولد فيها النبي ﷺ، ولم يذكر مثل الإمام البوصيري شيئاً من العجائب التي ظهرت عند ولادته، بل يذكر عقب ذلك من عاداته وخصائله في الصبا من أنه حين مضى إلى دار حليمة السعدية أضرت ضروع النياق اللبن بعد أن انقطعت عن الإدرار وأنه ﷺ كان يترك الثدي ليرضع رضيعه وغير ذلك من العادات الكريمة، يقول:

جس سہانی گھڑی چمکا طیبہ کا چاند　　اُس دل افروز ساعت پہ لاکھوں سلام

پہلے سجدے پہ روزِ ازل سے دُرود　　یادگاریِ اُمّت پہ لاکھوں سلام

زرع شاداب و ہر ضرع پُر شیر سے　　برکاتِ رضاعت پہ لاکھوں سلام

بھائیوں کے لیے ترکِ پِستاں کریں　　دودھ پیتوں کی نِصفَت پہ لاکھوں سلام

مہدِ والا کی قسمت پہ صدہا دُرود　　بُرجِ ماہِ رسالت پہ لاکھوں سلام

اللہ اللہ وہ بچپنے کی پھبَن!　　اُس خدا بھاتی صورت پہ لاکھوں سلام

اُٹھتے بوٹوں کی نشو و نَما پر دُرود　　کھلتے غنچوں کی نکہت پہ لاکھوں سلام

فضلِ پیدایشی پر ہمیشہ دُرود　　کھیلنے سے کراہت پہ لاکھوں سلام(١)

ترجمة الأبيات:

بليلة سعد أنار الظلام　　سلام عليها وألف سلام

عليه الصلاة عليه السلام

(١) حدائق بخشش ص ١٢٠-١٢١

وسـجـدتـه تـلك مـنـذ الأزل   عـلـى ذكـر أمـتـه لـم يـزل

عـليــه الـصــلاة عـليـه السـلام

سلام على الضرع وهو الحلوب   رضـاع عليه السلام وجوب

عـليــه الـصــلاة عـليـه السـلام

وعند الرضاع لمن يـرضعون   تـنـحى لـمـن مثله يـنعمون

عـليــه الـصــلاة عـليـه السـلام

ويا سعد حضن يضم الرسول   سلام على النجم يأبى الأفول

عـليــه الـصــلاة عـليـه السـلام

بـراءتـه شـاءهـا الـخـالـق   عـلـى صـورة رامـها الـوامـق

عـليــه الـصــلاة عـليـه السـلام

ربـيـع ويـورق فـيه الشـجـر   ألا حـبــذا نـفـحـة لـلزهر

عـليــه الـصــلاة عـليـه السـلام

وفـضل لـه من لدن أن ولد   وفــي مـلـعب قطما إن وجـد

عـليــه الـصــلاة عـليـه السـلام [١]

****

(١) المنظومة السلامية ص ١٢١-١٢٢

المطلب الثامن

المدح والثناء على النبي صلى الله عليه وسلم

لا شك أن النبي ﷺ له مكانة عالية رفيعة عند الله تعالى، ومع ذلك لم يخرج من العبدية، فهو عبد الله ورسوله، فنظراً إلى منزلته العالية وعبديته قد استشكل على الشعراء المادحين تعيين مرتبته ﷺ فهم مأمور بأن لم يبالغوا في مدحه إلى حدٍّ يتأثر منه وحدانية الله تعالى، ولم يقتصروا على وصفٍ لم يبلغ إلى مقام النبي ﷺ ، يقول الإمام أحمد رضا خان في هذا الصدد:

" مدح النبي ﷺ كالمشي على حد السيف، لو بالغت زاحمت الألوهية ولو قصرت ارتكبت النقيصة"[١]

يقول الأستاذ كوثر نيازي:

"الشعر مجال آخر والمديح النبوي أصعب أنواع الشعر من الغزل وغيرها من الأنواع الشعرية، يزلّ فيه الإنسان بدون شعور الخطورة وبدون التزام صور الأدب والحزم، فيضع الشاعر قدمه على جسر الصراط، حيث أن هناك محبة في جانبٍ والشريعة في جانبٍ آخر، لقد قال أحد الشعراء وهو يصور مشاعره عند قدومه إلى روضة الرسول ﷺ:

کس بیم و رجا کے عالم میں طیبہ کی زیارت ہوتی ہے

اک سمت محبت ہوتی ہے اک سمت شریعت ہوتی ہے

تكون زيارة طيبة في حالة تجمع بين الرجاء والخوف، لأنّ المحبة في جانبٍ والشريعة في جانبٍ آخر.

لكن هذه الحالة لا ينحصر وجدانها عند زيارة الروضة المباركة فقط، إنما يعاني الشاعر نفس المشكلة عند كل بيته في المديح النبوي ، فكل بيت في هذا المجال يعاني مشكلة التوفيق

(١) ملفوظات أعلى حضرت ص ١٣٤

بين مقتضيات المحبة ومقتضيات الشريعة، فالحق أن مراعاة الشريعة المجردة عن مشاعر الحب لا تبقى الشعر شعراً، كما أنّ مراعاة المحبة فقط قد تسبب انحرافاً عن الشريعة وانزلاقاً، فالأمر في الحقيقة مشكل جداً"(١).

وفي الحديث: عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال : قال رسول الله ﷺ: لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، فإنما أنا عبده ، فقولوا : عبد الله ورسوله(٢).

وإلى جانب هذه المشكلة العظيمة محبة الشعراء العشاق للنبي ﷺ تحثّهم على أن ينظموا القصائد في مدح حبيبهم، ولكن جلّهم لم يقوموا بمدحه، يقول العلاّمة بدر الدين الزركشي في هذا الخصوص:

"لهذا لم يتعاط فحول الشعراء المتقدمين كأبي تمام والبحتري وابن الرومي مدحه عليه السلام مع كونهم مسومين بالفصاحة والبلاغة بين الأنام، لأنّ مدحه عليه السلام كان من أصعب ما يحاولونه، فإن المعاني دون مرتبة والأوصاف دون وصفه وكل علوّ في حقه تقصير فيضيق على البليغ وصفه(٣)".

أما الآخرون فيقومون بالمديح النبوي في شعرهم ولكن مع اعترافهم بأنهم لم يتمكنوا من مدحه بما هو يستحقه، لأن الله تعالى يمدحه ويُثني عليه فماذا شعرنا ومدحنا؟ يقول عمر بن الفارض رحمه الله :

أرى كل مدح في النبي مقصرا   وإن بالغ المثني عليه وأكثرا
إذ الله أثنى بالذي هو أهله   عليه فما مقدار ما تمدح الورى(٤)

---

(١) الإمام أحمد رضا الحنفي، للأستاذ كوثر نيازي ص ٢٠-٢١

(٢) الصحيح للبخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله : واذكر في الكتاب مريم. ومسند الإمام أحمد ١٥٤/٤.

(٣) عصيدة الشهدة في شرح القصيدة البردة ص ٩٥.

(٤) ديوان ابن الفارض ص ٣٢٢.

وقال بعض الشعراء العاشقين فأحسن:

يا صاحب الجمال ويا سيد البشر   من وجهك المنير لقد نور القمر

لا يمكن الثناء كما كان حقه   *بعد از خدا بزرگ توئی قصہ مختصر*[1]

ويقول الإمام أحمد رضا خان البريلوي في هذا الصدد:

اے رضا خود صاحبِ قرآں ہے مداحِ حضور

تجھ سے کب ممکن ہے پھر مدحت رسول اللہ کی[2]

يا رضا! إذا أثنى الله الذي هو منزل القرآن على نبيه بما هو أهله، فكيف يُمكن لك أن تثني عليه.

فلنأت إلى صاحبينا لننظر ما ذا يقولان في هذا الخصوص؟

يقول الإمام البوصيري:

دع ما ادعته النصاري في نبيهم   واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

وانسب إلى ذاته ما شئت من شرفٍ   وانسب إلى قدره ما شئت من عظم

فإن فضل رسول الله ليس له   حد فيعرب عنه ناطق بفم

لو ناسبت قدره آياته عظماً   أحيى اسمه حين يدعو دارس الرمم

وكيف يدرك في الدنيا حقيقته   قوم نيام تسلّوا منه بالحلم

فمبلغ العلم فيه أنه بشر   وأنه خير خلق الله كلهم[3]

ويقول الإمام أحمد رضا خان البريلوي:

---

(١) كشف بردة ، للشيخ نفيس أحمد المصباحي ص٢٠٣

(٢) حدائقِ بخشش ص ١٠٢

(٣) ديوان البوصيري ص ١٨٥

سرور کہوں کہ مالک و مولیٰ کہوں تجھے   باغِ خلیل کا گلِ زیبا کہوں تجھے
حرِماں نصیب ہوں تجھے امید گہہ کہوں   جانِ مراد کانِ تمنا کہوں تجھے
تیرے تو وصف عیبِ تناہی سے ہیں بری   حیراں ہوں میرے شاہ میں کیا کیا کہوں تجھے
کہہ لے گی سب کچھ ان کے ثناخواں کی خامشی   چپ ہو رہا ہے کہہ کے میں کیا کیا کہوں تجھے
لیکن رضا نے ختم سخن اس پہ کردیا   خالق کا بندہ خلق کا آقا کہوں تجھے(١)

* * * * * *

ممکن میں یہ قدرت کہاں، واجب میں عبدیت کہاں
حیراں ہوں یہ بھی ہے خطا، یہ بھی نہیں وہ بھی نہیں
حق یہ کہ ہیں عبدِ الٰہ، اور عالمِ امکاں کے شاہ
برزخ ہیں وہ سرِ خدا، یہ بھی نہیں وہ بھی نہیں(٢)

- ما ذا أقول في مدحك يا رسول الله؟ أقول أنت سيد أم أنت مالك ومولى؟، أقول إنك زهر جميل في حديقة إبراهيم خليل الله عليه السلام.
- أنا سيّئ الحظ والطالع، فأنصب آمالي إليك، وأقول أنت ملاذي وملجائي.
- لك أوصاف وخصائل لا تدخل تحت حدي وإحصائي، فأنا مندهش متحير ماذا أنسب إليك من الخصال والأوصاف.
- إن سكوت مادحه في حقه كل شيئ فهو يسكت بعد أن قال ماذا أقول فيك.
- فمنتهى كلام الرضا وحاصله هو أنك عبد للخالق وسيّد للخلق كله.

---

(١) حدائق, بخشش ص ١١٥
(٢) المصدر نفسه ص ٧٣

- ليس بمقدور أحدٍ أن يقوم بما قام به رسول الله ﷺ من الخوارق والمعجزات، ولكن هو يسجد لله تعالى فماذا أعتقد فيه؟ وما حقيقته؟
- والحق أنه عبد لله تعالى وسيّد لجميع الخلائق، فهو برزخ بين الله سبحانه وبين خلقه.

وقبل أن ننتقل إلى المطلب التالي نقف برهةً لندرس ما هو المقصود لهما من مدح النبي ﷺ، والذي ليس فيه مرية ولا شك هو أنّ العشاق المادحين لا يقصدون من قرض الأبيات في مدح الرسول ﷺ الجاه والمال، بل حبّ النبي ﷺ إذا هيّج في قلوبهم أخذوا ينشدون الشعر، فهم لا يقصدون منه سوى الرضا، والقبول منه، وبما أنّ الإمام البوصيري والإمام أحمد رضا خان من العشاق الذين يفدون الرسول ﷺ أنفسهم بكل شوق ورغبة، فهما لا يقصدان من هذا المدح إلا ما يقصده العشاق المفدون، يقول الإمام البوصيري في القصيدة البردة:

ولم أرد زهرة الدنيا التي اقتطفت   يدا زهيرٍ بما أثنى على هرم[١]

ويقول في حائيته:

أمدائح لي فيك أم تسبيح   لو لاك ما غفر الذنوب مديح
حُدّثتُ أنّ مدائحي في المصطفى   كفارة لي والحديث صحيح[٢]

ويقول الإمام أحمد رضا خان:

ثنائے سرکار ہے وظیفہ ، قبولِ سرکار ہے تمنا
نہ شاعری کی ہوس نہ پروا، روی تھی کیا کیسے قافیے تھے[٣]

---

(١) ديوان البوصيري ص ١٨٩
(٢) المصدر نفسه ص ٤٤
(٣) حدائق, بخشش ص١٦٠

الترجمة: أريد من هذه الأبيات مدح النبي ﷺ فقط، وأتمنى منه القبول، لم يكن لي رغبة في قرض الأبيات ولا أبالي بأن يتأثر الروي والقوافي فينقد الشعراء القادمون ، لأن مطمح نظري هو المدح والثناء عليه.

وقد يفتخر الإمام بهذا المدح بأن من لاحظ قصائده جعله من الشعراء العظام، والحق أنه مادح النبي عليه السلام فحسب، يقول:

ہے بلبلِ رنگیں رضا، یا طوطیِ نغمہ سرا حق یہ کہ واصف ہے ترا، یہ بھی نہیں وہ بھی نہیں[١]

الترجمة: هذا الرضا هو عندليبُ حديقة الشعراء أو طوطيها؟ لا، هو ليس بهذا ولاذاك، بل الحق أنه واصف لك ومدّاح يا رسول الله!

ويقول في موضع آخر وهو بحق أن يقول :

ملکِ سخن کی شاہی تم کو رضا مسلم جس سمت آگئے ہو سکے بٹھا دیے ہیں[٢]

يا رضا لك سلطنة في مملكة الشعر والأدب وقد سلّمها الأدباء والشعراء، وقد بسطتّ نفوذه على كل أحدٍ حيث جئت.

لم يكتف الإمام أحمد رضا بأن يثني على النبي ﷺ في حياته فحسب، بل يتمنى بأن أذن له يوم القيامة ويُثني عليه تحت لواء الحمد، يقول:

صبا وہ چلے کہ باغ پھلے، وہ پھول کھلے کہ دن ہوں بھلے
لوا کے تلے ثنا میں کھلے، رضا کی زباں تمھارے لیے[٣]

---

(١) المصدر نفسه ص ٧٤

(٢) المصدر نفسه ص ٦٧

(٣) حدائقِ بخشش ص ٢٤٧

الترجمة: يا ليت الصبا تجري، والحديقة تخضر ثم تتفتح الأزهار وتسعد الأيام وهناك تحت اللواء الحمد يجري على لسان الرضا مديحك يا رسول الله.

وهناك فرق يسير بين هذين المادحين في هذا الخصوص، هو أن الإمام البوصيري كان ينشد الأبيات في شبابه لأبناء الدنيا بمدح وغيره، فقد كان شاعراً مفلقا وعانى في شبوبيته الكتابة والتصرف، وباشر الشعر في بلبيس،[1] فلما باشر شعر المديح النبوي في كهولته اعترف ما نظم في الماضي من مدح الأمراء والسلاطين، يقول في بردته:

خدمته بمديح أستقيل به ذنوب عمر مضى في الشعر والخدم

إذ قلّداني ما تخشى عواقبه كأنني بهما هدى من النعم[2]

أما الإمام أحمد رضا خان فشعره كله مملوء بحب النبي ﷺ، فلا نجد عنده بيتاً في مدح أبناء الدنيا من الأمراء والسلاطين، بل قيل له مرة أن ينظم قصيدة في مدح نواب "تانپاره" الذي كان له سلطة وملك آنذاك، فقال : إني لن أقوم ببيت في مدحه، فقرض قصيدةً في الآن نفسه[3]، يقول في آخره :

کروں مدح اہلِ دول رضا، پڑے اس بلا میں مری بلا

میں گدا ہوں اپنے کریم کا، مرا دین پارۂ ناں نہیں[4]

الترجمة : كيف أمدح أصحاب الثروة والدولة، أنا لا أخوض في هذه المصيبة العظيمة لأنّي فقير إلى حبيبي الكريم، وليس ديني بقطعة خبزٍ.

****

(١) انظر الزبدة في شرح البردة، لبدر الدين الغزي ص ١٤٣

(٢) ديوان البوصيري ص ١٨٩

(٣) انظر حياة أعل حضرت ٦٧/٢

(٤) حدائقِ بخشش ص ٧٣

المطلب التاسع

الحنين إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم

اتفق أهل العلم على أن خير البقاع كلها مكة المشرفة والمدينة المنورة، ثم اختلفوا بعده، أ مكة أفضل أم المدينة، فمنهم من يقول : إن مكة أفضل من المدينة، وآخرون يعتقدون بعكس ذلك، فكل من الفريقين يأتي بأحاديث الرسول ﷺ تؤيّد قوله[1]، وهذا الأختلاف يرجع إلى الفضيلة والبركة، أما حب العشاق فيقتضي أنهم يحبون المدينة أشد ما يحبون مكة وغيرها من الأماكن والبلدان، فهم يعتقدون أن ذات النبي ﷺ الذي محبته أساس الإيمان وأصله هو بالمدينة وهذا الترجيح هو مقتضى محبتهم وإيمانهم فقط، كما يقول الإمام أحمد رضا خان:

طیبہ نہ سہی افضل مکہ ہی بڑا زاہد

ہم عشق کے بندے ہیں کیوں بات بڑھائی ہے[2]

نحن نسلّم أن المدينة ليست بأفضل ، بل الأفضل هي مكة، والكلمة التي تجري على لساننا بتذكرة المدينة مرة بعد مرة إنما هي كلمة العشق والمحبة، فلا ينبغي البحث والتكرار على ذلك.

والذي يحثّهم على هذا الحب هي الأحاديث التي وردت في هذا الخصوص، منها كما يلي:

عن عائشة رضي الله عنها، قالت لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعك أبو بكر وبلال ، فجئت رسول الله ﷺ، فأخبرته فقال: «اللّهم حبّب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشدّ» ، وصححها وبارك لنا في صاعها ومدّها وانقل حماها فاجعلها بالجحفة[1].

---

(١) الصحيح للبخاري ، كتاب الحج باب فضائل المدينة ٢/١٢٣، السنن الكبرى ، للبيهقي ٤/٢٣٣، ومسند أحمد بن حنبل ١٨/ ٤٥٥

(٢) حدائق بخشش ص ١٢٨

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعك أبو بكر وبلال فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول:

كل امرئ مصبح في أهله   والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال إذا أقلع عنه الحمى يرفع عقيرته يقول:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة   بواد وحولي إذخر وجليل

وهل أردن يوما مياه مجنة   وهل يبدون لي شامة وطفيل

قال اللهم العن شيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة وأمية بن خلف كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء، ثم قال رسول الله ﷺ : «اللهم حبّب إلينا المدينة كحبّنا مكة أو أشد اللهم بارك لنا في صاعنا وفي مدنا وصححها لنا وانقل حماها إلى الجحفة»، قالت وقدمنا المدينة وهي أوبأ أرض الله، قالت: فكان بطحان يجري نجلا ،تعني ماء آجنا(٢).

وعن أبي زهير رضي الله عنه، أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تفتح اليمن فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، وتفتح الشأم فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، وتفتح العراق فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون» (٣).

والشعراء الذين يسكنون في بلاد بعيدة عن مدينة الرسول ﷺ لا ينفك ذكر المدينة من قصائدهم ، فنجد فيها ذكر زقاق المدينة، ونواحيها، وتلالها وربواتها،

---

(١) سنن ابن ماجة ٢/٢٣٣

(٢) المصدر نفسه

(٣) المصدر نفسه، والمعجم الكبير للطبراني ٧/٢٤٣

وكـذلك يبينـون كيفيـة الرحيـل إلـى المدينـة والرجـوع منهـا، وهـذا الإمـام البوصـيري يـذكر فـي همزيتـه أولا مـا قـام بـه بمكـة مـن الطـواف والسـعي والحلـق ورمـي الجمـار والصـلوة عند المقام وما إلى ذلك فيقول:

هَـــذِه عِـــدّة الـــمنازل لاَ مــا عُـــدَّ فِـيــهِ الـسِّـمَـاكُ وَالمعَـوَّاء
فَكَأَنِّي بِـهَــا أُرَحِّــلُ مِـن مَـ ـكَّةَ شَـمـساً سَمَاؤُهَا الْبَـيـدَاءُ
مَوْضِعُ الْبَيْتِ مَـهْبِطُ الْوَحْيِ مَأْوَى الرُّسْلِ حَيْثُ الأَنْوَارُ حَيْثُ الْبَهَاءُ
حَيْثُ فَرضُ الطَّوَافِ وَالسَّعْيِ والْحَلـ ـقِ وَرَمــيِ الــجِـمَارِ وَالإِهْدَاءُ
حَـبَّذَا حَـبَّـذَا مَـعَـاهِـدُ مِـنـهَا لَــم يُـغَــيِّـر آيَــاتِـهِـنَّ البلاَءُ
حَــــرَمٌ آمِــنٌ وَبَــيـتٌ حَـرَامٌ وَمَــقَـامٌ فِــيــهِ الـــمُـقَامُ تَلاَءُ
فَـقَـضَـيـنَــا بِـهَا مَنَاسِكَ لاَ يُحـ ـمَـدُ إلاَّ فِــي فِـعـلِهِنَّ الْقَضَاءُ

ثـم يرتحـل الشـاعر إلـى طيبـة بكـل شـوق ورغبـة، فـيحسّ أرض الحبيـب مملـوءة بالضـياء والمسـك، فلمـا وصـل إلـى قبـاء قـرّ دموعـه وفـرّ اصـطباره، فعنـدما قابـل الروضـة يـرى الـزُوّار كـأنهم لـم يمسـهم الضـراء والبأسـاء، فكلهـم يـدعون ويسـألون ويرغبـون فيهـا، ويـدمعون مـن أعيـنهم دموعـاً ، وبفنـاء كرمـه يسـتمطرون سـحائب القبـول والإنعـام ويسـتقيلون عثرات التقصير والآثام(١)، ويسلمون على رسول الله ﷺ ، يقول :

وَرَمَيـنَا بِـهَا الـفِـجَـاجَ إِلَى طَيـ ـبَـةَ وَالـسَّـيـرُ بِـالْمَطَايَا رِمَاءُ
فَأَصَبْنَا عَنْ قَوْسِهَا غَرَضَ الـقُر بِ وَنِـعـمَ الـخَبِيئَةُ الكَوْمَاءُ
فَـرَأَيْـنَا أَرْضَ الـحَـبِيبَ يَغُضُّ الطَّرْفَ مِنْهَا الضِّيَاءُ واللَّأْلاَءُ

(١) كما قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا.﴾ النساء :٦٤

فَكَأَنَّ الْبَيْدَاءَ مِنْ حَيثُ مَا قَا بَلَتِ العَينُ رَوضَةٌ غَنَّاءُ

وَكَأَنَّ البِقَاعَ ذُرَّت عَلَيهَا طَرَفَيهَا مُلاَءةٌ حَمرَاءُ

وَكَأَنَّ الأَرْجَاءَ يَنشُرُ نَشْرَ الْـ مِسْكِ فِيهَا الْجَنُوبُ وَالْجِرْبِيَاءُ

فَإِذَا شِمتَ أَوْ شَمَمْتَ رُبَاهَا لاَحَ مِنهَا بَرقٌ وَفَاحَ كِبَاءُ

أَيُّ نُورٍ وَأَيَّ نَورٍ شَهِدنَا يَوْمَ أَبْدَتْ لَنَا القِبَابَ قُبَاءُ

قَرَّ مِنْهَا دَمْعِي وَفَرَّ اصْطِبَارِي فَدُمُوعِي سَيْلٌ وَصَبْرِي جُفَاءُ

فَتَرَى الرَّكْبَ طَائِرِينَ مِنَ الشَّو قِ إِلَى طَيبَةٍ لَهُمْ ضَوْضَاءُ

فَكَأَنَّ الزُّوَّارَ مَا مَسَّتِ الْبَأْ سَاءُ مِنهُمْ خَلْقاً وَلاَ الضَّرَّاءُ

كُلُّ نَفْسٍ مِنْهَا ابْتِهَالٌ وَسُؤْلٌ وَدُعَاءٌ وَرَغبَةٌ وَابتِغَاءُ

وَزَفِيرٌ تَظُنُّ مِنهُ صُدُوراً صَادِحَاتٍ يَعتَادُهُنَّ زُقَاءُ

وَبُكَاءٌ يُغرِيهِ بِالعَيْنِ مَدٌّ وَنَحِيبٌ يَحُثُّهُ اسْتِعْلاَءُ

وَجُسُومٌ كَأَنَّمَا رَحضَتهَا مِنْ عَظِيمِ المَهَابَةِ الرُّحَضَاءُ

وَوُجُوهٌ كَأَنَّمَا أَلبَسَتهَا مِنْ حَيَاءٍ أَلوَانَهَا الْحِرْبَاءُ

وَدُمُوعٌ كَأَنَّمَا أَرْسَلَتهَا مِنْ جُفُونٍ سَحَابَةٌ وَطْفَاءُ

فَحَطَطْنَا الرِّحَالَ حَيْثُ يُحَطُّ الْوِزْرُ عَنَّا وَتُرفَعُ الْحَوْبَاءُ

وَقَرَأْنَا السَّلاَمَ أَكْرَمَ خَلْقِ اللهِ مِنْ حَيْثُ يُسْمَعُ الإِقْرَاءُ(١)

فلما حضر العاشق إلى روضة النبي ﷺ يغيب عن عن إحساسه لما استولى عليه من سبحات الجلال ونسمات الجمال، ويسكت عن الكلام ما دام في تلك الحضرة العلية، فلا كلام منه بمايريده ولا إشارة منه بوجه إلى ما يطلبه، يقول:

---

(١) المنح المكية في شرح الهمزية النبوية ص ١٣

وَذَهِلْنـَا عِـنْـدَ اللِّقَاءِ وَكَمْ أَذْ   هَـلَ صَـبّاً مِنَ الْحَبِيبِ لِقَاءُ
وَوَجَـمْـنَا مِـنَ الْمَهَابَةِ حَتَّى   لاَ كَــلاَمٌ مِـنَّا وَلاَ إِيـمَـاءُ(١)

وبعـد ذلـك يرجـع إلـى موطنـه وبـلاده ويلتفـت قلبـه كثيـراً جـدا برعايـة المقـام، وينعطـف جسمه إلى البقاء في حضرته أبداً إن تيسر، وإلا فإلى تكرر زيارته ﷺ ، يقول:

وَرَجَـعْـنَـا وَلِلـقُلُوبِ الْـتِفَاتَا   تٌ إِلَيْـهِ وَلِلْجُـسُومِ انْثِنَاءُ
وَسَمَحْنَا بِمَا نُحِبُّ وَقَدْ يَسْ   مَحُ عِنْدَ الضَّرُورَةِ الْبُخَلاَءُ(٢)

أمـا الإمـام أحمـد رضـا خـان فهـو أيضـاً كـان مـن العشـاق الـذين يحبـون المدينـة حباً جماً، فيعدّ مكة ذات عزٍ وشرفٍ فيرى تعظيمها من الواجبات الأولية، حيث يقول:

حرم کی زمیں اور قدم رکھ کے چلنا   ارے سر کا موقع ہے او جانے والے(٣)

الترجمـة: فـي أرض الحـرم لا ينبغـي أن يمشـي أحـد علـى الأقـدام، بـل عظمتهـا تقتضي أن يمشي بالرأس يعني أن يبالغ في إكرامها.

هـذا مـا هـو العظمـة والجـلال فـي قلبـه لحـرم مكـة وهنـاك أبيـات لـه فـي هـذا الموضوع، ولكنه إذا فرغ من مناسك الحج بمكة يخاطب الحجاج، ويقول:

حاجیو آؤ شہنشاہ کا روضہ دیکھو   کعبہ تو دیکھ چکے کعبے کا کعبہ دیکھو(٤)

أيّهـا الحجـاج ! تعـالوا نـذهب إلـى مدينــة الرسـول ونـزور هنـاك روضــة النبــي ﷺ سيدنا، فقد فرغتم من زيارة الكعبة فزوروا الآن ما هي كعبة الكعبة.

---

(١) المصدر نفسه
(٢) المصدر نفسه ص ١٤
(٣) حدائقِ بخشش ص ١٠٦
(٤) المصدر نفسه ص ٨٤

ثم يأتي بالقصيدة بكاملها وفي كل بيت يقابل بين بلدة مكة والمدينة في وصف من أوصافهما، وفي ختام القصيدة يدعي أن زيارة روضة الرسول عقيب أداء فريضة الحج، هو أمر تعبدي من الله تعالى، يقول:

غور سے سن تو رضا کعبہ سے آتی ہے صدا

میری آنکھوں سے مرے پیارے کا روضہ دیکھو[1]

استمع يا رضا واصغ، إلى الكعبة فينادي منادٍ منها، أن انظروا إلى روضة حبيبي بالأعين التي أعطيتها إياكم.

فكما درسنا عند الإمام البوصيري كثيراً من الأبيات التي أورد فيها الإمام ذكر الرحلة من مكة إلى المدينة وكيفية حضوره في جناب النبي ﷺ والسلام والدعاء عند روضته ثم الرجوع منا إلى بلاده، هكذا نجد عند الإمام أحمد رضا قصيدةً طويلةً يذكر فيها كيفية الترحال من ههنا إلى هناك، وخصائص روضة النبي ﷺ، ويسلم عليه، وإليكم بعض الأبيات منها:

شکرِ خدا کہ آج گھڑی اس سفر کی ہے

جس پر نثار جان فلاح وظفر کی ہے

کعبہ کا نام تک نہ لیا طیبہ ہی کہا

پوچھا تھا ہم سے جس نے کہ نہضت کدھر کی ہے

ہم گردِ کعبہ پھرتے تھے کل تک اور آج وہ

ہم پر نثار ہے کہ ارادت کدھر کی ہے

(١) المصدر نفسه ص ٨٧

ہاں ہاں رہِ مدینہ ہے غافل ذرا تو جاگ
او پاؤں رکھنے والے یہ جا چشم و سر کی ہے
محبوبِ ربِ عرش ہے اس سبز قبہ میں
پہلو میں جلوہ گاہ عتیق و عمر کی ہے
مجرم بلائے آئے ہیں جاؤک ہے گواہ
پھر رد ہو کب یہ شان کریموں کے در کی ہے(١)

الترجمة:

- نشكر الله تعالى بأن تيسّر لنا هذه السويعات التي اختصّت بالسفر المبارك الذي نفدي عليه كل نجاح وظفر.
- وما سألنا أحد عن هذه الرحلة إلا قلنا في جوابه: نحن نسافر إلى المدينة ولم يجر لعى لساننا اسم الكعبة.
- كنا نطوف حول الكعبة ونفديها أنفسنا، ولكنّ اليوم حين أردنا المدينة قد انعكس الأمر، فهي تفدينا لهذه الرحلة المباركة.
- نعم، هذا هو سبيل إلى إلى مدينة الرسول ﷺ، ولا تمش عليه راجلاً، بل امش عليه بالعين والرأس تعظيماً له.
- وفي هذه القبة الحضراء محبوب رب العرش وفي جنبه عتيق وعمر رضي الله عنهما.

(١) المصدر نفسه ص١٣٣-١٤٤

• جاء المذنبون للاستشفاع حسب ما اقتضاه قوله تعالى:﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا.﴾(١)، فمن يأتي آملاً راجياً لا يردّ خائباً فاشلاً.

ولا ريب أن حب النبي ﷺ دبّ في جسد الإمام أحمد رضا خان، وجذوره عميقة، واقتضاء هذه المحبة أن يضطرب هذا الإمام لزيارة روضة النبي ﷺ، وهو يحسّ أن الروح والقلب والوعي والعقل تصل إليها قبل وصوله نفسه، يقول:

جان ودل ہوش وخرد سب تو مدینہ پہونچے

تم نہیں چلتے رضا سارا تو سامان گیا(٢)

يا رضا إن الروح والقلب والوعي والعقل كلها طارت عني ووصلت إلى المدينة فلم يبق لك إلا اللحم والعظم، فلك أن تصل إليها على الفور.

ومرة يفقد قلبه ولم يجده عنده ولا يطيق أن ينقب عنه، فيدعو عباد الله أن يبحثوا عن قلبه المفقود، يقول:

ارے اے خدا کے بندو! کوئی میرے دل کو ڈھونڈو

مرے پاس تھا ابھی تو ابھی کیا ہوا خدایا

نہ کوئی گیا نہ آیا(٣)

الترجمة: يا عباد الله ! فقدت قلبي، فابحثوا عنه كان عندي قبل سويعات ولم أجده الآن، لم يأت آتٍ ولم يذهب ذاهب ليذهب به فأين هو؟

---

(١) النساء : ٦٤

(٢) حدائق بخشش ص ٣٣

(٣) المصدر نفسه ص ٢٥٥

ثم يتخيل أنهم يبحثون عنه حتى يجدوه في حضرة النبي ﷺ ويجيبوه قائلين:

ہمیں اے رضا ترے دل کا پتہ چلا بہ مشکل

درِ روضہ کے مقابل وہ ہمیں نظر تو آیا

یہ نہ پوچھ کیسا پایا[١]

الترجمة: يا رضا! إنا قد عثرنا على قلبك المفقود بجهدٍ كثيرٍ، ورأيناه أمام روضة النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن لا تسئل كيف وجدناه؟

وقبل أن نلتفت إلى الأبيات التي تصور كيفية رجوع هذا الإمام من بلدة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الهند، نقف برهةً لندرس ما هو الطريق الأفضل للزيارة عند الإمام أحمد رضا خان، ليكشف عما نسب إليه من الأقوال في هذا الصدد، لأن عامة الناس حينما يحضرون على قبور الأولياء والصالحين يقومون ببدعات كثيرة لجهلهم وسذاجتهم، فكثيراً رأيناهم يسجدون للضرائح ويطوفون بها وينحنون إليها ويقبلونها.

فقد كتب الإمام أحمد رضا خان على هذا الموضوع كتاباً سمّاه "الزبدة الزكية لحرمة سجود التحية"، فظهر من اسم الكتاب أنه يرى السجود على وجه التعظيم حراماً، فقد أتى في الكتاب نفسه أولاً على هذه الحرمة ببراهين من الآيات والأحاديث ونصوص الفقهاء، وثانياً ذكر السجود إلى القبور، فقد قسم هذا السجود إلى قسمين: السجود على وجه العبادة والسجود على وجه التعظيم، وبيّن حكم القسمين، فقال: إن هذه السجدة إن كان بنية العبادة فكفر، وإن كان بقصد التعظيم فحرام، وكذا الانحناء والركوع والتقبيل أيضاً حرام عنده، وقد أتى في تأييد ذلك بمائة وخمسين من النصوص الفقهية[٢].

---

(١) المصدر نفسه

(٢) انظر الزبدة الزكية لحرمة سجود التحية، للإمام أحمد رضا خان

يرى إمامنا أن السجود لو كان جائزاً لأحد غير الله تعالى لكان رسول الله ﷺ أحقّ أن يُسجد له، ولكنه لما حضر في حضرة النبي ﷺ، وقلبه الذي مملوء بحب الرسول جعل يضطرب ويتماطل ويريد أن ينحني رأسه ولكنه لم يُذهل عن أحاسيسه ومشاعيره، حيث يقول:

پیشِ نظر وہ نو بہار، سجدے کو دل ہے بے قرار
روکیے سر کو روکیے ، ہاں یہی امتحان ہے(١)

الترجمة: الآن أمامي وجه الرسول ﷺ الذي كالزهر في الفصل الربيع، والقلب مضطرب ومتشوق إلى السجود، ولكنّ هذا هو امتحان فلا تركع ولاتنحن رأسك لتكون فائزاً في هذا الامتحان.

ومرةً يقابل بين فضائل آدم ويوسف عليهما السلام ويقوم بسؤال، ويقول نرى أنهما كانا مسجودين فلم لا يسمح للسجود إلى النبي ﷺ مع أنه أحق منهما، فيجيب نفسه، انظروا هذا البيت:

نہ ہو آقا کو سجدہ آدم و یوسف کو سجدہ ہو
مگر سدِّ ذرائع داب ہے اپنی شریعت کا(٢)

الترجمة: لو لم تمنع شريعتنا من السجود لغير الله تعالى لكان النبي ﷺ أحق من آدم ويوسف عليهما السلام أن يُسجد له.

هذا هو ضريح الرسول ﷺ الذي هو سيّد الإنس والجان أجمعين، والإمام أحمد رضا خان يرى السجود والانحناء إليه حراما، فكيف إذا كان قبر من دون النبي ﷺ، ولكن الأسف كل الأسف أنه نُسبت إلى هذا الإمام بدعة السجود إلى القبور، وقد صان الله هذا العالم النبيل من مثل هذه الخرافات والبدعات والمنكرات.

---

(١) حدائق بخشش ص ١١٧

(٢) المصدر نفسه ص ٢٥

لقد نبه الإمام أحمد رضا خان بأن الأفعال المنكرة عند زيارة روضة النبي ﷺ لا يصدر إلا لمن لا يحب النبي ﷺ وقلبه يحب غيره، فيفقد عقله ووعيه، وهو يدعو الله أن لا يبعد عنه القلب ولا يسلب العقل والوعي عند الزيارة، يقول:

دل کو ان سے خدا جدا نہ کرے　　بے کسی لوٹ لے خدا نہ کرے

اس میں سجدہ ہوکے روضہ کاطواف　　ہوش میں جو نہ وہ کیانہ کرے[1]

الترجمة: يارب! لا تُبعد القلب عنه فيسلب العجز عنا ما لنا من العقل والوعين ومن لم يبق له عقل ولا وعي بسبب بُعدِ قلبه عن النبي ﷺ فيسجد للروضة ويطوف بها.

فلنأت إلى نهاية الموضوع ونرى كيف يضطرب قلب الإمام وقت الرحلة من مدينة الرسول ﷺ إلى بلده، فيقول:

خراب حال کیا دل پر ملال کیا
تمہارے کوچہ سے رخصت کیا نہال کیا
نہ روئے گل ابھی دیکھانہ بوئے گل سونگھی
قضا نے لاکے قفس میں شکستہ بال کیا
یہ رائے کیا تھی وہاں سے پلٹنے کی اے نفس
ستم گر الٹی چھری سے ہمیں حلال کیا
مدینہ چھوڑ کے ویرانہ ہند کا چھایا
یہ کیسا ہائے حواسوں نے اختلال کیا[2]

---

(١) المصدر نفسه ص ٩٥

(٢) المنح المكية ص ٣٥٦

الترجمة:

- يارسول الله! إن رحلتنا من أزقتك قد أدخلتنا في الشدة وأساءت حالنا، وأقلقت قلوبنا، فلم تتحقق آمالنا.
- لم نر وجه الأزهار ولم نشمّ شمائمها بعد، حيث أحكم القدر ترحالنا إلى أوطاننا.
- يا نفس لم حكمتِ الرحلة من هناك، فقد ظلمتِ ظلماً شديداً أيها الظالمة!
- كيف كانت الحواس اختلت؟ حيث تركت الأرض المخضرة المعمورة المدينة واخترت خرابات الهند مكانها.

وقد لاحظنا فيما سبق أن الإمام البوصيري يقول أن الرجوع إلى الموطن هو الجود منه وكان يحب دوام الحضور في جناب النبي ﷺ وعدم مفارقته، ويعدّ هذا العود إلى الديار للضرورة فيخفف الملام عنه ، إذ الضرورات تبيح المحظورات، حيث يقول:

وَسَمَحْنَا بِمَا نُحِبُّ وَقَدْ يَسْ مَحُ عِنْدَ الضَّرُورَةِ الْبُخَلاَءُ(١)

أما الإمام أحمد فسبب العود إلى الوطن عنده أيضاً ما هو السبب لدى البوصيري، ولكنه لا يراه من الضرورات التي تبيح المحظورات، بل يعبر عنه بالظلم والعصيان، يقول:

یادِ وطن ستم کیا دشتِ حرم سے لائی کیوں

بیٹھے بٹھائے بد نصیب سر پہ بلا اٹھائی کیوں(٢)

الترجمة: قد ظلمنا تذكار الموطن فارتحلنا من غابة الحرم، كنا في هدوء واطمئنان وسكون فتكبّدنا العناء والمشقة.

(١) حدائق بخشش ص ١٤

(٢) المصدر نفسه ٦٣

وبعد الرجوع من مدينة الرسول لا يزال يذكرها ويقول:

جب سے آنکھوں میں سمائی ہے مدینہ کی بہار
نظر آتے ہیں خزاں دیدہ گلستاں ہم کو[١]

الترجمة: ومنذ رأينا مدينة الرسول ﷺ وربيعها، ما أعجبني شيئ من الحدائق التي تفتح فيها الأزهار، وكأنها أصابها موسم الخريف وإن هو موسم الربيع.

****

(١) المصدر نفسه ٦٣

خاتمة البحث

إذا أمعنا النظر في القرآن الكريم نجد كثيراً من الآيات التي تشتمل على مدح الرسول والثناء عليه ، وتلك الآيات تدلّ على الموضوع بعبارة النص، أما بإشارة النص، أو بدلالة النص، أو باقتضاء النص فجميع القرآن عبارة عن مدح الرسول ﷺ جزءً جزءً وسورةً سورةً وآيةً آيةً، بل وجملةً جملةً وكلمةً كلمةً وحرفاً حرفاً أيضاً.

والمديح النبوي ﷺ غرض سام من أغراض الشعر عبر القرون ونجد أن أوليات الشعر في مدح النبي ﷺ هي البشائر التي بشر بها علماء أهل الكتاب قبل مولد النبي ﷺ من أنه سيأتي نبي وصفه كذا وكذا وفق ما وجدوه في الكتب والصحف المنزلة عليهم، وهذه البشائر هي التي تتضمن ذكر بعثة النبي ﷺ وأخلاقه وأوصافه، وفي هذا الخصوص يذكر تبع وورقة بن نوفل، ثم القصائد التي قالها جد النبي صلى الله عليه وسلم عبد المطلب، وعمه أبي طالب في صباه، وبعد البعثة نجد حسان بن ثابت وكعب بن ومالك وعبد الله رواحة وكعب بن زهير وكثير من الصحابة الذين قرضوا قصائد جمة في مدح الرسول ﷺ، وبعد الصحابة نجد اهتماماً خاصاً لمدح الرسول ﷺ عند الشعراء المسلمين في كل عصر ومصر.

وهناك أرض مصر، وهي التي اكتسبت شهرة من نواحي شتى، لأنها مهد العلم والأدب والحضارة والثقافة منذ العصور القديمة ، فقد نبغ فيها رجال العلم والدب، والعالم اعترف لهم الفضل والمجد في ميادين مختلفة من العلوم والفنون، ونجد من بين هؤلاء الرجال الإمام شرف الدين البوصيري، وهو الذي اشتهر في فن المديح النبوي في العصر المملوكي حتى عُدّ رائداً للمدائح النبوية في الأدب العربي.

وكـذلك أرض هنـد لـم تقـل شـهرتها، أيضـاً فقـد أنجبـت هـذه الأرض شخصـيات ونوابـغ تركـوا آثـاراً عميقـة فـي مجـال العلـم والأدب علـى المسـتوى الـدولي ومـن أولئـك النوابـغ شخصـية الإمـام أحمـد رضـا خـان البريلـوي، فقـد ظهـر علـى سـماء العلـم والأدب كالشـمس فـي آخـر القـرن التاسـع عشـر وفـي بدايـة القـرن العشـرين ولـم تشـرق شـبه القـارة الهنديــة فحســب، بــل العــالم الإســلامي كلــه، وهــو فــي الحقيقــة كــان جامعــاً للعلــوم الإسـلامية كلهـا كالتفسـير والحـديث والفقـه والتصـوف ومـا إلـى ذلـك، وقـد تـرك فـي هـذه العلـوم مؤلفـات شـتى ولكـن إلـى جانـب ذلـك قـد قـرض القصـائد فـي مـدح الرسـول صـلى الله عليـه وسـلم، ونالـت هـذه القصـائد شـهرة عظيمـة وقبـولا مـن الأدبـاء والعلمـاء وعامـة الناس على سواء.

وفـي هـذا البحـث المتواضـع درسـنا قصـائد الإمـام البوصـيري والإمـام أحمـد رضـا خـان البريلـوي، حيـث نـرى أن حـب النبـي ﷺ كـان يجـري كالـدم فـي روحهمـا وجسـدهما، فهمــا يتيقنــان أنــه بعــث الله سـيدنا محمداً ﷺ رحمــةً للعــالمين وخــاتم النبيــين ومقامــه بــين الأنبيـاء والمرسـلين كـالقمر بـين الكواكـب وزيّـن الله الأرض والسـماوات بوجـود نبيـه صـلى الله عليه وسلم.

فنـدرك أن الإمـام البوصـيري والإمـام أحمـد رضـا خـان البريلـوي مـع كـون أحـدهما شـاعراً عربيـاً والآخـر شـاعراً أرديـاً ، يتفقـان فـي صـدق الحاسـة وابتكـار الأسـلوب، وجـدة المعاني وقوة االإقناع والتأثير في النفوس.

فقد توصلت خلال بحثي هذا إلى نتائج هامة منها:

- أن بدايــة المـديح النبـوي كـان فـي صـورة البشـائر التـي بشـر بهـا علمـاء أهـل الكتاب من أنه يأتي نبي يكون خاتم النبيين ووصفه كذا وكذا.

- هناك نجد كثيرا من القصائد التي تصف لنا خصائل النبي ﷺ في صباه وفي شبابه كقصيدة جده عبد المطلب وعمه أبي طالب وأمه آمنة بنت وهب وغيرها.
- اهتم الصحابة بمدح النبي ﷺ، وقرضوا قصائد في مجال المديح النبوي، وتفرد في هذا المضمار ثلاثة شعراء من أصحابه، وهم كعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت رضي الله عنهم، إنهم ما زالوا يمدحونه عليه السلام ويصفونه ويذبون عنه ويدفعون عن دينه، ويهجون الكفار والمشركين ويثلبونهم طيلة حياتهم وهؤلاء الثلاثة هم في طليعم الشعراء المادحين.
- يعد همزية حسان بن ثابت من أجمل ما قيل في المديح النبوي لا سيما هاتان البيتان

أجمل منك لم تر قط عيني   وأحسن منك لم تلد النساء
خلقت مبرءا من كل عيب   كأنك قد خُلقت كما تشاء

- وبعد الصحابة ما زال الشعراء المسلمون يمدحونه عليه السلام بقصائدهم على كر الأيام ومر العصور حتى عُرف المديح النبوي كفن من الفنون التي اعتنى بها الأدباء والباحثون.
- لقد قرض الإمام البوصيري في هذا الخصوص عدة من القصائد ومن أشهرها "القصيدة البردة" والتي تعتبر أهم القصائد بين المدائح النبوية وقيل عن سبب قرضه أنه أصابه فالج أبطل نصفه ففكر في عمل قصيدته هذه فعملها واستشفع بها إلى الله تعالى أن يعافيه وكرر إنشادها وبكى وجعى وتوسل ونام فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فمسح على وجعه

بيده المباركة وألقى عليه البردة فانتهب ووجد فيه نهبة، فسمي القصيدة بـ "البردة".

- أجاد الإمام البوصيري في قصائده وأحسن وأعطى المديح النبوي لوناً جديداً حتى اعتبر لدى الأباء رائداً للمدائح النبوية.
- لقد اتسع فن المديح النبوي من اللغة العربية إلى اللغات الحية الأخرى في العالم كالفارسية والأردية وغيرهما.
- تأثر الشعراء الهنود من العربية والفارسية فقرضوا في اللغة الأردية قصائد جمة حول المديح النبوي، وتسمى هذه القصائد بـ "نعت" في الأردية.
- حب الشعراء الهنود للنبي ﷺ وبُعدهم عن مدينة الرسول أيضاً سبب لقرضهم القصائد في المديح النبوي.
- الحنين إلى مدينة الرسول عُرف كموضوع جديد عند الشعراء الهنود وشعراء البلاد البعيدة عنها ولم يعرف هذا الموضوع عند الصحابة.
- لقد قام الإمام أحمد رضا خان البريلوي بقرض القصائد في المديح النبوي في اللغات الثلاث: العربية والفارسية والأردية، ولكن معظم قصائده والذي نحن بصدده في اللغة الأردية.
- استخدم الإمام أحمد رضا في شعره المصطلحات الأدبية التي تُعهد في الأدب الأردي ولكن قلما وجدت كالقصيدة المقطوعة وصنعة التلميع وغيرها، وكذلك قال في الثناء على النبي ﷺ ما يستحقه من المدح والثناء، حتى عُد من كبار المادحين في الأوضاع الأدبية واعتبره الأدباء والباحثون إماماً في المديح النبوي في الأردية وقالوا عن شعره: "كلام الإمام إمام الكلام".

- إن كل أحد من الإمام البوصيري والإمام أحمد رضا خان البريلوي اهتم في شعره بالاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وأقوال الأئمة، وكذا استخدما التشبيه والاستعارة والكناية والتضمين والطباق والجناس وما إلى ذلك من المحسنات اللفظية والمعنوية.
- يحتل الإمام البوصيري مكانة عظيمة في الأدب العربي، وكذا يحتل الإمام أحمد رضا خان البريلوي مكانة مرموقة من بين شعراء الأردية والفارسية، أما الذي يجعل الإمام أحمد رضا خان يفوق على صاحبه هو أنه قد قرض القصائد في العربية أيضاً وكذا أنه قد تُرجم كثير من شعره الأردي إلى العربية ونال الإعجاب والقبول والاحترام من العرب، ولم يقدر للإمام البوصيري ذلك، حيث لم يقل إلا بالعربية فحسب، ومع مكانته السامية في العرب لم يترجم شعره إلى لغة أخرى منظومة.
- أنهما يتفقان في كثير من الموضوعات والأغراض الشعرية خلال المديح النبوي، ومن تلك الموضوعات: الصلوة على النبي ﷺ، ومعراج الرسول ﷺ ومعجزات النبي ﷺ ، وأخلاق النبي ﷺ وشمائله، ومكانة النبي صلى الله عليه وسلم بين الأنبياء والرسل، وحسن وجه الرسول ﷺ، وشفاعة النبي ﷺ، والحنين إلى مدينة الرسول ﷺ.

****

قائمة المصادر والمراجع

- **القـرآن الكـريم**. برواية حفص عن عاصم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. المدينة المنورة . المملكة العربية السعودية.

أولاً ـــــــ التفسير

- **البحـر المحـيط فـي التفسـير**. أبو حيان الأندلسي، تحقيق صجقي محمد جميل، دار الفكر بيروت ١٤٢٠هـ.
- **التفسـير للبيضـاوي**. القاضي ناشر الدين البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- **التفسـير الكبيـر ومفـاتيح الغيـب**. الإمام محمد الرازي فخر الدين، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان.
- **تفسـير الكشـاف**. أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار المعرفة بيروت لبنان.
- **الجـامع لأحكـام القـرآن**. أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان.
- **جـامع البيـان فـي تأويـل القـرآن**. محمد بن جرير الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
- **الـدر النثـور فـي التفسـير بالمـأثور**. جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة ٢٠٠٣م.
- **روح البيـان فـي تفسـير القـرآن**. الشيخ إسماعيل الحقي بن مصطفى الحنفي البروسوي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- **روح المعـاني فـي تفسـير القـرآن العظـيم والسـبع المثـاني**. شهاب الدين محمود الآلوسي، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان.

- **فتح القدير.** محمد بن علي الشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت،١٤١٤هـ.

ثانياً ـــ السنة النبوية

المتون

- **الجامع الصحيح.** الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، مجلس البركات الجامعة الأشرفية مباركفور.
- **الجامع الصحيح.** الإمام أبو الحسين مسلم بن حجاج القشيري النيشافوري، مجلس البركات الجامعة الأشرفية مباركفور.
- **سنن الترمذي.** أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، دار الكتب العلمية بيروت\
- **سنن ابن ماجة.** الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة الربعي القزويني، مجلس البركات الجامعة الأشرفية مباركفور.
- **سنن أبي داؤد.** الإمام أبو داؤد سليمان بن أشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني، مجلس البركات الجامعة الأشرفية مباركفور.
- **سنن الدار قطني.** الحافظ الكبير علي بن عمر الدار قطني، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
- **سنن الدارمي.** أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن السمر قندي الدارمي، دار الكتب العمية بيروت لبنان.
- **سنن النسائي.** الإمام أحمد بن شعيب النسائي، دار إحياء التراث العربي، لبنان.
- **السنن الكبرى.** أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
- **شعب الإيمان.** أبو بكر البيهقي، مكتبة الرشد للنشر والتوضيع بالرياض، ٢٠٠٣م.

- **صحيح ابن حبان.** الإمام أبو حاتم محمد بن حبان التميمي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
- **صحيح ابن حزيمة.** أبو بكر محمد بن إسحاق بن حزيمة السلمي النيسا بوري، دار إحياء التراث العربي لبنان.
- **المستدرك على الصحيحين.** أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، دار لامعرفة بيروت لبنان.
- **مسند أبي داود الطيالسي.** سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي، دار هجر مصر، ١٩٩٩م.
- **مسند أبي يعلى الموصلي.** أحمد بن علي بن المثنى الموصلي أبو يعلى، دار المعرفة بيروت لبنان.
- **مسند الإمام أحمد بن حنبل.** الإمام أحمد بن حنبل، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
- **المعجم الأوسط.** أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
- **المعجم الصغير.** أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
- **المعجم الكبير.** أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
- **المؤطأ.** الإمام مالك بن أنس، مجلس البركات الجامعة الأشرفية مباركفور.

الشروح

- **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي.** محمد المباركفوري، دار الكتب العلمية بيروت لبنان. ٢٠٠٣م.

- **عمدة القاري شرح صحيح البخاري.** بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.
- **فتح الباري شرح صحيح البخاري.** أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، دار المعرفة ، بيروت لبنان.
- **مرقات المفاتيح شرح مشكاة المصابيح.** علي القاري، المكتبة العلمية، بيروت لبنان.
- **معالم السنن.** أبو سليمان الخطابي، المطبعة العلمية، حلب.

ثالثاً ــــ السيرة والتاريخ والتراجم

- **أبو العتاهية أشعاره وأخباره.** الدكتور شكري فيصل، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان.
- **الإحاطة في أخبار غرناطة.** لسان الدين الخطيب، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
- **أخبار الأخيار في أسرار الأبرار.** عبد الحق المحدث الدهلوي، انجمن آثار ومفاخر فرهنكي، إيران.
- **الاستيعاب في معرفة الأصحاب.** أبو عمر يوسف بن عبد البر، دار الجيل بيروت لبنان، ١٩٩٢م.
- **أسد الغابة في معرفة الصحابة.** عز الدين ابن الأثير، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٩٩٤م.
- **أعلام الأدب العربي في العصر الحديث.** محمد واضح رشيد الحسني الندوي، دار الرشيد – لكناؤ – الهند، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
- **الأعلام.** خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين

- **الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام.** عبد الحي بن فخر الدين الحسني، دار ابن حزم، بيروت لبنان١٤٢٠ – ١٩٩٩.
- **الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية.** زكي محمد مجاهد، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ١٤٠١هـ.
- **أعلام في التاريخ الإسلامي في مصر.** سامح كريم، دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت لبنان، ٢٠٠٨م.
- **أعيان العصر وأعوان النصر.** صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان. ٢٠٠١م.
- **إقبال سيرته وفلسفته وشعره.** عبد الوهاب عزام، دار الفكر، بيروت.
- **الأمالي.** أبو علي القالي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان
- **إمتاع الأسماع بما للنبي صلى الله عليه وسلم من الأحوال والأموال والحفدة المتاع.** أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي، دار الكتب العلمية.
- **إنباه الرواة على أنباء النحاة.** جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، المكتبة العنصرية، بيروت لبنان ١٤٢٤ هـ.
- **أنبياء الله** الدكتور أحمد بهجت، دار الشرق للطباعة والنشر القاهرة، بيروت
- **الأنساب.** الحافظ الإمام ابى سعد عبد الكريم ابن محمد السمعاني، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان.
- **أنساب الأشراف.** البلاذري، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- **البداية والنهاية.** إسماعيل بن عمر الدمشقي الشهير بابن كثير، دار ابن كثير، بيروت لبنان، ٢٠١٠م.
- **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع.** محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر، مصر القاهرة.
- **البدر المنير في صحابة البشير النذير.** محمد قائم بن الصالح السندي، دار الكتب الإسلامية.

- **بُغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة.** عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، المكتبة العصرية لبنان.
- **البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة.** مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد الفيروز آبادي ، دار سعد الدين ، دمشق ١٤٢١م.
- **التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول.** صديق حسن خان القنوجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر.
- **تاريخ الإسلام في الهند.** عبد المنعم النمر، المؤسسة السامية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨١م.
- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام.** شمس الدين الذهبي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ٢٠٠٣م.
- **تاريخ بغداد.** الخطيب البغدادي، دار الغرب الإسلامي بيروت.
- **تاريخ الشعر العربي الحديث.** أحمد قبش، المكتبة المركزية لجامعة أنبار.
- **تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم.** أحمد محمود الساعاتي، مكتبة الأدب القاهرة ١٩٥٧م.
- **تتمة الأعلام للزركلي.** محمد خير رمضان يوسف ، دار ابن حزم ، بيروت لبنان ١٤٢٢م.
- **تذكرة الحفاظ.** شمس الدين الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.
- **التكملة.** الحسن أحمد بن عبد الغفار أبو علي ، جامعة الرياض ١٤٠١هـ.
- **تهذيب تاريخ دمشق الكبير.** أبو القاسم علي بن الحسين المعروف بابن عساكر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- **تهذيب التهذيب.** أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مؤسسة الرسالة.
- **الجرح والتعديل.** أبوبكر بن أبي حاتم الرازي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

- **جـواهر البحــار فــي فضــائل النبــي المختــار**. يوسـف بـن إسـماعيل النبهـاني، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٩٩٧م.
- **حكـيم الأمــة وشــاعر الإســلام علامــة محمد إقبــال**. الـدكتور حسين مجيـب المصـري، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- **حليـــة الأوليـــاء**. الحــافظ أبــو نعــيم الأصــفهاني، دار الفكــر للطباعــة والنشــر والتوزيع، القاهرة.
- **حليـة البشـر فـي تـاريخ القـرن الثالـث عشـر**. عبـد الـرزاق البيطـار، ار صـادر – بيروت – مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٩٣م.
- **حياة إقبال**. البروفيسور محمد منور، مطبعة إقبال أكادمي، ١٩٨٥م.
- **حيــاة الإمــام أحمــد رضــا خــان**. محمد أسـلم رضـا ، الإدارة لتحقيقـات الإمـام أحمـد رضا خان للطباعة والنشر والتوزيع، كراتشي باكستان.
- **حياة الصحابة**. محمد يوسف، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- **الخصــائص الكبــرى**. الحــافظ جـلال الـدين عبـد الـرحمن أبـو بكـر السـيوطي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
- **الخطط التوفيقية الجديدة**. علي مبارك، المكتبة الكبرى الأميرية، ١٣٠٦م.
- **الــدرر الكامنـــة فـــي أعيـــان المائـــة الثامنـــة**. أحمـد بـن علـي بـن محمد بـن حجـر العسقلاني، دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد، ١٣٤٩هـ.
- **در الســـحابة فـــي بيـــان مواضـــع وفيـــات الصـــحابة**. الحــافظ الحســن بــن محمد الصغاني، دار القرآن مصر.
- **دلائـل النبـوة ومعرفـة أحـوال صـاحب الشـريعة**. الإمـام أحمـد بـن حسـين البيهقـي، دار النفائس بيروت.
- **دور الشـيخ أحمـد رضـا خـان فـي مقاومـة البـدع والـرد عليهـا**. الـدكتور محمد مسـعود أحمد، إدارة تحقيقات الإمام أحمد رضا خان، باكستان.
- **الرحيق المختوم**. صفي الرحمن مباركفوري، دار ابن حزم بيروت لبنان.

- **الروض الأنف.** أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
- **زاد المعاد في هدي خير العباد.** ابن قيم الجوزية، المؤسسة الرسالة بيروت لبنان.
- **سبحة المرجان في آثار هندوستان.** غلام علي آزاد الحسيني البلغرامي، دار الرافدين.
- **سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر.** أبو الفضل محمد خليل بن علي المرادي، المطبعة الميرية العامرة ببولاق، ١٣٠١هـ.
- **سلوة الكئيب بوفاة الحبيب.** ابن ناصر الدين الدمشقي، دار البحوث للدراسات الإسلامية.
- **سمط اللآلي في شرح أمالي القالي.** أبو عبيد بكري الأونبي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- **سير أعلام النبلاء.** شمس الدين الذهبي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- **السيرة النبوية.** محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
- **السيرة النبوية.** عبد الملك بن هشام، دار المعرفة بيروت لبنان.
- **السيرة النبوية الصحيحة.** الدكتور أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة.
- **شاعر من الهند.** الدكتور محمد مجيد سعيد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد العراق، ٢٠٠١م.
- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب.** عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد العكري الحنبلي ، دار ابن كثير، دمشق.

- **شـرح العلامـة الزرقـاني علـى المواهـب اللدنيـة.** أبـو عبـد الله محمد بـن عبـد البـاقي الزرقاني، دار الكتب العلمية.
- **الشـعر والشـعراء.** أبـو محمد عبـد الله بـن مسـلم بـن قتيبـة الـدينوري، دار الآثـار للنشـر والتوزيع، القاهرة.
- **الشـفا بتعريـف حقـوق المصـطفى.** العلامـة القاضـي أبـو الفضـل عيّـاض اليحصبي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
- **طبقـات الشـافعية الكبـرى.** تـاج الـدين أبـو نصـر عبـد الوهـاب بـن علـي بـن عبـد الكافي السبكي، فيصل عيسى البابي الحلبي، ١٩٦٤م.
- **طبقات فحول الشعراء.** محمد بن سلام الجمحي، دار ابن حزم، بيروت لبنان.
- **العبـر فـي خبـر مـن غبـر.** شـمس الـدين الـذهبي، دار الكتـب العلميـة، بيـروت لبنان.
- **علامة إقبال حياته وآثاره.** الدكتور أحمد معوض، دار الكتاب، لاهور
- **عيـون الأثـر فـي فنـون المغـازي والشـمائل والسـير.** محمد بـن محمد ابـن سيد النـاس، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- **فوات الوفيات.** محمد بن شاكر الكتبي، دار إحياء التراث، بيروت لبنان.
- **فهرس الفهارس.** أبو جعفر الكتاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- **كتـاب التـاريخ والمغـازي.** محمد بـن عمـر الواقـدي، دار إحيـاء التـراث العربـي، بيروت لبنان.
- **كتـاب الطبقـات الكبيـر.** محمد بـن سـعد بـن منبـع الزهـري، مكتبـة الخـانجي القـاهرة مصر.
- **كشـف الظنـون فـي أسـامي الكتـب و الفنـون.** حـاجي خليفـة ، دارإحيـاء التـراث العربي
- **كنـز العمـال فـي سـنن الأقـوال والأفعـال.** المتقـي الهنـدي، مؤسسـة الرسـالة، بيـروت لبنان، ٢٠٠١م.

- **لباب النقول في أسباب النزول.** الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان.
- **اللباب في تهذيب الأنساب.** أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني الجزري عز الدين ابن الأثير، دار صادر، بيروت لبنان.
- **لسان الميزان.** أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مكتب المطبوعات الإسلامية، مصر.
- **مختصر تاريخ دمشق.** ابن عساكر، محمد بن مكرم الشهير بابن منظور، دارإحياء التراث العربي.
- **المختصر في أخبار البشر.** أبو الفداء ، المطبعة الحسينية مصر ١٣٢٥هـ.
- **المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء.** الحسن بن بشر الآمدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان،
- **مشاهير شعراء العصر في الأقطار العربية الثلاثة.** أحمد عبيد، دار ابن حزم، لبنان.
- **معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب).** ياقوت الحموي، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان.
- **معجم أعلام شعراء المديح النبوي.** الدكتور محمد أحمد درنيقة، دارو مكتبة الهلال، بيروت لبنان.
- **معجم الشعراء.** أبو عبد الله المرزباني، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
- **معجم المؤلفين.** عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان.
- **مقدمة ابن خلدون.** عبد الرحمن بن خلدون، دار الفكر بيروت لبنان.
- **من أقطاب الأمة في القرن العشرين.** الدكتور خالد ثابت، دار مقطم للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- **المواهب اللدنية بالمنح المحمدية.** أحمد بن محمد القسطلاني، مكتبة بركات الرضا فور بندر غجرات.

- **نزهة الألباء في طبقات الأدباء.** كمال الدين الأنباري، مكتبة المنار، الزرقاء الأردن.
- **نسيم الرياض في شرح شفا القاضي عياض.** القاضي شهاب الدين الخفاجي، دار النوادر القاهرة مصر.
- **نكت الهميان في نكت العميان نكث الهميان في نكت العميان.** صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ١٤٢٨ هـ.
- **الوافي بالوفيات.** صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- **وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان.** أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبو بكر بن خلكان ، دار صادر بيروت لبنان.
- **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر.** عبد الملك الثعالبي النيسا بوري، دارالكتب العلمية ،١٤٠٣هـ.

رابعاً ـــ الشعر والأدب

- **الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر.** كامل السوافيري، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٨م.
- **بساتين الغفران.** الإمام أحمد رضا خان، تحقيق حازم محمد أحمد المحفوظ، مجمع بحوث الإمام أحمد رضا، كراتشي باكستان.
- **تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي.** شوقي ضيف، دار المعارف
- **التحفة في نشر محاسن البردة.** الشيخ عثمان بن عمر، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان.
- **التمثيل والمحاضرة.** أو منصور الثعالبي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- **جمهرة أشعار العرب.** محمد بن أبي الخطاب القرشي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
- **جواهر الأدب.** أحمد الهاشمي، المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٦٩م.

- **الحلة السيرا في مدح خير الورى.** ابن جابر الأندلسي، دار الفكر الإسلامي، دمشق.
- **حياة الحيوان الكبرى.** الشيخ كمال الدين الدميري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان
- **خزانة الأدب وغاية الأرب.** ابن حجة الحموي، دار ومكتبة الهلال، بيروت لبنان ٢٠٠٤م.
- **الخطط المقريزية.** تقي الدين المقريزي المصري، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- **ديوان آزاد البكرامي الهندي.** غلام علي آزاد، مطبوعة نادي الطائف الأدبي، مصر، ٢٠٠١م.
- **ديوان ابن الفارض.** عبدالله بن الفارض، تحقيق محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- **ديوان أبي تمام.** بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف، القاهرة.
- **ديوان أبي طالب.** تحقيق الدكتور محمد التنوجي، دار الكتاب العربي مصر، ١٩٩٤.
- **ديوان الأبيوردي.** أبو المظفر محمد بن أحمد القرشي الأموي، شركة التراث للبرمجيات، مصر ٢٠١٥م.
- **ديوان أحمد محرم.** أحمد محرم، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، مصر ٢٠٠٣م.
- **ديوان الأعشى الكبير.** ميمون بن قيس، تحقيق عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة المقطم، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- **الديوان الأكبر.** ابن العربي محمد بن علي، دار الطباعة الباهرة، القاهرة ١٨٥٤م.
- **ديوان البوصيري.** شرف الدين محمود بن سعيد البوصيري، تحقيق الدتور عبد الفتاح، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

- **ديوان حسان بن ثابت**. تحقيق الدكتور وليد عرفات، دار الكتب العمية بيروت.
- **ديـوان الحقـائق ومجمـوع الـدقائق**. عبـد الغنـي النابلسـي، دار البحـوث الإسـلامية، مصر.
- **ديـوان الحماسـة** . حبيـب بـن أوس أبـو تمـام الطـائي، دارالكتـب العلميـة بيـروت ١٤١٨هـ.
- **ديـوان الصرصـري**. جمـال الـدين أبـو زكريـا الصرصـري، دار إحيـاء التـراث العربي.
- **ديـوان عبـد الله بـن رواحـة**. تحقيـق وليـد قصـاب، دار العلـوم للطباعـة والنشـر، بيروت لبنان، ١٩٨١م.
- **ديـوان كعـب بـن زهيـر**. تحقيـق الـدكتور درويـش الجـويري، المكتبـة العصـرية، بيروت لبنان.
- **ديـوان كعـب بـن مالـك**. تحقيـق سـامي مكـي العـاني، دار القلـم للنشـر، دمشـق، ١٩٩٠م.
- **الزبـدة الرائقـة شـرح البـردة الفائقـة**. شـيخ الإسـلام زكريـا الأنصـاري ، دار الكشيدة للنشر والتوزيع، مصر.
- **الزبدة في شرح البردة**. بدر الدين العزي، دار الفكر ، بيروت.
- **السبعة السيارة**. غلام علي آزاد ، مطبعة آسي الكائنة ، لكناؤ.
- **سـفر نامـه** . حكـيم ناصـر بـن خسـرو قباديـاني مـروزي ، كتـب خانـه مـوزه ومركـز اسناد مجلس شورى إسلامي.
- **سـقط الزنـد**. أبـو العـلاء المعـري، تحقيـق محمـود محمد شـاكر، دار الكتـب العلميـة، بيروت لبنان.
- **شرح هاشميات الكميت**. ابن زيد الأسدي، عالم الكتب الطبعة الثانية ١٩٨٦م.
- **شـرح ديـوان الحماسـة**. أحمـد المرزوقـي الأصـفهاني، دار الكتـب العلميـة، بيـروت لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.

- **شعر النابغة الجعدي**. قيس بن عبد الله النابغة الجعدي، منشورات مكتب الإسلامي، دمشق.
- **الشوقيات**. أحمد شوقي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- **الشيخ أحمد رضا خان وشيئ من حياته وأفكاره**. الدكتو محمد مسعود أحمد، أكاديمية الضا مومباىٔ.
- **طبقات فحول الشعراء**. محمد بن سلام الجمحي، تحقيق محمود محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- **الطرائف الأدبية**. طبع من مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر سنة ١٣٥٦ هـ/ ١٩٣٧م.
- **طيبة الغراء في مدح سيد الأنبياء**. يوسف بن إسماعيل النبهاني، دار الفكر القاهرة. ١٩٨٧م.
- **عصيدة الشهدة في شرح البردة**. عمر بن أحمد الخربوتي، مخطوطة.
- **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**. أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، دار الجيل، الطبعة الأولى ١٩٨١م.
- **الفتوحات الأحمدية بالمنح المحمدية**. سليمان محمد، المطبعة الخيرية ، مصر ١٩٨٦م.
- **فصول في الشعر ونقده**. شوقي ضيف، دار ومكتبة المعارف ، بيروت لبنان، ٢٠٠٨م.
- **فهرست ابن خليفة**. أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان.
- **القصيدة الهمزية النبوية في مدح خير البرية**. الإمام شرف الدين البوصيري.
- **كتاب الأغاني**. أبو الفرج الأصفهاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان.
- **كشف الغمة في مدح سيد الأمة**. محمود سامي باشا البارودي، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع.

- **المجموعة النبهانية في المدائح النبوية**. يوسف بن إسماعيل النبهاني، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- **مختارات من أدب العرب**. أبو الحسن الندوي ، مؤسسة الصحافة والنشر ، لكناؤ – الهند.
- **المدائح النبوية في الأدب العربي**. الدكتور زكي مبارك، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- **المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي**. الدكتور محمود سالم محمد، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان.
- **المدائح النبوية في الهند**. الدكتور محمد صدر الحسن الندوي، دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد.
- **المقتفى من سيرة المصطفى**. الحسن بن عمر الحبيب، دار المعرفة، بيروت لبنان.
- **المنح المكية في شرح الهمزية**. ابن حجر الهيثمي، دار المنهاج، مصر.
- **من شعر المديح النبوي**. الدكتور الحسين النور، دار ابن حزم، بيروت.
- **المنظومة السلامية في مدح خير البرية**. حازم محمد أحمد محفوظ المصري، دار إحياء التراث العربي، لبنان
- **منظومة المقصور والممدود**. ابن جابر الأنلسي، مكتبة ابن السلام العراق.
- **النظم البديع في مدح النبي الشفيع**. يوسف بن إسماعيل النبهاني، دار إحياء التراث العربي بيروت، ١٩٩٩م.
- **نظم العقدين في مدح سيد الكونين**. ابن جابر الأندلسي، دار إحياء التراث العربي بيروت.
- **نفح الطيب في مدح الحبيب**. ابن جابر الأندلسي، دار إحياء التراث العربي بيروت.

- **نفحة القبول في مدح الرسول.** عبد الغني النابلسي، دار إحياء التراث العربي بيروت.
- **النفحة المهدية في الحكمة الروحانية.** السيد سلامة الراضي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
- **نقد الشعر.** قدامة ابن جعفر البغدادي، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، الطبعة الأولى، ١٣٠٢م.
- **نهاية الأرب في فنون الأدب.** أحمد بن عبد الوهاب النويري، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
- **نور اليقين في سيرة سيد المرسلين.** الشيخ محمد الحضري بك، دار الكتب العلمية، بيروت

خامساً ـــــ المعاجم

- **تاج العروس من جواهر القاموس.** مرتضى الزبيدي، دار الهداية.
- **التعريفات.** علي شريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- **تهذيب اللغة.** محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي-١٧٧- بيروت لبنان.
- **جمهرة اللغة.** ابن دريد الأزدي، دار الملايين، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.
- **الجيم.** أبو عمرو إسحاق بن مرّار الشيباني، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٣٤م.
- **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب.** عبد القادر البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها.** أحمد بن فارس، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان.
- **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية.** أبو نصر إسماعيل الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٧م.

- **القـاموس المحـيط.** الفيـروز آبـادي، مؤسسـة الرسـالة للطباعـة والنشـر والتوزيـع، بيروت لبنان.
- **الكليات.** أبو البقاء الكفوي، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان.
- **لسان العرب.** جمال الدين بن منظور، دار صادر، بيروت لبنان.
- **مختـار الصـحاح.** زيـن الـدين أبـو بكـر الـرازي، تحقيـق يوسـف الشـيخ محمد، المكتبـة العصرية، بيروت لبنان، الطبعة الخامسة ١٩٩٩م.
- **المصـباح المنيـر فـي غريـب الشـرح الكبيـر.** أحمـد الفيـومي، دار الكتـب العلميـة، بيروت لبنان.
- **معجـم مقـاييس اللغـة.** أحمـد فـارس، تحقيـق عبـد السـلام محمد هـارون، دار الفكـر، ١٩٧٩م.

سادساً ـــ اللغة والبلاغة

- **أسـاس البلاغـة.** أبـو القاسـم محمـود بـن عمـر جـار الله الزمخشـري، دار الكتـب العلمية، بيروت لبنان.
- **أساليب بلاغية.** أحمد مطلوب الرفاعي، وكالة المطبوعات، الكويت.
- **الإملاء والترقيم في الكتابة العربية.** عبد العليم إبراهيم، مكتبة غريب، مصر.
- **الإيضـاح فـي علـوم البلاغـة.** جـلال الـدين القزوينـي، دار الكتـب العلميـة، بيـروت لبنان، ١٩٩٩م.
- **البلاغـة الواضـحة.** علـي جـارم و مصـطفى أمـين، مجلـس البركـات، الجامعـة الأشرفية مباركفور.
- **البيـان فـي التبيـان.** شـرف الـدين الطيبـي، دار الكتـب العلميـة، بيـروت لبنـان ٢٠٠٢م.
- **التبيـان فـي علـم البيـان المطلـع علـى إعجـاز القـرآن.** ابـن الزملكـاني، تحقيق أحمد مطلوب، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٤م.

- **تلخيص المفتاح**. الشيخ محمد بن عبد الرحمن القزويني، مكتبة البشرى، كراتشي باكستان، ٢٠١٥م.
- **الخصائص**. عثمان بن جني الموصلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب،
- **دلائل الإعجاز في علم المعاني**. أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، تحقيق ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، مصر.
- **شموس البراعة شرح دروس البلاغة**. فضل حق الرامفوري، مجلس البركات، الجامعة الأشرفية مبارفور.
- **علم المعاني**. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان.
- **مختصر المعاني**. العلامة سعد الدين التفتازاني، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**. جلال الدين السيوطي، تحقيق فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- **معاهد التنصيص شرح شواهد التلخيص**. علي بن ظافر الأزدي، مكتبة البهيئة مصر ٢٠٠١م.
- **مفتاح العلوم**. أبو يعقوب يوسف بن محمد السكاكي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

سابعاً ـــ البلدان

- **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**. المقدسي البشاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان.
- **آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان**. إسحاق بن الحسين المنجم، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- **معجم البلدان**. شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت الحموي ، دار صادر بيروت١٩٩٥م.

- **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع.** عبد الله بن العزيز ، جامعة فواد الأول بيروت.
- **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق.** الإدريسي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- **وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى.** نور الدين علي بن أحمد السمهودي، دار ابن حزم، لبنان.

ثامناً ـــ الفقه والفتاوى

- **جد الممتار على رد المحتار.** الإمام أحمد رضا البريلوي، رضا دار الإشاعة، لاهور.
- **الحاوي للفتاوي.** الإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- **العطايا النبوية في الفتاوى الرضوية.** الإمام أحمد رضا خان البريلوي، أكادمية الرضا ، مومبائ.
- **الدولة المكية بالمادة الغيبية.** الإمام أحمد رضا البريلوي، رضا دار الإشاعة، لاهور.
- **الفوز المبين في الرد على حركة زمين (الأرض).** الإمام أحمد رضا خان البريلوي، أكادمية الرضا مومبائ.
- **كشف الأستار على هامش شرح معاني الآثار.** العلامة أمجد علي الأعظمي، أكاديمية الرضا، مومبائ.
- **كفل الفقيه الفاهم في أحكام قرطاس الدراهم.** الإمام أحمد رضا خان البريلوي، رضا دار الإشاعت، لاهور.

المصادر العامة

- **إحياء علوم الدين.** الإمام محمد الغزالي، دار ابن حزم، بيروت لبنان.
- **تمييز الطيب الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث.** عبد الرحمن بن بديع الشيباني، دار الكتاب العربي ، مصر ٢٠٠٣م.

- **الرسـالة القشـيرية.** أبـو القاسـم عبـد الكـريم بـن هـوازن القشـيري، دار الكتـاب العربي، لبنان.
- **شـفاء السـقام فـي زيـارة خيـر الأنـام.** الإمـام تقـي الـدين السـبكي، دار الكتـب العلمية، بيروت لبنان.
- **شـرح العقائـد النسـفية.** العلامـة، التفتـازاني، مجلـس البركـات الجامعـة الأشـرفية مباركفور.

المصادر الأجنبية

- **اردو زبان کا ارتقا.** ڈاکٹر شوکت سبزہ واری، سر سید بکڈپو علی گڑھ
- **اردو قصیدہ نگاری.** ام ہانی اشرف، الہدیٰ پبلشنگ ہاوس، علی گڑھ ۱۹۸۲
- **اردو کی نعتیہ شاعری.** ڈاکٹر طلحہ رضوی برق، اشرفی کتاب گھر، سنبھل
- **ارمغانِ نعت.** ساجد صدیق والی آسی، رضوی کتاب گھر دہلی
- **اردو میں نعتیہ شاعری.** ڈاکٹر سید رفیع الدین اشفاق، مطبوعہ کراچی
- **امام احمد رضا خان دیوبندی اکابرین کی نظر میں.** ابو محمد شان رضاشالبرکاتي، نجوم الہدیٰ انٹرنیشنل لاہور پاکستان
- **امام احمد رضا کاملین کی نظر میں.** سید صابر حسین شاہ قادری، رضا دار الاشاعت ، لاہور پاکستان
- **بدیع الرضا فی مدح المصطفیٰ.** میرزا امجد رازی، امام احمد رضا اکیڈمی بریلی
- **تاریخ ادب اردو.** ڈاکٹر جمیل جالبی، سر سید بکڈپو، شمشاد مارکیٹ علی گڑھ
- **تاریخِ اردو ادب.** مرزا محمد عسکری عشرت، النور پبلشنگ ہاؤس، لاہور
- **تاریخِ گولکنڈہ.** عبد المجید صدیقی، فرید بکڈپو مٹیا محل، دہلی
- **تجلیات خلفائے اعلی حضرت.** محمد شاہد قادری، امام احمد رضا سوسائٹی، کولکاتا

- تذکرہ اکابر اہلِ سنت. عبد الحکیم شرف قادری، مکتبہ قادریہ جامعیہ نظامیہ رضویہ، لاہور
- تذکرہ علماء اہلِ سنت. محمود احمد، رضوی کتاب گھر، مٹیا محل دہلی
- تذکرہ علماء الھند. رحمان علی، مکتبہ منشی نوول کشور، لکھنو
- تذکرہ کاملان رام پور. حافظ احمد علی شوق، فاروقیہ بکڈپو، دہلی
- تعارفِ تاریخ اردو. ڈاکٹر شجاعت علی سندیلوی، سرسید بکڈپو، علی گڑھ
- جہانِ رضا. موید احمد چشتی، فاروقیہ بکڈپو، مٹیا محل دہلی
- جہانِ مفتی اعظم. محمد احمد مصباحی، عبد المبین نعمانی، مقبول احمد سالک، المجمع المصباحی
- جہانِ ملک العلما. ترتیب ڈاکٹر غلام جابر شمس مصباحی، انجمن برکات رضا ممبئ
- حیاتِ اعلی حضرت، ملک العلما ظفر الدین بیہاری، رضا اکیڈمی ممبئ
- دکن میں اردو. نصیر الدین ہاشمی، آزاد دائرۃ المعارف حیدر آباد
- دیوان حسرت موہانی. مولانا حسرت موہانی، آزاد بکڈپو دہلی
- دیوانِ کافی، کافی مرادآبادی، الحق اکیڈمی، مٹیا محل، دہلی
- سلطان محمد قلی قطب شاہ. ڈاکٹر محی الدین قادری، فاروقیہ بکڈپو دہلی
- صوفی امیر خسرو. سید صباح الدین عبد الرحمن، دار المصنفین شبلی اکیڈمی اعظم گڑھ
- علماو قائدینِ جنگِ آزادی ۱۸۵۷. یاسین اختر مصباحی، دار القلم دہلی،
- غرۃ الکمال. اَمیر خسرو، نیشنل کمیتی برائی سات سو سالہ تقریبات امیر خسرو، ۱۹۷۵.
- فتاویٰ امجدیہ. صدر الشریعہ امجد علی اعظمی، قادری بکڈپو گھوسی
- فتاویٰ حامدیہ. حجۃ الاسلام حامد رضا خان، امام احمد رضا اکیڈمی بریلی
- فتاویٰ مفتی اعظم. مفتی اعظم ہند مصطفی رضا، رضا اکیڈمی ممبی
- کاروان مدینہ، ابو الحسن ندوی، مجلس تحقیقات ونشریات اسلام ندوۃ لکھنؤ

- کشفِ بردہ. نفیس احمد مصباحی، المجمع القادری مبارک پور
- کلیاتِ اقبال. ڈاکٹر اقبال، ترتیب پروفیسر حمید اللہ ہاشمی، مکتبہ دانیال، کراچی
- کلیاتِ حالی . مولانا الطاف حسین حالی، جدید کتاب گھر دہلی
- کلیاتِ میر. میر تقی میر، فرید بکڈپو، مٹیا محل دہلی
- کلیاتِ ولی. ولی محمد ولی دکنی، ترتیب ڈاکٹر نور الحسن ہاشمی، انجمن ترقی اردو ہند دہلی
- کنز الایمان اہلِ حدیث کی نظر میں. سعید بک عزیز یوسف زی، دار القلم دہلی
- ماہ نامہ ترجمانِ اہل سنت کراچی. جولائی میر، حیات اور کارنامے. خواجہ احمد فاروق
- مثنوی کدم راؤ پدم راؤ. فخر الدین نظامی، ترتیب ڈاکٹر جمیل جالبی،
- مرادآباد تاریخ جدوجہدِ آزادی، محبوب حسین سبزہ واری
- مرزا محمد رفیع سودا. خلیق انجم، سرسید بکڈپو علی گڑھ،۱۹۶۶
- محمد خاتم النبیین. اَمیر مینائی، کتب خانہ نوریہ مہاراج گنج یوپی
- مطالعہ سودا، محمد حسن. نصرت پبلشر لکھنؤ ۱۹۶۵
- مطالعہ ولی. ڈاکٹر شارب ردولوی، نصرت پبلشر لکھنؤ
- مقدمہ تاریخ زبانِ اردو. ڈاکٹر مسعود حسین خان، سرسید بکڈپو علی گڑھ
- الملفوظ الکامل. مفتی اعظم ہند مصطفی رضا خان، قادری کتاب گھر اسلامیہ مارکیٹ بریلی
- میر ہمارے عہد میں. ناصر کاظمی، الہدیٰ پبلشر، کانپور
- نقوشِ رسول نمبر . ادارہ فروغ اردو لاہور ۱۹۸۴

****

فهرس

فهرس الآيات

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا.﴾	النساء	٥٥٤
﴿قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ . وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ . فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ . وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ . قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ . رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾	الأعراف	٥١٣
﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ.﴾	الأعراف	٥٢٣
﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾	التوبة	٤٦٧
﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾	التوبة	٥١٦
﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ.﴾	التوبة	٤٧٧
﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾	يوسف	٥٠٨
﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾	إبراهيم	٥
﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾	الحجر	٤٥٢

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾	النحل	٤٧٨
﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾	الإسراء	٥٣٠
﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾	الكهف	٤٦٥
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾	الأنبياء	٥١٢
﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ.﴾	المؤمنون	٤٩٩
﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾	الشعراء	٧
﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾	الشعراء	٧
﴿ فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾	يس	٥١٩
﴿جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾	القصص	٤٦٩
﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ، يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾	الروم	٤٦٥
﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾	الروم	٤٨١
﴿ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾	الأحزاب	٤٧٨
﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا.﴾	الأحزاب	٤٩٩
﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾	الأحزاب	٣٨٥
﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾	السجدة	٤٨٦
﴿ وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾	الزخرف	٤٥٢
﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾	الرحمن	٤٧١
﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ	المجادلة	٤٨٥

فهرس الأحاديث النبوية

منزلـة فـي الجنـة لا تنبغـي إلا لعبـد مـن عبـاد الله وأرجـو أن أكـون أنـا هـو فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة »	
« اذهب إلى أبي بكر يخبرك بمثالب القوم ثم اهجهم وجبريل معك»	٧٥
« أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم »	٤٥٨
« أعطي يوسف شطر الحسن »	٥٠٧
« أفلا أكون عبدا شكورا »	٤٧٤
« أكثـروا علـي مـن الصـلاة فـي كـل يـوم جمعـة فـإن صـلاة أمتـي تعـرض علـي فـي كـل يـوم جمعـة فمـن كـان أكثـرهم علـي صـلاة كـان أقـربهم منـي منزلة »	٤٩٠
« اللهم إن عبدك علياّ احتبس بنفسه على نبيه فرد عليه الشمس »	٤٧٦
«اللهم إنه هجاني وإني لا أقول الشعر فاهجه عني»	٧٥
«الّلهم أيّده بروح القدس»	٧
«اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك، فاردد الشمس»	٥١٨
«الّلهم حبّب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشدّ»	٥٤٧
«اللهـم حبّـب إلينـا المدينـة كحبّنـا مكـة أو أشـد اللهـم بـارك لنـا فـي صـاعنا وفي مدنا وصححها لنا وانقل حماها إلى الجحفة»	٥٤٨
«اللهم حوالينا ولا علينا»	٥١٧
أمـرت عبـد الله بـن رواحـة فقـال وأحسـن، وأمـرت كعـب بـن مالـك فقـال وأحسن، وأمرت حسان بن ثابت فشفى واشتفى »	٩٤
«أنت آخر المهاجرين كما أنني آخر الأنبياء»	٤٠
«إن أخا لكم لايقول الرفث»	٤١
«إن أقـربكم منـي يـوم القيامـة فـي كـل مـوطن أكثـركم علـي صـلاة فـي الـدنيا مـن صـلى علـي فـي يـوم الجمعـة وليلـة الجمعـة مـرة قضـى الله لـه مائـة حاجـة سـبعين مـن حـوائج الآخـرة وثلاثـين مـن حـوائج الـدنيا ثـم يوكـل	٤٩٠

الله بـذلك ملكـا يدخلـه فـي قبـري كمـا يـدخل علـيكم الهـدايا يخبرنـي مـن صـلى علـي باسـمه ونسـبه إلـى مائـة عشـيرته فأثبتـه عنـدي فـي صـحيفة بيضاء »	
« إن الله حرم على الأرض أجساد الأنبياء »	٣٨٥
«إن الله خلـق الخلـق فجعلنـي فـي خيـر خلقـه وجعلهـم فـريقين فجعلنـي فـي خير فرقة وخلق القبائل	٥٢٤
فجعلنـي فـي خيـر قبيلـة وجعلهـم بيوتـا فجعلنـي فـي خيـرهم بيتـا فأنـا خيـركم بيتا وخيركم نفسا صدق صلوات الله وسلامه عليه»	٥٢٤
«أنا أول شافع، وأول مشفّعٍ يوم القيامة، ولا فخر»	٥٣١
«أنـا سـيد القـوم يـوم القيامـة، هـل تـدرون بـم يجمـع الله الأولـين والآخـرين فـي صـعيد واحـد فيبصـرهم النـاظر، ويسـمعهم الـداعي وتـدنو مـنهم الشـمس، فيقـول بعـض النـاس: ألا تـرون إلـى مـا أنـتم فيـه؟ إلـى مـا بلغكـم؟ ألا تنظـرون إلـى مـن يشـفع لكـم إلـى ربكـم؟ فيقـول بعـض النـاس: أبـوكم آدم فيأتونـه، فيقولـون: يـا آدم أنـت أبـو البشـر، خلقـك الله بيـده، ونفـخ فيـك مـن روحـه، وأمـر الملائكـة، فسـجدوا لـك وأسـكنك الجنـة، ألا تشـفع لنـا إلـى ربـك؟ ألا تـرى مـا نحـن فيـه ومـا بلغنـا؟ فيقـول: ربـي غضـب غضـبا لـم يغضـب قبلـه مثلـه ولا يغضـب بعـده مثلـه، ونهـاني عـن الشـجرة فعصـيته، نفسـي نفسـي اذهبـوا إلـى غيـري، اذهبـوا إلـى نـوح، فيـأتون نوحـا، فيقولـون: يـا نـوح أنـت أول الرسـل إلـى أهـل الأرض وسـماك الله عبـدا شـكورا، أمـا تـرى إلـى مـا نحـن فيـه ألا تـرى إلـى مـا بلغنـا؟ ألا تشـفع لنـا إلـى ربـك؟ فيقـول: ربـي غضـب اليـوم غضـبا لـم يغضـب قبلـه مثلـه ولا يغضـب بعـده مثلـه نفسـي نفسـي ائتـوا النبـي ﷺ ، فيـأتوني فأسـجد تحـت العـرش فيقـال: يا محمد ارفع رأسك واشفع تشفع وسل تعطه»	٥٣١
«أنـا سـيد ولـد آدم يـوم القيامـة، وأولمـن ينشـق عنـه القبـر، وأول مـن شـافع	٥٢٥

وأول مشفّع »	
« أنـا سـيد ولـد آدم ولا فخـر ، وبيـدي لـواء الحمـد ولا فخـر ، ومـا مـن نبـي يومئـذ آدم فمـن سـواه إلا تحـت لـوائي، وأنـا أول مـن تنشـق عنـه الأرض ولا فخر»	٥٢٥
« إن الله اختـار خلقـه فاختـار مـنهم بنـي آدم، ثـم اختـار بنـي آدم فاختـار منهم العرب، ثم اختارني من العرب ، فلم أزل خيارا من خيار »	٣٩١
« إن الله اصـطفى كنانـة مـن ولـد إسـماعيل ، واصـطفى قريشـا مـن كنانـة واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم »	٣٩١
«إن الله اصـطفى مـن ولـد إبـراهيم إسـماعيلَ، واصـطفى مـن بنـي إسـماعيل بنـي كنانـة، واصـطفى مـن بنـي كنانـة قريشـا، واصـطفى مـن قـريش بنـي هاشم، واصطفاني من بني هاشم»	٥٢٤
« إنّ الله حرّم على الأرض أجساد الأنبياء »	٤٩٠
« إن مـن أفضـل أيـامكم يـوم الجمعـة، فـأكثروا علـيّ مـن الصـلاة فيـه، فـإن صلاتكم معروضة عليّ »	٣٨٥
«اهجوا المشركين بالشعر»	٧
« اهجهم، كأنك تنضحهم بالنبل»	٧٦
«اهجهم يا حسان فإن شعرك أشد عليهم من وقع السيوف»	٨٠
« أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة »	٣٨٥
« أيُّمـا قـومٍ جَلَسُـوا، فَأَطَـالوا الجُلـوسَ، ثُـمَّ تَفَرَّقُـوا قبـلَ أنْ يَـذْكُرُوا اللهَ تعـالى، أوْ يُصـلُّوا علـى نبيِّـهِ كانَـتْ علـيهم تِـرَةٌ مِـنَ اللهِ، و إنْ شـاءَ عَـذَّبَهُمْ، و إنْ شاءَ غفرَ لهُمْ»	٤٩١
« بشروا خديجة ببيت من الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب»	٤٨٧
«بعثـت مـن خيـر قـرون بنـي آدم قرنـا قرنـا حتـى بعثـت مـن القـرن الـذي كنت فيه»	٥٢٤

«تفتح اليمن فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، وتفتح الشأم فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، وتفتح العراق فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون»	٥٤٨
« جزاؤك على الله الجنة يا حسان»	٨١
« جزاؤك على الله الجنة»	٧٥
«خذوا في أوعيتكم»	٥١٩
« خلّوا سبيلها ، فإنها مأمورة »	٩١
«خُيّرت بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة، لأنها أعمّ، أترونها للمتقين؟ لا، ولكنها للمذنبين الخطائين»	٥٣١
« دعه عنك فقد جاء تائبا نازعا عما كان عليه »	١١٣
«ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ ، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ – أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ»	٥٣٦
« رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليّ »	٣٨٥
صلوا على أنبياء الله ورسله ، فإن الله بعثهم كما بعثني، صلوات الله وسلامه عليهم »	٣٨٥
« الصلاة على رسول الله ﷺ أمحق للخطايا من الماء للنار، والسلام على النبي ﷺ أفضل من عتق الرقاب، وحبّ رسول الله ﷺ أفضل من مهج الأنفس، أو قال: من ضرب السيف في سبيل الله تعالى »	٤٩١
«فأهبطني الله .... في صلب آدم .... ثم لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الكريمة والأرحام الطاهرة ، حتى أخرجني من بين أبوي لم يلتقيا علي سفاح قط»	٥٢٦
«قال لي جبريل قلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد رجلا أفضل من محمد، وقلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد بني أب أفضل	٥٢٤

من بني هاشم»	
« قل وروح القدس معك؛ والله لشعرك عليهم أشد من وقع الحسام في غبش الظلام»	٥٢٤
«كنت في صلبه ، وركب بي السفينة في صلب أبي نوح ، وقذف بي في صلب أبي إبراهيم ، لم يلتق أبواي على سفاح قط ، لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الحسيبة إلى الأرحام الطاهرة صفيا مهذبا ، لا تتشعب شعبتان الا كنت في خيرهما»	٥٢٦
« كيف تهجوهم وأنا منهم ؟ »	٧٥
«لأعطين هذه الراية رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله»	٥١٦
« لا يغضبن أحدكم ، فإني أفعل ما أومر »	٩١
«لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل»	٥٢٧
« ما من أحد يسلّم عليّ إلا ردّ الله عليّ روحي حتى أردّ عليه السلام»	٤٩١
« مامنعك أن تقعد ياحسان مع القاعدين ؟؟»	٨١
« ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي»	١٧٢
« ما يمنع القوم الذين نصروا الله ورسوله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم ؟!»	٧٤
« مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق»	٤٥٨
« مَنْ زَارَ قَبْرِي وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي »	٤٨٦
« من صلى علي حين يصبح عشرا وحين يمسي عشرا أدركته شفاعتي»	٤٩٠
« من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحطت	٤٨٩

عنه عشر خطيئات ورفعت له عشر درجات »	
« وقاك الله يا حسان حر النار»	٨١
« والله ما يسرني به مِقْول بين بصرى وصنعاء! »	٩٤
«هذا العباس بْن عبد المطلب أجود قريش كفًا، وأوصلها وقال: هذا بقية آبائي»	٤١
« يا أبا سلمة بن عبد الأسد والأرقم بن الأرقم اشهدوا »	٤٧٦

فهرس الأعلام

فهرس البلدان والأماكن

فهرس المحتويات


تم بحمد الله

WWW.KANZULIMAN.ORG

RESEARCH.KANZULIMAN.ORG

NGO.KANZULIMAN.ORG

Promoting education, research, religious & social welfare, a non profit working on the legacy of Aalahazrat Imam Ahmad Raza Khan رضي الله عنه

KANZULIMAN FOUNDATION

Library | Research | Non-Profit (NGO)

About Author

Presented by

KANZULIMAN ISLAMIC LIBRARY

religious service by Kanzuliman Foundation

Religious Services

Kanzuliman Islamic Library

The religious division operates under Kanzuliman Foundation and provides religious services like – Free Quran, Online Fatawa, Libraries, Islah ul Muslima, and online Tajweed Classes.

KANZULIMAN RESEARCH

academic research division of Kanzuliman Foundation

Kanzuliman Research

(Academic Journal – KAIJOR)

Kanzuliman Academic Internationa Journal on Razawiyāt (KAIJOR). Academic research activities are carried under the supervision of scholars and an academic conference is organised every year at Bareilly Shareef

PROJECT CARE

a non-profit initiative of Kanzuliman Foundation

Nonprofit Initiative (NGO)

Project CARE

An initiative to help destitute have access to quality education, healthcare services and nutritious food. Join our Volunteer Program and help us in Nation building activities.

BABA GHULAM SHAH BADSHAH UNIVERSITY
RAJOURI (J&K)

A: Personal Details

1. **Name & Designation of Candidtate: Mr. IBRAHEM**
2. **Parantage: Abdul Rehman**
3. **Date of Birth:** 01/01/1983
4. **Address:** Nadyala P/O N. Bagala Tehsil &District Rajouri- 185151
   Mobile: 9797344385/ 7889761087 **Email**: *mimisbahi92@gmail.com*
5. **Current Position: Asstt.Prof. Department of Arabic, BGSBU Rajouri**
6. **Academic Qualifications:**

Examination	Session/Year	Marks %	University/Board	Remarks
Matriculation	2003	50.28	Jamia Urdu Aligarh	Aligarh
10+2	2005	60.04	Jamia Urdu Aligarh	Aligarh
B.A.	2009	54.44	Purwanchal University	Jounpur
M.A. Arabic	2013	68.28	AMU Aligarh	Aligarh
M. Phil	**2016**		BGSBU	
NET/JRF	**2014**		UGC	
Ph.D. Arabic	Submitted		BGSBU	

7. **Title of Ph.D. Thesis:** An analytical and comparative study of Euology of Prophet(SAW) by Al- Imam al- Bosiri and al-Imam Ahmad Raza Khan al- Breilwi
8. **Supervisor:** Dr. Shams Kamal Anjum
9. **Additional Qualification** (Religious Education)

Examination	Session/Year	Marks %	University/Board	Remarks
Qirat wa tajweed	**2003**		Madarsa Ajmalal uloom	UP INDIA
Molvi	**2004**		Madarsa Ajmalal uloom	UP INDIA
Alimiyat	**2006**		Aljamiatul Ashrafia	UP INDIA
Fazilat	**2008**		Aljamiatul Ashrafia	UP INDIA
Mufti Course	**2010**		Aljamiatul Ashrafia	UP INDIA

PART B: PUBLICATIONS

10.PUBLISHED BOOKS

S.No.	TITLE OF BOOK	Pages	PUBLISHED BY	YEAR	ISBN
1	*Thulasiya al-Hamziyya an-Nabwiyya,*	102	Darul Eshaat-e-Mustafai	2017	*81-8889-54-1*

	Dirasa Tahliliah		Delhi		
2	*Qawaid-e-Balaghat*	136	Educational Publishing House Delhi	2017	978-93-86486-64-6

11. Published Papers in National Journals

S	TITLE	Name of Journal	Volume	YEAR	ISSN	Page Nos.
1	*Al-tasawwuf, Mabdauhu wa nashaatuhu*	Al-Mushahid	15	2015	2348-716X	51-58
2	*Almadaris al-diniah w ishamatuha fi tatweer el- lughati alarbia*	Al- Tilmeez	02	2017	2394-6628	24-30
3.	*Baitan-e-Hasanan Min Hamziyyate Hassan, Dirasa Tahlilia*	Excellence International journal of education and research	04	2017	2349-8838	179-186

12. NATIONAL SEMINARS/ CONFERENCES

1.	National Seminar on “Tasawwuf Urdu Adab aur Hamara Muashra”	Srinagar	Sept.16-17, 2015	Paper	CU Kashmir
2.	National Conference on “Interdisciplinary Science and Humanities”	Rajouri	Mar. 15-16-2017	**Paper**	P.G college Rajouri
3.	National Seminar on “Future of Arabic language in the 21th century”	Rajouri	May 2-3-2016	Paper	Deptt of Arabic BGSBU
4.	National Seminar on “Relation between Noble Qur’an and Arabic Language: Revelation, Recitation, and Translation”	Pulwama	Nov.24-25, 2017	Paper	GDC Pulwama Kashmir
5.	National Seminar on “litrature, Humanities and Society”	Mendhar	Oct. 31-2018	Paper	GDC Mendhar
6.	National Seminar on “Imam Ahmad Raza Khan”	Anantnag	Nov. 11-2018	Paper	Dar-ul-uloom Sout u lAouliyaa

					Anantnag
7.	National Conference On "Recent Trends in Sciences, Social Sciences and Humamities"	Rajouri	Jan 19-20-2019	Paper	P.G. College Rajouri

8. INTERNATIONAL SEMINARS/ CONFERENCES

1.	International Conference on "Islamic Bankingn and Finance : way forward for inclusive and sustainable development"	Rajouri	Apr. 19-20-2017	Paper	School of Management Studies BGSBU
2.	International Urdu Conference	Rajouri	Sep. 09-10-2017	Paper	Deptt of Urdu JU

9. Workshops Attended

S	Name of Workshop	Date	Place	Duration	Held At
1	*Information Literacy & Plagiarism*	*01-12-2014 to 10-12-2014*	BGSBU	10 days	BGSBU
2	*Research Methodology in Social Science &Humanities*	*10-10-2017 to 12-10-2017*	IUST	3 days	IUST Awantipura

Date: ____________________

Mr. Ibrahem
Asstt.Prof. Arabic (BGSBU)